

بافول رانكوف

# في زمن آخر

SCANNED BY  
JAMAL HATMAL



ترجمة: د. غياث الموصلي





في زمن آخر

● في زمن آخر  
● تأليف: بافول رانكوف (Pavol Rankov)  
● ترجمة: غياث الموصلي (Dr. Ghias Mousli)  
● جميع الحقوق محفوظة للناشر ©  
● الطبعة الأولى: 2011  
● الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع

[www.daralhiwar.com](http://www.daralhiwar.com)

سورية - اللاذقية - ص. ب : 1018  
هاتف وفاكس : 963 41 422339  
البريد الإلكتروني : [daralhiwar@gmail.com](mailto:daralhiwar@gmail.com)

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار



يتضمن هذا الكتاب الترجمة الكاملة للنص الأصلي عن اللغة السلوفاكية :

## STALO SA PRVÈHO SEPTEMBRA (ALEBO INOKEDY)

By: Pavol Rankov

Copyright © by Pavol Rankov, Elpeka s. r. o. 2008  
Stalo sa prvého septembra (alebo inokedy)



تمت طباعة هذا الكتاب بدعم من لجنة سلوليا ، مركز معلومات الأدب في براتيسلافا ، سلوفاكيا

This Book has received a subsidy from SLOLIA Committee, the Center for  
Information on Literature in Bratislava, Slovakia



# في زمن آخر

رواية

ترجمة: د. غياث الموصلي

دار الحوار



## رواية تاريخية من عام 1938 / 1968.

عن الأجيال التي لم يسمح لها بالعيش كما أرادت بل كما أجبروها أن  
تعيش

\* \* \*

جميع شخصيات رواية (في زمن آخر) من وحي الخيال. لقد عاشت في  
أزمنة وأمكنة موصوفة في الرواية، ثم تخيلها الكاتب.  
كل شيء من صنع الخيال. لم يحدث أي شيء، ولم يكن هناك إنسان.  
حتى إن الأول من سبتمبر - أيلول لم يكن موجوداً.

أهدي هذه الرواية إلى أبي وإلى أصدقائه وإلى ذلك الجيل الذي لا  
يعرف أحد لماذا كان عليه أن يجرب كل شيء بنفسه.

المؤلف

\* \* \*



## حادثة عام 1938

مدن قليلة في جمهورية تشيكوسلوفاكيا كان بوسعها التباهي في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين بامتلكها مسجلاً عاماً خاصاً بها، ومدينة "لفيتسي" كانت إحداها.

حين جاء الأول من سبتمبر نهاراً مشمساً، غص المسبح بالزوار، بالغين مع أولادهم وبدون أولادهم، شباباً وكهولاً من مدينة "لفيتسي" ومن القرى المجاورة. مجريون، وسلوفاك، وتشيك، ويهود، وعجوز. كانت هناك عائلة الألماني "بارتيل" والبلغاري "رانكوف". كان هناك الديمقراطيون، والليبراليون، والمحافظون، والملكيون، والاشتراكيون، والقوميون، والشيوعيون وحتى الفاشيون كانوا هناك. الوحيد الذي غاب عن الحضور كان الفوضوي "فاغرا" بسبب وجوده في إسبانيا. لم يرغب الأصدقاء "بتر"، و"هونزا"، و"جبرائيل" عن المسبح أيضاً. جلسوا هناك بعيونهم نصف المغمضة في مواجهة أشعة شمس ما بعد الظهر الحارقة على الجدار البيتي الواطيء وهم يمرحون أرجلهم، ويتفلون من حين لآخر لعابهم الكثيف المتشكل في أفواههم الجافة. كانوا يتمتعون بعطلة بعد الظهر في أول يوم من أيام العام الدراسي لأنهم لم يتكلفوا بواجبات منزلية، وفي ذات الوقت كانوا يبدون إعجابهم بزميلتهم "ماريا بلايوفا"، الصبية الجميلة التي كانت تجلس قريبة منهم مع والديها وشقيقها الأصغر منها: "يورك".

تعدت الصبية ربط شعرها إلى الخلف على شكل ذيل الفرس، ولكنها أرخته الآن وتركته يجف تحت أشعة الشمس.

- شعرها بلون عسل المروج، أكد "هونزا"!

تعود "هونزا" قراءة الروايات الغرامية القصيرة التي كانت تشتريها شقيقته، وآخرها كانت بعنوان "خفقات القلب". لم يكن أمام صديقيه "بتر" و"جبرائيل" سوى الموافقة على الجمل الغزلية التي استعارها زميلهما لوصف جمال "ماريا"،

لأنهما كانا عاجزين عن استحضار مثل تلك الكلمات التي يمكنهما بوساطتها التعبير عن أحاسيسهما.

تناولت "ماريا" من الجيب الصغير لحقيبتها حبة خوخ ورفعتها بركة متناهية بين رؤوس أناملها الطويلة، ووضعتها في فمها.

- شفتاها راتعتان، قال "جبرائيل" وأطلق تنهيدة طويلة.

- ورديةان <sup>١٠٠</sup>اكتنتان.... ورديتان غامقتان - حاول "هونزا" اختيار الوصف المناسب.

- بين الوردية والأحمر الغامق، علق "بتر" بالمجرية.

حين كانت "ماريا" تمضغ الخوخة، كانت بشرة خديها تنقلص وترتخي بهدوء. ملأت بعد ذلك صدرها بالهواء، وأغلقت عينيها، ثم تفلت بقوة نواة الخوخة التي طارت في الهواء قرابة <sup>١٠١</sup>المتى، لترتطم في النهاية برأس أخيها قبل أن تسقط على الأرض.

- مارا (ماريا)... يا لك من جيفة وسخة! صرخ "يورك" ورمى النواة على "ماريا".

لم ترفع الوالدة "بلايوبا" رأسها <sup>١٠٢</sup>عني "مرادن" الحياكة ولكنها أنبتهما قائلة بهدوء:

- ماذا جرى لكما يا أولاد؟ كونا مهذبين. <sup>١٠٣</sup>والإلهما ضربكما على مؤخرتكما... أضاف والدهما.

وقع الثلاثة "بتر"، و"هونزا" و"جبرائيل" في غرام "ماريا"، وكان واضحاً لهم منذ البداية أن ماريا يمكنها أن تهيم بواحد منهم فحسب.

- لا يمكن لثلاثتنا الحصول عليها، - شرح "هونزا"، و"بتر" وأضاف: تعرف أننا أصدقاء ولهذا سوف نظن أننا نسخر منها.

- butasag! (هراء بالمجرية).. كيف يمكنك أن تعرف ما يقول في خاطرها، عارضه "بتر".

- "هونزيك" محق. إذا استمررتنا ثلاثتنا في الدوران حولها فإنها لن تقع في غرام أي واحد منا. حين يتعارك اثنان يربح الثالث، ولكن حين يتعارك الثلاثة يخسر

الثلاثة. قال "جبرائيل" متذاكياً.

(١٠٠) "بتر وجبرائيل" بالسلوفاكية يعادل "بيتر (بالقصة) و"جاكوب" بالمجرية.

(١٠١) "يان" ينادى له بـ "هونزا" حين يكون صغيراً بالنشكية، أو هونزك "تصغيراً للاسم و"يانوش" بالمجرية.

- دعونا نتصرف كما تعودنا في المدرسة، حسب الأبجدية. - اقترح "هونزا": بيزك  
يان"، روناي بتر، روزنبرغ جيراثيل. سيكون أمامي سنة من الوقت كي أكسب حب  
"ماريا"، وحين أهشل يأتي دور "بتر"...

- nem , nem ، (لا، لا بالمجرية) اعترض "بتر" - بالتأكيد لا أوافق حسب  
الأبجدية. علينا اختيار طريقة أكثر عدالة. ألا توافقني يا "غابور"؟!  
- لست "غابور"! قلت لك مئة مره، - رد "جيراثيل" بغضب.  
- أعتذر... اعتذر "بتر".

- حاولوا ولو دقيقة ألا تفكروا في أنفسكم، فكروا فيها، بدأ "جيراثيل" حديثه  
بهدهو وأضاف: صبية في ريعان شبابها بحاجة إلى رجل ناضج.  
- وهذا الرجل هو أنت؟! سأله "بتر" بغضب.  
- إنني أكبر كما سنأ. - أصر "جيراثيل" على رأيه.  
- أرجوك، عدة شهور فحسب... رد "هونزا" معترضاً.  
- بعد عدة أيام سأكمل ثلاث عشرة سنة وبعدها سأصبح بالغاً، برر "جيراثيل"  
كلامه.

- إن بلوغك الذي نتحدث عنه ليس أكثر من بلوغي. لقد قذفت بالضبط في  
الربيع وهذا الأمر لا يزال ينتظرك. من منا إذاً أكبر سنأ؟ سألهما "بتر" حائناً.  
- إذاً يا سادة، - رمق "هونزا" صديقيه بابتسامة ملأى بالسخرية، وأضاف: الأكبر  
سنأ فينا هو الذي يمكنه أن يضاجع أنثى مثل رجل بالغ. لقد نسيت أن أخبركما  
بأنني حين كنت في زيارة جدتي في العطلة في "برنو"، حصل معي هذا الشيء وأنا  
نائم، مرتين.

رمق "جيراثيل" و"بتر" صديقهما "هونزا" بنظرات استغراب.  
- وكيف يبدو هذا الشيء؟ سأله "جيراثيل" وهو يبلع لعابه بصوت مسموع.  
بحث "هونزا" عن الكلمات في دفاتر روايات أخته:  
- ملائكي وشيطاني. حضروا أنفسكم لعبور الجنة والنار في آن واحد. ستصابان  
بالدوار... وسوف يظهر قوس قزح ملون أمام عيونكما.  
- أوماً "بتر" و"جيراثيل" برأسيهما معترفين بصحة كلام صديقهما.  
صمت "هونزا" برهة، وراح يستعيد بلذة صور الحلم.

- إن الرعشة شيء رائع.
- تقول رعشة؟ انفجر "بتر" بالضحك. يقال orgasmus (الإيغاف) أيها الخنزير.
- حتى إنك لا تعرف قولها، علق "جبرائيل" وأضاف: سوف يحدث معنا ذلك في أقرب وقت.
- يمكن ألا يحدث وربما تكونان عقيمين... رد عليهما "هونزا" بجرأة.
- إنني لست عقيماً لأن جسمي مليء بالشعر. - صرخ "جبرائيل".
- وأنا أيضاً لست عقيماً... أضاف "بتر" منزعجاً.
- لا زلتما برأيي حتى الساعة طفلين عقيمين - قال لهما "هونزا" وأضاف: لهذا السبب سأكون أول البادئين مع "ماريا"، وحين أفضل يمكن لأحكما أخذ زمام المبادرة، وستكون الأفضلية بالطبع لمن لديه حيوانات منوية أكثر.
- خراء، اعترض "بتر". - الحيوانات المنوية ليست الأساس في...  
- الأساس هو الحب، - أكمل "جبرائيل" الجملة. - انظر إلى "ماريا"، ربما لا تكون قد نزت بعدُ مثل بقية النساء، وثدياها لا يزالان في بداية نموها.
- لكن حلمتها رائعتان، قال "هونزا" وتنهّد.
- وكيف عرفت وأنت لم ترهما؟ احتج "بتر".
- حلمتُ بهما. وفي تلك اللحظة بالذات حدث معي - شرح "هونزا" - لهذا فإن الفرق بيني وبينكما هو أنني أعرف النشوة التي تحدث أثناء مضاجعة "ماريا".
- تعرف خراء، حلمتُ وحسب. قال له "بتر" غاضباً.
- مجرد حلم... صحح له "هونزا".
- وأنا أيضاً يمكنني الآن أن أكذب وأقول: حلمتُ كيف أتبادل القبل مع "ماريا"، وكيف جردتها من ثيابها، كما يمكنني أن أؤكد لكما أن خصيتي مملوئتان بالحيوانات المنوية.. إنه إيغاف، ملائكي، شيطاني، سمائي، وجهنمي: حاول "جبرائيل" تقليد تعابير "هونزا".
- إنكما تحسدانني: قال لهما "هونزا"..
- وأنت ربما تكذب علينا، لم يسمح له "بتر" بالتجاوز.
- حسناً، لنترك الأمور كما هي عليه، و لننتفق على من منا سيبدأ مع "ماريا" -  
- نيههم "جبرائيل" - يجب علينا أن نجد مسابقة لا يعرف أحد منا من سيربها.



الجري مثلاً ليس الأفضل لأننا نعرف أن "بتر" أسرعنا، ولا حتى الشوط على المرعى، لأن "هونزا" سيكون الرابع بالتأكيد.

- إذاً تريد لعبة تريح فيها وحدك، أليس كذلك؟ ضحك "هونزا".

- لا... أريد شيئاً جديداً، شيئاً لم يسبق أن جربناه من قبل، دون أن نعرف مسبقاً من منا سيربح.

- كانت في المدرسة مسابقة القفز العالي والقفز الطويل... اقترح "بتر".

- كنت في كليتهما أفضل منا.. علق "هونزا".

- لنفكر بتعقل. علينا أن نجد شيئاً سهلاً، نعرف منه مباشرة الفائز... قال لهما

"جبرائيل" بعد طول تفكير.

- القفز في المسبح؟ اقترح "هونزا".

- كيف تقيس المسافة فوق الماء؟ سأله "بتر" مستغرباً.

- السباحة إذاً؟ قال لهما "جبرائيل" بحذر.

- السباحة ليست سيئة، قال "هونزا" وأضاف: لم نتسابق في السباحة من قبل،

وأظن أن سرعتنا متقاربة، ولسنا بحاجة إلى ساعة توقيت أيضاً. كل ما علينا هو

طلب المساعدة من أحدهم ليعطينا إشارة البدء. سنقفز مثلما يقفزون في الألعاب

الأوليمبية، والإنسان الذي سيعطينا إشارة البدء سوف يراقب من منا سيلمس

الطرف الآخر من المسبح قبل الآخر. ما رأيك يا "بتر"؟

- حسناً.

- ولكن من سيكون هذا الحكم؟ ضحك "هونزا".

- ماريا... صرخ "جبرائيل".

حين لاحظت "ماريا" أن ثلاثة من زملائها في المدرسة يخطون باتجاه مكان

جلوسهم على البطانية، تورد لون وجهها. لم تنطق بكلمة واحدة في حين عرض

عليهم والدها السيد "بلاي" وحده أن يكون الحكم، وفي الحال اتسمت مسابقتهم

بالجدية، ولم يخطر بباله أنه بذلك يقرر مستقبل ابنته الصغيرة.

- أيها الأولاد: هل بإمكانكم التوقف عن القفز لحظة؟ - هؤلاء الثلاثة يرغبون

في التسابق، - قال والد "ماريا" مخاطباً مجموعة من أطفال الغجر الذين كانوا

يسيطرون على أحد أقسام المسبح.

- أنت... "هونزو"... سوف تتسابقون؟ سأتسابق معكم. قال له "أبري فيزيك"

أكبر صبية الغجر سناً وكان لتوه قد وصل إلى طرف المسبح.

- مستحيل! رد عليه "هونزا" - حتى إنك لم تحضر إلى المدرسة اليوم! لقد غبت من اليوم الأول...

جرى قبل سنتين قتال ضار فيما تبقى من قلعة "لفتسي"، إذ تمكن "جبرائيل" الذي كان برفقة "بتر" في حينها من إقناع "أبري فيزيك"، ومعه بعض صبية الغجر، بأن يلعبوا دور عبيد السلطان، وهكذا، وبفضل الغجر، أصبح بالإمكان إعادة إحياء المعركة الكبرى التي تم فيها دحر الأتراك عام 1664 من على مشارف "لفتسي". لعب "بتر" في تلك المعركة دور البطل الاسطوري "موهاري إشتفان"، وعلى خلاف ما جرى في المعركة الحقيقية، لم يلق حتفه في مية بطولية. قاتل "هونزا" بجانبه دون اسم تاريخي، ولكنه أصيب في خضم المعركة بجرح في ساقه من عصا "أبري" الذي لم يتعمد ضربه، لأنهم اتفقوا على قتال شكلي، لكن "هونزا" بقي شهراً كاملاً يتلوى من الألم، ومنذ ذلك الحين لم يعد يحب "أبري". - إننا نتسابق فيما بيننا، ويمكن لـ "أبري" أن يسبح بالقرب منا، - قال لهم "جبرائيل" مدافعاً عن الصبي الغجري.

- وماذا لو ربح السباق؟ صرخ "هونزا".

- هذا لا شيء! ما يهمنا هو من منا نحن الثلاثة سيربح. - شرح "بتر".

- وكيف تريدونني أن أعطي إشارة البدء بالسباق؟ سألهم والد ماريا.

- تقول: استعداد، بدء، الآن! شرح له "هونزا".

- حسناً... فلنبدأ!

- وقف الثلاثة باستعداد وانتظروا أمر الانطلاق من السيد "بيلاي".

- استعداد... بدء - الآن!

قفزوا في الماء وبدؤوا السباحة. كان أسلوبهم في السباحة قريباً من نظام "الكراول"، إلا أن رؤوسهم بقيت خارج سطح الماء، وكانت ضربات أيديهم قصيرة وسطحية، وظهروا كأنهم يشدون أطرافهم بعجز خلف أجسادهم المتموجة. كان أهالي "لفتسي" يطلقون على هذا النوع من السباحة: - سباحة الكلب.

استغرب "جبرائيل" موافقة صديقه السريعة على اختيار السباحة وسيلة للتسابق. كان يعتبر نفسه السباح الأفضل، واندعش أكثر لكونهما لم ينتبها إلى هذه النقطة. فجأة تغير كل شيء بعد أن قفزوا إلى حوض السباحة. أحس "جبرائيل" بشكل لم يعهده من قبل بمقاومة الماء الذي امتص مع حلول الظهيرة كمية كبيرة من أشعة الشمس. شعر كأنه يسبح في حساء ساخن ولكن أكثر كثافة بهرات عديدة، وبالرغم من ذلك وصل إلى منتصف المسبح قبل صديقه. كان "هونزا"

و"بتر" يسبحان على يساره، وحين أدار نظره إلى تلك الجهة لم يلاحظ أية حركة، ولا حتى رغبة تشير إلى وجود أحد بجانبه، ولكنه شاهد أمامه من جهة اليمين وعلى مسافة قريبة رأس "أبري فيزيك" ذي الشعر الأسود، وهو يديره من جهة إلى أخرى، ويحظي، ليس فقط بتشجيع إخوانه وأخواته، بل أولاد عمه الذين حضروا لزيارته من "سلاطينا".

فجأة، أحس "جبرائيل" أثناء إحدى ضرباته السريعة أن كمية كبيرة من الماء مرت من تحت يده، كما طرّشت عينيه قطرات كبيرة من الماء الذي تسلسل إلى فمه ومن ثم إلى رثتيه مع الشهيق. أجبر نفسه على حبس النَّفْس، ولكنه بعد عدة ضربات لم يعد يتحمل الوضع، وبدلاً من أن يخرج الماء الذي تنشقه في المرة الأولى دخلت كمية أخرى منه إلى رثتيه. كان قريباً من الطرف الثاني للمسيح، ولم ينقصه سوى سبعة أمتار ليصل إلى خط النهاية في حين تخلف عنه صديقه بمرتين كاملين. حين أحس "جبرائيل" بحاجته الماسة إلى الأوكسجين، بدأ يضرب الماء بعصبية، ولكنه بالرغم من ذلك لم يتمكن من زيادة سرعته، بل على العكس، أجبره فعله هذا على استنشاق الماء من جديد. أحس بثقل في صدره، وكأن الماء الذي دخل رثتيه راح يشده إلى القعر دون رحمة. شعر بألم حاد في صدره الذي أشرف على الانفجار، كما أحس بأن ضغط الماء سيدفع مقلتي عينيه من حفرتيهما، ويفجر غشاء الطبل في أذنيه اللتين سمعتا فجأة بشكل واضح صرخات الفوز الخارجة من أفواه عصابة أولاد العجور. حين وصل "أبري" إلى خط النهاية كان جسم "جبرائيل" يهبط إلى مكان ما في القاع حيث المساحة بلا نهاية. خطر له أن يصلي، ولكنه لم يقو في صلاته سوى على كلمتين: ساعدني يا رب!

انتشلته فجأة يد السيد "بيلاي" القوية التي أمسكته من شعره وسحبته إلى السطح. بعدها لم يعد يشعر بشيء.

أول ما رآه "جبرائيل" بعد أن استعاد شيئاً من وعيه كان البيتون الأخضر الموجود حول المسيح، حيث تمددت ساقاه دون حراك بينما بقي رأسه وجسمه أعلى بقليل. كانت ركبة أحد الرجال تضغط بقوة على بطنه المنتفخ. كان يشهق مثل كلب، وبعد ذلك تقيأ ما بجوفه من الماء.

- أخيراً، إذأ... سمع من فوق رأسه صوت والد "ماريا" يقول.

لفتته السيدة "بلايوفا" بالبطانية، ولكنه بالرغم من ذلك ظل يشعر بالبرد. ازرققت شفثاه واصطكت أسنانه بسرعة عجيبة، كما أحاط به عدد كبير من الناس الذين كانوا

يتكرمون بنصائحهم وهم يستعرضون ما حدث بالتفصيل، في حين رمقته "ماريا" بنظرة ملأى بالخوف، كما أحس "بتر"، و"هونزا" كلاهما بتأنيب الضمير، وكأنهما هما السبب في كل ما حصل لصديقيهما.

انتاب "جبرائيل" شعور بالخجل وتمكن بصعوبة من تقديم الشكر لعائلة "بيلاي". لم يكن واضحاً له من فاز في السباق، ولكنه كان خاسراً بالتأكيد. أخذ الجميع علماً بذلك مما فيهم "ماريا".

ارتدى الصبية ثيابهم وعادوا بهدوء إلى بيوتهم. انتشر الخبر في مدينة "ليفيتسي" بسرعة عجيبة. عرف "جبرائيل" ذلك من نظرات الفضول التي كان المارة يرمقونه بها، ولا سيما حين لاحظ كيف كانت إحدى السيدات توشوش ولدها وهي تشير إليه بإصبعها.

افترق "جبرائيل" عن "بتر" و"هونزا" وانعطف باتجاه ساحة "شتيفانيك"، حيث التقى هناك أثناء سيره رابيندا، وقبل أن يبادره "جبرائيل" بالتحية قال له الرايين:

- سمعت أنك غرقت يا "جبرائيل"؟! إنك لا تبدو بأحسن حال، ومنظرک يوحي بأنك صارعت من أجل الحياة. استلق مباشرة بعد وصولك إلى البيت ولا تأكل، ولكن أكثر من الشرب.

- معك حق... رد عليه "جبرائيل" بتهذيب وهو يهم بمتابعة طريقه..

- انتظر، شيء آخر - أوقفه الرايين - اليوم لمسك الموت. هل تذكرت ربك في تلك اللحظة؟.

- بالطبع تذكرته.

- لا تنسه إذاً حتى حين تتخلص من الشعور بلمسة الموت. لقد وهبك اليوم حياة جديدة، لذا عليك أن تتذكر أنه موجود هنا ونحن جميعاً إلى زوال وبجاجة إلى رحمته.

أوماً "جبرائيل" برأسه دون وعي بما قاله الرايين، وتابع طريقه ببطء باتجاه بيته. لاحظ حين وضع يده على مسكة الباب، لاحظ أن أحدهم قد حفر عليه عمدة كلمة (أعيدوا كل شيء، بالمجرية) Mindent vissza. لقد فعلها على الأكثر "جيولا هارساني" الساكن في الطابق السفلي، حدث "جبرائيل" نفسه. لقد كتب هذا الإعلان للمرة الأخيرة مستخدماً الطيشور على جميع الأبواب الموجودة في مدخل بناء "كالفين" واستثنى باب بيته، لكنه استعمل العمدة هذه المرة. تذكر "جبرائيل" أنه لم يضرّب "جيولا" منذ أمد بعيد، ولكن ما يقال عن العلاقة بين عائلة "هارساني" والناس في المدة الأخير لم يشجعه كثيراً، لذا من الأفضل تركهم وشأنهم.

## حادثة عام 1939

حين أرعدت السماء، احتتمى تحت رواق مخزن صغير في ساحة "لفتسي" شابان بالغان خوفاً من المطر، هما "بتر" و"جيراثيل"، وبشكل أدق في ذلك الوقت: "بيتر" و"جabor" لأن "لفتسي" أصبحت منذ الخريف الفائت مدينة تابعة للمجر. كما أنها بدلت اسمها، وأصبحت "ليفاف".

- كفى، أخرجها الآن، - حض "جabor" صديقه.

- وماذا تراني فاعلاً؟ رد عليه "بيتر" بعصبية.

أخرج "بيتر" من جيب سرواله الخلفي مغلفاً مدعوكاً، وسحب منه رسالة مطوية. ولكنه قبل أن يفتحها نظر حوله. كان الطريق خالياً من المارة بشكل لم يعهده من قبل.

- ما الذي يجعلك تخاف؟ كل ما في الأمر أننا تسلمنا رسالة من الرايخ... قال له "جabor" مقطباً حاجبيه.

أصدقائي الأحبة في "لفتسي":

سبق أن وكتبت لكما مرتين ولكني لم أتسلم منكما أي رد. ربما لم تصلكما رسالتي أو ربما لم يصلني جوابكما، ولكنني متأكد من أن رسالتي ستصل هذه المرة. لأنها لن تجد صعوبات مع البريد، لا سيما أن المجر وإمبراطورية ألمانيا أصبحتا دولتين صديقتين، كما أن دولة بوهيميا التي أصبحت تحت الانتداب تشاركهما الصداقة.

إننا نعيش الآن في مدينة "برنو" واسمها بالألمانية "برون"، وهي مدينة واسعة، وتبدو "لفتسي" قرية صغيرة إذا ما قورنت معها. توجد في "برنو" عمارات شاهقة، والسكان يستخدمون في تنقلاتهم الباصات والحافلات الكهربائية. ليس لي هنا أصدقاء جيدون، ولهذا فإني أشعر بالملل في العطلة الصيفية، كما أن والدي يمنعاني

من الخروج إلى الشارع لخوفهما عليّ، علماً أن عدداً لا بأس به من زملائي في الصف يبدون لي مقبولين، ولكن حين سيبدأ العام الدراسي لابد لي من مصادقة بعضهم. أحد زملاء صفي سلوفاكي، ونحن في بعض الأحيان نتحدث معاً بالسلوفاكية وهذا يجعل الطلاب يستغربون. لا يوجد من أتحدث معه بالمجرية سوى أختي " يتكا". تتذكرانها أليس كذلك؟.

عندي خبر سيء.... جدتي مريضة جداً.

يقرب الأول من سبتمبر وهذا التاريخ يذكرني بمسابقتنا التي لم تنته على خير في العام السابق، شأنها شأن العديد من الأشياء التي حدثت بعد ذلك، وبالرغم من أن "جبرائيل" شارف على الغرق في حينها، إلا أنني أعتقد جازماً أنه الفائز الحقيقي بيننا. لقد أثبت أن حياته لا تساوي شيئاً مقابل الفوز بـ "ماريا"، ولهذا فإنه يستحق الفوز بقلبيها قبلنا نحن الاثنين.

إنني أكتب على عنوان "بيتر" لأنه مجري أصيل، ولكن الرسالة كتبت لكما أنتما الاثنين. كونا يداً واحدة مهما كانت الظروف. سأجيب لأراكما، ومن يعلم، ربما سأعود في يوم من الأيام للسكن في "لفتسي"، ولكن المهم ألا تسمحوا لأحد بملاحقة "ماريا"، إنها لنا فحسب، لواحد منكما أو ربما لي. لا تسمحوا لأحد مهما حصل بالاقتراب منها.

احصلا لي على صورة "ماريا"، واكتب لي بالتفصيل عن حياتكما وحياتها.  
تحيات حارة من صديقكما الذي بدأ يدخن.

هانس بيك

انتظر "بيتر" ريثما يرفع "جابور" رأسه عن الرسالة ويطويها ويضعها في جيب بنطاله من جديد. مشيا صامتين في الطريق الخالي من المارة ثم انعطفا في سيرهما إلى إحدى الطرق التي خلّت من المارة أيضاً بسبب المطر الغزير.

بدأت تتساقط قطرات أكبر ولكنهما لم يولياها أي اعتبار.

حين كسبت المجر القسم الجنوبي من تشيكوسلوفاكيا بعد تحكيم "فيينا" في الخريف السابق، قرر الوصي "هورتي" زيارة الأراضي المرتجعة، وكان في الأصل قد

خطط لزيارة "كاس"<sup>11</sup> على اعتبار أنها أكبر المدن، ولكن بعد انتشار الخبر، ناشده الشعب الذي كان يتوق لرؤية رئيسه، وهذا جعل الأدميرال ينزل عند رغبة الناس، ويقوم في تلك الأيام الرائعة بزيارة جميع المناطق التي كانت بحاجة إلى رؤيته. أكثر الأماكن التي كان فيها الناس يتلهفون لرؤية قائدهم كانت مدينة "لفا"<sup>12</sup> لهذا السبب زارها مباشرة في اليوم الأول لوصوله.

كانت ساحة "شتيفانيك" التي لم تكن بدلت اسمها حتى هذا اليوم التاريخي، قد زُينت بشكل لم يسبق له مثيل، إذ لُفَّ تمثال "شتيفانيك" بعدد كبير من الأعلام المجرية التي كان من الممكن رؤيتها من مسافة بعيدة، كما غطيت فترينات المخازن اليهودية التي تم تكسيها قبل ساعات معدودات من قبل المجموعات الحرة وغيرهم من الوطنيين بالواح خشبية وضعت عليها صور "هورتي" وصور القديس "شتيفان" الذي أحييت أوروبا بأكملها مع المجر في عام 1938 الذكرى التسعمائة لوفاة. واستخدمت اليوم ثقب "الشناكل" الجدارية التي كانت حتى البارحة تستعمل لتعليق أعلام تشيكوسلوفاكيا والليافطات المكتوبة بالسلوفاكية لتثبيت باقات الزهور.

كان النبيذ يتدفق وغيره من المشروبات كالسيل، وفوق كل هذا بالمجان، كما وزعت السكاكر ورقائق الحلوى على الأطفال، وقررت الدوائر الحكومية الجديدة أن تستعمل لهذه المناسبة الرفيعة جميع مستودعات مطاعم "فرويند" وحلويات "تاوبر" حيث تعمل السيدة "روزنبرغ" والدة "جابور".

كانت تُعزف في القسم الغربي من الساحة الموسيقى العسكرية التي تمكنت، بسبب الإهمال الإداري، من الدخول إلى المدينة بوصفها أول مجموعة دفاع تابعة للسلطة الجديدة. وحين بدأ المطر بالهطول مع حلول الظهيرة، تمكنت الإدارة من إيقافه بسرعة وبقرار رسمي تم استدعاء الشمس.

كان وصول "هورتي" مبرمجاً ليكون في الساعة الثالثة بعد الظهر، وحقيقة الأمر ما إن دقت ساعة البرج تمام الثالثة حتى حُجبت الشمس لحظة بظل كبير، ظهر على إثره طائر أسطوري يحمل بين مخالبه حصاناً أبيضاً بياض الثلج، في الوقت الذي كان يرفرف بجناحيه بهدوء فوق ذلك الحشد الهائل من الناس. قام الطائر

<sup>11</sup> كاس: باللغة المجرية هي مدينة موشتسي حالياً.

<sup>12</sup> لفا: باللغة المجرية هي مدينة لفتسي حالياً.

بإنزال الحصان في وسط الساحة، حيثُ شكّل بسرعة كبيرة ممر ضيق، وبدلاً من أن يقوم الوطنيون الكبار بوضع معاطفهم على الأرض، قاموا بنشر كمية كبيرة من السجاد الذي تم الاستيلاء عليه من محازن "لنكوف". عم هدوء رائع، وشوهد بعده ظل جديد يحجب الشمس، وكان ذلك الظل للطائر الأسطوري الثاني الذي حمل "هورتي ميكلوش". حلق الطائر فوق الحصان، وتمكن بدقة متناهية من إنزال الأدميرال وجعله يسقط مباشرة فوق السرج. تلاوى وجه "هورتي" لحظة من الألم.

عزفت الفرقة الموسيقية مارشاً احتفالياً جعل الحصان يتمشى بخطوات منتظمة بين الحشود. ودأبت النسوة أثناء ذلك على رمي باقات الزهور بين أقدام الحصان الذي أمسك به خادم الوصي من "رسنه" بقوة، وراح يراقب بنظراته الملتهبة حشود الناس الذين قرأ في وجوههم خليطاً من الفرح والشك، الفضول والحزن، الحب للوطن القديم، والحب للوطن الجديد القديم. وحين وصل الحصان إلى وسط الجموع شد الأدميرال "الرسن" وأوقف الحصان، رغبة منه في إلقاء كلمة قصيرة:

- الرجال المجريون، النسوة المجريات، الشباب المجريون والأطفال المجريون! أهلاً بكم في دولة المجر الوطنية، لقد تمكن الوطن المجري من إنقاذكم، وسهّل لكم العودة إلى أحضان الأمة التي تتحدرون منها.

- ألين مجارورساج! (فلتعش المجر) هتف أحدهم.

- ألين مجارورساج! كرر "هورتي"

- ألين مجارورساج! هتفت الجماهير.

- ألين هورتي ميكلوش كورمانيزو! فليعش هورتي ميكلوش الزعيم: هتف آخر.

- ألين هورتي ميكلوش كورمانيزو! كرر هورتي.

- ألين هورتي ميكلوش كورمانيزو! هتفت الجماهير.

- ألين شالازي فرنس! فليعش شالازي فرنس هتف ثالث.

- ألين هورتي ميكلوش كورمانيزو! كرر هورتي.

- ألين شالازي و فيزرا! هتفت الجماهير.

غادر "هورتي" بنفس الطريقة التي جاء بها. فجأة هبط الطائر الأسطوري من السماء وقبض بمخالبه على الوصي الذي راح يلوح لشعبه مودعاً بكلتا يديه للمرة الأخيرة، ثم قبض بعد ذلك الطائر الثاني على الحصان.

- من المؤسف أنه بقي معنا فترة قصيرة.. تنهدت إحدى النسوة.



- بانتظاره رحلة طويلة، وإلى أن يصل إلى "ناجيسوراني" تكون أعياد الميلاد قد حلت: تفلسف شاب كان يقف بالقرب منها.

تابعت الجماهير بعد لحظات نقاطاً داكنة اللون راحت تختفي ببطء في كبد السماء. تابعتها الناس بتلهف وبالتدريج، ولأنهم كانوا تحت تأثير الكحول والحفلة المسلية، فقد يكونون نسوا صورة الاحتفال بـ "هورتي" ووجدوا في هذا المنظر بديلاً أفضل. لقد أكد الكثير منهم بعد ذلك أن الأدميرال لم يحضر إلى المدينة أصلاً، ولا زال هذا اللغط يسيطر حتى هذا اليوم على التاريخ الرسمي للمدينة.

لم يشارك السيد "بيزك" في الاحتفال، لكنه تابع ما يجري في الساحة من نافذة مكتبه. كان ييري الأفلام ويرتب أكوام الورق، وكان على يقين بأن الدولة المجرية سوف تكون بحاجة إلى مدير جديد لمركز البريد، متمنياً أن يتسلم هذا المنصب بعد هروب المدير التشيكي القديم "بيخاتشك"، لقناعته بأن الموظف الجيد الذي يطيع أوامر رؤسائه لا تلعب قوميته ذلك الدور الهام، علماً أنه وصل هو بذاته قبل عشرين سنة إلى هذا المكان بسبب قوميته المناسبة من قبل الدولة التشيكوسلوفاكية، وبالطبع إضافة إلى إتقانه اللغة، ولكنه منذ ذلك الحين أثبت كفاءة عالية، ولهذا السبب لا بد أن تتركه الدولة المجرية في وظيفته.

بعد هروب "بيخاتشك" أصبح السيد "بيزك" أرفع موظف في الدائرة. كان ينفذ واجباته بدقة متناهية، وهذا ما جعله يترك باب مديرية البريد مفتوحاً بالرغم من الأجواء الاحتفالية التي تعم المدينة، وكان على "بيزك" إضافة إلى الموظف الوحيد العامل معه أن يجلسا خلف نافذة البريد بالرغم من عدم وجود مراجعين، وإذا كانوا قد حضروا فإن البريد يفترق إلى الطوايع المجرية التي تفي بالغرض، كما أن خطوط الهاتف مقطوعة هي الأخرى أيضاً.

تطورت الأحداث بعد الظهرية بشكل مغاير تماماً عما توقعه السيد "بيزك". لقد غدت الاحتفالات شعبية بكل معنى الكلمة، وتحول الناس فجأة إلى بهائم. كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف حين امتلأت شوارع "لقتسي" بعصابات من الشباب الثمليين المتحدرين من الجنوب الذين كان همهم الوحيد ملاحقة التشيك. تذكر أحدهم مدير البريد "بيخاتشك".

قررت مجموعة مؤلفة من عشرة رجال تحطيم بوابة البريد، لكن البوابة كانت مفتوحة لأنه كان يوم عمل.

- أين "بيخاتشك"؟ صرخ زعيم العصابة بالمجرية.

- في تشيكوسلوفاكيا، رد الموظف الخائف من خلال النافذة.

- أين؟ سأل وهو يقترب أكثر من النافذة.

- وهذا أيضاً تشيكي! أشار إليهم الموظف. - اسمه "بيزك". "بيزك"! "بيزك".

وبالرغم من أن السيد "بيزك" لم يقرأ الأحداث وتطورها التاريخي بشكل دقيق من قبل، إلا أنه في تلك اللحظة تصرف على نحو سريع. فتح النافذة مع الشبكة الحديدية الخارجية وقفز إلى الساحة، وخلع أثناء سقوطه الذي نفذه بإتقان كمي الوظيفة القماشيين، وولى الأدبار متخفياً بين الحشود. حاول أحد المهاجمين اللحاق به، وكان خلع كتفه أثناء قفزه من النافذة، ما جعله يكذب ويصرح بعد مدة بأنه أصيب أثناء المعارك مع التشيك، وعلى هذا الأساس تمت مكافأته. أما الموظف الذي نبه العصابة على وجود والد "يان"، فقد أصبح بعد فترة مديراً للبريد لأنه حين تم نقل البريد من أيادي التشيك أظهر تعلقاً بوطنيته المجرية، إضافة إلى شجاعته وتفانيه في العمل.

انتهى "بيتر" و"يانوش" و"جابور" في تلك اللحظة بالذات من احتساء زجاجة كحول الدراق التي أهداهم إياها "كارتشي" الأخ الأكبر لـ "بيتر"، وكان قد حصل عليها من رفاقه الجدد الذين وصلوا إلى "لفتسي" في صباح ذلك اليوم من مكان ما من الجنوب.

- انظروا...؟ "ماريا"، - صرخ "يانوش" الثمل وهو يشير بإصبعه باتجاه مقهى "دنكا".

- إنها برفقة السيد "بيلاي"، منقذي...، - قال "جابور" الذي توقف لسانه عن إطاعته.

- هيا بنا، - قال لهم "بيتر" الذي كان تأثير الكحول عليه أقل من غيره.

تسكع الصبية بين حشود المحتفلين، وكانوا أثناء سيرهم يصطدمون بالمارة، وكان الناس يصطدمون بهم أيضاً.

- وأنتم ماذا تفعلون هنا؟ قال السيد "بيلاي" مؤثباً حين وجدهم يقفون أمامه.

- نتسلى، - رد عليه "يانوش".

- نحتفل، - أضاف "جابور".

- الأمر واضح، - قالت "ماريا" وهي تغطي بالضحك.

- ولكنك يا "هونزا" تشيكي الأصل، ولا يوجد عندك سبب للاحتفال، وأنت يا

"جبرائيل" يهودي، هل نسيت؟ أدار السيد "بيلاي" رأسه مستغرباً.

- ولكن يا سيد "بيلاي"، - اعترض "بيتر"، - إذا كان كل شيء بالمجان. إنها الشيوعية ومن المفروض أن تفرح.

- وهل ما يحدث هنا له علاقة بالشيوعية؟ صرخ بهم السيد "بيلاي" وأضاف: إنه اليوم الأول للفاشية في "لغتسي". أسأل والدك الديمقراطي الاجتماعي القديم عن ذلك، وسوف يشرح لك كل شيء. لو أنهم شكلوا معنا جبهة شعبية لكانت الأمور ستسير على نحو مختلف، حتى في إسبانيا، وهنا أيضاً.

- ألا يمكن لـ "ماريا" أن تبقى معنا؟ ناشده "يانوش".

- معنا... سوف نرقص، - قال له "جabor" بصوت خارج من أنفه، وحاول أن يخطو خطوة سهلة من رقصة "البولكا"؟، ولكنه تعثر بـ "بيتر" وكاد أن يسقط لولا أن أمسك به صديقه.

- معكم؟ وأنتم سكارى، - ضحكت "ماريا" وهرعت مسرعة لتلحق بوالدها. راقب الصبية الثلاثة هروب زميلتهم "ماريا" التي كانت جديلة شعرها الأشقر تقفز على ظهرها من كتف إلى كتف، وظهر ساقاها النحيلان من أسفل تنورتها التي تتراقص في أعلاها إلبتاها الجميلتان.

- أعشقها، - قال "يانوش" وتنهّد.

- وأنا أكثر.. أضاف "جabor".

- ولكن والدها يجعلني أفقد أعصابي.... علق "بيتر".

- "بوتا توت" (سلوفاكي غبي)... لوح "جabor" بيده.

- شيوعي غبي... كرر "يانوش" الوصف.

وبدأت الفرقة الموسيقية العسكرية بعزف مارش عسكري من جديد، وتحولت بعد ذلك إلى عزف رقصة "التشارداش"<sup>1</sup>.

لمح السيد "بيزك" بالصدفة ابنه "يان" في الساحة المكتظة بحشود المحتفلين، وبصعوبة كبيرة تمكن من الوصول إليه بين جموع الراقصين والسكارى المترنحين، وحين وصل إليه أمسكه بقوة من يده.

- إعادة كل شيء، يا أبي صرخ "يانوش".

صفع السيد "بيزك" ابنه صفقة قوية تسببت على الفور في تخفيض نسبة الكحول الجاري في دمه إلى الربع.

<sup>1</sup>. التشارداش: رقصة مجرية شعبية.

- علينا أن نغادر في الحال لإحضار والدتك وأختك "يتكا"... يريدون قتلنا.  
أسرع والد "يانوش" بعائلته مع حقيبتين مملوءتين بأثمن الأشياء إلى محطة  
قطار "لفتسي". لم ينصحه أحد بالذهاب إلى هناك، لا بل على العكس، فقد سمع  
من الناس في الصباح أن برنامج رحلات القطارات لم يعد ساري المفعول، وأن  
القطارات لا تصل إلى المحطة، ولا يوجد في المحطة قطار واحد.  
كان أفراد عشر عائلات تشيكية وسلوفاكية يتمشون بانفعال على رصيف  
المحطة، وكانوا جميعهم بحاجة إلى اجتياز الحدود الجديدة التي لا تزال تسمح  
بعبورهم. حتى إن المدرس "كوتون" الذي حاول حشد من طلابه - لم يقصر هو في  
معاقتهم - الاعتداء عليه، كان هناك، وكان هناك أيضاً طالب مهنة الجزائر "بيلا"  
الذي كان يحضن حبيبته "الديكا" في نهاية الرصيف. كانا يؤمنان بأنهما في ذلك  
الوضع المضطرب سيتمكنان من إقناع السلطات في الطرف الآخر من الحدود بأنهما  
سلوفاك ومن حقهما العيش في تشيكوسلوفاكيا. كانت تلك فرصتهما الوحيدة لبيقيا  
معاً ويتخلصا من الجزائر البدين القوي السيد "هورفات" الذي لا يزال حتى اللحظة  
الزوج الرسمي لـ "الديكا".

- حب رومانسي، أتمنى أن أعيشه، - همست "يتكا بيزيكوفا" حاملة وهي تمص  
خصلة شعرها الأحمر، بينما كان أخوها الثمل يضحك.  
فجأة سُمع صفير وظهرت على السكة من بعيد مركبة صغيرة تجر خلفها عربة  
نقل.

- ضعوا الحقائب على العربة وليصعد المسافرون إلى المركبة، - قال لهم  
"مساريك" آمر المحطة.

نفخ مراقب القطار "شتيفانيك" في الصفارة، وصعد في الحال.  
منذ ذلك الوقت لم يستلم "بيتر" وصديقه "جabor" أي خبر عن "هونزا". يقول  
الناس إن العائلة أمضت بعض الوقت في "براتيسلافا" ثم طردت من هناك في آذار  
1939 من قبل جيش الشعب السلوفاكي (الموالي لهتلر). اختفى بعد ذلك  
أثر "هونزا" إلى أن وصلت رسالته في الأول من سبتمبر الماطر.  
- الصداقة الحقيقية تدوم، - قال "جabor" بثقة.

- حتى ولو أننا لم نلتق سنة أخرى، - أكمل "بيتر"، - يجب على "ماريا" أن  
تنتظر.

ابتسم الصبيان.

- المطر غزير، لذا يمكننا أن نتسابق في السباحة مباشرة في الطريق، - صرخ "بيتر" وراح يحرك يديه كما لو أنه في المسيح.
- انتظري، - ضحك "جabor" وهو يشير برأسه وكأنه يقفز في الماء.
- ركضا وهما يسبحان في المطر.
- فُتحت نافذة أحد البيوت من مكان قريب. أطل منها رأس سيدة عجوز.
- أيها الأولاد، - صرخت بصوت مبسوح، - عودا في الحال إلى البيت، لقد اشتعلت الحرب وهجم "هتلر" على بولونيا.

## حادثة عام 1940

ودعت "ليفا" في عام 1940 صيفها وداعاً مشرفاً. إذ قُدمت في يوم الأحد، الأول من سبتمبر، على مسرح الساحة في العراء تمثيلية "يانوش فيتيز" المأخوذة عن الحكاية الشعبية للمؤلف "بيتوفي" التي حضر لمشاهدتها المئات من سكان المدينة وضواحيها. وقد تمكن القائمون على تنظيم الحفل بصعوبة كبيرة من إبعاد الفضوليين عن المكان الذي قدمت عليه تلك المسرحية الشعبية التاريخية. لم يكن "بيتر" وصديقه "جabor" في الساحة، ولكنهما تابعا العرض بكامله من نافذة الغرفة الموجودة في بناء "كالفين - هازي" حيث تسكن عائلة "روزنبرغ"، وتمكنا من هناك بوضوح، من رؤية الممثلين بثيابهم التاريخية وهم يتبارزون فوق أحصنتهم مستخدمين السلاح التاريخي القديم، كما تمتعا بسماع الفرقة الموسيقية المرافقة للعرض.

حين انتهت المسرحية بدأ تصفيق منقطع النظر.

- الملك جالس على العرش ويحلم بفخذ البط، - صرخ "جabor" مكرراً مقطعاً بقي عالقاً في ذهنه، وكان الممثل الشاب قد ذكره في المسرحية، وقد جعل ذلك بعض الحاضرين يلتفتون إلى النافذة ويضحكون. لوح لهما الشباب، لكن "بيتر" انتبه بعد ذلك إلى وجود أخيه برفقة أصدقائه بالقرب من أحد أعمدة الإنارة. كان واحدهم يمسك بكنتف الآخر وهم يصرخون جملأً يصعب فهمها بسبب ضجيج التصفيق الهائل.

- الأفضل أن تغلق النافذة، - قال "بيتر".

- لماذا؟ - سأله "جabor" مستغرباً.

- "كارتشي" يقف هناك.

- أغلق "جabor" النافذة.

- إنه مثل مثل خنزير، - قال "بيتر" بغضب بعد رؤيته أخاه.

ثم استدار نحو "جabor" وتابع:

- لقد عاد من جديد إلى البيت مع إشراقة الصباح. كان مُلاً مثل خنزير... لقد بدأت والدتنا الصلاة بسببه منذ الظهر. بالطبع لأجله. إنها تذهب إلى الكنيسة هرباً منه، وقد ذهبت اليوم أيضاً. لقد تجادل مع الوالد.

- وما السبب؟ سأله "جabor".

ألقى عليه "بيتر" نظرة متعبة:

- لأي سبب تظن؟

- السياسة؟ تنهد "جabor".

- بالطبع، وحسب قوله، يجب على والدي أن يفهم ما يدور من حوله. لقد تمكن "هتلر" من اجتياح باريس، وبذلك أصبحت أوروبا في متناول يده. حتى إن أرضنا الأم بدأت تتوسع والحرب لا تزال في بداياتها.

- ألم يشتم اليهود؟

- اليوم، لم يفعل، ولكن على فرض أنه فعلها فإنك تعرف ما يقوله. إن ذلك لا ينطبق على...

- "روزنبرغ جabor" وعائلته، - عقب "جabor" وهو يهز رأسه.

- لقد ألقى اليوم جام غضبه على السلوفاك. طلبت منه ألا يهين "ماريا بلايوف"... هل تدري يمّ أجابني؟

- لماذا أجابك؟

- قال لا وجود لعائلة "بيلايوفتسي" بعد الآن، لأن والد "ماريا" قد بدل اسمه إلى بيلايي المجري.

- غباء، - صرخ "جabor".

- وحسب قوله فقد انضم إلى (نيلاش) الحزب المسيحي المجري الحر.

أدار "جabor" رأسه مستغرباً ما يسمعه.

- شيء لا يعقل... لا يمكننا أن نقع في غرام ابنة فاشستي!

امتعض "بيتر":

- القلب لا يعرف الأوامر. أنا أخو فاشستي ومع ذلك تصادقتي.

سكتا برهة ثم عادا ليتابعا الحشود التي بدأت تتفرق.

- إن "ماريا" في الأصل ترفضنا، - قال "جabor"، وهو يلوح بيده.

- وكيف لك أن تعرف؟

- يوم الجمعة حين رافقتنا "دوريكا" إلى المحطة...
- وهل سافرت أختك؟ قاطع "بيتر" صديقه.
- سافرت إلى سلوفاكيا، إلى عمته في "بانسكا شتافنتسي" لتتعلم مهنة الخياطة.
- إنها محظوظة، ليست مجبرة على زيارة الثانوية؟
- وأنا أيضاً لن أبقى هناك فترة طويلة.
- ماذا تقول؟ ولماذا؟ أنه "بيتر".
- يقول أبي إن دراسة اليهود لا فائدة منها. وحتى لو درسوا فإنهم لن يتسلموا وظيفة في الدولة. تعرف أنهم سرحوه.
- هكذا إذًا. - تنهد "بيتر" وأضاف: لن نبقى إذًا زملاء دراسة.
- حتى الآن لا زلنا، ولكن أهلي يبحثون لي عن حربي يقبل تعليمي مهنته. يقول أبي: المهنة منجم ذهب. سوف تقوم عمتي بتدريب "دوريكا". إنها تملك ورشتي خياطة ورثت إحداهما عن عمي "أنطون".
- أخفض "جabor" صوته وقال:
- لقد اختفى عمي من سلوفاكيا وهو الآن في فلسطين الموجودة تحت الانتداب البريطاني.
- يا إلهي، قال "بيتر"، ورفع حاجبيه مندهشاً: لابد أنها كانت رحلة طويلة.
- بالقطار والباخرة.
- ولكنك أخبرتي، - تذكر "بيتر" - أنك التقيت "ماريا" وأنت في طريقك إلى محطة القطار.
- من المحطة، - صحح له "جabor".
- لا فرق.
- ليتك تعرف، ماذا سألتني أولاً بأول؟
- إذا كنا قد تسلمنا رسالة من "هونزا"؟. توقع "بيتر".
- نعم. رد عليه "جabor"، وأنزل رأسه بحزن. - صدقتي: إنها مغرمة به.
- وجد السيد "بيزك" مع بداية الأربعينيات عملاً مبرتب جيد في مصنع الأسلحة الموجود في "برنو"، وحين توسع الإنتاج في الصيف، حصلت زوجته أيضاً هناك على وظيفة. وبالرغم من صعوبة العمل بنظام الورديات، كانت العائلة سعيدة في نهاية الأمر، كونها تتقاضى مبلغاً لا بأس به من المال لسد احتياجاتها.
- كلاهما كانا في يوم الأحد الأول من سبتمبر في الوردية الصباحية.



- أنا سأطبخ اليوم، - قالت "يتكا" لأخيها "هونزا" وأضافت: جهز نفسك وغادر البيت. أريد أن أرتاح منك، ولا ترجع قبل الثانية عشرة.  
- أمرك سيدي القائد، - رمق "هونزا" أخته بنظرة عدائية.  
- خذ، يمكنك الذهاب إلى السينما - أعطته بعض النقود ودفعته إلى فسحة البيت الخارجي.

تسكع "هونزا" ويداه في جيبه في شوارع "برنو"، وكان أمامه ساعتان من الوقت لحين بدء العرض.

هطل المطر بكثافة، ما اضطره إلى دخول الكنيسة ليحتمي فيها. وبقي منتظراً هناك طوال مدة القداس الألماني.

حين خرج إلى الشارع كان المطر قد توقف، لكن الغيوم الزرقاء القائمة كانت تتجمع في الأفق. أثناء سيره باتجاه دار السينما بدأت تتساقط بشكل مفاجيء حبات كبيرة من المطر البارد. تبلل قميصه بسرعة حتى إن الماء أخذ ينساب من شعره إلى عينيه. زاد شعوره بالبرد، لهذا قرر في إحدى التقاطعات أن يعود إلى البيت.

تهادى إلى سمعه لحظة دخوله البيت من غرفة نوم والديه أصواتاً امتزجت فيها الآهات مع الألم.. ارتعب في البداية ظناً منه أن أحد والديه قد أصيب بمكروه جعله يعود إلى البيت، وكان قد وضع يده على مسكة الباب حين سمع أصواتاً غريبة عليه إضافة إلى كلمات ألمانية.

- نوخ مال، نوخ مال! ميت دور زونك!" ستاركرا

غستابو، خطر ببال "هونزا". تردد ثانية، هل عليه الهرب أم البقاء ومساعدة والديه. أحنى رأسه ببطء نحو ثقب الباب وتطلع إلى الداخل. لمح شعر أخته الأحمر وظلها العاري وهو يعلو ويهبط بانتظام فوق جسم رجل، إضافة إلى ذلك شاهد زوجاً آخر يمارس الجنس على سرير والديه. خرجت عينا "هونزا" من مكانهما، وتسارعت أنفاسه.

نزلت "يتكا" مع شريكها من السرير بعد أن قالت المرأة الثانية شيئاً جعل شريكها يتوقف عن مضاجعتها. لمحت عينا "هونزا" في تلك اللحظة قضيبه المتوحش. ارتعب خوفاً وشبههه بسلاح معبأ بالرصاص. تراجع بسرعة عن الباب. وحسناً فعل لأن الباب فتح في الحال. اختبأ "هونزا" خلف الخزانة.

<sup>44</sup>. نوخ مال، نوخ مال (مرة أخرى، مرة أخرى! باللسان).

عبرت فتاة شقراء الممر باتجاه المرحاض. سمع "هونزا" صوت تقريغها القوي للبول لأنها لم تغلق الباب من خلفها. كانت ركبتاه ترتجفان. لا شك في أن الشقراء ستلاحظ وجوده أثناء عودتها إلى الغرفة، حدث نفسه. حانت اللحظة التي يمكنه فيها الهروب من البيت، ولكنه آثر البقاء كي يرى من الأمام جسد تلك المرأة العاري.

حين خرجت من المرحاض ولمحت "هونزا" واقفاً أمامها، لم ترتبك، لا بل ابتسمت حين وجدت أمامها صبياً يتطلع بشراهة إلى أسفل عانتها المكسوة بالشعر الأشقر وإلى ثدييها بحلمتيهما البارزتين.

كانت أطول من "هونزا" بقليل. لم يتحرك "هونزا" حين لامست أنفه بشفتيها المدهونتين بأحمر الشفاه ومررت لسانها على أهداب عينيه... أحس برعشة تسري في جسده، وتخشب في مكانه مثل عمود حين مدت يدها وفكت له أزرار سرواله، وأمسكت بقوة قضيبه المتوتر.

- طوربيد، همست في أذنه بالألمانية.

تأوه "هونزا" في تلك اللحظة مثل خنزير يتلوى من الألم، وقذف مخزونه كما ينهار جبل من الجليد.

خرجت "يتكا" مسرعة من الغرفة إثر سماعها صراخ أخيها. صفعته ودفعته بقوة إلى المطبخ. قهقهت الشقراء، ولحسن الحظ، كرهها "هونزا" في الحال بسبب قهقهتها الشبيهة بالشخير. لقد أحبها قبل دقيقة وربما كان سيرضى بالتعاون مع العدو من أجلها.

أطل الرجلان برأسيهما من الغرفة، وكانا يقهقهان أيضاً.

فاشستيان حقيران، - قالها "هونزا" بين أسنانه.

صفعته "يتكا" مرة ثانية وأوصدت عليه باب المطبخ. استمرت طقوس المضاجعة في غرفة نوم الوالدين ساعة كاملة، بينما أمضى "هونزا" وقته بين البكاء والشعور بالذل والكره.

فتحت له "يتكا" الباب بعد مغادرة الألمان، وحذرتة من مغبة إخبار والديه.

رفعت إصبعها مهددة:

- وإلا ستحدث مشكلات.

كشر "هونزا" بسخرية.

- معهما، - أكدت له "يتكا" ومدت رأسها من الباب خشية أن يكون الرجلان لا يزالان ينتظران أمام البيت.

كتم "هونزا" عن والديه تلك الحادثة ولكنهما بالرغم من ذلك أخذتا علماً بما حصل بعد مدة وجيزة. اعتادت "يتكا" في غيابهما أن تُحضر الزوار بانتظام إلى البيت. كانوا في أكثر الأحيان بلباسهم العسكري. إنها في السابعة عشرة من عمرها، وقد ظنت أن لا أحد يمكنه ممارسة الجنس مثل الألمان.

لم تأخذ بنصائح والديها، وكانت تصرخ قائلة إن الناس في "لفتسي" يسخرون منها بسبب شعرها الأحمر والنمش الذي يغطي جسدها، وأنها وجدت في الرايخ طريقاً لحياة أفضل.

دبر لها بعض مرديها أوراقاً ثبوتية جديدة، ونتيجة لذلك أصبح اسمها منذ ذلك الحين "ريتا" بدلاً عن "يتكا".

## حادثة عام 1941

يعتبر شارع "أوي تلب" أكثر الشوارع فقراً في "لفتسي"، وهو ليس شارعاً في الأصل بكل ما تعنيه الكلمة، بل تجمعاً لأكواخ صغيرة مرمية في طرف المدينة لا يتجاوز عددها العشرين. كان قرميد سطوحها مشققاً، وطينة جدرانها مهترئة، وإطارات نوافذها مكسرة، كما إن مشروع الإصلاحات فيها كان مبرمجاً إلى أوقات أفضل.

سكنت عائلة "روزنبرغ" في أحد تلك الأكواخ التي شكلت أرضيتها ألواحاً مغطاة بالغبار. وبالرغم من أن كنيسة "كالفين" لم ترفع أجور البيوت التابعة لها بشكل كبير، إلا أن تلك الزيادة، على الرغم من ضآلتها، كانت كبيرة عند عائلة "روزنبرغ"، لا سيما بعد تسريح الوالد من وظيفته في الدولة قبل سنة ونصف، وانخفاض نسبة بيع الوالدة للحلويات في مخزن "تاوبر"، إذ بدأت حركة البيع هناك بالتناقص تدريجياً يوماً بعد يوم، لأن الناس راحوا يفضلون الشراء من المخازن التي كانت تتباهى بتعليق لوحة كتب عليها "المخزن ليس يهودياً".

عادت "دوريكا" مع بداية خريف الأربعينيات من "بانسكا شتافنتسي" لأن العمة "أنا" باعت بشكل مفاجيء ورشتي الخياطة، ما جعل عائلة "روزنبرغ" ترسل الابنة للعمل في بودابست في أحد معامل النسيج، وانتقلت مع "جابور" للسكن في أحد بيوت شارع "أوي تلب".

- دراجاساج<sup>١٤</sup>... كانت تقول السيدة "روزنبرغ" على الدوام بعد عودتها من التسوق.

كانت بداية الصيف مقبولة عند "جابور" فعلى الرغم من أن المجر قد دخلت الحرب ضد الاتحاد السوفيتي، ثم جاءت الضائقة الاقتصادية التي حلت بالعائلة،

<sup>١٤</sup>. دراجاساج: أسعار عالية بالمجرية.

إلا أن جابور أصبح يملك نقوده الخاصة. لقد تعامل والد "جابور" مع السوق السوداء، وكان شديد الحذر فيما يتعلق بموضوع الربح، ومع ذلك تمكن من تأمين بعض المال من البضاعة التي كان يتاجر بها. كان "بارو مايتيني" يتلذذ بتدخين السيكار الكوبي، وحببته تعشق القهوة البرازيلية، والشوكولا المحشوة بالمكسرات. كما طلبت منه زوجة طبيب الأسنان شالاً مصنوعاً من الحرير الصيني وحذت حذوها ابنة قائد الدرك أيضاً.

لم يكن السيد "روزنبرغ" تاجراً جيداً، لأن وضعه المادي كان مرهوناً بالبضاعة التي يقدمها إليه المؤرّد، وبما سيلقى منها استحساناً لدى المستهلكين، وحين يستخدم ابنه "جابور" لجلب البضاعة ونقلها، كان يترك له بعضاً من ربحه المتواضع، وما كان قليلاً عند العائلة، كان كثيراً عند شاب في السادسة عشرة من عمره. وبذلك تمكن "جابور" فجأة من دعوة صديقه "بيتر" إلى تناول البوظة والشاي في الخامسة عند "دنكا". لم يذهب إلى مخزن "هوبر" لأنه كتب على الباب "المخزن ليس يهودياً".

لم يدعُ "جابور" صديقه "بيتر" فحسب، بل دعا "ماريا" أيضاً. وكان الصديقان قد التقياها في بداية شهر تموز أثناء النزهة. لم يتطرقا إلى موضوع والدها الذي أصبح من جماعة (نيلاش) nyilas. لأن كل إنسان في تلك الحقبة الصعبة كان يبحث عن مصدر للعيش، وإذا كان عمله لا يسبب الأذى للآخرين فليفعل ما يراه مناسباً.

فجأة انقشع الخجل عن الجفون الناعسة وأصبح الضحك الخجول في خبر كان. تبادل بيتر "بيتر" و"جابور" مع "ماريا" الحديث وكأنهما راشدان، وظنا بشكل لا يدع مجالاً للشك أنهما يتكلمان مثل البالغين. تحدثا عن الأساتذة وعن زملاء الدراسة، وعن سكان المدينة، وعن الكتب التي ألفها "إردي" و"فيا" وحتى "نيمث"، وتحدثت "ماريا" بالتحديد عن أولئك أكثر، وكان الصبيان يستمعان إليها بصمت، وكل همهما التمتع برؤيتها والاستمتاع بحديثها دون أن يحدثا أي تشويش. لم يكونا يتطلعان إلى وجهها الجميل فحسب بل إلى الأشياء التي سحرتهم تحت قميمها.

بعد اللقاء العفوي الأول جاء اللقاء الثاني، ثم الثالث الذي لم يعد مصادفة، لأن الثلاثة دأبوا على اللقاء تقريباً بعد ظهيرة كل يوم.

كانت "ماريا" لا تُقاوم، ولهذا لم يقاومها "بيتر"، ولا "جabor" اللذان أدركا عدم ضرورة انتظار "هونزا" الذي لن يعود على الأغلب من جديد إلى "لفتسي". مضت سنة كاملة ولم يتسلما منه رسالة، واعتقد كلاهما أن "هونزا" لابد أن يكون قد وجد لنفسه في "برنو" فتاة تشيكية أو ألمانية، وربما يتبادلان القبل الآن في تلك اللحظة أو من يدري... ربما يكون قد نسي "ماريا" من أساسها، وهذا الأمر كان عند صديقيه ذنباً لا يغتفر.

اتفق "جabor" مع "بيتر" على عدم انتظار "هونزا" أكثر من ذلك، وقررا التصرف وحدهما. بالطبع سيبدأ من سيكسب الرهان. حددا تاريخ الأول من سبتمبر - أيلول لتنفيذ الرهان، لذا قررا تمضية الصيف بوصفهم ثلاثة أصدقاء.

جاءت بعد ذلك قوانين آب العنصرية التي منعت الزواج المختلط والعلاقات الحميمة بين اليهود والمجرين وغيرهم من القوميات، مما أزعج "جabor" كثيراً. كيف له في تلك الحالة أن يُعبر عن أحاسيسه لـ "ماريا"؟ وكيف يمكن لها أن ترد عليه؟ إن هذا يجعلهما في وضع شديد الخطورة.

توقف "جabor" عن المشاركة في النزعات، كما توقف عن الخروج من بيته إلا في حال اضطراره توصيل بضاعة أبيه إلى الزبائن، في حين عكف "بيتر" في تلك الأثناء على تدريبات السباحة، وغالباً في "برتسي" لأنه لم يكن يملك ثمن بطاقة دخول إلى المسبح. أما "جabor" فقد توقف عن التدريب لأنه لم يكن يملك لا الوقت، ولا الرغبة، لا سيما أن مالك المسبح استبق الأحداث وعلق على البوابة لوحة كبيرة كتب عليها "يمنع اليهود من الدخول". لم يشغل "بيتر" تفكيره في هذا الأمر لأنه بكل بساطة سوف يتفق مع "جabor" على مسافة السباق في النهر.

حين قرع "بيتر" في الأول من سبتمبر باب البيت الواقع في شارع "أوي تليبي"، توقع "جabor" في الحال أن صديقه قد جاء ليصطحبه إلى السباق.

- ماذا تريد؟ سأله "جabor" باستياء.

- أريد التغلب عليك في السباحة، - رد عليه "بيتر" بفرح دون أن يفهم السبب الذي جعل صديقه يرد عليه بتلك اللهجة.

- لقد تغلبتم علينا وكفى، قال له "جabor" بلهجة حاقدة، ولكن حقه تبدل على الفور بضعف واضح، إذ بدأ بالنشيج مثل طفل صغير.

وضع "بيتر" يده على كتفه.

- أعرف، إنك تقصد ذلك القانون المُدان. إنني لا أوافق عليه، وكذلك أبي وأمي. إنه وساخة. إن قانوناً بهذا الشكل لا يمكنه الاستمرار طويلاً. سوف يغيرونه بعد نصف سنة، وبعد ذلك سيلغى مع غيره من القوانين البالية.

- لا، رد عليه "جابور" بنبرة أعلى، - تعرف جيداً أنهم لن يلغوه على الإطلاق. إنهم يحظرون علينا الآن دخول المسيح، وفي القريب سيمنعوننا حتى من التنفس. اليوم يحددون العرق للزواج المختلط، وفي الغد سيحددون حتى المدن المختلطة. سيرحلون اليهود إلى مدغشقر، أو سيطلقون علينا النار ويرموننا في "بريكا"، في "هورنا" أو في "الدانوب".

- لا، يا "جابور". الأمور ليست على هذا النحو. القانون منع الزواج المختلط ولكنه لم يمنع الصداقات المختلطة. سأتبقى على الدوام إلى جانبك.

- ابتسم "جابور"، ولح أمامه فجأة شخصاً يعرفه من خلال قوس قزح تشكل بعد ظهيرة مشمس من دموع عينيه.

- يا إلهي، إنها "أنا".

لقد جاء رجل مجهول في الصيف الماضي إلى عمه "جابور" التي تسكن في "بانسكا شتافنتسي"، وسلمها رسالة قصيرة من أخيها "أنطون" الموجود في فلسطين. لم يكتب العم "أنطون" شيئاً في الرسالة سوى أن تثق العمه "أنا" بحاملها.

لم يضع الرجل وقته في شرح التفاصيل لأنه لا يتكلم السلوفاكية، ولا حتى الألمانية التي خاطب بها العمه "أنا" بشكل سيء. قال الرجل: "أنطون" له علاقات مع وكالة يهودية شهيرة، وهذه الوكالة لديها معلومات مؤكدة تشير إلى أن أحوال اليهود في سلوفاكيا سوف تسوء في أقرب وقت، وإن الوسيلة الوحيدة لدرء الخطر تكون بالانتقال إلى الحياة السرية.

- إلى السرية.. صرخت العمه "أنا".

تطلع الرجل من حوله خائفاً، ونبهها طالباً منها التحدث بصوت منخفض، مضيقاً أن الانتقال إلى السرية في حالتها يعني تغيير الهوية بشكل كامل.

- تغيير الهوية؟ صرخت العمه "أنا" من جديد.

نبهها الرجل ثانية وطلب منها أن تخفض صوتها. إن أفضل حل للعمه "أنا" لكي تغير هويتها هو عبور الحدود بشكل سري والانتقال للعيش في المجر. بالطبع تحت اسم آخر وأوراق ثبوتية جديدة.

- أوراق جديدة؟ همست العمه "أنا".

شرح الرجل أن العمّة بحاجة إلى أوراق ثبوتية مجرية مزيفة، وأنها ستعيش في بودابست. ولأنها لا تتحدث المجرية بشكل جيد ستقول إنها مواطنة من أصل سلوفاكي من الأراضي المرتجعة.

- ولكن لا يمكنني المغادرة الآن لأن ابنة أخي "دوريكا" ستحضر في الأسبوع القادم لتتدرب عندي، قالت له العمّة معترضة.

تهدد الرجل وقد ضاق صدره من الرد. كرر أقواله من جديد: يجب على العمّة "أنا" في بودابست أن تصرّح بأنها مواطنة سلوفاكية من الشمال، وهذا يعني أنها لا تتكلم المجرية بشكل جيد، وتابع بعد ذلك قائلاً: يجب على العمّة أن تغادر في الحال حتى ولو كلفها ذلك بيع ورشتي الخياطة. سوف تُبدل الكورونات السلوفاكية بـ "بنكو" مجري.

وسلمها الأوراق التي دُون فيها اسم وعنوان الرجل الذي سيبدل لها العملة في براتيسلافا، ثم سلمها رسالة أخرى دُون فيها اسم وعنوان شخص في مدينة "نيترا"، وهو الذي سينقلها إلى الطرف الآخر من الحدود لقاء بعض الدراهم. إضافة إلى ذلك أعطها ورقة ثالثة كتبت فيها عنوان شخص في بودابست سيجهز لها أوراقاً ثبوتية مزورة لقاء بعض المال أيضاً، وحين ستصبح هناك عليها أن تجد عملاً وتستأجر بيتاً تسكن فيه، ولكن يجب عليها في ذات الوقت الامتناع عن إنشاء علاقات مع اليهود والتوقف عن زيارة الكنيس. وأخذ الرجل منها بعد ذلك الأوراق الثلاث مع الأسماء.

- لا أتذكر شيئاً مما قلته، - قالت له العمّة "أنا".

أعاد إليها الأوراق من جديد، وللتأكد راح يمتحنها كي يعرف ما إذا كانت لا تزال تتذكر الأسماء والعناوين، ثم اتجه نحو الباب.

- إذا ذهبت إلى هناك متى يمكنني العودة؟ سألته "أنا".

رد عليها الرجل بأن ذلك سيكون ممكناً بعد خسارة ألمانيا الحرب.

- ولكن لا يبدو أن ألمانيا ستخسر، - نبهته "أنا".

أعطها الرجل الحق فيما تري، وغادر.

أضمت "أنا" عدة أسابيع رهينة أفكار غريبة. كانت حياتها تتأزم مع مرور الوقت شيئاً فشيئاً، ومع من ذلك لم تتمكن من التأقلم مع فكرة تغيير حياتها بشكل كامل. لقد قررت في النهاية أن تحقق نصف المشروع. أرسلت "دوريكا" إلى ذويها، ثم قامت بزيارة الشخص الذي ظنت أنه سوف يشتري ورشتيها مع الآلات،



ولكنها فوجئت حين عرض عليها أقل من نصف الثمن الحقيقي الذي كانت تتوقعه، ومع ذلك وافقت مرغمة على اقتراحه. أشار الرجل إلى الفوائد غير المتوقعة للتجارة مع اليهود. تكفي عدة إجراءات حكومية ليسمحوا لسلوفاكي بأن يستغلهم. بهذا الشكل يجب أن يتم ترحيل اليهود - بإنسانية وهدهوء - وبكل طيبة خاطر عرض على "آنا" أن تبقى لتعمل عنده.. وافقت على اقتراحه لأنها لم تكن تعرف الخطوة التالية التي عليها القيام بها.

نشرت الصحف في الأشهر التالية، ولا سيما صحيفة "جاردستا" التي كانت "آنا" تشتريها بانتظام، مقالات تناشد بحل دائم ومتكامل لمسألة السكان الذين يتحدرون من أعراق أجنبية في سلوفاكيا. هنا تيقنت "آنا" بأن أخاها "أنطون" والرجل الأجنبي المجهول كانا على حق. إن أوضاع اليهود في هذه الدولة سوف تسير من سيء إلى أسوأ. وفي أحد الأيام أخرجت الأوراق التي كتبت عليها بالرغم من تحذيرات الزائر الأجنبي اسم وعنوان "الصراف" الذي يمكنه أن يبدل لها العملة، واسم وعنوان الشخص الذي سيساعدها على عبور الحدود، و"المزور" الذي يمكنه أن يؤمن لها الوثائق.

وقفت الآن العمة أمام الشابين بلباسها الرث وقد أنهكها التعب وبيدها حقيبتها الملوثة بالطين وقد أدمت الخدوش ساقبها من الحك المتواصل للحقيقة.

- أحتاج إلى الاغتسال، وإلى الأكل والنوم، قالت.

- تفضلي بالدخول أيتها العمة "آنا"، - قال لها "جabor".

لقد أغلق أخيراً فمه الذي كان حتى تلك اللحظة مفتوحاً من شدة اندهاشه وفتح باب البيت الصغير.

كان المطبخ يجاور الباب وقد اتسع لموقد وخزانة وطاولة وأربع كراسي.

حين لمح والده "جabor" "آنا" في الباب هرعاً مسرعين إليها وأخذها بالأحضان.

- يا إلهي، "آنا"، - قالت السيدة "روزنبرغ" بصوت اختلطت فيه الفرحة بالتلهف الحذر.

- يا إلهي، "آنا" كرر السيد "روزنبرغ" بصوت غلب عليه الخوف الحذر أكثر من الفرح.

جلست "آنا" على الكرسي.

- أشعر بالظماً حتى إنني سأنام بوسخي إذا لم تطعموني.. - ابتسمت.

- وكيف تمكنت من اكتشاف مكاننا؟ ومن أخبرك بأننا لم نعد نسكن في منطقة "كالفين"؟

- لا أحد على الإطلاق. ابتسمت العمّة "آنا". - لقد ذهبت في البداية إلى هناك وحين قرعت باب بيتكم، رأيتي لحسن حظي إحدى السيدات من الطابق الأرضي، وقالت لي تلك الروح الطيبة إنكم انتقلتم، كما دلّنتني كيف أصل إليكم... ولكن لا أخفيكم، أن "أوي تلب" جورة تبعث الخوف في النفس.

- الروح الطيبة من الطابق الأرضي؟ سألتها "جابور". إنها العجوز "هارسانيوفا" بالتأكيد.

صمت الجميع.

- ماذا؟ سألت العمّة "آنا".

- سيحضر الدرك بعد قليل. إن تلك الروح الطيبة سوف تضي بك، وضّح لها والد "جابور" بصوت متكسر.

- ستشي، أم إنها وشت؟، - نَبّه "بيتر". - لم يعد لدينا متسع من الوقت، ولكن ربما لا نكون قد أضعنا كل شيء. تحركوا.

- لا تتدخل يا "بيتر". الأمر لا يعنينا. اذهب إلى البيت ما دام هناك وقت، قالت له السيدة "روزنبرغ".

- يا عمّتي، إنني الصديق الوحيد لولدكم، وربما أكون الصديق الوحيد لعائلتكم في العالم، - رفع من وتيرة صوته - عليكم أن تثقوا بي الآن.

- وفي أي شيء يمكنك مساعدتنا؟ هل ستخبر أخاك عنا؟ سأله السيد "روزنبرغ".

- لا تفكروا الآن في أخي لأنه غير موجود وقد التحق بالخدمة. عليكم الآن أن تتحركوا وبسرعة.

- إن "بيتر" سيساعدنا، - علق "جابور"، راضاف: ثقوا به.

أدركت عائلة "روزنبرغ" في النهاية أن عليها التحرك.

حمل "جابور" الدلو وهرع باتجاه البئر لجلسب الماء، بينما رافقت والدة "جابور" عمته إلى الغرفة كي تعطيها ثياباً نظيفة، وأصر "بيتر" بعد ذلك على مرافقة "آنا" إلى المحطة.

- إذا حالفهما الحظ يمكنهما اللحاق بقطار الخامسة، كما أكد لوالد "جابور" خطورة البقاء في البيت لأن الدرك سوف يقتادونهم إن وجدوا "آنا" أو لم يجدوها.

- إن اتهام اليهودي يعني الدليل - شرح - لذا عليكم التخفي في كنيسة كاثوليكية.

- لا يمكنني فعل هذا في أي حال من الأحوال، أصر السيد "روزنبرغ".  
- لا يوجد حل آخر. سوف أوصول العمدة "آنا" إلى المحطة، وبعدها سأتحري حول البيت لأعرف ما إذا كان الدرك سيحضرون. إنهم يغلقون الكنيسة في السابعة. سأجيء قبل ذلك الوقت لأخبركم عما يجري.  
- ولكننا نحن.... بدأ السيد "روزنبرغ".

- في السابعة سوف أعرف ماذا؟ وكيف؟ قاطعه "بيتر".  
- في السابعة لا، - رفض السيد "روزنبرغ" من جديد، - الآن وفي الحال، يوجد عندنا في القبو بعض الممنوعات، يجب التخلص منها.  
- كنت أتوقع ذلك، - قال "بيتر" بهدوء.

سحب السيد "روزنبرغ" الطاولة ورفع الغطاء الخشبي المؤدي إلى القبو. نزل على السلم، ولحق به "بيتر". تعرف في العتمة على عدة أنواع من الشوكولا، وعلى بضعة أكياس من القهوة والكاكاو، والتمر.

- هل هذا كل شيء؟ أين حقيبة الظهر؟ يمكن لـ "جابور" أن ينقلها إلى بيتنا.  
- إلى بيتكم؟

- لقد سبق وأخبرتكم أن أخي قد التحق بالجيش.  
بينما كانت والدة "جابور" تجهز الثياب، وتساعد "آنا" في الاغتسال، أخبرتها تلك أن بعض اليهود في سلوفاكيا قد تعمدوا، وكل ظنهم أن ذلك سيساعدهم، ويقال أيضاً إن ذلك ربما سيفيدهم لو كانوا قد حصلوا على وثيقة المعمودية قبل الحرب. كانت والدة "جابور" خائفة حتى إنها لم تفهم شيئاً من كلماتها.

حين كان الزوجان "روزنبرغ" يحثان الخطى وهما ملتصقان أحدهما بالآخر في مساء المدينة، كانت الأفكار تغزو رأسيهما. فكراً بـ "آنا" المنهكة التي كان صديق ولدهما قد رافقها إلى المحطة، وكانا خائفين من أنهما لن يلحقا بقطار الخامسة.. فكراً في "جابور" الذي كان يحمل في حقيبة ظهره بضاعة مهربة سوف تجعله موضع شك لدى كل إنسان. فكراً في العجوز "هارسانيوفا". كل شيء يعتمد على تفكيرها بالتبليغ عن زيارة شخص غريب لعائلة يهودية، ولكنهما فكرا قبل كل شيء في أنهما هما بشخصيهما سيكونان موضع شك لدى الناس. كانا يتمشيان في

الطريق وكل ظنهما أن كل عابر يراقبهما. وكان سكان المدينة بأكملها قد تحولوا فجأة إلى واشين ومخبرين.

حملتهما أقدامهما وحدها إلى كنيسة القديس ميخائيل، وحين دخلها أحسا بلسعة برد ناعمة. كان يوم الإثنين وكانت الكنيسة شبه خالية من المصلين حين بدأ قداس المساء الذي لم ينتبه إلى حلوله سوى بعض المؤمنين القلائل من سكان "لفتسي". جلسا على المقعد خلف العمود الضخم حيث لم يتمكن أحد من رؤيتهما.

كانت المرة الأولى التي تدخل فيها السيدة "روزنبرغ" إلى الكنيسة الكاثوليكية. شعرت روحها الخائفة فجأة بالهدوء والسكينة عند سماعها موسيقى الأورغ كما سحرتها تلك التماثيل الكبيرة ولا سيما تلك الرسومات الجميلة التي زينت بها الجدران. إن معبداً بهذه الروعة لا يمكن أن يبينه البرابرة، حدثت نفسها.

انتهى القداس وغادر المصلون، ولكن الزوجين "روزنبرغ" بقيا جالسين في مكانيهما في الكنيسة الفارغة بانتظار وصول "بيتر" و"جabor"، حتى إنهما لم ينتبها إلى وقوف الكاهن أمامهما، وكان لا يزال يرتدي لباس القداس..

- أعتقد بأني لم أركما هنا من قبل، هل أنتما من القرى المجاورة؟ - سألهما.

- لا، - رد عليه السيد "روزنبرغ" مرتبكاً وأضاف: يمكن القول نعم.

- هل بإمكانك تعميدينا؟ - سألته السيدة "روزنبرغ" بشكل مفاجيء.

- هكذا إذاً. - تنهد الكاهن، ثم جلس بجانبهما على المقعد. - وهل أنتما حقيقة

تعبان المسيحيين كي تنتسبا إلى دينهم؟

حين خرج الزوجان "روزنبرغ" من الكنيسة التقيا في الطريق "راييناً". اندهشا من رؤيته وانتظرا ما سيقوله لهما، ولكنه ألقى التحية فحسب وتابع طريقه ببطء. لقد كان شاهداً في الأشهر الأخيرة على العديد من تلك الحالات، ولذلك فإنه لم يندهش هذه المرة. لقد فقد منذ أمد بعيد إمكان الحديث في الأمور الجلية. إنه الآن ينتظر وحسب. انتظار تلو انتظار. قبل أسبوع واحد كان بانتظار رسالة من ابن عمه جاكوب من "منكاتسا"، ولكنه تأكد اليوم من أن تلك الرسالة لن تصل.

لم يحضر الدرك في ذلك المساء الدافئ من الأول من سبتمبر 1941 إلى منزل عائلة "روزنبرغ" لأن من دأل العمدة "آنا" إلى بيت "روزنبرغ" في رواق "كالفين"، لم تكن "هارسانيوفا" بل كانت جاريتها "باناكيفوا".

## حادثة عام 1942

وصل "روناي كارتشي" لقضاء إجازته في الرابع والعشرين من آب. تعرف عليه أخوه "بيتر" بصعوبة، وكان قد رآه آخر مرة قبل ثلاثة أرباع السنة في عطلة أعياد الميلاد حين جاء في إجازته الأخيرة، وقد بدا له في حينها تماماً كما تركه حين كان مدنياً، إلا أنه قد تغير الآن وأصبح إنساناً آخر. رجل في الثلاثين، غزت التجاعيد جبهته، وبرزت عظام وجنتيه. قوي، عريض المنكبين وربما أعرض ممرتين من "بيتر"، وبعضين ربما أعرض من فخذيه أخيه.

أكثر ما تبدل فيه كانت شخصيته. تحدث بصوت منخفض، ويمكن القول إنه لم يتحدث على الإطلاق ما عدا بضع كلمات كان يرميها هنا وهناك. لم يغادر البيت، كما إنه لم يبحث عن أصدقائه القدامى بالرغم من أنهم جاؤوه أكثر من مرة ليصطحبوه إلى الحانة. لقد فضل احتساء الخمر في البيت، ولكنه لم يعد يصرخ كما كان يفعل حين يثمل. وضع كرسيّاً في رواق البيت وراح يحتسي النبيذ أو البراندي وهو يتطلع بعيون عكرة إلى الأسفل.

كان "بيتر" يجالسه في بعض الأحيان ويشاركة التدخين، أو يحتسي معه عدة أقذاح بالرغم من معرفته بأن والديه يستنكران فعلته، ويخافان عليه كي لا يصبح سكيراً مثل أخيه الكبير.

جلس "كارتشي" في إحدى الأمسيات وراح يراقب بهدوء والدته التي كانت تصلي. كانت شفاتها تتحركان دون إحداث صوت، وحين كانت تكرر صلواتها وتعدّها في السبحة، بدا وكأنه يريد معرفة الشطر الذي وصلت إليه.

لم يأت على سيرة الخدمة العسكرية في "باتشكا" أو في ثكنات "أوفيدك" ولو مرة واحدة.

كان "بيتر" شأنه شأن "جابور" يتخلف في تلك الأوقات عن الدوام في المدرسة، وغالباً ما كان يساعد والده في ورشته كما تعلم وحده القيام ببعض الأعمال

الروتينية التي لها علاقة بإصلاح الأحذية. كان هناك الكثير من العمل، وبالرغم من ندرة النقود وتناقص البيع كان الإقبال يتزايد على إصلاح الأحذية القديمة.

تبدل "جabor" إلى مضارب حقيقي لأنه أدرك الثمن الصحيح لبضاعته في زمن الغلاء. إنه في الحقيقة لم يضع سعراً موحداً للبضاعة، بل كان يتكيف في السعر حسب إمكانات الزبائن، كما إن البضاعة نفسها كانت تباع عنده بأسعار مختلفة، حسب مكان بيعها. حين يقف أمام عتبة بيت مدير البنك كان سعرها يختلف عن السعر الذي يطلبه إذا وقف أمام بيت عامل زراعي. توقف السيد "روزنبرغ" عن العمل، وكل ما كان يفعله هو مراقبة البضاعة المهربة في قبوه وحراستها، ولكنه مع ذلك كان يرتجف خوفاً من حضور الدرك.

لم يكن الأول من سبتمبر - أيلول يوماً دافئاً بالرغم من أن السماء بدت صافية، ولكن رياحاً باردة كانت تهب من حين إلى آخر. ولولا أن "بيتر" و"جabor" قد اتفقا مع "ماريا" على اللقاء لما كانا ذهاباً بالتأكيد في ذلك اليوم إلى السباحة. ولأنهما لم يلتقيها منذ قرابة السنة في الصف، فقد شكلت عندهما كل دقيقة لقاء معها مناسبة لا تعوض.

- سأذهب مع "جabor" للسباحة في "برتس"، ألا تذهب معنا؟ - سأل "بيتر" أخاه "كارتشي"، وكان متأكداً من أنه سيرفض عرضه.

- سأذهب، - رد عليه "كارتشي".

لم يشعر "بيتر" بالفرح من رده، لا سيما أنه شكّل مع "جabor" و"ماريا" ثلاثية مغلقة، إذ إن أحاديثهم لم تعد مجرد غزل سطحي مبتذل. كانت لهم قضاياهم التي كانت في غالبيتها ممنوعة. فجأة شعروا بتعذر النقاش وضعوبته أمام "كارتشي"، وما زاد الطين بله كان رفض "كارتشي" المشاركة في أحاديثهم. كان يرد بجملة الوحيدة وبنظراته الغائبة في مكان ما خلف الأفق. لحسن الحظ لم يجلس معهم طوال الوقت، بل أمضى وقته وهو يقفز في الماء من فوق غصن شجرة قوي..

- عندي لكم مفاجأة، - قالت لهم "ماريا" وهي تسحب شيئاً من حقيبتها، وأضاف: تسلمت رسالة من "هونزا" وقد أرسل لي صورة أيضاً. انظروا.

- "هونزا"!، - سألها "جabor" فرحاً.

- كم يبدو جميلاً، أليس كذلك؟ نبهتهما "ماريا".

- تقولين أجمل؟ لكنه يضع نظارات، - اعترض "بيتر".

أثناء تجمع "بيتر" و"جabor" في الصورة تأكداً أن صديقهما القديم وصل إلى مرحلة البلوغ. كان جسمه دائماً يوحى بالبلوغ المبكر، ولكن الفرق بينهم لم يكن واضحاً في السابق مثلما هو عليه الآن في الصورة. لقد وجدا أمامهما صورة رجل في ريعان شبابه بشارين، في الوقت الذي كان فيه كلاهما يفتقدان إلى الوبر في وجهيهما.

- النظارات تناسب وجهه. اعترف "جabor".

- وماذا يكتب؟ سألتها "بيتر".

- من سبتمبر، وهذا يعني أنه منذ من اليوم سوف يتدرب في أحد المصانع المتخصصة في إنتاج المواد العذائية، ولكنه لا يذكر التفاصيل. وكما تعرفان كل شيء يعتبر سراً عسكرياً. أخته "يتكا" لم تعد تسكن معه. ربما تزوجت.

- ربما؟ سألتها "بيتر" و"جabor" في وقت واحد.

- لم يشر إلى ذلك تحديداً، ولكن مع ذلك ربما تكون قد تزوجت.

لقد كانت صورة "هونزا" ضربة غير متوقعة للعالم الذي كان "بيتر" و"جabor" قد بنياه وأغلقا فيه على نفسيهما مع "ماريا"، ولم يفكرا بإدخال أحد إليه. لم يكن بمقدورهما اعتبار "هونزا" متدخلاً لأن له الحق في "ماريا" مثلها تماماً.

- هل يكتب لك بانتظام؟ سألتها "بيتر".

- آخر بطاقة كانت بمناسبة أعياد الميلاد. - ردت "ماريا" وأضافت - لماذا تسأل؟

- لأنه توقف عن الكتابة إلينا، - رد "جabor" بدلاً عن صديقه.

عاد "كارتشي" في تلك الأثناء، واستلقى بالقرب منهم على العشب وراح يلهث بصوت مرتفع. استدار بعد ذلك فجأة نحو "جabor" وقال:

- أنتم أيها اليهود شعب مختار عن حق، لأنه يحظر عليكم حين تخدمون في الجيش حمل السلاح.

صمت "جabor"، وارتعب "بيتر" ظناً منه أن كلامه سيكون مقدمة لمحاضرة ضد اليهود، شبيهة بما سمعه مراراً من أخيه، ولكن "كارتشي" اكتفى بالقول:

- كم أتمنى حظراً كهذا....

لم يكن عندهما ما يردان به، وكل ما فعلاه هو أنهما جلسا وانتظرا ما سيضيفه "كارتشي" من كلام. ولكنه لم يقل شيئاً.

ازدادت برودة الطقس لذا جمعوا حوائجهم وغادروا.

سمعوا لحناً موسيقياً أثناء عبورهم الساحة.

- اعتقد أنهم لا زالوا يقدمون في حانة "دنكا" شاي الخامسة، - قال "كارتشي".  
- كل ثلاثاء وجمعة وسبت، - أكد "جابور".  
- تعالوا إذًا، أنتم ضيوفي. اقترح عليهم "كارتشي".  
- لسنا مستعدين، ولباسنا لا يليق، - رد عليه "بيتر" وأضاف: حتى إننا لم نرقص منذ الصيف الماضي.

- سأذهب إلى البيت، - قالت "ماريا".  
- وأنا أيضاً سأغادر في الصباح إلى الثكنة. لقد غادر فوجنا إلى الجبهة، وستلحق به كتيبتنا بعد يومين. إنها ليلتي الأخيرة، قال "كارتشي" ولم يكن بحاجة إلى إضافة أي شيء.

الطاولات الفارغة كانت في القسم الخلفي من القاعة. تعذرت من هناك رؤية الفرقة، ولكن حلبة الرقص كانت أمامهم مباشرة. حضر النادل بعد لحظات. طلب "كارتشي" أربعة أقداح شاي، وزجاجة نبيذ أبيض.

كان برنامج "فيزيك" الموسيقي على حاله دون تغيير يذكر. رقصة "البولكا"<sup>11</sup> مرتين، يليها رقصة الـ "فالتشيك" ثم "فالس" واستراحة، بعد ذلك ثلاث مرات "تانغو" أرجنتيني ثم استراحة، ومن جديد مرتان "بولكا" ثم "فالتشيك"، "فالس"، واستراحة - ثلاث مرات "تانغو" أرجنتيني. كان هذا البرنامج مناسباً لهؤلاء الذين لا يميزون بين البوق والطبل من أمثال "بيتر" لأنهم يعرفون الخطوة التي عليهم القيام بها، في حين كان الرقص السليم في حالة "بيتر" يعني عدم دوس قدم الشريكة فحسب، ومع ذلك لم يوفق في جميع خطواته.

- اطلب "ماريا" للرقص... قال "كارتشي" لـ "بيتر"، وكان قد شرب ما يقارب الزجاجة من النبيذ، فيما غطت عينيه سحابة سوداء.

كان "بيتر" في السابق قد رقص عدة مرات مع "ماريا"، ولكنه الآن شعر بالخجل، ربما بسبب وجود "كارتشي". أحس أن وجهه قد تورد.

- لا أعرف إذًا كانت ترغب، - رد عليه.

- أسألها إذًا، شجعه أخوه.

- هل توافقين على الرقص معي؟ سألها "بيتر" بأدب.

- إذا كنت ترغب عن حق فلا مانع عندي. ردت "ماريا".

<sup>11</sup>. البولكا: رقصة تشيكية شبيهة بالفالس.



لحسن الحظ كانت الفرقة تعزف "الفالس". توقف "بيتر" بعد لحظات عن عد الخطوات وتأقلم بشكل كبير مع خطوات "ماريا". حين تلامست وجناتهما، شعر "بيتر" بحرارة وجهها المتورد، وأحس أيضاً أن شعرها لا يزال يحتفظ برائحة الزهور والعشب الذي كانوا يجلسون عليه بعد ظهرية ذلك اليوم. تمكن "بيتر" من تأدية "الفالس" دون ارتكاب أي خطأ، وبعد ذلك جاءت الاستراحة.

حين عاد إلى الطاولة وجد أمام "كارتشي" زجاجة نبيذ جديدة، وبما أن "بيتر" كان قد شرب قدح الشاي، سكب النبيذ في كأسه الفارغ.

بدأت الفرقة بعد ذلك بعزف "التانغو".

- جاء دورك الآن يا "جabor"، قال "كارتشي" وأضاف: لا أظن أنك ستترك "ماريا" جالسة.

- لا أعرف إذا كان الوقت مناسباً، رد عليه "جabor".

التفت "كارتشي" إلى "ماريا" وسألها:

- هل الوقت مناسب "للتانغو" الأرجنتيني؟

- بالطبع، - ردت "ماريا" مبتسمة وأضافت: لسنا في حالة حرب مع الأرجنتين.

حين ذهب "جabor" برفقة "ماريا" للرقص، أخذ "بيتر" من أخيه لفاقة تبغ.

يعتبر "جabor" راقصاً جيداً، وقد برع بالذات في أداء رقصة "التانغو" الأرجنتيني، وكانت إحدى السيدات قد كالت له المديح قبل ما يقارب السنة، حين كان برفقة "بيتر" ونعته بأسد حلبة الرقص. قال "جabor" بعد ذلك لـ "بيتر": ربما تكون قد شعرت بذنب الأسد وهو يضغط فخذها أثناء الرقص.

لاحظ "بيتر" منذ مدة طويلة إلى أن "جabor" و"ماريا" يتقنان معاً رقصة "التانغو"، وكأنهما تدربا عليها، لأنهما إضافة إلى الحركات المعتادة كانا يؤديان بعض الحركات الخاصة بهما، وبالرغم من أنهما لم يرقصا معاً منذ مدة طويلة إلا أنهما أدياها بشكل رائع الآن.

انتبه "بيتر" أيضاً إلى أن أحدهم من الطاولة الموجودة في الطرف الآخر قد نهض واقترب أكثر من طاولتهم ليتمكن من مراقبتهم، ولكن "بيتر" عرف لاحقاً أن هذا الشخص هو "هارساني جيولا". توقع أن أمراً سيئاً ينتظرهم. استغل "جيولا" اللحظة التي استدار فيها "جabor" وأعطاه ظهره لينهض ويقترب منه ثم يضع قدمه في طريقه.

سقط "جابور" على الأرض مثل كيس بطاطا وسحب معه "ماريا". الناس الذين لا يعرفون "جيولا" راحوا يضحكون لأنهم ظنوا أن ما حصل كان محض صدفة، كما ابتسم أيضاً أولئك الذين يعرفون "جيولا"، ويعرفون أيضاً أن ما حدث ليس صدفة. التسلية الحقيقية بدأت في هذه اللحظة.

أحس "جابور" بنفس الشعور الذي أحس به حين كان يغرق في المسيح قبل سنة. لم يتمكن من سحب نفّس عميق، وكان رثته امتلأتا بالماء الذي كان يضغط من الداخل على غشاء طبل أذنيه. سمع بشكل واضح كيف كانت فرقة "فيزيك" تتابع العزف، ولكنه أحس أن عزف "فيزيك" على الكلازينيت قد غرد خارج النغم. ساعد "جابور" بصعوبة "ماريا" على النهوض محاولاً تجاهل "جيولا" في نفس الوقت.

- إسمع، أيها اليهودي الصغير، ألا تعرف أن القانون لا يسمح بالإساءة إلى الأعراف؟ - صرخ "جيولا". - لن تتمكن بعد اليوم من أن تصالب دمك الوسخ مع الأمة المجرية....

أمسك "جيولا" بإحدى يديه "جابور" وباليد الثانية "ماريا".

- هل أنت يهودي أصم؟ راح يصرخ من جديد.

قفز أحدهم في تلك اللحظة ووقف بينهم بجرأة. تأكد "جابور" في الحال من أنه "كارتشي" لا سيما حين لمح قبضة قوية تضرب بطن "جيولا" الذي انحنى بجسمه إلى الأمام ولكنه لم يسقط، لأن القبضة القوية نفسها أمسكته من شعره ورفعت رأسه لإعطاء الفرصة للركبة كي ترفسه في وجهه، وقبل أن يتمكن أصدقاء "جيولا" من النهوض عن الطاولة كان صديقهم قد ارتقى على الأرض والدم ينفر من أنفه.

- هل تحدثت عن الدم؟ سأله "كارتشي" وكانت لفاة التبغ لا تزال ملتصقة على شفته السفلى وأضاف: - كم رأيت من الدم في حياتك؟ انظر إليه، إنه أحمر، وبعد لحظات سيتحول إلى أزرق، وبعدها إلى بني. الدم هو الدم!  
حين عاد "بيتر" مع أخيه إلى البيت كان والداهما يصليان. ترجت السيدة "رونايوقا" ولديها أن يشاركاها الصلاة.

حين انها السبحة بدأت الوالدة بالدعاء المعتاد:

- أتضرع إليك يا ربي، وأسألك أن تعيد لنا "كارتشي" سالماً من الحرب.

- آمين، رد "بيتر" ووالده.

- لا، - قال "كارتشي" - لا أريد العودة. صلوا كي أنتهي في جهنم بدلاً من ذلك  
البؤس الذي نعيشه في هذا العالم.  
استيقظ "بيتر" مبكراً في اليوم التالي، ولكن "كارتشي" كان قد غادر.  
لقد قرر السفر في أول قطار صباحي. كانت الوالدة في ذلك المساء تصلي وكان  
"كارتشي" قد لقي حتفه.  
- اغفر يا إلهي لـ "كارتشي" جميع ذنوبه وأدخله ملكوتك السماوي.  
- آمين... ردد "بيتر" ووالده.

عمل "يان بيزك" منذ الأول من سبتمبر في معمل الكونسروة الذي افتتحه  
الصناعي الستيني "هلموت فوغل" المتحدر من مدينة "درسدن". كان "فوغل" -  
الذي دعم "هتلر" قبل عام ثلاثة وثلاثين - يجني خلال الحرب ثمار قراره السياسي  
المتعقل، لا سيما وأن سوق الكونسروة أثناء الحرب كان في أوجه، كما إن الأيدي  
العاملة الرخيصة في مناطق الانتداب ساعدته على تخفيض تكاليف الإنتاج بشكل  
كبير.

كان "يان" متحمساً للعمل في تصنيع الكونسروة. سحرته الدقة التي يتم فيها  
مزج الخليط الذي تتشكل منه علبة الكونسروة. يضاف إلى كل خمسين كيلو غراماً  
من لحم الخنزير أحد عشر كيلو غراماً من لحم الحصان، ثم يضاف إلى الخليط  
عشر لترات ونصف من الماء المغلي مع الملح والبهار. لقد اهتم بكل التفاصيل،  
بالحضار المجففة، وبإنتاج الفواكه المطبوخة، ومربي الفواكه، ومعلبات اللحوم. كما  
كان يتابع درجات الحرارة ويراقب نظافة الأواني البلورية، ويتحرى دقة الأوزان،  
ويمكن القول إنه كان يتلذذ بتذوق جميع نوعيات الإنتاج بما في ذلك عصيدة  
البازلاء المجففة المخصصة لـ "فرماخت"<sup>44</sup> التي كان العمال والعاملات يطلقون  
عليها لقب الديناميت الأزرق.

---

<sup>44</sup>. فرماخت: سلطة الدفاع النازية.

## حادثة عام 1943

حين أحنى القائد ورئيس جمهورية سلوفاكيا "د. جوزيف تيسو" ظهره ليحل رباط حذائه، أحس فجأة بعودة الطعم الحامض المر - المتشكل من حساء العجين مع اللحم المطبوخ الذي لم يُهضم بعد بأكمله - من معدته إلى فمه. ارتجف. تناول بسرعة قطعة حلوى مع الجوز كي يتخلص من ذلك الإحساس السيء.

استلقى القائد ورئيس الجمهورية على الأريكة الجلدية التي يجلس عليها ضيوفه في العادة.

- إنها الشراهة، إنها الشراهة، قال وهو يتنهد.

وكما جرت العادة في السابق، راح يفكر فيما إذا كان بمقدوره في يوم من الأيام التخلص من الذئب الخامس. كان سعيداً لأنه اجتث من حياته منذ أمد بعيد عادة التباهي، والبخل، والفجور، والغيرة، والحقد، والكسل، ولكن الشراهة وحدها بقيت أقوى منه حتى الساعة.

- أنت السبب، - صرخ بغضب وقرص بطنه الكبير.

- أنت ذلك الشره، صرخ من جديد وضرب بطنه بقبضة يده.

- أخ... تنهد من الألم.

- أنت السبب في تورم أقدامي، - قال بعد ذلك بهدوء. حتى إن الضربة التي

تلقاها بطنه في المرة الثانية كانت أقل من الأولى.

فكر القائد الرئيس في غرابة الأمر، وكيف أن الشيطان تمكن من إغوائه خلال تلك السنين عن طريق ذلك الإثم فحسب. ولماذا يضيف إلى حبه الذي لا نهاية له للمقربين شراسته للأكل؟

- احمل صليبك واتبعني.... استشهد القائد والرئيس بالإنجيل.

أسند بطنه بكلتا يديه ونهض، زفر بصعوبة ثم اتجه نحو طاولته وارتمى على

الكرسي.

- يا، "أوتمار". نادى القائد على حارس القصر.

فُتح الباب بقوة وظهر بين درفتيه رجل يرتدي بزة سوداء، وقف في حالة استعداد.

- الحذاء، - أمره القائد والرئيس.

لقد وضعوا في قدمه حذاء غمرة ستة، وبسبب سوء وظيفة العديد من أجهزته الداخلية، انتفخت قدماه. لقد تعود "أوتمار" أن يجهز له بعد الغداء بشكل روتيني حذاء غمرة ستة ونصف، وفي حال كان طعام القائد والرئيس غنياً خلال اليوم بالدهون، توجب عليه مباشرة بعد الانتهاء من تناول طعام الغشاء استخدام نعل غمرة سبعة، ويبدو أن هذا اليوم هو أحد تلك الأيام.

- سيدي القائد والرئيس، - قال الرجل ذو البزة السوداء مخاطباً الرئيس وهو يجثو أمامه على ركبتيه، - لقد تسبب العرق في تبليل جوربيك لذا اسمحوا لي أن أقوم بغسلهما.

- افعل ما تراه مناسباً يا "أوتمار".

كان الرجل ذو البزة السوداء قد جهز مسبقاً في جيب بزته الداخلي زوج جوارب. حين نزع الجوارب الرطبة عن قدمي القائد والرئيس، وألقى نظرة على قدميه الحافيتين لم يتمالك نفسه، انحنى وطبع قبلة دافئة على كل قدم على حدة. تعود القائد والرئيس على مظاهر الولاء تلك، ولم يعد يوليها أهمية تذكر، لأن تفكيره انحصر بأكمله في الخطة التي بدأت ترتسم في ذهنه.

- هل تعرف يا "أوتمار" كيف يمكنني التخلص من الشراة؟

- كيف يا سيدي القائد والرئيس؟

- سأعینُ طباحاً ليُحَضِّر لي الأكل المجري واليهودي فحسب. لا مهرب من ذلك، وفي طريقي نحو التكامل سوف أجلدُ معدتي بمأكولات أعدائنا. من يريد التضحية عليه أن يتقبل الضربات الموجهة على جسده.

حين غادر "أوتمار"، ابتسم القائد والرئيس.

- سوف تأكل الكولاش والسلطة. قال لبطنه وقرصه بدلال.

- لحم خنزير من جديد؟ سأل "جابور" وهو يقضم بشهية قطعة كبدة طرية كان أمسكها بين يديه.

- نعم، هذا ما قدره لنا الله، أعتقد، نسألك الرحمة يا رب لأنك أردت لنا العيش في تلك الأيام الصعبة، - رد عليه السيد "روزنبرغ" الذي كانت قطعته أصغر بكثير من قطعة ابنه.

- ربما علينا أن ننقح لحم الخنزير في الماء قبل الغلي، ليس ثلاثين دقيقة فحسب، بل ثلاثين يوماً ريثما تتمكن الديدان من أكله، وبعدها نطبخ كومة الديدان ونأكلها... قال "جabor" وغشي في الضحك.

- ربما سيغفر لنا الرب لأننا نأكل تلك الوساخة، قاطعتهم السيدة "روزنبرغوفافا" التي كانت قطعها أصغر قطعة وأضافت: ولكنه لن يغفر لنا الكلام الوسخ.

كان "بارت إيمر" منظم السوق السوداء في "لفتسي" في الأول من سبتمبر 1943 قد أمضى في السجن نصف سنة، وبذلك يكون السيد "روزنبرغ" قد خسر المصدر الرئيسي لبضاعته المهربة، وهذا جعله يبحث عن مصدر رزق شرعي. وجد ضالته في محطة القطر، وبالرغم من أن العمل كان في الورديات الليلية إلا أنه تمكن بالمقابل من الحصول على المال الذي يحتاج إليه لشراء الطعام. ويمكن القول إنهم في عائلته الآن يصرفون على الأكل أكثر مما كان يتقاضاه، وحين كان الراتب لا يكفي كان والد "جabor" يساعد نفسه في بيع بعض الخردوات العائدة إلى أوقات ما قبل الحرب. كانت هذه المرة ساعة الجيب. وما فائدتها ليهودي يعمل حملاً في محطة قطار؟

كانت عائلة "روزنبرغ" تحصل على اللحم، والحليب، والبيض مقابل البطاقات التموينية أو في السوق السوداء من فلاحي القرى المجاورة. كانوا يعرفون أن ابنهم سيتسلم في الخريف من الجيش بطاقة استدعاء للعمل الإجباري، ولذلك فعلوا ما بوسعهم كي يطعموه أكثر قبل حلول موعد السحب، حتى يتغلب على كل ما سوف ينتظره هناك من جوع. كانوا يؤمنون بالحقيقة القديمة التي تقول "إلى أن ينحف البدين، يفطس النحيل". وبالرغم من كل هذا لم يتحول "جabor" إلى بدين.

كان "يان بيزك" يملك من الطعام ما فيه الكفاية، وبالرغم من أن معمل "فوجل" لإنتاج الكونسروة يمنح عماله أجوراً متدنية، إلا أنه بالمقابل يسمح لهم كل شهر بشراء كمية محدودة من الإنتاج بنصف الثمن المتداول، وبهذه الطريقة تمكن الصناعي "فوجل" من التغلب على السرقات التي كانت تحدث في المعمل، وفي ذات الوقت أصبح لدى العمال وعائلاتهم ما يكفيهم من الطعام.

لم يكن "يان" ليضع عصيدة البازلط المجففه في فمه لولا أن قامت السيدة "بيزكوفا" بتحضيرها في أحد أحاد نهاية الشتاء مع قطعة من اللحم المدخن. ذهب "يان" بعد ظهره ذلك اليوم مع رفاقه من المعمل إلى السينما. أحس بأول ضغط لغازات أمعائه عند عرض دعاية تتحدث عن بطولات سلطة الدفاع النازية، وأثناء عرض كوميديا "الجميلة سوزانا" التي ورثت بشكل غير متوقع ثروة كبيرة. تمكن بصعوبة كبيرة من التحكم بأعصابه ومنع غازات بطنه من الخروج. لم ينتبه إطلاقاً إلى مجريات أحداث الفيلم. ضغط ركبتيه إلى جسمه وشد معصميه وراح يقرض شاربيه. كان بطنه يضغط عليه كما لو أن في داخله صخرة. كانت نوبات الألم تأتيه على فترات وتتناوب مع تشنجات في أماكن متفرقة من بطنه. لم ينهض من مكانه خوفاً من أن تخور قواه وتقلت غازات بطنه أثناء مروره بين المشاهدين.

حين أضيئت الأنوار كان شعره قد تبلل بالعرق، وفي الوقت الذي كان فيه أصدقاؤه يتناقشون حول تلك الثروة التي ورثتها "سوزانا"، وما إذا لم يكن من الأفضل لهم لو أنفقوها مع "ناتاشا غولوف" أو مع "أدينا ماندولوف"<sup>11</sup>. سأله أحدهم: - ما الذي جرى لك؟

- إني هالك لا محالة، اسبقوني، - أجابه "يان".  
 نهض "يان" بعد ذلك بحذر شديد من مقعده بعد أن فرغت صالة العرض من المشاهدين واتجه نحو بوابة الخروج حيث وقف أصدقاؤه بانتظاره.  
 كرر "يان" طلبه حين أصبحوا في الطريق قائلاً:  
 - اذهبوا واركبوا وحدي.

نظر أصدقاؤه أحدهم في وجه الآخر نظرة استغراب. قرفص "يان" وأرخى فجأة ما كان مغلقاً بإحكام. صدر في الحال صوت برررررررررررررر طويل انتهى بـ بر، قصير.

- لقد فرغت مثل الرشاش الأوتوماتيكي، - قال له أحد الشباب مندهشاً مما سمعه.

- كل ذلك بسبب الديناميت الأزرق... شرح لهم "يان".  
 انفجروا ضاحكين، وحين خفت وتيرة ضحكهم سُمع برررررررررررررر جديد، ولكنه جاء هذه المرة من مكان آخر قريب من التقاطع.

<sup>11</sup> "أدينا ماندولوف": فنانة تشيكية مشهورة قبل الحرب.

- كان ذلك مثل الأوتومات... كرر صديق "يان" ذات الجملة ولكن بصوت منخفض.

انطلق الشباب وقلوبهم تدق بقوة. كان شعورهم يتأرجح بين الخوف والفضول والحماس. حين وصلوا إلى الشارع الرئيسي ملحوا رجلاً ممدداً ووجهه على الأرض بالقرب من كشك بيع الصحف. حاول أحد عنصرى الإس إس اللذين وقفوا فوقه قلب القتل بقدمه، ولكنه فشل لأن الجثة كانت ثقيلة مما اضطره إلى الانحناء لقلبه.

منذ تلك اللحظة توقف "يان" عن تناول الديناميت الأزرق، وصار يشعر بالغيان بمجرد النظر إلى غلافه الوجيه.

واظبت عائلة "روزنبرغ" وعائلة "روناي" على سماع محطة إذاعة لندن وموسكو. كما أن أخبار راديو كوشوت<sup>(١)</sup> "Kossuth" عن هزيمة الجيش الثاني المجري أكدت في بداية السنة لعائلة "روناي" ما كانوا يتوقعونه منذ الصيف الماضي. إن ولداهم البكر "كارتشي" لن يعود أبداً من روسيا. حين وصلهم الخبر بشكل رسمي لم يعيراه أهمية تذكر، كما أنهم لم يهتموا بالخبر الذي نشره المذكور "تشايكي جوزيف" العائد من روسيا منذ نيسان. كان الثمل المذكور ينقل إلى "بيتر" حين يلتقيه في كل مرة صورة مختلفة عن موت أخيه "كارتشي". قال في البداية إن قبيلة مزقت جسد "كارتشي" وإنه أي "تشايكي" حملته ووارى القسم العلوي من جسده في مقبرة جماعية وفي لقاء آخر قال إن جسد "كارتشي" قد تجمد في درجة أربعين تحت الصفر، وإنه، أي "تشايكي" طرد الذئب عن جثته المتجمدة، وآخر ما قاله كان أن "كارتشي" أصيب بطلقة نارية أردته قتيلاً أثناء فراقه معه من الجندية.

زادت مخاوف "بيتر" و"جابور" مع اقتراب الصيف من نهايته. كانا يدركان أن الوقت لن يطول وسوف يتسلمان أمر الاستدعاء، ومن ثم خيم هذا الشعور بالخوف على كل لقاء يجمعهما، فمرة يخططان للهرب والتخفي في مكان ما من "بودابست"، وفي مرة أخرى يفكران في أن ذلك اليوم لا يزال بعيداً ولا فائدة من إعجاب رأسيهما بالتفكير فيه، وفي النهاية أكد أحدهما للآخر أنه لن يحدث لهما أي

(١) كوشوت: بطل وطني مجري.



مكروه وأنهما لا بد أن يلتقيا "هونزا" بعد الحرب، وسوف يتسابقون في السباحة التي ستقرر بشكل نهائي من له الأحقية في العلاقة مع "ماريا".

حين ترك "جابور" وراءه بيوت "اوي تلب" وتمشى باتجاه مشغل الأحذية التابع لعائلة "روناي"، لمح صديقه "بيتر" من بعيد واقفاً أمام باب المشغل وسيكارتته بين أصابعه.

- مرحباً، - حياه "جابور".

وبدلاً من رد التحية سلم "بيتر" صديقه ورقة. مرّ أمر استدعاء "بيتر" من أمام عيني "جابور" مثل البرق. كان على "بيتر" أن يلتحق في "بودابست".

- سحفاً. قال "بيتر" بعصبية وهو يطفىء لفافته على ملصق لوجه جندي أبيض وجهه من تأثير المطر، معلق على السور!

- سحفاً للعاهرة، وافقه "جابور" الذي فكر في ذات الوقت أن "بودابست" بعيدة بما فيه الكفاية، وهذا سيصعب حضوره للقاء "ماريا".

## حادثة عام 1944

بدا العمل في "السخرية الإلزامية" لـ "جابور" أفضل بكثير من توقعاته. إذ تعود بسرعة على شماتة وسخرية المارة أثناء مرورهم في طرقات "ديور" بثيابهم المدنية ذات الزنار الأصفر على الأكمام، وسيداراتهم العسكرية، وهم في طريقهم إلى المكان الذي سيبنون عليه الجسر. لم يُقابلوا بالضحك والسخرية في كل الأوقات لأنهم كانوا يسمعون من حين لآخر من يهمس في آذانهم قائلاً: إن هذه الأوضاع لن تستمر طويلاً، أو كان أحدهم يصرخ هملء حنجرته: ستنتصر الديمقراطية.

حاول الرقيب الأول العجوز "كوفاتش" جاهداً ألا يرى أو يسمع أي شيء من هذا القبيل. هرعت الأرملة "تشانى إيرين" في إحدى المرات مخترقة صفوفهم وهي تحمل بين يديها طبقاً مليئاً بفطائر التفاح.

- يسار، يمين، يسار، يمين، واحد اثنان، واحد اثنان، كان "كوفاتش" يردد، وكان الحفاظ على إيقاع السير كان في تلك اللحظة أحد أهم واجباته.

- زوجها كان جندياً ممتازاً، ضابطاً، وكان قائدي في الثامنة عشرة - شرح الرقيب الأول "كوفاتش" - و"إيرين" تلك هي زوجته الثانية. لقد تزوجا قبل الحرب مباشرة. الصبايا يفقدن عقولهن حين يجدن أمامهن شاباً وسيماً في بزة الضباط حتى لو كان يكبرهن ببضع عشرات من السنين. لقد سقط في السنة الماضية في روسيا. بطلاً بالتأكيد.

- إلى الثكنة، - أنهى الرقيب الأول كلامه. يسار، يمين يسار، يمين، واحد، اثنان...! تحرك جنود السخرة الإجبارية بانتظام وعن طيب خاطر أمام الثكنة كي لا يتسببوا في الإساءة إلى "كوفاتش". كانوا يحبونه لأنهم يعرفون أن لا أحد سواه سيأخذهم إلى بيته ليعملوا في الحديقة، وفي إصلاح السياج الخشبي بدلاً من عملهم المظني في بناء الجسر.

انتهت مهمة "كالاي ميكلوش" مع نهاية عام 1944 بوصفه رئيس مجلس الوزراء، وتسلم مكانه "ستوياي دوم". لم تلاحظ ثكنة العمال أي تغير يذكر ما عدا

أن الطقس بدأ يميل إلى الدفء، كما إن نسائم الربيع بدأت تهب على الوديان الموجودة في أسفل نهر الدانوب، إذ اندفعت إلى هناك جحافل الجيش الألماني. حين كان عمال السخرة في طريق عودتهم إلى الثكنة في بعد ظهيرة يوم مشمس، ومع اقتراب المغيب بعد أن أنجزوا حفر الأساسات التي ستشكل عماد الجسر، تجاوزتهم سيارة خاصة قبل أمتار من وصولهم إلى البيوت الأولى لـ "ديور"، ثم توقفت ليترجل منها ضابطان. أحدهما مجري والآخر ألماني.

- أيها الرقيب الأول، - نادى الضابط بالمجرية على "كوفاتش".

في حين تابع الشباب اليافعون ذوو الشرائط الصفراء سيرهم.

- أوقف هذا القطيع، - أمره الضابط.

حين أعطاهم "كوفاتش" الأمر بالتوقف، تابع الضابط:

- يريد السيد الملازم الأول رؤية ذلك اليهودي الذي يعرضكم للكثير من المتاعب.

لم ينطق "كوفاتش" بكلمة.

- هل أنت أصم؟ أرنا اليهودي الذي يتسبب في المشكلات.

استدار "كوفاتش" وقد أصيب بحالة من الذهول. رمى نظرة سريعة على المجموعة وأشار بعد ذلك بإصبعه إلى وسطها.

أخرج الضابط مسدسه من المحفظة واقترب أكثر. مرر سبابته على شاربيه وكأنه يستعد لقول شيء مهم، أو مضحك.

- هذا هو؟ سأل، وأطلق النار قبل أن يتلقى الجواب.

سقط "يعقوب توماش" بالقرب من قدمي "جabor"، وتحولت عينه اليمنى إلى حفرة تدفق منها دم بلون الكرز الأحمر. أراد "جabor" أن يأخذ نفساً، ولكنه لم يتمكن وشعر أن رتتيه قد امتلأتا بالماء.

- لن أغفر لنفسي أبداً. ارتجفنا هناك مثل الأرانب. كان علينا أن نقفز عليهما ونخنقهما. ربما كانوا سيقتلون أحدنا ولكننا سنستولي على مسدسين ونتفرق في الجوار. سيمسكون بنصفنا ولكن النصف الآخر سينفذ من أيديهم. وبهذين المسدسين يمكننا أن نقتل ألمانيين، وبذلك سيصبح لدينا أربعة مسدسات، بعدها يمكننا أن نلتحق بـ "شاكفاري". إذا تركناهم دون مقاومة سيقتلوننا جميعاً، - همس "جabor" في أذن صديقه الشاب الذي كان يجلس بجانب السرير.

- لن يقتلوا الجميع، الصابرون سيقون على قيد الحياة... أجابه الشاب.

بقي منظر وجه الشاب "يعقوب" بعينه التي نرف منها الدم الكرزى مرسوماً أمام عيني "جابور" عدة أيام، ولكن الصورة بدأت تتلاشى ببطء بعد ذلك، إلا أنه في كل مرة يتذكر فيها ذلك المنظر كان يشعر من جديد بصعوبة في التنفس.

أحيل الرقيب الأول "كوفاتش" في نهاية نيسان إلى التقاعد، وتسلم مكانه الرقيب الأول الطموح "برانيك". أراد ذلك العسكري الشاب أن يستغل ترقبته ليخدم في مؤخرة الجيش، ولكن هل كانت "ديور" منطقة داخلية؟ لا سيما وأن عمال السخرة فيها قد تحولوا إلى ناقلي أنقاض، حين كان الإنكليز والأمريكان يغيرون عليها بطائراتهم بشكل منتظم.. كان العمل الخطر الذي يهدد الجدران المتصدعة بالسقوط، يشكل في ذات الوقت خطراً على كل من يعمل بالقرب منها. لقد فقد الفصيل في الشهر الأول رجلين، إذ سقط على الأول سطح المعمل، وسقط الآخر من الطابق الثاني إلى القبو.

- انبطح! زحف إلى الأمام، - أمرهم الرقيب الأول "برانيك".

انبطح عمال السخرة في طرقات "ديور"، وأصبح هذا المشهد لاقتحام الجردان عمرة أساسية في عروض السيرك الذي برع فيه المروض "برانيك"، وجعل منه تسلية للمارين من سكان المدينة.

- رائع، أنت على "برانيك" سيدة عجوز، ولكي تُعبر أكثر عن سعادتها راحت تصفق.

- أيها الرقيب الأول، نادى عليه الأرملة "تشانى"، - الأمة لن تنسى لك شجاعتك. ابتسم "برانيك" متفاخراً في وجه صبية ذات قوام ممشوق، ولكنه حين ملح تكشيرتها اللامبالية. أدار وجهه، وكز أسنانه.

- وقوف، إلى الأمام، سر، - صرخ.

بالرغم من أن "تشانى إرين" لم تعد تخرج بين عمال السخرة الإلزامية حاملة معها صينيتها المملأى بفتائر التفاح، إلا أنها استمرت في التعبير عن تحافظها معهم، ولكن بوسائل مختلفة. أطلت عليهم في إحدى المرات من النافذة أثناء مرورهم حول فيلتها، ولم يكن على جسدها سوى شلحتها الداخلية ثم رمت إليهم قبلة هوائية. وفي مرة أخرى انتظرتهم أمام البوابة وقالت بصوت مسموع: الأمريكان في طريقهم إلى المدينة. اكتشف أحدهم تفاصيل الخبر بعد أيام - لقد تم إنزال القوات الأمريكية والبريطانية على الشواطئ الفرنسية.

انتظر "جابور" أول فرصة مناسبة. أفضل وقت للهرب كان بعد العشاء حين كان متطوعو السخرة منشغلين في تنظيف وإصلاح بزاتهم، ولا تزال بوابة المبنى

الذي يقيمون فيه مفتوحة. كان يكفي الخروج منها بهدوء والسير بمحاذاة السياج ومن ثم الركض باتجاه الجدار المتصدع في الناحية الجنوبية، حيث يوجد من خلفه شارع وبيت كان قد تضرر بقذيفة من طائرة أمريكية، كانت في الأصل موجهة نحو الثكنة.

حين قاموا بتفريغ المبنى، أخفى "جابور" هناك في الطابق الأرضي عصا النزهة ليتعزز عليها أثناء هروبه، كونه سيتصنع العرج كي لا ينفضح أمره، لا سيما وأن جميع الشباب الذين في سنه يخدمون في الجيش، وهم أصحاب جسدياً. كان أيضاً بحاجة إلى ثياب مدنية تناسب مقاسه من أحد المنازل المدمرة. كانت محطة القطار لا تبعد أكثر من ربع ساعة، وكان بحوزته بعض النقود التي أحضرها معه من البيت. أراد شراء بطاقة سفر في أول قطار. انتهت هناك خطة "جابور" ولكنه مع ذلك لم يتصور الطريقة التي يمكنه فيها الاتصال بـ "بيتر" الذي كان هو الآخر بالتأكيد قد فر من الخدمة، لأنه سبق أن اتخذ قراره بذلك منذ أمد بعيد، حتى قبل أن يتم سَوْفُهُ إلى الجبهة.

لَوْح "روناي بيتر" لكاتب الأركان الذي ظهر بين درفتي باب الحانة، وحين جلس معه، قدّم له "بيتر" لفافة تبغ وسأله:

- هل هناك من جديد يا جرد الأركان؟
- أخبار سرية للغاية، ادفع لي ثمن كأس من النبيذ وستعرف.
- أنتها الساقية، ليتر نبيذ أبيض من فضلك، وكأساً إضافياً.
- حين يحكني لساني أجد نفسي مضطراً إلى إخبار صديقي. أنت ثمل على ما أعتقد ولهذا ستنسى ما سأطعمك عليه.

- ماذا يحدث؟

- سنتحرك نحو الجبهة في أقرب وقت.

- ضد الروس؟

- بالطبع، وماذا كنت تظن، سيرسلوننا إلى إفريقيا؟

- لن أذهب، - هز "بيتر" الطاولة بضربة قوية من معصمه.

- وكيف ستصرف؟ ستختبئ تحت الطاولة؟ - ضحك الكاتب.

- سأشرب حتى الثمالة.

تمكن "جابور" بعد عدة أسابيع من العثور بين أنقاض أحد البيوت على سروال ومعطف مناسبين، لبسهما بسرعة تحت ثيابه.

- ابحت أنت أيضاً عن ثياب، لأنك ستحتاجها حين سيشتد البرد، شرح لأحد جنود السخرة الذي كان ينظر إليه بحذر.

- السرقة تعاقب بالشنق، رد عليه الشاب.

اختلفى "جابور" بعد حلول المساء من بناء الثكنة. تسلق الجدار وأضاع بعض الوقت في البحث عن العصا بين أنقاض البناء المقابل، ولحسن الحظ وجد ما يبحث عنه. سار بحذر باتجاه محطة القطار، وحسب ساعة البرج الموجودة في الثكنة بقي ساعة كاملة لبدء التفقد المسائي. كانت شوارع "ديور" فارغة من المارة ومع ذلك كانت أصوات أمسيات الصيف تنبعث من نوافذ البيوت المشرعة. أصوات الملاعق وهي تغرف من الصحون، بكاء الأطفال، قهقهات النساء، حوارات كبار السن، وألحان الهارمونيكا.

أدرك "جابور" أنه يتمشى بخطوات سريعة حين اقترب من المحطة. نظر من حوله بحذر، وحين دخل إلى مبنى المحطة راح يعرج بشكل لافت للنظر على قدمه اليسرى ويتعكز على العصا.

- تذكرة واحدة، - قال عند نافذة بيع التذاكر.

- ولكن إلى أين؟ ضحك المحاسب.

- بالتأكيد في أقرب قطار، - افتعل "جابور" الضحك أيضاً.

- إلى بودابست؟

- بالطبع.

كان موعد مغادرة القطار بعد ثلاثة أرباع الساعة. تمشى "جابور" وهو يعرج إلى رصيف المحطة. ثم جلس هناك على أحد المقاعد. أحس بألم شديد في أحشائه. ضغط بيده على بطنه الذي كان التشنج يزداد فيه أكثر فأكثر.

تطلع من حوله على الرصيف فلم يجد هناك سوى سيدتين متقدمتين في السن تحملان سلات مربوطة بحبال. لمج في نهاية الرصيف بزات عسكرية. إنها دورية من الشرطة العسكرية. خطر بباله الهرب، ولكنه تمكن بسرعة من السيطرة على خوفه، وكي يشغل نفسه بدأ يتأوه ويتصنع الألم في قدمه. أسند العصا إلى طرف المقععد وراح يمسد ركبته من فوق سرواله.

حضر مسافر آخر إلى الرصيف. رجل في منتصف العمر يحمل حقيبة كبيرة. تذكر "جابور" في تلك اللحظة فقط أن كل مسافر لابد أن يحمل معه حقيبة سفر، وهو المسافر الوحيد بيدين فارغتين. ألن يصبح موضع شك عند الدورية؟ ارتأى أنه

«يهلون من الأفضل لو غادر الرصيف في الحال وعاد إليه قبل مغادرة القطار بالليل. تعتمد النهوض من مكانه في لحظة وصول مسافر آخر، كون الجنود سيركزون أنظارهم على المسافرين الجديد، ولن يولوه أهمية.

حضر في النهاية أحدهم. نهض "جابور" ثم عَرَج محتماً بالمسافر الجديد الذي كان جندياً ألمانياً. تعرف "جابور" على ذلك الضابط الذي ظهر شارباً الأبقران من تحت قبعته العسكرية. إنه الضابط الذي أُطلق النار على "توماش يعقوب".

لو لم تكن العكازة مع "جابور" لكان سقط على الأرض بالتأكيد. لقد اصطكت أسنانه من شدة خوفه. تصور من جديد أن رثتيه مغمورتان بالماء، وحين حاول إدخال قليل من الهواء إليهما أحس بأنه استنشق الماء من جديد. تمكن في النهاية من رفع قدمه من مكانها والسير باتجاه مبنى المحطة، حتى إنه لم يكن بحاجة ليتظاهر بالعرج. ساعدي يا رب، ساعدي يا رب... كان يردد في قرارة نفسه.

تمكن بصعوبة كبيرة من الوصول إلى سجاج المحطة الأمامي. أنزل سرواله بسرعة وفي الحال تدفق بوله. كان كثيفاً ذا رائحة نتنة.

عاد أدراجه إلى المدينة. لم يجد في نفسه الشجاعة ليعود إلى المحطة من جديد مع وجود ذلك الألماني هناك. لابد أن يفتضح أمره، لأن أي حركة سيقوم بها يمكنها أن تلفت انتباه الضابط، ومن ثم انتباه دورية التفتيش المجرية، إذ يمكن لأي عسكري أن يتعرف عليه بسهولة. إنهم نزلاء ثكنة واحدة. لابد له من العودة إلى الثكنة... فكر "جابور" ملياً، ولكن الوقت كان قد تأخر، ولن يصل إلى هناك قبل موعد التفقد المسائي.

كان في المدينة إنسان واحد، تمنى "جابور" أن يحصل على مساعدته. إنها "تشانى إيرين" التي لم يصدق أن تحدث إليها من قبل، ولكنه عرف من خلال حديث "كوفاتش" أنها تعيش وحيدة في منزلها.

لحسن الحظ، كان الضوء لا يزال ينبعث من خلال نافذة إحدى غرف بيتها. فكر "جابور" بالانتظار ريثما ينطفئ الضوء، ولكنه خاف أن تأوي المرأة إلى النوم قبل ذلك. دار حول البيت، وقفز من فوق السياج.

قرع على الباب، وانتظر، ولكنه لم يسمع أي جواب. كان الهدوء يخيم على البيت.

قرع الباب بقوة أكثر، وقرر في حال عدم فتح "تشانى" أن ينتظر في الحديقة. كان الجو حاراً. وجد في الحديقة مقعداً يمكنه أن يستلقي عليه.

قرع الباب للمرة الثالثة ولكن بهدوء، وفي تلك اللحظة سمع من الداخل صوتاً  
أثوياً يسأل: من الطارق.

- صديق، - رد "جabor".

ردت عليه المرأة بأنه ليس لديها أصدقاء في هذه المدينة.

- عامل من الثكنة، - همس "جabor".

سُمع صوت إدخال المفتاح في قفل الباب. فُتح الباب الذي ظهر فيه وجه  
السيدة "إيرين".

- يا سيدتي الحبيبة، - همس "جabor"، - إذا لم تؤيني فلن أعيش إلى الصباح.

فتحت "إيرين" الباب على مصراعيه ودخل "جabor" بسرعة إلى البيت.

تفحصت الأرملة "جabor" وهي تبتمس.

- هربت؟

- نعم.

- إلى أين تريد الذهاب؟

- لا أعرف.

- حسناً.

- لا تخافي، لن أبقى عندكم، سأنتظر وسأغادر مع إشراقة الصباح.

- فوي... إن رائحتك نتنة. وبنطالك ملوث بالخراء. اخلعه في الحال. سأجهز لك  
الحمام.

جلس "جabor" على الكرسي الطويل، وراح يتذوق البيض مع اللحم المدخن  
والخردل. كان يرتدي معطف الحمام الأحمر الداكن من مخلفات زوجها المرحوم  
الذي مات ميتة بطولية في روسيا.

جلست "إيرين" أمامه على المقعد ويدها قنح من الليكور وراحت تراقبه  
مبتسمة، في حين فاحت من حولها رائحة عطر نسائي جعل "جabor" يشعر بدوار  
في رأسه. كان نظره ينزلق من حين إلى آخر على ساقى السيدة التي عرتهما بجرأة  
تحت معطف نومها.

حين انتهى "جabor" من الأكل، نهضت "إيرين" من مكانها.

- هل تشتهي شيئاً آخر؟ سألته وهي تنحني أمامه كي تتناول الصحن الفارغ.

أراد "جabor" أن يعبر عن امتنانه، ولكنه أحس في تلك اللحظة اقتراب ثدي كبير  
مرصع بحلمة وردية بارزة من وجهه. دفعت "إيرين" في الحال حلمة ثديها بقوة  
في فمه المشرع ثم كبست صدرها.



أحس "جابور" فجأة بضيق في الشهيق. امتلأ فمه بلعاب كثيف تعذر عليه بلعه. بدأ يخرق. حرر رأسه من السجن، ولكن "إيرين" لم تنتظر طويلاً وفي الحال دفعت ثديها الثاني إلى فمه المشرع. سوف أغرق في ثديها... حدث جابور نفسه. بدأت بوادر النعاس اللذيذ تغزو عيني "جابور". لم يعرف ما سيكون بانتظاره، ومع ذلك انتهى ذلك اليوم بالرغم من كل شيء بشكل رائع. بداية هرب من السخرة الإجبارية، وبعد ذلك تعرف على معنى مضاجعة المرأة، وكرر ذلك ثلاث مرات. كانت أمسية تستحق الهرب. لقد سمع وهو نصف نائم كيف كانت "إيرين" تضحك من شدة فرحها لأن السرير بأكمله قد تدبّق بالحيوانات المنوية. فجأة سمع بعد ذلك من مكان قريب صوت ضربات معدنية ثقابة. صرخ "جابور" ووقف من السرير.

- لا تخف، إنها ضربات الساعة. إنها تعلن عن منتصف الليل. - هدأته "إيرين".  
- إنه إذاً الأول من سبتمبر عام 1944، قال "جابور" وابتسم.  
استيقظ "جابور" على مداعبة يد إيرين لقضيبه.  
- استيقظ.

- نعم، لقد استيقظت.

- استيقظت أنت، ولكن هذا لا يزال نائماً.

أقفلت "إيرين" باب الغرفة الصغيرة المحاذية لغرفة نومها على "جابور" الذي أخذ يراقب بحذر الخادمة عبر ثقب قفل الباب وهي تبدل بياضات السرير. لمح الصبية وهي تشتم إحدى البقع الصفراء الشاحبة الموجودة على غطاء السرير وعلى اللحاف كما سمعها أيضاً وهي تندد بالإثم. فُتح الباب في الظهيرة، ووقفت "إيرين" بين درفتيه وبيدها حقيبة ملأى بالطعام. كان على "جابور" في البداية أن يسرع إلى التواليت.

- يا مسكيني، - ضحكت "إيرين"، - سوف أجهز لك مبولة أطفال.

وقفت "إيرين" خلف "جابور" الذي كان يتلمظ، وراحت تخرمشه من رقبتة بأظافرها المطلية باللون الأحمر القاني.

- تعال وضاجعني، ستكمل الأكل بعد ذلك، - همست في أذنه.

أكمل "جابور" أكل لحم البَط البارد بعد نصف ساعة.

- ستحضر الخادمة في الغد الواقي الذكري. بعد عدة أيام ستحولني إلى امرأة

حبلى، يا مدمر حياتي، - قالت له "إيرين".

- بعد عدة أيام؟ رفع "جabor" رأسه عن الصحن مستغرباً. - ستمسحين لي  
البقاء عدة أيام؟  
- يمكنك البقاء كما تحب، ويمكنك أن تصبح سيد البيت إذا أردت، - ردت عليه  
وهي تضحك.

سمعا في المساء إذاعة لندن، وإلى أن تمكنا من ضبط الصوت كانت الأخبار قد  
بدأت. قال المذيع إن ألمانيا النازية تلقت ضربة جديدة في أوروبا. أوقف الجنود  
السلوفاك قطاراً كان على متنه وفد عسكري ألماني، وتمكنوا من أسر وقتل جنرالين  
وعدد من الضباط. تسلم الجيش السلوفافي من كولونيل الأركان العامة أمراً بمقاتلة  
الألمان. أصبحت سلوفاكيا طرفاً في التحالف المضاد لهتلر. دعا المذيع بعد ذلك  
جميع سكان المجر لمقاومة الألمان.

- سأنضم إلى الانتفاضة السلوفاكية، - صرخ "جabor" بسعادة كبيرة.  
- لا تفعل ذلك، لا أريدك أن تصاب بمكروه، - لوحت "إيرين" بإصبعها أمام  
عينيه.

أمسكت بعد ذلك نديها العامرين بكلتا يديها وقالت:  
- هنا ستكون ساحة قتالك، وهنا عليك أن تنزف حتى آخر نقطة من دمك.  
طوقها جabor من خصرها وبدأت المعركة.

تصارع "جabor" مع جسد "إيرين" طوال شهر آب وحتى نهاية النصف الأول  
من أيلول، واستحق بذلك عدة ميداليات لثباته وبطولته وقسوته. ومع ذلك لم  
تعب عن باله طوال الوقت الانتفاضة الجارية في سلوفاكيا. أعلن راديو لندن في  
البداية أن الجيش السلوفافي يقاوم الألمان ببسالة، ولكن الأخبار أخذت تتضاءل  
شيئاً فشيئاً. توقع "جabor" أن الأراضي المحررة الموجودة في محيط "بانسكا  
بيستريتسي" سوف تنقل بالتدريج، ولكنه لم يكن على علم بحقيقة الأوضاع. حتى  
إن لندن كانت تنشر دعايات حربية.

أمضى "جabor" طوال هذه المدة سجيناً في تلك الغرفة الصغيرة المحاذية لغرفة  
نوم الأرملة. لقد أدخل كل صوت في البيت الرعب إلى قلبه.. لم يحضر أحد لزيارة  
"إيرين"، وكانت الخادمة الإنسانية الوحيدة التي تدخل بيتها. كان "جabor" يتابع  
تحركاتها من خلال ثقب المفتاح ويراها وهي تمسح الغبار أو تكنس الأرض، أو  
تبدل بياضات السرير. حين سحبت عن السرير ذلك الغطاء المبقع، همست بعض  
الكلمات. ظن "جabor" أنها لا تعرف شيئاً عن وجوده في تلك الغرفة.

أحس "جabor" في أحد الأيام بحركة في مفتاح الغرفة التي يختبئ فيها، وفجأة وجد نفسه وجهاً لوجه أمام الخادمة. أسندت يديها على خصرها وقاسته من رأسه حتى أخمص قدميه وهي تبتسم.

- لا تخف أيها الشاب، - قالت وهي تضحك. - أعرف بوجودك هنا منذ مدة طويلة.

- ماذا تقولين؟

- لا داعي لتخفيك بعد الآن. لقد أذاع "هورتي" خبر استسلامه في الإذاعة، ودعا الشعب لمقاتلة الألمان.

- وماذا عن "إيرين"؟ سألتها "جabor" بصوت متقطع.

- ذهبت إلى المدينة لتحرى الأوضاع.

- هل طلبت منك إخراجي؟

- وكيف لها أن تطلب مني هذا الطلب. إنها ستمسك بك حتى أعياد الميلاد.

- وماذا عن هذا المفتاح؟

- لاحظت أنها تخفيه في المزهريّة الموجودة في الحجرة السفلية، وحين منعنتني من الدخول إلى هذه الغرفة خطر ببالي أنها تخفي أحداً فيها. كنت فضولية، ورغبت في التعرف إليك.

استمرت الصبية في تفحص "جabor".

- سوف تغضب "إيرين" لأنك فتحت لي الباب.

- لقد سجنتك هنا مثل العبد، أو مثل ثور أصيل، - أجابته وضحكت.

- تظنين أن بإمكانك الخروج إلى الشارع؟

- بكل راحة، يمكنك الذهاب إلى أي مكان تريده. لن يزعجك أحد بعد الآن.

لم يتردد "جabor" طويلاً. قرر العودة إلى بيته. ساعدته الخادمة في اختيار بعض الأشياء من ملابس زوج "إيرين": معطف، وقبعة، وبنطال. كانت الأحذية بمجمّلها صغيرة، ولكنه بعد عدة محاولات تمكن من إدخال قدميه في إحداها. كان مجبراً على إبقاء أصابعه مطوية. دس في جيبيه ما تبقى معه من نقود الأول من سبتمبر.

- كان عليّ انتظارها وتوديعها. أنقذت حياتي، قال وهو يقف على عتبة الباب.

- لقد حولتك إلى مومس، - ردت عليه الخادمة بغضب. - بإمكانك العودة بعد

الحرب وشكرها على فعلتها.

- وماذا أنت فاعلة؟ سألتها "جabor".

- انظر، - أخرجت الصبية من جيبها كومة من المجوهرات، - إذا سرحنتني سأستولي على المجوهرات.

تناول "جabor" من كفتها خاتماً ذهبياً وغادر بسرعة باتجاه بوابة الفيلا. اغفر لي يا ربي سرقتي لتلك المرأة التي أنقذت حياتي. كرر "جabor" طوال طريقه إلى المحطة. لم يشغل باله بالطريقة التي سيصل فيها إلى أهله، ولكن بالطريقة التي تصرف فيها مع "إيرين" فحسب. أخذ وعداً على نفسه بالعودة لزيارتها مباشرة بعد الحرب، وطلب منها السماح منها وإعادة بعض المال إليها، وبينما كان يفكر في خيائته وجد نفسه أمام المحطة بين مجموعة من الناس الذين كانوا يتناقشون بحيوية فيما بينهم.

- لا يمكن أن يعم السلام لأن الألمان لا يزالون هنا، - أكد رجل عجوز. توقف القطار الذي سافر فيه "جabor" في مكان بعيد عن المحطة الموجودة في مدينة "ersekuvari" لأن السكة مع المحطة قد تهدمتا بفعل الغارات الجوية التي حدثت منذ وقت قصير. أخبرهم مراقب القطار بضرورة مغادرة القطار والدوران سيراً على الأقدام حول المحطة كي يتمكنوا من ركوب القطار الواقف بانتظارهم هناك - يوجد قطار ينتظر في الطرف الآخر، وسوف يتحرك بعد ساعتين أو ثلاث ساعات.

لاحظ "جabor" حين كان يعرج في سيره بسبب حذائه الضيق حول المحطة عدم وجود أي أثر للجنود أو الدرك فيها. لا بد أن محطة الإذاعة المحلية قد لعبت دوراً كبيراً في هذا المجال، وهذا الأمر جعله يشعر بالقوة ومن ثم جعله يقرر الدخول إلى المدينة. وكما هو الحال في "ديور"، تجمع الناس هنا أيضاً في مجموعات وراحوا يتدارسون الأوضاع. سألتهم "جabor" عن مكان ورشة الإسكافي. وجهوه إلى أحد الشوارع.

كانت الورشة مغلقة بالطبع، وبعد قرع طويل على النافذة أطل منها وجه نسائي. أخبرته زوجة الإسكافي أن زوجها ذهب إلى المدينة، و أن عليه الانتظار. شرح لها "جabor" أنه على عجلة من أمره وأنه سيدفع بسخاء. رفعت المرأة حاجبها بفصول، وبعد لحظات سمع صوت وضع المفتاح في القفل.

أخبرها "جabor" بأنه يحتاج إلى حذاء شتوي دافئ. عرضت عليه المرأة زوجين مستعملين. جربهما. أحدهما كان مناسباً، وحين أخبرته زوجة الإسكافي عن السعر أخرج "جabor" النقود من جيب سرواله، ولكنه اكتشف أن ما يملكه من النقود لا

يكفي، لذا عرض عليها حذاءه الراقى إضافة إلى المال، ولكن زوجة الإسكافي رفضت اقتراحه من أصله. هنا تذكر "جابور" خاتم "إيرين" الذهبي. دسه في كف المرأة واختفى بسرعة، وخوفاً من أن يفوته القطار هرع مسرعاً باتجاه المحطة.

عمت المحطة أجواء من الفوضى، وتبين له بعد ذلك أن ما أعلنه مراقب القطار عند الظهيرة كان مجرد تخريف. وبالرغم من أن الساعة قاربت الثامنة إلا أن القطار بقي واقفاً في مكانه بالقرب من المحطة. كان المسافرون أثناء ذلك قد أكلوا كل ما في جعبهم من طعام، وأفرغوا زجاجات القهوة السوداء والشاي. كانوا في البداية يمدون رؤوسهم من النوافذ ويسألون موظفي السكة الحديدية عن موعد مغادرة القطار، إلا أنهم في نهاية الأمر وصلوا إلى حالة شديدة من الإعياء، وهذا جعلهم يغفون في الأجواء الباردة لعربة القطار.

- Nyilasi رجال "نيلاشي"، - قال فلاح عجوز، كان يجلس مقابل "جابور".

ارتعب "جابور"، وألقى نظرة من النافذة تمكن من خلالها تمييز مجموعة من الرجال. اثنان منهما كانا يرتديان ثياب الدرك، والثلاثة الباقون كانوا مدنيين. كانوا جميعهم يضعون على أكمامهم ربطات رسم عليها صليب شجري. نهض "جابور" بسرعة، ولكنه ما لبث أن جلس في مكانه من جديد.

- اخرج ذراعك من الكم ودسه بين أزرار معطفك، وبذلك ستبدو مثل مصاب قطعت يده في الحرب، وتظاهز بالنوم، - نصحه الفلاح العجوز بهدوء.

تذكر "جابور" العصا التي كان يعكز عليها حين وصل إلى بيت "إيرين". ما أوجه إليها الآن. نظر "جابور" من خلال عينيه شبه المغمضتين إلى عناصر نيلاشي nyilasi الذين كانوا يتمشون في عربة القطار. كان أولهم يضيء وجوه المسافرين بمصباح البطارية، وحين يشكون في أمر أحدهم كانوا يطلبون أوراقه الثبوتية. حين وصلوا إلى المكان الذي جلس فيه "جابور"، هزه أحد عنصرى الدرك من كتفه. تصنع "جابور" أنه يصحو من نومه.

- دعوه وشأنه، ماذا تريدون منه؟ ألا ترون إنه مصاب بالحرب؟ قال لهم الفلاح العجوز بغضب.

- إننا مثله نخدم الوطن، - رد عليه المدني ذو الحزام الذي رسم عليه الصليب ثم تابعت المجموعة بعد ذلك طريقها.

- فليعوض عليك الرب باكثير من ذلك. وشوش "جابور" الفلاح العجوز.

بقي القطار في مكانه حتى الصباح، وحين أصبحت الرؤيا ممكنة بدأت حشود المسافرين الجدد بالوصول. أحدهم جلس بجانب "جابور" وقال بفرح إن "هورتي" قد سحب في الراديو قراره بالاستسلام. المجر لا تزال حليفة ألمانيا وهي تقاتل ضد الروس.

اهتزت العرببة وتحرك القطار في النهاية. أخرج الفلاح العجوز من جيبه قطعة سحقي وقطعة خبز يابسة. عرض على "جابور" مشاركته في حين جلس الثالث يراقبهما بحسد.

حين لمح "جابور" من بعيد البيوت الأولى الموجودة في أطراف "ناجيسوراني"، قال لرفاقه في الرحلة أن عليه التحرك قليلاً، لأن كتفه المصابة بدأت تؤلمه بسبب الجلوس الطويل في وضعية واحدة. أوما العجوز إثر ذلك برأسه وطلب من "جابور" توخي الحذر كي لا يقع. ابتسم "جابور".

خاف من القفز. وقف على الدرجة الأخيرة من سلم القطار، وألقى نظرة على المحطة التي اقترب منها القطار. لمح دورية المراقبة من أصحاب الصليب الشجري. بالتأكيد لن يفلت من قبضتهم كما حدث ليلة البارحة. قفز في النهاية.

دار دورة كبيرة حول المدينة كي يتجنب الدخول إليها، لأنه خطط في الأصل متابعة طريقه من "ناجيسوراني" إلى "لفا" سراً على الأقدام، ظناً منه أن تلك ستكون أسلم طريقة. سيمشى بمحاذاة الطريق وفور سماعه صوت سيارة أو ناقلة سيتخبي في الخندق أو خلف السياج المحيط بالطريق. سينام في الحظائر الموجودة خلف البيوت. سيتحمل الجوع إلى حين وصوله في مساء الغد إلى البيت.

تفادى "جابور" المرور من خمس أو ست قرى، حتى إنه اندهش من تحمله السير طوال هذه المدة، ونسيانه الجوع، وألم قدميه بسبب ضيق حذائه في السابق. لقد وجد أموره تسير حسب الخطة المرسومة. لمح من بعيد مع حلول الظلام سطوح "بيشيان". هبط بعد ذلك من مرتفعات "هرادسكا" باتجاه الحقول القريبة، وحين وجد كومة من القش تكفيه لينام عليها، جهز لنفسه فيها حفرة ثم دخل فيها وشعر في الحال بالدفاء، نام ملء جفونه.

استيقظ على أصوات ضجيج سيارات. خرج بحذر من كومة القش وراح يراقب الطريق. كانت هناك بضع سيارات نقل عسكرية خضراء في طريقها إلى القرية بمرافقة سيارة إسعاف تابعة للصليب الأحمر.

وصل "جابور" بعد الغروب إلى مسقط رأسه. كان عليه هنا توخي الحذر لأن الجميع يعرفونه. لحسن الحظ كان حي "أوي تلب" في طرف المدينة، وكان بإمكانه الوصول إلى هناك دون أن يلتقي أحداً في طريقه.

لمح ضوءاً خفيفاً ينبعث من نافذة البيت. ألقى "جابور" نظرة قبل أن يقرع الباب كي يتأكد من وجود والديه وحدهما في البيت، ولدهشته لم يلمح أمه وأباه خلف الطاولة، بل وجد هناك رجلاً أصلح الرأس يضع لفاقة تبغ في فمه، في حين وقفت امرأة بجديلة طويلة لم يرها من قبل بالقرب من المدفاة. إن عائلة "روزنبرغ" إذ لا تسكن الآن في "أوي تلب". تمنى "جابور" أن يعرف عنوان إقامتهما من عائلة "بيتر".

- أحدهم يقرع الباب، هل تسمع؟ هزت السيدة "رونايوا" كتف زوجها.

جلس السيد "روناي" في سريره وراح ينتظر. سادت حالة من الصمت.

- ربما تحلمين. قال لها بعد لحظات.

- لا أحلم. سأفتح، وماذا لو كان "بيتر"؟

نهض السيد "روناي"، ولبس البرنس فوق البيجاما ثم سار باتجاه الباب ولكنه لم يشعل النور.

- هل قرع أحد الباب؟ سأل.

سمع في تلك اللحظة نقرأ خفيفاً على الباب.

- من الطارق؟

- جابور روزنبرغ.

- يا إلهي.

فتح السيد "روناي" الباب وسحب صديق ابنه بسرعة إلى الداخل، ثم أشار إليه واضعاً إصبعه على فمه بالتزام الهدوء. فتح بعد ذلك الباب بحذر وخرج إلى الرواق.

حين عاد إلى البيت همس سائلاً "جابور".

- أعتقد بأن أحداً لم يرك. الهدوء في كل مكان.

حضرت في تلك اللحظة السيدة "روناي" إلى المعبر المعتم.

- من كان الطارق؟ سألت.

- إنه "جابور روزنبرغ"، - همس السيد "روناي".

- ولدي، صرخت السيدة "روناي" ثم عانقت "جabor"، - أنت لا تزال على قيد الحياة؟

- اصمتي، وهيا بنا إلى الغرفة، قال لهما السيد "روناي".  
وضعت السيدة "رونايوفا" أمام "جabor" صحناً يحتوي على قطعة خبز، وبيضة مسلوقة إضافة إلى فنجان حليب.  
- هذا فقط على الماشي، يا "جabor"، هيا، كل، قالت له معذرة عن الوليمة الفقيرة.

لم يكن "جabor" قد تناول الطعام منذ يومين. التهم الخبز بسرعة البرق، وحين أكل ما يقارب نصفه قال بضم مليء:  
- شكراً.

مدت السيدة "رونايوفا" يدها ومسدت شعره، ثم مسحت دموعها المتوقفة في زاوية عينيها براحة كفها.

- أين يسكن أهلي الآن؟ سأل "جabor" بعد أن انتهى من الأكل.  
- لا أحد يعرف.

- وكيف لا أحد يعرف؟ صرخ "جabor" مستغرباً الجواب، ولكنه حين ملح نظرات الخوف على وجهيهما، وضع يده على فمه، وكأنه يحاول إرجاع صرخته إلى فمه.  
نظرت السيدة "رونايوفا" في وجه زوجها محاولة أن تجد عنده ما يساعدها على الكلام.

- لقد غادرا، - أجابه السيد "روناي"، - لقد قاموا في الربيع بترحيل جميع اليهود.

- إلى أين؟ سأله "جabor".

- وضعوهم في القطار ونقلوهم، ولا أحد يعرف إلى أين. حتى إن الدرك لا يعرفون. لقد حاولت الدوائر الرسمية أن تخلق أجوبة غبية، ولكن لا أحد يصدق.  
- هكذا إذًا، لقد كانوا محقين، تنهد "جabor" بعد لحظات. - لقد تحدث البعض عن العمل الإجباري وأخبرونا أنهم ينقلون اليهود، ولكن هذا بدا لنا أمراً غير معقول. كيف يمكنهم نقل جميع اليهود؟ من جميع المدن والقرى. لكي يقوموا بهذا العمل فإنهم يحتاجون إلى عدد كبير من القطارات وعناصر الدرك. أين سيضعونهم؟ وأين يوجد ذلك العدد الكافي من البيوت لإيوائهم؟

- كل هذا من ترتيب الألمان على ما أعتقد، شرح السيد "روناي".



- إننا نصلي لأجل والديك كل مساء ونصلي لأجلك أيضاً، - أضافت السيدة "رونايوفا".

أوما "جابور" برأسه.

- وهل أخذوا أختي "دوريكا" أيضاً؟

- لا نعرف. لم نرها منذ مدة طويلة، - أجابه السيد "روناي".

- وماذا عن "بيتر"؟ سألهما "جابور" بعد لحظات.

تبادل الزوجان نظرات حذرة. فكرا فيما سيقولانه.

- لا يزال حياً، - رد السيد "روناي" وهو يبتسم، وأضاف: هذا مهم.

- أتمنى ألا يكون في الجبهة، - قال "جابور".

- إنك تعرفه حق المعرفة، - ابتسم السيد "روناي" من جديد ولكنه توقف بعد

ذلك وأحس بشيء من الخجل لأنه يبتسم، وظهرت على جبينه من جديد بعض

التجاعيد، وسأل:

- وما هي مشاريعك؟

- أردت الاختفاء عن الأنظار عند أهلي في "أوي تلب".

أغلق "جابور" المنهك عينيه ونام في تلك اللحظة على الطاولة. كانت الأحلام

تتطاير في رأسه مثل عصفير خائفة. جلس في القطار، وأكل السجق مع الفلاح

العجوز. جاءت بعد ذلك والدته وجلست بجانبه وراحت تؤنبه قائلة بأن السجق

ليس كوشر<sup>66</sup>، وفي تلك اللحظة تبدل وجه الفلاح العجوز ذو الشارين في وجه

الضابط الألماني ذي الشارين. أمسك قطعة السجق في يده ولكنه أدارها نحو والدة

"جابور" وأطلق عليها النار.

أحدهم أمسك بيد "جابور" وراح يهزه. انتفض وفتح عينيه. اليد التي هزته

كانت لرجل يرتدي لباساً عسكرياً وضع حول كفه شريطة رسم عليها صليب

شجري. صرخ "جابور" وحاول التملص.

- هدوء! لا تخف، - جاءه من خلفه صوت السيدة "رونايوفا".

فتح "جابور" عينيه بأكبر قدر ممكن وألقى نظرة من حوله. أحنى والد "ماريا"

الذي كان يرتدي زي مجموعة نيلاشي "nyilas" رأسه إليه.

- مرحباً "جابور"، - قال له السيد "بيلاي". الوقت ليس ملائماً الآن للشرح. لا

يمكنك البقاء عند عائلة "روناي" ولو لحظة. سوف أنقلك إلى بيتي. لا تزال الدنيا

<sup>66</sup> كوشر: cosher (تعبير عن الأكل النظيف عند اليهود).

معتمة في الخارج. سوف أمشي أمامك وأراقب الطريق ولكن إياك أن تقترب مني كي لا يرانا أحد معاً. إذا رأيت أحدهم سوف أصرخ عليه وبذلك سيكون لديك الوقت لتتخفى، وإذا لم تتوفق في ذلك وقبضوا عليك فلا تخبرهم أنك كنت عند عائلة "روناي"، ولا تذكر اسمهم أبداً، ولكن لا تخف سوف ننجح!

كانت المدينة مع إطلالة الصباح خائبة من الناس. تصور "جابور" أن لا شيء أسهل من قطع عدة شوارع والوصول إلى البيت الصغير الذي تسكن فيه عائلة "بيلاي". كان كل شيء معتماً وفارغاً، وكانت البيوت تلقي بظلالها السوداء، وهي التي كانت في يوم من الأيام تبث الرعب في قلب "جابور"، ولكنها بدت له الآن وكأنها بيوت حلفائه. حين مر بجانب العمارات التي كانت في السابق مصانع السكر التابعة لعائلة "تاوبر" حيث كانت تعمل والدته انتبه إلى وجود كتابات على الفترينة "cukorka- cukrasdza- Nemeth Pal- nemeth janos".

حليوات - سكريات - نيمت بال ونيمت يانوش

حين وصل السيد "بيلاي" إلى بيته فتح الباب ودخل وتركه مفتوحاً. دخل "جابور" خلفه وحين أصبح في الداخل أغلق السيد "بيلاي" الباب بهدوء. - لا تخلع ثيابك لأنك سوف تنزل إلى القبو. الجو هناك بارد - قال له السيد "بيلاي".

نزل "جابور" إلى القبو مستخدماً السلم. كانت هناك شمعة تضيء الغرفة الصغيرة ومع ذلك لم يتمكن من رؤية أي شيء. وقف "جابور" على الأرض القرميدية.

- أيها المتأنق، سمع صوتاً من خلفه.

تعرف "جابور" على صاحب الصوت في الحال. استدار وحضن "بيتر".

- هربت؟ سأله "جابور".

- بالتأكيد! - ابتسم "بيتر". - لقد أكدت لك قبل سنة بأي لن أقاتل من أجل

"هورتي"، وبالتحديد لن أقاتل ضد الاتحاد السوفيتي؟!

تخفى "بيتر" مع "جابور" عند عائلة "بيلاي" حتى أعياد الميلاد. كانت "ماريا" أثناء ذلك تحمل إليهما الطعام. بدت لـ "جابور" أجمل بكثير مما كانت عليه في السابق ومع ذلك لم يتمكن في البداية من النظر في عينيها. كان يشعر بخجل كبير من الذنب الذي اقترفه مع "إيرين تشانبي"، وأثناء كل نظرة عابرة إلى وجه "ماريا" وإلى جسمها الفتى كان يشعر برغبة جامحة في مضاجعتها كما فعل مع "إيرين".

لقد تعود على ممارسة الجنس بكثرة وبشكل منتظم، وكان من الصعب عليه نسيان ذلك في حين كانت أجهزته تعمل بشكل جيد ودون توقف. امتلأ سرواله الداخلي في اليوم الثاني مباشرة بما قذفه جسده من الحيوانات المنوية.

أصعب الأمور عند "جabor" كان رؤيته ذلك التقارب الكبير الذي حصل خلال تلك الشهور بين "ماريا" و"بيتر". كانا يتفاهمان من خلال تعابير وجهيهما التي لم يفهمها هو، وكانا يبتسمان للتلميحات التي كانت عنده نوعاً من الطلاسم. كانت "ماريا" تتحدث مع "بيتر" بالمجرية وذلك بالرغم من أن المحادثة كانت تجري عادة في عائلة "بيلاي" باللغة السلوفاكية. لقد أحس "جabor" بأنه متطفل.

عرف "جabor" مباشرة منذ اليوم الأول أن الأخ الأصغر لـ "ماريا" قد مات في الخريف السابق بسبب التهاب الزائدة الدودية. لقد اشتكى من ألم في بطنه يوماً واحداً وفي اليوم الذي يليه بدأ يتقيأ، وفي اليوم الثالث أصيب في المشفى بغيبوبة لم يفق منها.

لقد فر "بيتر" من الجيش في نيسان حين تناقل الجنود فيما بينهم حديثاً فهم منه أنهم سوف ينقلون إلى الجبهة الشرقية. أخذ إجازة طويلة في يوم الأحد وذهب ليقابل شاباً كان قد تفاهم معه في السابق على بيعه ثيابه وأوراقه الرسمية. ركب بعد ذلك في أول قطار متجه إلى الشمال وعلى الرغم من أنه التقى في القطار العديد من أهالي "لفتسي" إلا أنه لم يول الأمر أهمية تذكر لأنه لم يكن ذاهباً في الأصل إلى بيته. أنتظر "بيتر" حلول الليل وقرع بعد ذلك باب بيت الخياط العجوز "كوبردا" الذي كان من شيوعيين ما قبل الحرب، وكان "بيتر" متأكداً من مساعدته. لم يخب ظنه. رافقه "كوبردا" إلى عائلة "بيلاي". كان السيد "بيلاي" هو الآخر شيوعياً، وكان قد تلقى أمراً من حزبه بعد تحكيم "فيننا" بأن ينضم إلى صفوف حزب nyilaskeresztes الهنغاري. كان الشيوعيون يحصلون عن طريقه على معلومات تتعلق بمشاريع فرق الصلبان ذوي الأغصان البرية، وإضافة إلى ذلك كان يحاول الحصول على بعض الأسلحة. شاهد "جabor" مسدساً وثلاث قنابل يدوية كان "بيتر" أخفاها في كيس بين كومة البطاطا.

- لماذا لم تجتز الحدود وتنضم إلى الثوار السلوفاك؟ سأله "جabor".

- لقد وجد السيد "بيلاي" أنه من الأفضل لو بقيت عندهم لأن الحزب

الشيوعي سوف يحتاجني هنا حياً بعد الحرب.

- وربما بقيت هنا كي تكون إلى جانب "ماريا". قال له "جابور" ولم يُخفِ ابتسامته.

دور "بيتر" رأسه إلى اليمين وإلى اليسار وقال:

- ليس لهذا السبب فحسب. لقد أعطاني السيد "بيلايي" بعض الكتب التي قمت بدراستها وفهمت منها سبب كل هذا الظلم الذي نعيشه. التوزيع غير العادل للثروات. بعضهم يكدح ويعمل مثل الحمار والآخرين يجنون المكاسب. إن الفاشية هي إحدى البراعم الموجودة على جسم الرأسمالية. حين خافت القوى الرأسمالية بعد الحرب الكونية الأولى من زيادة تأثير الأفكار الشيوعية ومن قوة الطبقة العاملة طلبت المساعدة من الفاشية، حتى إن الثورة الشهيرة "روزا لوكسنبرغ" قالت إن معاداة السامية هي إحدى وظائف الرأسمالية. لهذا إذا تمكنا من دحر....

- ولكنني مع ذلك كنت أرغب في عبور الحدود والانضمام إلى الجيش السلوفاكي... قاطع "جابور" حديث صديقه السياسي.

- الجيش السلوفاكي لم يعد موجوداً - شرح "بيتر" - الجبال يمكن أن تكون ملأى بالثوار، ولكن الأراضي المحررة لا تتعدى حدود مدينة "بانسكا بستريتسي" التي يمكن أن يكون الألمان قد دخلوا إليها. المطلوب هو انتظار الجيش الأحمر. إن الثورة ضد الفاشية ستكون بداية الثورة ضد الرأسمالية، وهذا الشيء ينطبق على المجر وسلوفاكيا.

لم يكن والدا "بيتر" يزورانه كي لا يثيرا دون فائدة انتباه أحد. تذكر "جابور" في اليوم الثالث صديقه "هونزا". لم يكن عند "بيتر" أو عند "ماريا" أي خبر عنه، وكانت في اللحظة عينها التي تحدثوا فيها عن "هونزا" قد سقطت أول قنبلة على مدينة "برنو". أطلقت صفارات الإنذار تحذيراتها في وقت متأخر، وكان "هونزا" أثناء ذلك يُفرغ الخضار المجففة والملح والبهار في الحلة ويتهيا للكيل. ترك كل شيء في مكانه وهرع إلى الملجأ. أثناء نزوله الدرج سمع صوت تحطم الزجاج في الطابق العلوي. تمكنت موجة ضغط الانفجار من كسر نافذة واحدة، وكان "هونزا" أثناء ذلك خارج الخطر.

كان والداه في لحظة الانفجار نائمين بعد مناوبتهما الليلية في معمل الذخيرة. أفاقا على صوت الانفجار. قفز السيد "بيزك" من السرير وخرج مسرعاً إلى المعبر. لبس بسرعة معطفه فوق البيجاما ثم فتح باب الدرج، ولكنه لم ينزل بل وقف

بانتظار زوجته، وحين وجدها قد تأخرت عاد أدراجه إلى غرفة النوم وتصادم معها على الباب. أمسك بها وساعدها خوفاً عليها من السقوط. ابتسمت في وجهه وقالت له: سامحني، لم يتحمل السيد "بيزك" نفسه وطبع على جبينها قبلة حارة. في تلك اللحظة حصل الانفجار الثاني الذي تسبب في طرهما، إذ أصيبت العمارة بقذيفة طالت بالتحديد أحد البيوت في الطابق الأعلى من بيتهما. سقط السقف وبعد ثمانية تهدمت الجدران الجانبية وطمرت الزوجين اللذين فارقا الحياة وهما متعانقان تحت الأنقاض. لم يفارقا الحياة وهما سعيدان لأن قلوبهما كانا مليئين بالخوف على "يتكا"، "ريتا" كما كانوا يندھون عليها منذ سنتين. لم تكن في تلك الأثناء موجودة في "برنو".

حين عاد "هونزا" إلى البيت في المساء، قام في البداية بمساعدة رجال الإطفاء على إخماد ما تبقى من الحريق، كما ساعد بعد ذلك الأسرى الروس في رفع الأنقاض، ومع حلول الصباح تمكنوا من إخراج جثتيهما الممزقتان، إلا أنهما بالرغم من ذلك بقيتا متعانقتين.

أمضى "هونزا" الليل وهو يبكي على الأنقاض. أدرك في تلك اللحظة أن حالته إضافة إلى الحزن والوحدة أصبحت ميؤوساً منها. لقد فقد والديه ولا يعرف شيئاً عن أخته، وأصبح وحيداً دون مأوى بعد أن ضاع كل شيء. لم يعد لديه أحد ولا شيء. كعادته كان يذهب في السادسة والنصف صباحاً إلى معمل المعلبات، وهما أن نظام الورديات لم يكن متبعاً في المعمل، كان يختبئ في المستودع وينام هناك، وبقي على هذه الحالة حتى حلول الربيع. لقد كان دائم الخوف من أن يرسلوه إلى العمل في ألمانيا لأنه بلا مأوى.

حين اشتد البرد، حضر الخياط "كوبردا" إلى بيت عائلة "بيلايي" وأحضر لـ "جابور" معطفاً شتوياً قديماً وعدة أزواج من سراويل الداخلية السمكية. جاءت تلك الثياب في الوقت المناسب لا سيما وأن البرد كان يشتد يوماً بعد يوم في القبو. كما تسلم "بيتر" غلبتي تبغ من "كوبردا"، ولكن السيدة "بلايوفا" منعتة من التدخين.

كانت شبكة الخلايا الشيوعية في المدينة تنشط في تلك الأثناء بشكل أفضل مما كانت عليه مع بداية الحرب، بالرغم من أن الملاحقة كانت في تلك الأثناء أقل حدة. كان "سابو ليتشي" عضواً في الحزب، ومن حين إلى آخر كان يجلب الطعام لعائلة "بيلايي" بالرغم من انتمائه إلى عائلة فقيرة من حي "أوي تلب". كان يكبر

"جابور" و"بيتر" و"ماريا" بعدة سنين. وحين اجتمعوا كان معظم حديثهم يدور حول معارفهم المشتركة في المدرسة. أحضر "ليتشى" معه في إحدى الأمسيات قلم رصاص وقام برسم وجه "جابور" ثم ضحك وقال: إنه سوف يعطي الدرك صورة "جابور" حين يصدرون مذكرة توقيف بحقه لكي يتعرف الناس عليه بشكل أفضل.

- انظرا إلى تلك الصورة، - قالت "ماريا" مخاطبة "بيتر" و"جابور" وهي تضع أمامهما صورة كبيرة. نظرا مغمومين إلى وجوه الرجال الذين اصطفوا في ثلاثة صفوف. لقد كانوا أعضاء من حزب "نيلاشي" المتحدرين من "ليفا" وما حولها.

- بوساطة تلك الصورة سوف نتمكن في المستقبل من القبض عليهم، قال "بيتر" بشجاعة.

- ولكن انتظر، أبي بينهم، - نبهتهما "ماريا".

- وهنا، - بدأ "جابور" بالضحك - هذا هو رجل الماء في الصف الأول، أظن أنه "هارساني جيولا".

- أيهم؟ سأل "بيتر".

أشار "جابور" بإصبعه، ركز "بيتر" نظره على الصورة وضحك هو الآخر.

- إنه يبدو..... كمُعزَل المداخن.

- اخفضوا أصواتكم، - نبههم السيد "بيلايي" من أعلى الدرج، - إن صوتكم مسموع في الشارع.

مدَّ السيد "بيلايي" رأسه إلى القبو في يوم عيد الميلاد وصرخ:

- "بيتر"، "جابور" اخرجوا في الحال.

- وما السبب؟ سأله "بيتر" وقد أصابه الهلع.

- بسرعة، ولا تسألاني. المدينة ملأى بالجنود.

- ربما لن يجدانا، - ناشده "بيتر".

- إنهم لا يبحثون عنكما، - صرخ بهما السيد "بيلايي".

- لماذا إذاً تطلب منا أن نخرج؟

- لماذا، لماذا! كي تريا أخيراً محررينا، الجيش الأحمر هنا.

ركض "بيتر" برفقة "جابور" مساءً في الشوارع التي كان يغطيها الثلج الأبيض الهاطل حديثاً. ترحلقا، ووقعا، ولكنهما كانا يقفان بسرعة ويتابعان الركض كي لا يصل متأخرين. كانا يخافان الوصول بعد أن تكون القوات الروسية قد مرت من الساحة.

كان ضجيج محركات الآليات القوي مسموعاً من الطريق الرئيسي، وحين وصلا شاهداً رتلاً طويلاً من سيارات النقل التي تجر خلفها المدافع. حين تباطأ الرتل لحظات، قفز "جابور" فوق إحدى العربات وراح يلوح للناس بكلمات يديه.

- "جابور"، ما زلت على قيد الحياة؟ صرخ أحدهم.

- من أين جئت يا "جابور"؟ سأله آخر.

- من ستالينغراد! - صرخ "جابور".

حين توقفت عربة نقل، وسيارة ميدان مفتوحة الأبواب في وسط الساحة، تجمع الناس وراحوا يعاينون الجنود الروس الذين كانوا في غالبيتهم سكارى وقد أرحوا لحاهم، وبدت ثيابهم وسخة ممزقة في حين كانت جزمات رؤسائهم تلمع نظافةً، وذقونهم حليقة. كان شيئاً غريباً يشد "جابور" إليهم كما يمشي الإنسان في نومه.

- أريد مساعدتكم، - قال بالسوفافية.

- ماذا؟، - سأله جندي.

- أريد تقديم العون إليكم.

- بامانات خوتشش؟ سأله بالروسية.

- (أنا مساعدتكم).

- ما اسمك؟

- ماذا؟ سأله "جابور".

- تفابو إميا. يوراي؟ بافل؟ نيكولاي؟

- اسمي؟ "جابور".

- جافور؟

- لا! جبرائيل! رفض قول اسمه باللغة المجرية.

- نعم، نعم جبريل. قهمت.

كان العسكري الذي فتح معه "جبرائيل" الحديث برتبة كابتن. اصطحب جبرائيل إلى فيلا القيادة التي كانت من قبل سكن البارون "مايتيني"، وتركه يروي هناك كل ما عاشه خلال سنوات الحرب. لف الكابتن لفافة تبغ رقيقة وألحقتها بالثانية وهو يتابع حديث "جبرائيل". كان في بعض الأحيان يهز رأسه، وفي أحيان أخرى يسأل عن بعض الأشياء بالروسية. أحس "جبرائيل" أن الضابط يفهم أكثر ما كان يقوله عن السخرة الإجبارية، وعن رأس "توماس يعقوب" الذي فجرته

الرصاصة، وعن ترحيل عائلته، والهروب، وعن رحلته غير الموفقة للانضمام إلى الثوار السلوفاك، وعن القبو البارد لعائلة الشيوعي "بيلاي".

- "جابريل"، كنت تعيش عند شيوعي؟ سأله الكابتن.

- دا (نعم)، - أجابه "جبرائيل".

كانت كلمة "دا" بالروسية، أول كلمة يتعلمها.

- وأنت أيضاً شيوعي؟ سأله الكابتن.

- إنني، - أجابه "جبرائيل" بتحفظ، - اشتراكي ديمقراطي.

- إيتا خاروشو! (عظيم، الاشتراكيون الديمقراطيون هم شيوعيو المستقبل).

ولكن الكابتن مع ذلك راح يسأل "جبرائيل" عن أفكاره، وعن رأيه بالفاشية؟ وعن تصوراته للعالم بعد الحرب؟ وعن كيفية التصرف مع الهتلريين والسلاشي؟ وما هو العقاب العادل للفاشيين الذين قتلوا العديد من الناس؟ بعد ذلك سأله الكابتن عما إذا كان يريد المساعدة في النضال من أجل الاستقلال. حين تمكن "جبرائيل" من إقناعه، عرض عليه الكابتن أن يصبح مترجماً للسوفيت. مهمة كنيبتهم ستكون القبض على الفاشست والعملاء في "بودابست". إنهم بحاجة إلى من يتحدث المجرية ويفهم الروسية ويكره الفاشست. بلغ "جبرائيل" لعبه. عبرت في مخيلته ذكرى والدته التي قالت في أحد الأيام إنه من الأفضل أن تسمح بقتلك على أن تقتل الآخرين، ولكنه تخيل في ذات الوقت كيف أنه يطلق النار من "الساموبال" على الضابط الألماني ذي الشارب الأشقر.

- نعم، - سوف أساعدكم.

انتبه "جبرائيل" في طريق عودته بعد الظهيرة إلى بيت "بيلاي" إلى وجود علم بلون الأبيض - الأزرق - والأحمر يرفرف في الساحة. لم يخطر بباله في الحال أن مدينة "لفا" قد عادت وأصبحت من جديد "لفتسي" التشيكوسلوفاكية. لقد ذكره العلم في البداية بأوقات السلم الماضية.

أخبر "جبرائيل" والد "ماريا" بأنه سوف ينتقل إلى فيلا "مايتيني" لأن الجنود الروس يسكنون هناك وسوف يكون مترجمهم.

- ستحصل أيضاً على لباس عسكري؟ سأله "ماريا" وهي تبتسم.

- سوف يعطونني دبابة أيضاً، أجابها "جبرائيل" متأكداً.



ساعد "جبرائيل" "ماريا" في تزيين شجرة عيد الميلاد ولكنه رفض الدعوة لتناول طعام العشاء، لأنه لم يكن يتخيل مشاركته احتفالات مسيحية مع الصلوات والدعوات التي لا تعنيه في شيء.

- إنني سعيد لأنك دخلت في خدمة الاتحاد السوفيتي والثورة العمالية العالمية يا أيها الرفيق، - مد له يده أثناء خروجه السيد "بيلاي" مصافحاً.  
عاد "بيتر" إلى بيت عائلته بعد الظهر ومعها أشياء التي جمعها في سلة واحدة.

- ها نحن من جديد في تشيكوسلوفاكيا، - صرخ فور دخوله الباب.  
- ونحن من جديد مجريون في تشيكوسلوفاكيا. وضح مؤكداً السيد "روناي" وهو يعانق ابنه.

لم تملك السيدة "رونايوفا" في البداية القوة لقول كلمة واحدة، ولم تفعل شيئاً سوى إنها ضغطت وجهها على صدر ابنها كي تخفي دموعها.  
- لقد باركنا الرب هذه السنة في عيد الميلاد المجيد، - قالت ولكنها أضافت:  
كنت أتمنى أن يكون "كارتشي" معنا....

توقف "جبرائيل" عندهم وهو في طريقه إلى "فيلا مايتيني"، وشكر عائلة "روناي" على المساعدة، واعتذر أيضاً عن مشاركتهم العشاء.  
حين جلس مع "بيتر" وكانا وحيدين، طرح عليه سؤالاً لم يجد القدرة على طرحه طوال شهرين من إقامتهما المشتركة في القبو.  
- إلى أين وصلت في علاقتك مع "ماريا"؟

- لماذا تفكر؟  
- هكذا، يبدو لي وكأنها اختارتك.  
- يمكنني الآن أن أقول لك نعم، ولكنني لن أكون صادقاً معك. لم أصل إلى شيء على الإطلاق، حتى إنني لا أملك ثمن هدية لها في عيد الميلاد.  
- أفهم من حديثك أنك لم تقبلها حتى الآن؟  
- حين جئت إليهم في الربيع، تعانقنا، وربما تبادلنا القبل على الوجنات أمام والديها.

- إذأ لا يزال موعد مسابقتنا في الأول من سبتمبر - أيلول قائماً؟  
- أرجو ألا تحاول تمثيل الغرق حين تجديني أسرع منك، - قال له "بيتر" وهو يضحك.

- كان "أبري فيزيك" الأسرع بيننا في ذلك اليوم، - تذكر "جبرائيل".

## حادثة عام 1945

وُجد "أبري فيزيك" مقتولاً في 23 كانون الثاني من عام 1944 في مدينة "سلاتينا". عرف "جبرائيل" ذلك من أحد الصبية العجبر الذي حضر برفقة الكابتن السوفيتي مباشرة بعد دخول العام الجديد. قال الكابتن إن وظيفة "جبرائيل" هي تسجيل أقوال الصبي العجبري بالسوفافكية والمجرية كي يتم استخدامها بعد الحرب في المحاكمات الشعبية التي ستجري في المجر أو في تشيكوسلوفاكيا.

كان عند "جبرائيل" على الطاولة بعض أقلام الرصاص الملونة والأوراق. أجلسوا الصبي مقابله وسكبوا له قندح شاي من "السماور".

- ما اسمك؟ سأله "جبرائيل". ظناً منه أن التقرير الذي سيقدم إلى هيئة المحكمة يجب أن يبدأ على هذا النحو.

- زولتان فيزيك، - رد عليه الصبي بهدوء وكأنه لم يتفاجأ بجلوسه هنا والحديث مع إنسان لا يعرفه ويسجل أقواله.

- ألا تعرف بالصدفة "أبري فيزيك"؟

- إنني ابن عمه.

- يا لها من مصادفة. إن "أبري" صديقي! قال له "جبرائيل" بفرح.

أشار الصبي بإصبعه وكأنه لا يهتم، وأغمض عينيه.

- كم عندك من السنين؟ - تابع "جبرائيل" أسئلته..

- عشر سنين.

دَوّن "جبرائيل" في البداية رقم عشرة، ثم شطب الرقم وكتب عشر سنين.

- أين تسكن؟

- لا يوجد عندي مسكن.

- بدون سكن؟ لم يتفاجأ "جبرائيل" بالجواب ولكنه تردد في كتابته.

- كنت أسكن في "سلاتينا" ولكن الألمان أحرقوا بيتنا.

أدار "جبرائيل" رأسه، ودَوّن جواب الصبي، ولكنه بدلاً من كتابة الألمان، كتب الفاشست.

- كان بيتنا في أطراف المدينة، - وضح الصبي، ولكن "جبرائيل" قال له إن هذه التفاصيل ليست ضرورية.

- عليك أن تخبرني بالأشياء الهامة. هل ستخبرني بها؟  
أوماً الصبي برأسه وبدأ:

- قبل عدة أيام من رأس السنة جاء الروس إلى "سلاتينا"  
قبل عدة أيام من رأس السنة حرر الجيش السوفيتي "سلاتينا"... كتب  
"جبرائيل".

- بعد ذلك بأيام هاجم الألمان القرية من جديد....  
- أرجوك أن تفكر فيما تقوله يا "زولتان"، - قاطعه "جبرائيل" وكتب: هاجم  
الفاشست.

- بعد ذلك هاجم الألمان القرية، - كرر الصبي الجملة ببطء، - واحتلوها. كنت  
في ذلك اليوم أساعد صديقي العزيز "بيشتا كوناريك" في قطع الخشب.  
انتظر "زولتان" ريثما ينهي جبرائيل الكتابة.

- إن عائلة "كوناريك" ليست غجرية، - أوضح الصبي.  
أوماً "جبرائيل" برأسه ولكنه لم يكتب ذلك التوضيح.

- لقد وعدتني العمّة بشطيرة حلوى مقابل تقطيع الخشب.  
ابتسم "جبرائيل"، ثم تردد لحظة ولكنه كتب في النهاية ما سمعه.

- فجأة سمعنا زعيماً أتياً من الطريق، - تابع الصبي. - خرجت مع "بيشتا" إلى  
الحديقة ومن خلال ثقب كبير في السور رأينا كيف كان الجنود الألمان يقتادون  
الغجر الموجودين في القرية إلى باحة بيتنا.

دَوّن "جبرائيل" ما سمعه بسرعة، وحين رفع رأسه عن الطاولة لاحظ فطرات  
الدمع وهي تسيل على وجنتي "زولتان". أعطاه منديله القماشى. مَخَط الصبي  
وبقرق شديد تابع أقواله:

- بدأ الألمان بعد ذلك بإطلاق الرصاص. كان الدوي هائلاً. لقد شعرت كما شعر  
"بيشتا" بالرعب، ولهذا السبب تخفينا بين أكوام الخشب.  
مخط الصبي من جديد.

حين توقفوا عن إطلاق النار، خرجنا إلى الحديقة. رأينا دخاناً كثيفاً يخرج من بيتنا.

لم يلحق "جبرائيل" كتابة ما سمعه من أبي، ولكنه في نفس الوقت لم يجد القدرة ليطلب منه الكلام ببطء.

- زحفت مع "بيشتا" باتجاه فتحة السور. كان بعض الألمان يقفون في الطريق. دخنوا هناك، وحين غادروا تجمع الأهالي ثم ذهبوا؛ نابتة الحريق، لكنهم منعوني من الدخول... لأن المشهد حسب قولهم ليس للأمان، ولكنني بالرغم من ذلك تسللت إلى الداخل.

صمت الصبي ولكن "جبرائيل" كان لا يزال يدون. لم يعرف كيف ينظر في عيني الصبي.

- هل قتل أو جرح أحد من أفراد عائلتك؟ سأله وهو ينظر بغضب إلى سطح الطاولة.

- جميعهم... لم ينج أحد من عائلتنا ولا حتى من عائلة صديقك "أبري فيزيك". جميعهم. لقد جاؤوا إلينا في الخريف وسكنوا في بيتنا.

- هذا العدد، - بلح "جبرائيل" لعابه، كم كان عدد الناس؟

مخط الصبي بصوت عالٍ وراح يعدُّ على أصابعه:

- أمي، أبي وإخوتي الثلاثة، وأخواتي الثلاث، عمي، وعمتي، وأولاد عمي الأربعة، خمسة... لا، وست من بنات عمي... وهذا يعني عشرين من عائلة "فيزيك"، ولكن انتظر كانت أمي حاملاً وبذلك يكون العدد واحداً وعشرين.. لقد أحضروا من طرف القرية عائلة "تسيبولا" وكان عددهم....

- لا تحسب من جديد، - قال له "جبرائيل".

طلب الكابتن السوفيتي من "جبرائيل" بعد أن اقتادوا الصبي الغجري أن يترجم الشهادة بأكملها إلى المجرية. سوف يكون هناك شاهد آخر بعد الظهيرة عليك ترجمة أقواله. ربما ستعني الشهادة الثانية الكثير لا سيما وأنها سوف تتطرق إلى مصير والديه.

جلس رجل كان يعمل حتى تشرين الأول في سكك حديد "نوفي زامكي" مقابل "جبرائيل" الذي بدأ الاستجواب من جديد بالسؤال عن الاسم والعمر. تحدث الرجل بعد ذلك كيف كان الألمان يرحلون اليهود من المحطة في بداية الصيف.

- تلك القطارات تدعى "سوندرزوج" وطاقم تشغيلها يتألف "سوندرزوجروين".  
- أضاف.

سجل "جبرائيل" ما سمعه.

- لقد تسلمنا للترحيل برنامجاً خاصاً. كانت تلك القطارات تصل بانتظام وهي شبيهة بعربات نقل البهائم. كل عربة ملأى بالتمام. - أكد الرجل كلامه ثم انتظر لحظة لحين انتهاء "جبرائيل" من الكتابة.

- كانت غالبية القطارات تعبر "نوفا زامكي"، وفي بعض الأحيان كانوا يدسون فيها بعض اليهود من الجوار.

- هل تظنون أنهم كانوا يُرحلون فيها يهود "لفتسي"؟ سأله "جابور".  
ضحك الرجل.

- همهم بعد ذلك وقال: نعم، أعتقد ذلك.

نهض "جبرائيل" عن الطاولة وراح يذرع الغرفة جينة وذهاًباً. فسر عامل السكك الحديدية تصرفه وكأنه بسببه، لهذا أُرِدِف بسرعة إنه يفضل الدخول في الموضوع. جلس "جبرائيل" وبدأ يدون ما يسمعه.

- أريد أن أبلغكم معلومة تتعلق بأحد عناصر الدرك الذي كان يجيء بانتظام لمراقبة المحطة. اسمه "كوسا إشتفان"، يسكن.... حينها كان يسكن في "نوفا زامكي". سألته في إحدى المرات إلى أين ينقلون اليهود؟ أجنبي بأنهم ينقلونهم إلى جهنم. وحسب قوله فإنهم سيذوقون جهنم على الأرض، ولكن هذا ليس مهماً. - لوح عامل سكة الحديد بذراعه.

- في أحد الأيام، ولا أتذكر التاريخ بالضبط، شاهدت....

- ببطء، أرجوكم، - قال له "جبرائيل" همساً.

- نعم... رأيت أحدهم يمد يده من عربة القطار، وبصوت بائس طلب مني الماء. ذلك الدركي... ذاك المدعو "كوسا إشتفان"، ذهب إلى الألماني من مجموعة soderzugppe وسأله عن شيء ما. أوما إليه الألماني برأسه دلالة موافقته. أنزل "كوسا" البندقية عن كتفه، سدد وأطلق النار على اليد المرفوعة من عربة القطار. بقي الرجل صامتاً بعض الوقت، أخذ بلعة من الشاي. كتب "جبرائيل" بسرعة ولم ير ما كتبه إذ كانت تلوح أمام عينيه يد والدته البيضاء.

- أرجوك، - قال عامل السكك الحديدية وأضاف: لا تعتبرني مخبراً. إنني أخاف إذا لم يعاقب هؤلاء الناس فإننا سنشهد بعد عدة سنين حرباً جديدة أسوأ من سابقها.

جلس الكابتن الروسي بجانب "جبرائيل" بعد مغادرة عامل السكك الحديدية، وعرض عليه اللقافة التي أنهى لتوه تحضيرها. رفض "جبرائيل" أخذها منه، هنا أخبره الكابتن بأن التقريرين، هما اثنان من مئات التقارير التي تسجل ما حدث أثناء الحرب. وهذا شيء جيد كون جبريل من قام بكتابتها، لأنه أصبح يعرف الآن ضد من سيقااتل في "بودابست". لا مكان للرفأة مع الفاشست.

وصلوا إلى "بودابست" في السادس والعشرين من كانون الثاني. كان الطقس شديد البرودة، وكانت الطرق لا تسمح سوى بالتحرك البطيء، نتيجة القصف العنيف الحاصل للحواجز ولأعمدة الكهرباء المرمية على الأرض، إضافة إلى سماكة الثلوج والحفر التي خلفتها القنابل. كانت المدينة مهذمة بكاملها، لذا أقاموا في أطراف "بودابست" لأن مركز المدينة لم يكن قد حُرر بعد من بقايا الفاشيين.

كان عددهم ستة مع "جبرائيل": الكابتن الذي تعرف عليه في "لفتسي" واسمه "ميخائيل"، والكابتن الثاني يدعى "كولا"، والجنود الأكبر سناً "يوراي" و"جريغوريو"، و"إيفان". وقفت على البوابة مجموعة حراسة، ولكن هؤلاء الجنود لم يكونوا تابعين لمجموعتهم، لأنهم يتبدلون كل يوم، ويتبعون معسكر الجيش السوفيتي الموجود في مكان ما في الشرق. كانت لا تزال المعارك الضارية مع العدو مستمرة في الطرف الثاني من نهر الدانوب في "بودين"، حيث كانت أصوات انفجار القذائف تسمع في الليل والنهار.

كانت وحدتهم تدعى "سمرش" وهي تعني الموت للجواسيس. كانوا يقبضون على الفاشست في الليل والنهار. سلم الكابتن "ميخائيل" لـ "جبرائيل" ورقة دُونَ عليها عنوان، تحركوا في الحال. كان أحد الجنود يقود سيارة الميبدان وكان "جبرائيل" يوجهه في الطريق. تبعتهم سيارة نقل. تقدموا حسب الخريطة ولكن العديد من اللافات التي دونت عليها أسماء الشوارع كانت قد قلعت من أماكنها، ولهذا السبب وجد "جبرائيل" نفسه مضطراً إلى سؤال السكان، ولم يكن هذا بالأمر السهل لا سيما وأن شوارع "بودابست" كانت خالية من المارة، ولهذا كانوا مضطرين إلى قرع بوابات البيوت وخلعها في بعض الحالات وإخراج السكان من أسرّتهم، وكل ذلك كي يسألوهم عن اسم الشارع الذي وصلوا إليه. لم يفهم "جبرائيل" سبب خوف المجريين من محرريهم السوفييت.

انتهت مهمة "جبرائيل" حين وصلوا إلى المكان المحدد. لم يكن مضطراً إلى الترجمة أثناء إلقاء القبض على المطلوبين، كما حُظر عليه التحدث مع الأسرى.

يدخل رفاقه في النضال إلى المنزل الذي يكون في الغالب خالياً من السكان. وإذا صادف أن وجدوا هناك أحداً كانوا يزجون به في عربة النقل المرافقة. كانوا يعتقلون العائلة بأكملها، وغالبية المعتقلين من كبار السن، وفي بعض الأحيان نساء مع أطفالهن. وحين سأل "جبرائيل" عن سبب اعتقالهم العائلة بأكملها كان الجواب إنها عائلة فاشست أو جواسيس. إحدى الصبايا التي تم وضعها في الناقله تحدثت إليهم بالروسية. ربما تكون جاسوسة.

كتب "جبرائيل" في بودابست تحقيقاً واحداً. استمع إلى صبي جريح ضمدت يده، وكان يرتدي بزة جماعة "نيلاش". لم يقبضوا عليه حسب الدليل الذي كان بحوزة "ميخائيل" ولكن مجموعة أخرى أحضرته للاستجواب. حضر الجندي "جيورجي" التحقيق بكامله وكانت بيده بندقيته الأوتوماتيكية الجاهزة في أية لحظة، لكن الأمر لم يكن بحاجة إلى مثل تلك الحيلة المفترطة لا سيما وأن الصبي كان ضعيفاً إلى درجة أنه لم يكن يقوى على الحركة.

- أسأله، كيف كانوا يقتلون اليهود، أمره "ميخائيل"، وغادر الغرفة.

جلس "جبرائيل" على الكرسي المقابل للأسير. دون في البداية اسمه، ومكان سكنه، وتاريخ ولادته، وسأله بعد ذلك: كم مضى على عضويته في حزب "نيلاش" الهنغاري. رد الأسير بأنه عضو منذ عام 1942، ولم يعرف "جبرائيل" بعد ذلك ماذا عليه أن يسأله، لذا دخل مباشرة في السؤال الذي طلب ميخائيل معرفته.

- كيف كنتم تقتلون اليهود؟

- كنا نطلق عليهم النار.

- أين؟

- بالقرب من ضفة الدانوب.

- كيف؟

- كنا نوقفهم على الشط ونطلق النار على صدورهم. كانت أجسامهم تسقط في الماء، ولم تكن بحاجة إلى دفنهم، لقد طلبوا منا بعد ذلك التقنين في الذخيرة، لذا كنا نربط كل اثنين أو ثلاثة ونطلق النار على واحد منهم ولكن الثلاثة كانوا يسقطون في الماء، ويغرقون في الحال.

شعر "جبرائيل" في الحال أن رثيته امتلأتا حتى النصف بالماء، وحين حاول أخذ شهيق كان الماء يدخل إلى رثيته بدلاً من الهواء.

- اخرج، قال "جيورجي" وهو يلكر عضو حزب نيلاش ببندقيته في ظهره، وحين وصلا إلى الباب سأله "جبرائيل":

- لماذا؟

- اليهود هم اليهود، رد عليه الأسير.

سأل "جبرائيل" في وقت لاحق عما إذا كانوا سيحاكمون ذلك الأسير في المجر أم في الاتحاد السوفيتي. أخبره "ميخائيل" بأن المحكمة ليست ضرورية لأن مسؤوليته واضحة. سوف يرحلونه إلى سيبيريا حيث سيُكفر هناك عن جرائمه في بناء الاشتراكية.

سحبوا "جبرائيل" في بداية شباط من سريره في المساء. كانوا جميعاً، بمن فيهم "ميخائيل" الذي كان يتصرف على الدوام ببرودة، في منتهى العصبية. كانوا بانتظار التفتيش الذي سيتولاه الجنرال "أبا كوم" مباشرة. اكتشف جبرائيل أنه القائد العام لكتيبة "سمرش" (مكافحة الجاسوسية).

كان شاباً في أواسط العمر يرتدي بزة عسكرية مجعوكة، وكان نفسه يفوح برائحة الفودكا أكثر بكثير من الجنود كبار السن. اجتمع في البداية على انفراد مع "ميخائيل"، وبعد نصف ساعة نادوا على "كولا"، وانضم إليهم البقية بعد ذلك بمن فيهم "جبرائيل".

حين دخل "جبرائيل" الغرفة لمح على الطاولة عوضاً عن الوثائق المبعثرة والمخطوطات زجاجة فودكا وكأس. زجاجات أخرى كانت فارغة ومرمية تحت الطاولة.

- أمره الجنرال "أبا كوم" وأشار إلى الكأس الفارغة. هيا سنشرب نخب النصر.

حين أسند "جبرائيل" الكأس على شفته، أحس في الحال بحرقة شبيهة بحرقة الحمض. انتقلت الحرقة بعدها إلى لسانه وبشكل مشابه إلى عنقه، تشنج حلقه واندفع الدمع من عينيه. ضحك "أبا كوم" وشاركه الجميع بعد ذلك ضحكه. حين توقفوا عن الضحك، سأله "أبا كوم":

- ماذا؟ تقبض على الفاشست؟ يعجك ذلك؟

هز جبرائيل رأسه وقال بعد ذلك ما يدور بخاطره.

- من المفروض أن أتسلم بعض الوثائق.... إنني هكذا في شوارع "بودابست" شأني شأن أي مدني عادي بدون أوراق.



انفجر "أبا كوم" بالضحك. ظن "جبرائيل" في اللحظة الأولى أن سوء تفاهم قد حدث، ولكن حين توقف القائد الأعلى عن الضحك وقال بأنه لا يجد أي ضرورة للوثائق، لا سيما وأنه لم يجد من يسأله عن هويته في الطريق، عادوا إلى الضحك من جديد.

ومع ذلك فقد تسلم "جبرائيل" في اليوم التالي ورقة مختومة تؤكد عضويته في مجموعة "سمرش"، وأعطوه إضافة إلى ذلك بزة خاصة بالجيش السوفيتي، وبالرغم من أنها كانت بدون رتب، إلا أنها كانت نظيفة، وحزامها يحتوي على بيت للمسدس. لبس السيدارة مرة واحدة ولكنه شعر فيها بالبرد، لذا عاد للبس من جديد قبعته الصوفية الخاصة، كما تسلم أيضا ساعة جدار جميلة معطلة. لم تكن تلك الأشياء تعني الروس في شيء. لاحظ "جبرائيل" أنهم كانوا يتسابقون في الحصول على ساعات الجيب واليد. أجمل الساعات كانوا يخبئونها لـ "كونيف" DIAKONEVA. لم يفهم ما تعنيه، ولكنه كان يسمعها على الدوام: DIAKONEVA. DIAKONEVA.

بعد احتلال الجيش الأحمر لـ "بودين"، نقلوهم إلى الضفة الثانية من نهر الدانوب بوساطة القوارب العسكرية الكبيرة كي يتمكنوا هناك من القبض على الأعداء. لم يفهم "جبريل" في كثير من الأحيان السبب الذي يدعوه إلى مرافقتهم، لا سيما أن خدماته في الترجمة كانت في غالبيتها دون فائدة.

كانت أكثرية المطلوبين حسب قائمة "ميخائيل" من المدنيين كبار السن، وكان يصعب عليه تصورهم وهم يحملون السلاح ويقاومون. لقد وصل "جبرائيل" إلى قنعة بأن هؤلاء الناس لا يمكن أن يكونوا جميعهم من الفاشست أو من الجواسيس، ومع ذلك لم يفهم من عليهم أن يعتقلوا سواهم لقد قبضوا في إحدى المرات على فاشيين حقيقيين، ولم يكن زملاء "جبرائيل" يعرفون ما سينتظرهم في ذلك العنوان.

توجب عليهم في ذلك اليوم اعتقال آخر المشبوهين. قاد "إيفان" السيارة وجلس "ميخائيل" بجانبه، في حين جلس "جبرائيل" في المقعد الخلفي تاركاً بجانبه مكاناً للأسير الجديد. كانت سيارة النقل مع الذين اعتقلوا من قبل قد غادرت.

تحركت السيارة باتجاه حي "جيلرتاجي" المرتفع نسبياً وتوقفت أمام إحدى الفيلات التي بقيت سالمة ولم تتأذ من الحرب حتى إن أشجار حديقته ومقاعد

الاستراحة فيها بقيا على حالهما. توقع "جبرائيل" أن الخادمة بزيها التقليدي من طاقة وصدرية ستفتح الباب.

كانت البوابة الخارجية مفتوحة. سار "ميخائيل" في المقدمة ومشى خلفه "إيفان" مزوداً برشاش أوتوماتيكي جاهز بينما بقي "جبرائيل" بانتظارهما في السيارة. فجأة سمع صوت إطلاق نار سقط على إثره "إيفان" مضرجاً بدمائه في حين اختبأ "ميخائيل" خلف الشجرة إلى أن أخرج مسدسه من محفظته. فُتحت نافذتا غرفتين في الطابق الأرضي وبدأ إطلاق نار من مسدسين باتجاهه.

أدرك "جبرائيل" أن مطلق النار في البيت لا يعرفون بوجوده. نزل بهدوء من السيارة وركض إلى الطرف المقابل، ثم زحف باتجاه البوابة. كان "إيفان" ممدداً على ظهره على بعد متر منه، ويده ممدودتان في حين تلونت بزه من رقبته إلى بطنه باللون الأحمر. كان رشاشه على مدى طول يد "جبرائيل". أخذه "جبرائيل" وانسحب إلى خلف البوابة. كان "ميخائيل" في تلك الأثناء لا يزال متخفياً خلف الشجرة والرصاص يتطاير حول رأسه.

لم يعرف "جبرائيل" كيف يُصوب، ولا حتى كيف يفك زر الأمان، ولكنه تأمل أن يكون "إيفان" قد فعل ذلك قبل دخولهما البوابة.. اختبأ خلف الجدار الخارجي الواطيء الذي يفصل الفيلا عن الشارع، ثم صوب رشاشه باتجاه إحدى النوافذ وضغط على الزناد. سمع صوت قوياً، اهتز السلاح على إثره بين يديه واصطدم بأضلاعه ومعدهته، كما شاهد كيف كانت طلقاته تصطم بالجدار المحيط بالنافذة التي اختفت منها في الحال اليد مع المسدس. ركز "جبرائيل" بعد ذلك طلقاته بعناية شديدة باتجاه النافذة الثانية محدثاً حفراً عميقة في الجدار. انسحب الرامي على الفور من النافذة الثانية. هنا استغل "ميخائيل" الوضع وركض باتجاه النافذة الأولى.

فجأة ساد الصمت. لقد قَرَع "جبرائيل" خزان الرصاص وتبيس في مكانه وقد أصيب بالحيرة والصمم التام. راقب "ميخائيل" الذي ألصق ظهره بالحائط القريب من النافذة خروج رأس صاحب المسدس الذي وجده يمد يده ويسدد باتجاه "جبرائيل"، ولكن يد "ميخائيل" كانت الأسرع، لأنها أمسكت بتلك اليد ومنعتها من كبس الزناد. صوب "ميخائيل" بعد ذلك مسدسه إلى داخل الغرفة. سمع في الحال صوت رصاصة وبعدها صرخة ألم قصيرة. أشار "ميخائيل" إلى "جبرائيل" بالاختباء، وقفز عبر النافذة المفتوحة إلى داخل البيت.

سُمع بعد لحظات صوت تبادل إطلاق نار، ظهر بعده من النافذة وجه "ميخائيل" الذي صرخ بأعلى صوته:  
- ساعد إيفان.

ولكن المساعدة لم تكن لتنفذ وتعيد الحياة إلى "إيفان" الذي كانت عيناه تنطلقان إلى السماء كانت بركة الدم تكبر وتكبر من حوله.  
حين خرج "ميخائيل" من البيت، مد يده إلى "جبرائيل" وقال له:  
- لقد أنقذت حياتي، ولن أنسى لك ذلك.

تسلم "جبرائيل" في ذات الليلة من "ميخائيل" مسدساً وقسماً من غنائم الحرب - سلسال ذهبي علقت عليه صورة السيدة العذراء، كما دربه "جريجور" في صباح اليوم التالي على قيادة السيارة. لقد حظي "جبرائيل" بثقة المجموعة.

أشرفت للمرة الأولى بعد عدة أيام شمس الربيع الدافئة. انطلقوا من جديد في سيارة الميدان بدون ناقلة "gauzavik"، ومروا حول جسر معلق مهتمدم. كانت وجهتهم ساحة "كالفين تير". تذكر "جبرائيل" أنه سكن مع عائلته منذ زمن طويل في أحد بيوت "لفتسي" وكان يدعى "كالفين أودفار". انتابه في الحال شعور بالحزن الشديد والحنين إلى أمه وأبيه وأخته كما أحس أيضاً أنه لن يلتقيهم في حياته. حن أيضاً إلى الحياة البسيطة التي عاشها دون مسؤوليات والتي تسببت الحرب في قصها مثل خيط رفيع.

حين توقفوا بالقرب من نافورة مهدمة في وسط الساحة، لمحوا عمالاً يقومون بتفكيك حافلة نقل كهربائية محطمة. كانت هناك بيوت جميلة تكسر زجاج نوافذ بعضها، وتخرت أبواب بعضها الآخر وتهدمت سقوفها.. اقتاد "كولا" مع "جريغوري" بعد لحظات رجلاً في الستين من عمره بدت عليه ملامح النبل والهدوء. وبالرغم من الحظر المفروض على تبادل الحديث مع المعتقلين إلا أن "جبرائيل" فقد السيطرة على نفسه، وسأل الرجل حين تحركت السيارة ما إذا كان فاشستياً. رماه المعتقل بنظرة ازدراء وقال:

- إنك لا تعرف حتى من تعتقل؟ كنت ضابطاً في الجيش الروسي حتى اندلاع الثورة. يشرفني أنكم ستعدمونني لأني خدمت الوطن والقيصر.

استدار "كولا" منزعجاً في حين توقف "جبرائيل" والأسير عن الكلام.  
كان وجه ذلك الأسير ينضح بالشجاعة والعنفوان، ولهذا لم يخطر ببال "جبرائيل" لا من قريب ولا من بعيد أن ذلك الإنسان يكذب كما أن جوابه لم

يدهش "جبرائيل" لا سيما أنه وصل منذ زمن بعيد إلى قناعة بأن الناس الذين يتم اعتقالهم لا علاقة لهم بالفاشية، ولكنه بدأ الآن يفهم من يكونون. إنهم المهاجرون الذين هربوا منذ زمن بعيد من الثورة البلشفية. لقد حزن في ذلك اليوم الربيعي على طفولته وتذكر والديه وأدرك شيئاً هاماً يتعلق بحياته. لقد راوده شعور منذ أمد بعيد أن "سمرش" (كتيبة مكافحة الجاسوسية) تقوم بأفعال مشينة في "بودابست" ولكنه في تلك اللحظة تأكد من ذلك. كان متعاوناً. إن هذه الصفة تطلق في "الفتسي" على من يتعاون مع الفاشست. أدرك "جبرائيل" الآن بأنه هنا ليس أفضل من أولئك المتعاونين.

لا أحد يعرف السبب، ولكنهم تركوه في ذلك اليوم في السيارة ولم ينزلوه أمام مركز "سمرش". بقي في السيارة التي كانت تقل الضابط القيصري إلى خارج "بودابست". ساروا عدة ساعات وخلال هذه المدة لم ينطق أحد بكلمة واحدة. توفقوا في نهاية الأمر في معسكر كبير بالقرب من "سوبرونوهيد". حين اقتادوا المعتقل إلى إحدى العمارات، ترحل "جبريل" من السيارة وسار باتجاه السياج الذي جلس خلفه أو وقف عدد لا بأس به من الناس نادى بالمجرية على أحدهم. اقترب ببطء وتسلق السياج.

- هل أنت من جماعة "نيلاش"؟ سأله "جبرائيل".  
- جماعة "نيلاش" يقفون في ذلك الرواق، - أجابه الرجل، وأشار إلى الخلف.  
- ولماذا اعتقلت؟

- بلا سبب. مثل غيري.  
- لا بد أنك ارتكبت شيئاً ما.  
- كنت "إسبرانتستاً"

قاد "جبرائيل" السيارة في طريق العودة. جلس "كولا" بجانبه بينما نام "جريرغوري" في المقعد الخلفي.  
- لماذا تقبضون على "إسبرا نتيستي"؟ سأله جبرائيل.

- تقف الطبقة العمالية العالمية والشيوعية الدولية في إحدى الجهات وفي الجهة الأخرى توجد منظمات عالمية ومجموعات ذات أهداف رجعية معادية للشيوعية. إنهم من المتأمرين الذين يريدون السيطرة على العالم. لهذا من الواجب تحطيمهم. أجابه "كولا" الذي أضاف بالروسية بعد لحظات:

١٠. مجموعة أوربية كانت تنادي بلغة عالمية واحدة.

- توقف يجب أن أتبول.

انتظر "جبرائيل" في السيارة إلى أن انتهى "كولا" و"جريغوري" من التدخين بالقرب من البحيرة الصغيرة التي شكلوها قبل قليل. لقد بدّوا مثل راعيين بدون سلاحهما الذي تركاه في السيارة. طمعت في ذهن "جبريل" فكرة عدم الخوف منهما. أدار مفتاح تشغيل السيارة، ووضعت السرعة وضغط بقوة على البنزين. إنعطفت إلى أول فسحة أمام أقرب بيت في القرية المجاورة ثم دخلت إلى أحد البيوت وصرخ في عجزوز وزوجته اللذين وقفوا مرتعبين أمامه.

- أعطوني بدلة.

- لا أفهم... ردت العجزوز خائفة.

- لا تفهمين؟ قال لهما وهو يضرب بيده على بيت المسدس، - حين سأخرج

المسدس ستفهمان قصدي.

رفعا أيديهما، وكان "جبرائيل" قد سحب عليهما المسدس ثم دخل إلى الغرفة وأخرج من الخزانة بزة العجزوز الرسمية. أخذها مع القميص وعاد من جديد بعد أن وصل إلى الباب ليأخذ بنظراً آخر وقميصاً وقبعة. دعهم يفهمون كيف يتصرف الجنود السوفييت.

حين جلس في السيارة أدرك التغيير القليل الذي حدث له في حياته خلال نصف السنة الماضية. يريد الهروب من المجر إلى سلوفاكيا من جديد ولا يزال يحمل في جيبه ذلك السلسال الذهبي المسروق من "ميخائيل" وعليه من جديد أيضاً تبديل ثيابه.

وصل بالسيارة مع حلول المساء إلى مدينة "كومارنو" الحدودية المجرية حيث قام أحد الشباب بنقله بوساطة المركب إلى "كومارنو" السلوفاكية بعد أن اتفقا على أن يعطيه "جبرائيل" مقابل ذلك السلسال الذهبي مع الميدالية. حاول الشاب في منتصف الطريق النهري التحايل على "جبرائيل" الذي ما كان منه إلا أن سحب المسدس بيد وأمسك السلسال في اليد الثانية وقال له: كل شيء يعتمد على الرهان، إما أن يتسلم رصاصة أو سلسالاً ذهبياً.

حين نزل "جبرائيل" من المركب في الطرف الثاني من النهر، رمى المسدس في الماء.

لقد نقله سائقو السيارات من "كومارنو" بالرغم من أنه لم يكن يملك ما يعطيهم إياه.

- يا إلهي شكراً لكم، همس حين لمح ساحة "لفتسي".

ذهب في البداية لزيارة والدي "ماريا". بدأ السيد "بيلاي" يطرح عليه الأسئلة حول خدماته في الجيش السوفيتي، ولكن "جبرائيل" حاول جاهداً التهرب من الإجابة لأنه كان يريد طرح أسئلة أهم منها. سأل في البداية عن والديه وعن أخته، ولكن والدي "ماريا" أجاباه برفع الأكتاف. أراد بعد ذلك معرفة ما إذا كانت لديهم معلومات عن صديقه "هونزا بيزك". أخبراه أنه لم يرجع إلى "لفتسي"، وفي النهاية سأل عن "ماريا" التي لم تكن في البيت لأنها ذهبت لتعنتني بعمتها المريضة في "زلاتي مورافتسي"، وعرف أيضاً أن "بيتر" قد أصبح موظفاً مرموقاً في البلدية. نصحته السيدة "بلايوفا" أن يذهب إليه مباشرة ليحصل على الهوية والثبوتيات التشيكوسلوفاكية، ويستعلم منه في ذات الوقت عن المكان الذي يمكنه فيه البحث عن أهله وعن أخته "دوركا". حين وقف "جبرائيل" بين درفتي الباب همس في أذنه السيد "بيلاي" خيراً جديداً مفرحاً: لقد وضعت "ماريا" يدها في يد "بيتر" بعد أن جمعتهما نفس الأفكار السياسية.

- تقول إذاً إنك عائد بشكل نهائي؟ وتريد العيش في "لفتسي" بشكل دائم؟

سأله "بتر" بفرح كبير.

رفع "يان بيزك" كتفيه.

- نعم، ربما.

- علينا إذاً أن نشرب نخب ذلك الخبزا - قال له "بتر" الفرح.

أخرج في الحال زجاجة نبيذ من تحت الطاولة. سكب منها في الكأسين اللذين كانا ينتظران في الدرج.

شرب "يان" ببطء وتابع:

- لا يوجد عندي أحد في تشيكيا. و... كيف لي أن أشرح لك؟ لقد خدعت.

- في الحب؟ ضحك "بتر".

- لا، لقد خذلتني "برنو" لأني عشت فيها البؤس بكل صورته. مات والدي في البداية... ولكن الرئيس "بينش" أطلق كلمات غريبة بعد الحرب في أرجاء "برنو" من دار البلدية. التخلص من الألمان، التخلص من الألمان. كانوا يلاحقونهم بشكل مباشر في الطرقات ويعتقلونهم ويبرحونهم ضرباً. لقد علقوا واحداً منهم من رجله وأضرموا فيه النار. لقد شهدت تلك الحادثة وأعرف بعض مرتكبيها. شباب في السابعة عشرة والثامنة عشرة من معمل السلاح. كانوا قبل نصف سنة يدسون

رؤوسهم في مؤخرة الألمان كي يحصلوا على وظيفة في معمل السلاح، لأن الأجور كانت هناك أكثر بوضع ماركات من مكان آخر... في الثلاثين من أيار تدافع الألمان... جميعهم، أطفال، وأمهات، وعجائز في طابور هائل وتم طردهم من المدينة. لم يكونوا ألماناً من الرايخ، أو فاشستا بل من سكان "برنو" القدامى... رئيسي يدعى "هانك" كان يشتم هتلر طوال الحرب ويصغي إلى محطة الإرسال من لندن، وينتظر التحرير، كان ألمانياً في الاسم فحسب. لقد اقتادته الكتائب الثورية التي أطلقت عليها اسم كتائب التخريب.

لوح "يان" يده بقرف ثم أمسك الكأس وشرب ما فيه من نبيذ. رغب "بتر" في سكب المزيد ولكن "يان" وضع يده فوق الكأس.

- إننا في "لفتسي" لم نزعج لكون أحدهم سلوفاكياً أو تشيكياً أو مجرباً، لهذا فإني أفضل العيش هنا. - أنهى "يان" كلامه.

- كنا صغاراً وكان ذلك قبل الحرب، - رد "بتر".

- بالضبط، لقد أشعل الحرب أولئك الذين يعتقدون أن قومية الإنسان هي أهم شيء فيه.

- هونزا، سأقول لك شيئاً. إنني شيوعي وهذا يعني أنني أنتمي إلى الأمميه العمالية لهذا فإن تلك الأمور واضحة عندي، ولكن...

لم يتابع "بتر" كلامه لأن قرعاً على الباب أوقفه عن الحديث، وفي الحال دخلت الغرفة صبية كانت تساعد في البلدية بوصفها سكرتيرة.

- عندك زيارة ثانية يا "بتر".

نهض "يان":

- أتركك الآن وسأنتظرک أمام الدائرة في الرابعة.

التقى "يان" زائراً آخرأ أثناء خروجه من المكتب. أدهشه منظر ذلك الشاب النحيل ذي العينين الغائرتين والذقن الطويلة، بينما نظر "جبرائيل" غير مصدق هو الآخر في وجه ذلك الشاب الطويل ذي الشعر الكستنائي والنظارة البيضاء والشاربين الصفراوين من تأثير التبغ.

- "جبرائيل!" صرخ "يان".

- "يان!" - صرخ "جبرائيل".

أصبح "بتر" في "لفتسي" عام 1945 إنساناً مؤثراً، إذ تمكن خلال يوم واحد من تأمين السكن في منزل بغرفة واحدة مع المنتفعات، كما تمكن من توظيف "يان" في

البلدية بوصفه مسؤولاً عن تنظيم وتوزيع بطاقات التموين. كان عملاً مؤقتاً لأن "يان" كان يرغب في إنهاء الدراسة الثانوية ومن ثم الالتحاق في الجامعة لدراسة كيمياء التغذية.

بدأ "جبرائيل" العمل في المسيح الذي كانوا يجهزونه لموسم الصيف. نظفوا الحوض، وبدلوا الأنابيب، وأصلحوا المقاعد. حين كان "جبرائيل" يخرج في الصباح إلى العمل كان يضحك بينه وبين نفسه، لأنه سوف يقوم بتحضير حوض السباحة للسباق المنتظر في الأول من سبتمبر - أيلول، ولكنه أدرك لاحقاً شأنه شأن "يان" أن السباق لم يعد ضرورياً.

حين عادت "ماريا" مع بداية الصيف من "زلاتي مورافتسي"، نادراً ما كانت تلتقي الاثنيين، ولكنها علي العكس من ذلك كانت تمضي معظم وقتها مع "بتر". كانت تُحضر القهوة للاجتماعات واللقاءات، ولنشاطات الشيعيين، وكان "بتر" كل مساء يتأبط ذراعها ويرافقها إلى البيت. كان الشيعيون متماسكين فيما بينهم مثل أجنحة الغربان الحمر.

أصبح "يان" مع "جبرائيل" زوجاً لا يفرق أحدهما عن الآخر، وبذلك تخلصا من عناء الوحدة.

أكدت اليهودية العائدة من معتقل "أسخويتز" الخبر الذي حصل عليه "بتر" من الصليب الأحمر والقائل إن والدة "جبرائيل" ماتت في معسكر الاعتقال، وحسب قولها: انهارت جسدياً ومعنوياً. لقد سجلت مرضاً في صباح أحد الأيام بالرغم من معرفتها الأكيدة من أن ذلك سيكون طريقها إلى الموت. تذكر "يان" بشكل ضبابي تلك المشية الشجاعة والسلوك الرائع للسيدة "روزنبرغ" قبل الحرب معتقداً أنها اختارت الموت لتحافظ على عزتها ووقارها. حاول "يان" قول ذلك لـ "جبرائيل" ولكن هذا لم يفهمه.

الأخبار المتعلقة بالسيد "روزنبرغ" لم تكن مؤكدة. قيل إنه أصيب مع نهاية الحرب بالتيفويد.

ظهرت أخت "جبرائيل" بشكل مفاجيء في منتصف حزيران، ولكنها لم ترجع للسكن في "لفتسي" بصورة نهائية، بل جاءت لتعرف ما إذا كان أحد من أفراد عائلتها لا يزال على قيد الحياة. رحب بها "يان" ولكنه تركها بعد ذلك مع "جبرائيل". غادرهما مثل كلب ضرب على مؤخرته. ركض باتجاه نهر "بيرتسو" واختبأ تحت أغصان الشجرة الحزينة وأجهش في البكاء. إن فرحة "جبرائيل"



بحضور أخته "دوريكا" أكدت لـ "يان" حجم المأساة التي تخلفها الوحدة. كان يشعر بفداحة غياب والديه كما أنه تذكر "يتكا". كان يتوقع أنها حتى اللحظة الأخيرة تمسك السلاح بيدها لتدافع بتطرف عن ألمانيا. ذهب "يان" لزيارة "بتر" في ذلك المساء. وجده في البيت. ترافقا إلى المدينة وجلسا في إحدى الحانات وشربا حتى الثمالة. أصر "بتر" الثمل على ضرورة إجراء السباق في الأول من سبتمبر. لم يكن الأمر يهم "يان" ولهذا السبب وافق على الاقتراح.

حين أغلقوا الحانة اضطروا إلى طلب مساعدة شرطي المدينة لأنهما لم يتمكنوا من الوقوف على أقدامهما. حين رآهما الشرطي بهذه الحالة وعرف أن أحد الثملين هو "بتر"، الشخصية الهامة في البلدية لم يودعهما السجن بل جرهما، وبالتحديد أوصلهما إلى باب مكتب "بتر" حيث استيقظا هناك في الصباح.

كان الاتفاق على إجراء السباق لا يزال ساري المفعول بالرغم من أن ثلاثهم كانوا متيقنين من أن النتيجة لن تغير شيئا، لا سيما وأن "بتر" قد خطط للزواج من "ماريا" في بداية العام القادم.

لا يزال أمام الشيوعيين الكثير من العمل لتحضير الانتخابات وللنقاهة لكنهم في البداية سيقضون بعض الوقت في تأمين سعادتهم الخاصة، - شرح "يان" فكرته لـ "جبرائيل" بسخرية.

عادت "دوريكا" أخت "جبرائيل" إلى "بودابست" حيث كان بانتظارها أحد الشبان من الذين تعرفت عليهم أثناء الحرب، وكانا قد قررا الزواج. تركت عنوانها ورقم هاتف جيرانها. ذهب "جبرائيل" برفقة "يان" إلى مركزالهاتف بعد عدة أيام وجريا الاتصال بالخارج. تحدثا مع الجارة لأن "دوريكا" كانت خارج البيت. كانت أجرة المكالمات باهظة الثمن، ومنذ ذلك الحين أخذ "جبرائيل" يهاتف أخته من مكتب "بتر" بالمجان.

في آب تناهت إليهم أعمال العنف الجارية في بولونيا ضد بعض السكان لأسباب عرقية ودينية. بعد نصف سنة من انتهاء الحرب جرت أعمال عنف وقتل بحق اليهود، وعلى عكس "جبرائيل" كان "يان" شبه متأكد من أن شرارة البغض سوف تطال سلوفاكيا، لهذا السبب كان ينام والبلطة تحت وسادته، متيقنا من أنه بذلك سوف يدافع عن صديقه أو عن أي شخص من تلك المجموعة الصغيرة التي يشكلها اليهود العائدون آنفاً من معسكرات الاعتقال.

خطط "يان" في تلك الأثناء حياته بطريقتين: إما أن ينهي دراسته ويصبح مديراً لمصنع المعلبات، حيث بإمكانه المشاركة في إنتاج أفضل المأكولات التي ستحصده الجوائز في جميع أنحاء العالم، أو الموت ميتة شاب شجاع. مثلاً الموت ذوداً عن اليهود، وهذه الفكرة بدت له نبيلة.

كانت الأفكار مرتبة في عقل "بتر" بشكل لا لیس فيه. إن العنف الجاري في بولونيا سببه خطأ محلي ناتج عن الحرب التي اشتعلت دون سبب عقلائي، وليس من الضروري إعطاؤه أهمية زائدة. لم يجبنوا على ذكر تلك الأمور في أدبيات الحزب ولهذا من غير المعقول أن تتكرر.

قرع في نهاية آب اثنان من الشباب باب منزل "يان" و"جبرائيل". كانا يبحثان عن السيد "روزنبرغ".

- أنا "روزنبرغ"، - قال لهما "جبرائيل".

- هل أنت يهودي؟ سألاه بشكل مباشر.

- نعم، وهل أنتم من الغستابو؟ - سألهما "جبرائيل" بلهجة حادة.

رفع أحدهما يده معتذراً.

- عفواً، سنشرح لكما في الحال كل شيء.

- علينا في البداية أن نطرح نفس السؤال على السيد الآخر.

- أنا أيضاً يهودي، - رد عليهما "يان" بأعصاب باردة، وحين لمح نظرة "جبرائيل"

المتسائلة، أضاف:

- من جهة أُمي.

أوما الرجلان برأسيهما تعبيراً عن رضاهما الكامل، وعرفاً نفسيهما بوصفهما يمثلان الوكالة العالمية التي تقوم بترحيل اليهود إلى فلسطين. "أليابيت". مهمتهم تجميع الذين يرغبون في بدء حياة جديدة في أرض الميعاد. سوف تُنشأ في أقرب وقت على أرض فلسطين دولة مستقلة لليهود.

- كل ما يهمنا هم الشباب الذين ستؤمن لهم تلك الدولة الأمان والحياة الهادئة بين أهلهم. شرح أحدهما.

- بدون ملاحظات وإهانات، وبدون معسكرات اعتقال وتمييز عنصري وبدون إجبار على التأقلم مع الذل والخجل، - أضاف الثاني.

- لا توجد عندنا أي مشكلات هنا، أراد "جبرائيل" إنهاء الحديث.

- لا يمكن القول... قال "يان" متشككاً، - من الأفضل أن تتابعا الحديث، يا سادة.

شرح الرجل أن هناك العديد من يهود تشيكوسلوفاكيا، وبولونيا، والمجر وغيرهم من الدول يرغبون في السفر. الرحلة إلى فلسطين تسبقها إقامة في معسكر حيث يأخذ الجميع دورة سريعة في اللغة.  
- إنه اختيار خطير، - قال "يان".

- نعم، بالطبع على مدى الحياة، - أكد أحد الرجلين تلك الحقيقة، - لهذا السبب فإننا لا نريد منكما الجواب في الحال، وستتوقف عندكما في نهاية سبتمبر. معكما ما يكفي من الوقت لتفكرا في الأمر.

- ولكننا نطالبكما بالسرية الكاملة، - أضاف الرجل الثاني، - وشيء آخر، هل يمكنكما إرشادنا إلى يهود آخرين في "لفتسي"؟  
- أعرف بعضهم، ولكن الرايين أفضل من سيرشدكما، - رد "جبرائيل".  
نظر الرجلين إليه مندهشين.

- رايين؟ إن "لفتسي" منذ سنة بدون رايين، ألا تعرفان؟  
- إن الأمر... تلعثم "يان" في الكلام... لقد أمضينا وقتاً طويلاً خارج المدينة. في تشيكيا، وفي المجر، والخ.

قال "جبرائيل" بعد مغادرة الرجلين، لن أذهب إلى أي مكان، واغتاظ من "يان" لأنه أطل الحديث مع هذين الرجلين.  
- يعجبني أن أسافر، قال "يان".  
- ولكنهم لا يريدون أمثالك.

- لقد حاول اليهود أثناء الحرب أن يتغيروا إلى مجريين و سلوفاك أو تشيك لكي ينجوا بأرواحهم، وما الذي يمنعني الآن من أصبح يهودياً؟

احتاج "يان" إلى أربعة أيام كي يقنع صديقه، وفي صباح اليوم الخامس قال "جبرائيل"، إذا كانا قد أصبحا بعد الحرب وحيدين، فعليهما أن يتحدا مع الآخرين اللذين لهم أوضاع مشابهة.

كان على سباق الأول من سبتمبر أن يكون بمنزلة الوداع مع "بتر" و"ماريا". كانت رغبتهما في أن يكون "بتر" الأخير في السباق. إذا كانت "ماريا" قد أصبحت من نصيبه فلا بأس عليه إنْ خسر السباق.

كان الأمر شبه مؤكد بأن "جبرائيل" سيربح لا سيما وأنه كان يعمل منقذاً، وكان يسبح كل صباح ومساء عدة أطوال. لقد زاره "يان" عدة مرات. لم يعودوا يسبحون سباحة الكلاب لأنهم أتقنوا سباحة الكراول.

اتفقوا على السابعة والنصف لإجراء السباق، كون شط المسبح لا يزال مغلقاً ومن ثم سيكون بكامله لهم. وعد "بتر" أن يحضر "ماريا" لتكون الحكم والمتفرجة في ذات الوقت.

الأول من سبتمبر كان يوم السبت. تعود الباعة من القرى المجاورة في ذلك اليوم الحضور إلى "الفتسي". خرج "يان" برفقة "جبرائيل" من البيت حوالي الساعة السابعة دون فطور، لأن "جبرائيل" قرأ في التعليمات المخصصة للسباحين أن الشاب البالغ عليه أن يمتنع عن الأكل ساعتين قبل السباحة، والطفل ساعة ونصف.

أوشكا وهما في طريقهما أن يتصادما مع عجوز محني الظهر يرتدي معطفاً ممزقاً، أمسك بطرف معطف "جبرائيل".

- سنعطي ذلك الأحذب قطعة نقود كي يجالفنا الحظ في السباق، - ضحك

"جبرائيل" وهو يضع يده في جيبيه.

- ألم تعرفني يا ولدي؟ سأله العجوز.

لقد نجا من عائلة "روزنبرغ" المؤلفة من أربعة أفراد ثلاثة في الحرب وبذلك

أصبحت تلك العائلة أكثر العائلات اليهودية اكتمالاً في "الفتسي".

## حادثة عام 1946

"شالباخ"، هي صفة الرجل الذي ينظم انتقال اليهود إلى فلسطين، وكان قد توقف عند "يان" و"جبرائيل" خمس مرات على الأقل منذ ذلك الحين، وفي كل مرة كان يؤكد لهما أنهما سيغادران معه في أقرب فرصة، ولكنه يعطي الأولوية في الوقت الحاضر للذين يحتاجون المساعدة السريعة لأنهم مهددون في حياتهم، ومع ذلك فقد أخذهما من "لفتسي" قبل يوم واحد من انتخابات تشيكوسلوفاكيا، في الخامس والعشرين من أيار عام 1946.

بقي السيد "روزنبرغ" في بيتهم في "لفتسي". كان مريضاً، لهذا السبب لم يتجرأ الخوض في رحلة غير مضمونة النتائج. حين ذهب "جبرائيل" بوصفه من طلائع المهاجرين، اتفق مع أبيه على أن يكتب له مباشرة فور وصوله عن طبيعة الرحلة، وإذا لم تكن شاقّة، وما إذا كانت الحياة أيضاً آمنة في فلسطين.

ذهب "جبرائيل" برفقة "يان" إلى المعسكر الموجود في "تبلتسي شانوف". عرفا من الجرائد اليومية في "الهاسكار"<sup>1</sup> أن نتائج الانتخابات في سلوفاكيا جاءت مختلفة بشكل كامل عن مثيلتها في تشيكيا وبأن الشيوعيين أصيبوا بهزيمة. تحسرا على صديقهما "بتر" الذي كان يتوقع من الانتخابات أشياء كبيرة. كان على يقين من أنه بعد الانتصار السياسي الكامل للحزب الشيوعي سوف يتمكن بهدوء من طلب يد "ماريا".

أصبح "الهاسكار" مركزاً لتجمع كبير لأناس من مختلف الأعمار ومن بلدان مختلفة. فبالإضافة إلى اليهود المتحدرين من تشيكيا وسلوفاكيا كان هناك يهود من بولونيا، ولاتفيا، ورومانيا. ومنهم من لم يعودوا بعد تحريرهم من معتقلات النازيين

<sup>1</sup>. الهاسكار: المعسكر بالصربية.

إلى البلاد التي يتحدرون منها لخوفهم من القتل هناك. بعضهم عادوا ولكنهم هربوا بعد المذابح التي حدثت في خريف 1945 في "سوسو نفتسي" و"لوبلين"<sup>11</sup>.  
نشوت أفكار "يان" كثيراً في البداية، لاسيما حين سمعهم يتفاخرون بتحملهم الحياة القاسية والمآسي، ويذكرون فقدانهم للأقارب. سخروا من المصائب التي عاشوها، وضحكوا من الضربات الموجهة التي أصابتهم. أكثر ما كانوا يحبون من الحديث كانت النكات ضد اليهود. لم يفهم "يان" ما يدور من حوله.  
- لا تفهم، لأنك لست يهودياً. - قال له "جبرائيل" مرة، وكأنه شرح بذلك كل شيء.

بالطبع، أخفى "يان" حقيقة كونه غير يهودي، وكانا قد اتفقا على ذلك في "لنفتسي".  
كانت لديهم في الصباح حصص دراسية. كان برنامجاً فريداً من نوعه. إيفرت، إنكلش، رابين، تراكتور.

- "إيفرت" هي العبرية الحديثة التي ما عدا كلمة "شالوم" لا علاقة لها من قريب أو بعيد بـ "جيدش" التي يتحدثها بعضكم. - قال لهم مدرسهم الشاب عند بداية الحصّة الأولى.

أشاد في النهاية بـ "يان" الذي استغرب كيف كانت الكلمات تعلق بذهنه بسرعة، بينما كان "جبرائيل" والصبية الجميلة "ستيفاني" الأسوأ بين الجميع.  
- انتبه، - شرح "يان" لـ "جبرائيل"، - كل كلمة عبرية وكل جملة أيضاً لها كلمة مشابهة أو جملة مشابهة في التشيكية أو السلوفاكية. حين تقدم لأحدهم العصيدة، تقول له، خذ إنها عصيدتك، وفي العبرية كلمة "بيفاكاشا" تعني تفضل. حين تودع أحد الأذكياء (ماخر بالسلوفاكية) وتتمنى رؤيته من جديد، تقول: زيترا "غداً" فون، ماخر، وبشكل مشابه في العبرية إلى اللقاء في الغد هي الجملة "لهترا أوت ماخر". حين يعطيك أحدهم شيئاً، تشكره لأنه أعطاك (تو دال، بالسلوفاكية تعني أعطاك إياه)، وبالعبرية "تودا" تعني شكراً. إنها عملية سهلة وكل ما عليك هو أن تتذكر الربط المناسب. المساء بالسلوفاكية "فتشر" vecer، وبالعبرية "erev"، لقد بدلوا الأحرف.

<sup>11</sup>. "سوسو نفتسي" و"لوبلين": قرى تقع شرق بولونيا.

استخدم "جبرائيل" طريقة "يان" في التعلم ولكن النتائج كانت سيئة للغاية. قال لهم المدرس الصبور في إحدى المرات إنه يشك في يهودية "جبرائيل". أطلق "يان" إثر ذلك ضحكة مدوية، ومما اضطره إلى مغادرة الغرفة.

لقد درسوا الانكليزية بوصفها لغة الأعداء. كانت فلسطين في حينها تزرع تحت نير الانتداب البريطاني، وكان عليهم فور وصولهم إليها التحدث إلى أولئك الذين سيطردونهم في أقرب فرصة سانحة منها. استغرب "جبرائيل" حديث المدرس عن فلسطين التي لم يروها في حياتهم، لا سيما حين وصفها بـ "أرض الميعاد"، والوطن الذي عليهم طرد المستعمرين منه، وهم البريطانيون الذين - حسب رؤية "جبرائيل" - يجب على جميع اليهود تقديم الشكر والعرفان لهم لأنهم ساعدوا في هزيمة الألمان. أكثر المتحمسات لدراسة الانكليزية كانت "ستيفاني" التي كانت تكرر الكلمات في وقت فراغها وتمطر المدرس بأسئلتها المختلفة. كان المسكين "جبرائيل" حتى في الانكليزية من أسوأ الطلاب.

- ربما أكون في الحقيقة لا أملك الموهبة المطلوبة لتعلم اللغات، - اشتكى "جبرائيل".

وعلى عكسه كان "يان" الأسوأ في حصة الديانة، ولو أنه تعلم الديانة المسيحية في البيت من قبل لكان عرف على الأقل مبادئ العهد القديم، إلا أن والدته أصبحت متدينة بعد انتقالها للسكن في "برنو"، آنذاك كان "يان" من الراضين للديانة. لذلك كان شبه أمي في أمور الديانة، وكانت عنده ساعات الرايين مسلية. كان يتكلم خليطاً بين الانكليزية والعبرية واليهودية ويستخدم يديه وتعابير وجهه ورسم الصور للتعبير عما يجول في خاطره. كان مضحكاً في الحقيقة، وكان على الجميع عض الأوراق لكي لا ينفجروا بالضحك. الوحيدة "ستيفاني" لم تتحمل فقد انفجرت ضاحكة عدة مرات.

أوعز الرايين في إحدى المرات إلى جميع النسوة والفتيات كي يغادرن الصف، وأخبر الرجال أنه يريد فحصهم قبل مغادرتهم ليعرف ما إذا كانوا جميعهم مختونين، ومن لم يكن، عليه أن يخضع لعملية الختان في غرفة المعاینات، وهذا الشيء ليس إجبارياً حسب زعمه لكنه صحيح. لحسن الحظ كانت طريقة الفحص محترمة بشكل كبير. قام الرايين بتجهيز "كابین" صغير من الستائر وجلس فيه، وكان على الرجال والشباب أن يدخلوا قضيبهم من الثقب بين ستارتين ويذكر كل واحد

فيهم اسمه الذي كان الرايين يدونه في السجل. تقدم "جبرائيل" للفحص بين الأوائل وأعاد الكرة مرة أخرى في نهاية الرتل عوضاً عن "يان".

- كيف يمكن لعصفوري غير المختون أن يقدم الشكر لقضيبك المختون؟ سألته "يان" وهو يضحك.

أصبح "يان" منذ ذلك الحين ينتبه أكثر أثناء الاستحمام وتبديل الملابس، وحين يقابله أحدهم كان يصنع كمية كبيرة من رغوة الصابون ليغطي بها قضيبه.

علموهم قيادة المحراث لأنهم توقعوا أن أكثرهم سيبدأ حياته العملية في حقول الزراعة المسماة "كيبوتز". قال "جبرائيل" إنه لو أصبح كل واحد منهم سائق محراث لممكنهم ليس فقط استصلاح صحراء فلسطين، بل التوسع عبر مصر إلى الصحراء. رفضت "ستيفاني" تعلم قيادة المحراث، وبررت رفضها بالقول: إن ذلك يعتبر إضاعة للوقت والوقود.

تحدثت "ستيفاني نوال" من القسم الشرقي لبولونيا الذي كان الاتحاد السوفيتي قد ضمه إلى أراضيه بعد الحرب. وكانت قد أمضت سنتين في معسكر الاعتقال النازي وفقدت عائلتها بأكملها.

- إن شعرها يوحي لي كأنها تحمل على كتفها غراباً أسود، - قال "يان" مازحاً.. - ومنظرها.... كيف لي أن أصفه؟.

- يبدو لك ساحراً حسب اعتقادي ساعده "جبرائيل"، - ولكنه حسب رأبي أيضاً لا يثير الانتباه. ليست أجمل من أية عجرية.

كانت "ستيفاني" في نظر "يان"، امرأة يصعب تجاهلها، مؤكداً أن بشرتها ناعمة مثل كريم الشوكولا ولون شفيتها البفسجي يذكره بأوراق زهرة متفتحة.

- ملكة إسبانية جميلة، - تنهد "يان"، - لا يزال المجرم الفاشي "فرانكو" يحكم إسبانيا ولا توجد ملكة، - ذكره "جبرائيل".

- حسب خبرتي، إن هذا الصنف من النساء شهوانيات في السرير، - تابع "يان" حديثه.

- لا تسرح بخيالك، - حاول "جبرائيل" إسكاته.

- لا زلت تفكر في "ماريا"، أليس كذلك؟ كثر "يان".

- من يدري كيف يعيشان؟ تنهدت "ماريا".

- إنها مشكلتهما، - رد عليها "بتر" بقسوة وأضاف: كان ذلك خيارهما، من دولة ديمقراطية شعبية تشيكوسلوفاكية إلى دولة تحت الانتداب البريطاني.



- أرجوك، - أدارت "ماريا" رأسها مستاءة من كلامه. - لا يمكنك أن تفسر كل شيء بالسياسة، انظر إلى موضوع صديقك من ناحية إنسانية.  
- إنسانية؟ كشر "بتر". - إنني سعيد لوجودي معك من الناحية الإنسانية بينما غرهماي بعيدان عنا، وكلاهما من الناحية الانسانية لا يعنيان لي شيئاً...  
وضعت إصبعها على فمه. طبع عليه قبلة. ابتعد أحدهما بسرعة عن الآخر لأن بعض الناس بدؤوا في الدخول إلى الغرفة.

كان "بتر" و"ماريا" قد جهزا حتى الظهرية الشعبة المدرسية التي كان من المفروض أن يعقد فيها نشاط حزبي تحت عنوان "حل المسألة المجرية في "لفتسي" وضواحيها". ذهبوا في البداية إلى "بيرتسي" لقطف الأزهار البرية التي تزين الآن الطاولة الرئيسية التي علقت فوقها يافطة كتب عليها "الأممية العمالية - منارة لمستقبل جميع شعوب العالم". كان "بتر" من اخترع ذلك الشعار، و"ماريا" من قص أحرفه.

انطلقت مع إشراقة صباح الخامس والعشرين من شهر آب الحافلة التي تقل المهاجرين من "تيليتسي". عبرت مدينة "بلزن" باتجاه الحدود الألمانية. كان "شالباخ" يلوح على الحدود بجدول أسماء المسافرين الذي يثبت حصولهم على تأشيرات السفر الممهورة بأختام دوائر الشرطة، وقيادة المناطق المحتلة، ووزارة الخارجية. لم يكن كل شيء بالطبع على ما يرام لأنه كان يبدو في منتهى العصبية عند كل حاجز أو مفرزة مراقبة عسكرية.

ساد التوتر بين صفوف المسافرين مباشرة بعد الحدود الألمانية.. لقد عاشوا أوقاتاً صعبة سنوات طويلة، حين كان بوسع أي ألماني قتلهم في أي مكان. إنهم الآن يعبرون القرى والمدن الألمانية، ويحيط بهم الألمان والألمانيات من كل صوب، وهم ذاتهم الذين كانوا أثناء الحرب. فجأة لم يعد هناك أي أثر لللنكات عن اليهود.

عبروا "ريجنسبورغ" متجهين جنوباً حتى وصلوا إلى التقاطع الموجود قبل مدينة "ميونيخ" حيث تنتصب على طرف الطريق لوحة تشير إلى "داخ"<sup>٣١</sup>. حين انطفأ الباص في ذلك الاتجاه، دوت صيحات استنكار وتذمر. قال لهم "شالباخ" شارحاً، بأن مركز توزيع الغذاء المقدم من الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب، UNRRA، قد جهزت هناك استراحة يمكنهم فيها الاغتسال وتناول الطعام. صرخوا

<sup>٣١</sup> داخ: معسكر اعتقال نازي شهير.

جميعهم رافضين الذهاب إلى هناك وطالبوه بالعودة والخروج من هذه البلاد في أسرع وقت. لم يكن أمام "شالياخ" سوى الإذعان والطلب من السائق أن يدير الحافلة والعودة في أقرب مكان.  
توقفوا في الليل في أحد الحقول.

- وهل يخاف مهاجرون آخرون في ألمانيا؟ سأل "يان" السائق الذي لم يجبه على سؤاله بشيء، ولكن "شالياخ" دمدم قائلًا إنه لم يصادف مثل هذا التوتر في حياته. عبروا مع إشرافة الصباح الحدود إلى النمسا. كانت الحافلة تتحرك بصعوبة كبيرة أثناء صعودها التلال المحيطة بجبال الألب، لذا توجب عليهم أن يترجلوا في إحدى القرى الموجودة في أسفل قلعة قديمة وينتقلوا إلى حافلة أخرى كانت بانتظارهم.

- مؤامرة.. قال "جبرائيل".

قطعوا الحدود الإيطالية بعد الغروب، وفي الحال تغير المزاج، وعم المرح بين صفوف المهاجرين. توقفوا قبل منتصف الليل كي يتمكن السائق من النوم. فرش البطانية في المعبر الموجود بين المقاعد واستلقى عليها، وفي الحال غط في نوم عميق بينما نام المسافرون لليوم الثاني جالساً في مقاعدهم.

أفاق "يان" في الصباح وقد تكسر جسمه، ووجد صعوبة كبيرة في النهوض على قدميه. تعرجت الرحلة حول بحيرة زرقاء - فضية تحيط بها الغابات المعتمة من كل جوانبها.

عبروا في ظهيرة ذلك اليوم حول ما تبقى من مدينة "ميلانو" التي لم يبق منها سوى الأطلال متمثلة بجدران العمارات الشاهقة. قال "جبرائيل" إن "ميلان" تبدو في وضع أسوأ من وضع "بودابست". حين توقفت الحافلة بالقرب من مركز البريد أخبرهم "شالياخ" أن عليه إجراء مكالمة هاتفية. عاد بعد ذلك وبقيت الحافلة في مكانها إلى أن حضر رجل آخر وجلس خلف المقود وأدار المحرك. استلقى السائق القديم من جديد في الفسحة بين المقاعد، وبعد دقيقة بدأ بالشخير.

كان الليل قد أرغى ظلاله حين وصلوا إلى "جنوة"، ومع ذلك بدت لهم المدينة ساحرة. كان الجو معباً برائحة البحر وكان الناس يتجمعون أمام المقاهي حيث تصدح الموسيقى في حانات المرفأ، في حين كان العشاق يتمشون ببطء في الشوارع وكأنهم ينتظرون إشرافة الصباح.

كان "جبريل" و"يان" يتطلعان بشغف من النافذة.

- هنا أحب أن أبقى، - همس "جبرائيل".

تعرفوا في عتمة البحر على السفن العملاقة الآتية من خلف المحيط وهم في طريقهم إلى المرفأ. صعدوا إلى قارب صغير لا يزيد طوله عن الخمسين متراً، وحين وجدوا أنه بدون نوافذ أو كابينات للنوم، تأكدوا أنهم سينتقلون إلى السفن الكبيرة الراسية في عرض البحر التي لا يمكنها الوصول إلى المرفأ.

اعترضتهم مشكلة أثناء صعودهم إلى السفينة. كانوا يصعدون واحداً تلو الآخر على الجسر وأثناء ذلك يصرحون للموظف الإيطالي عن أسمائهم التي كان يؤشر عليها في القائمة. وبالرغم من أن جميعهم حضروا بقي اسم واحد دون تأشير. "ستيفاني نووواك"، "ستيفاني نووواك"، - نادى الموظف كأنه يغني، ولكن "ستيفاني" لم تكن موجودة.

- نوواك، عندها حرارة، إنفلونزا، صرخ "شالباخ".

هز الإيطالي رأسه، وألقى التحية.

تحرك المركب ببطء.

- ولكن أين "ستيفاني"؟ علينا في كل الأحوال انتظارها، - طلب "يان".

- ليست المرة الأولى التي يتخلف فيها أحدهم، - رد عليه "شالباخ" دون اكتراث.

- لقد خططت "ستيفاني" الذهاب إلى أمريكا، - همست صبية كانت تسكن معها في أذن "يان".

ألقى "يان" نظرة وداع على المرفأ الذي أصبح بعيداً، وأحس أنه أضع فيه إنساناً آخر. انتاب "جبرائيل" ذات الشعور لذا وضع يده على كتف صديقه وقال:

- لا تأسف على أوروبا، إننا نودع الحرب التي أخذت منا أقرب الناس.

- وداعاً أوروبا، صرخ أحدهم بالألمانية.

لم ينتقلوا إلى أي سفينة كبيرة بل تابعوا رحلتهم في عرض البحر المتوسط على متن سفينة النقل ذاتها. جلسوا على البطانيات وعلى الأكياس الفارغة التي كانت موجودة تحت حجرة القبطان، وكان قد سبقهم إليها مسافرون آخرون نزلوا من ثلاث أو أربع حاقلات ولهذا كان المكان يغص بالمهاجرين.

بدأت أعراض - مرض البحر - بعد وقت قصير بالظهور. بعضهم تقياً مباشرة في البحر وبعضهم الآخر في الموانع التي وزعها عليهم مع الدواء طاقم السفينة الأرجنتيني.

تمكن بعضهم في المساء من التغلب على مرضه ومن ثم تناول الطعام. بقي "يان" متأثراً، وكان لا يزال يتقيأ بعض الشيء، أما "جبرائيل" فقد كان أسوأ الجميع تحملاً. اخضر لون وجهه وتبقعت رقبتة باللون الأحمر من كثرة التقيؤ. سوف يموت، - قال "يان" لقبطان السفينة الذي كان وحده من يفهم الألمانية من بين جميع طاقم السفينة.

- لم يسبق أن مات أحد بسبب مرض دوار البحر، - رد عليه القبطان. تمكن "جبرائيل" في الساعة الثالثة صباحاً من التغلب على المرض وفي المساء كان بوسعه رؤية الأضواء المنبعثة من مرفأ حيفا. تطلع الجميع بفرح شديد إلى وطنهم الجديد.

- أرض ميغادكم، - قال لهم "شالباخ" بفرح.

بالتزامن مع كلماته سُمع صوت زَمُور قارب يقترب منهم بسرعة كبيرة. كانوا جنوداً بريطانيين. أجبروهم على التوقف وصعدوا برشاشاتهم الأوتوماتيكية الملقمة على ظهر القارب. بعد جدال قصير مع القبطان الذي لم يصدقوا بأنه لا يتكلم الانكليزية، أبلغوهم أنهم جميعهم رهن الحجز وسيتم نقلهم إلى المعتقل. لا يسمح للسفينة بالتحرك، ومن ثم انتهى دو "شالباخ" بوصفه دليلاً.

بعد وقت قصير وصل قارب شبيه بقاربهم. رمى منه بحارته جسراً راح بعض الجنود البريطانيين يعبرونه إلى قاربهم ثم بدؤوا بتمشيط المركب وجمع المهاجرين على ظهره.

أمسك "يان" صديقه "جبرائيل" من كم قميصه وسحبه إلى الضابط الذي كان يصدر الأوامر.

- بليس وي آر نات جويش، - قال للضابط البريطاني الذي نظر إليه بازدراء.

- إننا نبحث عن عمل بريطاني جيد، إننا نريد مالاً بريطانياً جيداً.

اقترب منهم في تلك الأثناء جندي آخر بانتظار اللحظة التي يعطيه فيها الضابط الأمر بإبعاد هذين المشاغبين. ارتسمت على شفتي الضابط ابتسامة ساخرة جعلت الجندي يفهم أن عليه الانتظار.

أخرج "يان" جواز سفره بسرعة وتابع كلامه المستهجن بلغة إنكليزية ملأى بالأخطاء النحوية.

- وي آر فرام تشيكوسلوفاكيا..... إن بلادنا قد دمرت أثناء الحرب. "نو جوب، نو موئي، نو برد، نوباتر". بريطانيا عظيمة وغنية. "وي وأنت اونلي جود بريتش

جوب، أند جود بريتش موني". ندرك الآن أننا أخطأنا ونطلب منكم السماح،  
ومساعدتنا في العودة إلى وطننا، إلى تشيكوسلوفاكيا. "بليز".

لم تختف من وجه الضابط تلك الابتسامة الساخرة، ولكنه مع ذلك كان يصغي،  
وهذا ما استغله "يان" ليكرر كلامه.

- لقد فهمنا الآن أنها كانت غلطة. لن نخطيء بعد الآن. لسنا بحاجة إلى المال  
البريطاني، "نو مور بريتش إمباير. وي وانت تو جو هوم..." إلى أوروبا، إلى  
تشيكوسلوفاكيا. نرجوكم، نرجوكم.

- ولكنكم يهود، - قال له الضابط.

- لا، - صرخ "يان".

فك أزرار بنطاله بسرعة جعلت الجندي يسدد فوهة رشاشه إلى الأسفل  
لتلامس فوهته رأس قضيب "يان" غير المختون.

أدار الضابط رأسه بقرف.

- بليس، بليس! - صرخ "يان" مؤكداً، - "وي أر نت جويف".

تحرك قائد الدورية باتجاه الريان وأشار بإصبعه نحو "يان" ويبدو أنه أمره  
بشيء ما. أوما الريان برأسه موافقاً بالرغم من أنه على الأكثر لم يفهم. حين قامو  
باستدعاء "يان" سحب معه "جبرائيل".

- "هي إذ نت جويف..." أشار "يان" بإصبعه على صديقه.

أوحى لهما أنه سوف يفك أزرار سروال صديقه، ولكن ذلك لم يكن ضرورياً. هز  
قائد الدورية رأسه مشيراً إلى أن الاستثناء ينطبق على صديقه أيضاً، ثم اتجه نحو  
رجالهم الذين كانوا أثناء ذلك ينقلون المهاجرين إلى القارب العسكري البريطاني.

- إن قضيبك غير المختون رد الجميل لقضيبي المختون، همس "جبرائيل".

أخبرهما ريان السفينة بعد رحيل القارب البريطاني أن عليه إبقاء السفينة  
راسية في هذا المكان حتى صباح الغد، وعليه الإبحار في السادسة صباحاً بالضبط.

- عليكما تنظيف سطح المركب من القياء. لأني لن أنقلكما إلى "جنوة" بالمجان.

كان الهدوء يعم أرجاء السفينة بعد منتصف الليل حين ألصق "يان" نظارته إلى  
يده بشريط، وثبت في اليد الأخرى علبة من الشوكولا التي تحتوي على ثلاثين  
دولاراً من العملة الورقية، وألصق أيضاً جواز سفره وجواز سفر "جبرائيل" على  
فخذه بالرغم من عدم فناعته أنهما سيحتاجان إليها.

حين غافل النوم "جبرائيل"، هزه "يان" من كتفه وقال له:

- هيا، لقد حان الوقت.

صعدا بحذر إلى ظهر السفينة، ولم يجدا أحداً هناك، في حين شدتهما إليها "حيفا" بأنوارها الساطعة من بعيد، وأكثرها كان ذلك الضوء الكاشف الذي همشط سطح البحر.

- هل تعرف ما هو تاريخ اليوم؟ همس "جبرائيل" حين وقفا على طرف القارب.  
- ما هو؟ - سأله "يان".

- إنه الأول من سبتمبر. أخيراً سوف نتسابق ونعتبر مشاركة "بيتر" باطله لأنه لم يلتحق بنا.

قفزاً إلى البحر الذي كانت مياهه هادئة، لكنها وسخة.

أدرك "يان" بعد ربع ساعة من السباحة أن اليابسة لا تزال بعيدة، وحين أدار رأسه ونظر إلى الخلف اكتشف أنهما أصبحا بعيدين عن المركب أيضاً. حين اقتربا أكثر من اليابسة كان عليهما أن يستلقيا على سطح الماء دون الاتيان بأي حركة، ويغطسا رأسيهما في الماء كلما اقترب منهما الضوء الكاشف. تذوق "يان" في ذلك الوقت أول مرة طعم ماء البحر. كان في الحقيقة مالحاً.

أصبح المواج على بعد مئتي متر من الشاطئ أقوى وبدأ يشكل رغوة بيضاء في مقدمته. ابتعد "يان" و"جبرائيل" أحدهما عن الآخر قليلاً.

تمكن "يان" في النهاية من الوصول إلى الشاطئ. تسلق بعض الصخور وبقي مستلقياً فوق الإسمنت الخشن. استراح هناك منتظراً رؤية أي حركة أو سماع أي صوت. بحث عن "جبرائيل" في الماء، ولكنه لمح دورية حراس بريطانيين.

حرر نظارته من يده ووضعها على عينيه ومع ذلك لم تتحسن رؤيته. اكتشف أن الورق اللاصق (لوكوبلاست) قد نُزِعَ من أحد طرفيه عن يده الثانية، وبذلك يكون قد فقد النقود في الماء، والشيء ذاته حدث مع جوازات السفر. خاف "يان" الوقوف كي لا تراه الدورية. تطلع بداية إلى البعيد محاولاً البحث عن "جبرائيل" في الماء، وبعد ذلك على الصخور ومن ثم على الشاطئ. داهمته في الحال فكرة غرق "جبرائيل" قبل سنوات في مسبح "لفتسي"، وهل حدث له نفس الشيء؟.

لم يعد "يان" يتحمل الوضع. انتصب بحذر على قدميه وصرخ:

- جبرائيل!

- ارفع يديك إلى الأعلى! صرخ أحدهم.

سار "يان" ويده على رأسه في العتمة. كان قلبه يدق في حلقه. فكر في تلك اللحظة أنهم ربما سيطلقون عليه النار ولن يعرف أحد بذلك.

- أنا لست يهودياً، أرجوكم، أرجوكم! سُمع صوت ينادي وتلاه ضحك صاحب.  
- "جبرائيل"، هذا أنت أيها الحمار الأزعر، - شتمه "يان".

كان الشاطيء محاطاً بسور مرتفع تمكنا بصعوبة من اجتيازه، وبحذر شديد مشيا في طريق مرصوف بالحجارة باتجاه المدينة. كانا متيقنين من أنهما سينتهيان في معسكر الحجز إذا لمعهما أي جندي بريطاني أو شرطي.

وصلا بعد وقت قصير إلى شارع مُتور ومزدحم بالناس بالرغم من تأخر الوقت. كان معظم الرجال والنساء يرتدون سراويل قصيرة وقمصاناً من الكاكي. كانا الوحيديين اللذين يرتديان ثياباً مختلفة ومع ذلك لم يغرهما أحد من المارة انتباهاً يذكر، ولا حتى الجنود البريطانيون الذين كانوا أثناء ذلك في وقت استراحتهم. اختاراً أحد الرجال الذي بدا لهم يهودياً، ويمكن القول إنه لم يكن أبيض البشرة مثل البريطانيين ولا شديد السمرة مثل العرب وقال له بالانكليزية:

- وي نيد جويش هلب (إننا بحاجة إلى مساعدة يهودية).

رد عليهما بالعبرية بشيء لم يفهماه ولم يعرفا أيضاً لماذا يردان عليه، ولكنه لحسن الحظ انتقل إلى الألمانية.

رافقهما إلى أقرب بوابة وسألهما أن يخبراه عن رغبتيهما. شرحا له كيف وصلا، وكان ذلك كافياً.

- إننا بالضبط بحاجة إلى أمثالكما، - قال لهما.

عادوا إلى الشارع الرئيسي. أوقف الرجل سيارة أجرة، ولكنه رفض ركوبها وشرح لهما أن السائق عربي. ركبوا بعد ذلك سيارة أجرة أخرى نقلتهم إلى إحدى ضواحي "حيفا". قرع دليهما باب إحدى العمارات التي بدت شبيهة بالمدرسة. فتحت الباب امرأة متقدمة في السن، قال لها بعض الجمل بالعبرية واختفى عن ناظريهما قبل أن يتمكننا من شكره.

سحبتهما المرأة العجوز إلى الداخل واقتادتهما إلى مكتب موجود في بداية معبر طويل ثم طلبت منهما الجلوس. بحثوا عن رجل يتكلم الألمانية وكان عليهما أن يخبراه من جديد كيف وصلا إلى "حيفا". طرحوا عليهما بعض الأسئلة عن الحياة في الـ "هاكسار" واقتادوهما بعد ذلك إلى غرفة مجاورة، حيث تسلم كل واحد منهما زوجين من السراويل الداخلية، إضافة إلى جوارب وبدلة من الكاكي مثل

غيرهما من الموجودين هناك. ناما في غرفة كبيرة تحتوي على عشرين سريراً  
بمطابقين، كانت في غالبيتها فارغة. كان هذا مكان جميع اليهود الوافدين إلى  
فلسطين.

طلبهما المدير في صباح اليوم التالي لمقابلته، أو بالأصح قائد تلك المؤسسة.  
سألهما عما إذا كان لهما أقارب أو أي شخص يمكنهما الذهاب لرؤيته.  
- أريد البحث عن عمي "أنطون روزنبرغ" وعمتي "آنا روزنبرغوف"، قال له  
"جبرائيل".

- أقربائي ماتوا أثناء الحرب، قال له "يان". كانت تلك حقيقة.  
وعد المدير - القائد، "جبرائيل" بأنهم سوف يباشرون البحث في الحال عن مكان  
إقامة عمه أو عمته شارحاً أن الوكالة حسب زعمه نشيطة في هذا المجال.  
بعد ذلك دخل إلى المكتب أحد الرجال. أخبره المدير - القائد بالعبرية إن  
"جبرائيل" و"يان" حضرا من تشيكوسلوفاكيا. نظر إليهما الرجل وسألهما:  
- هل تتحدثان الروسية؟

ارتعب "يان" وحملق فيه في حين رد عليه "جبرائيل" بسرعة:  
- إنني أتحدث قليلاً.

ومع ذلك انتقل ذلك الرجل إلى الحديث بالألمانية.

- هل أنت "أولخ"؟ - سأل.

- لا، - إنني "جبرائيل روزنبرغ".

- نعم، إنه "أولخ"، - قال له "يان" بسرعة، إنه مثلي.

نسي "جبرائيل" أن كلمة "أولخ" تعني اليهودي الذي انتقل ليعيش في أرض  
إسرائيل. سألهما الرجل بعد ذلك عن المدينة التي يتحدران منها، كما أراد معرفة ما  
إذا كانت "لقتسي" في تشيكيا أم في سلوفاكيا. شرحا له أنها في سلوفاكيا.

- هل شاركتما في الانتفاضة ضد الفاشية؟

- لا، لأن "لقتسي" كانت أثناء الحرب تابعة للمجر، - شرح له "جبرائيل".

استدار الرجل نحو المدير - القائد وقال له:

- هل ترى، هذا هو وسط أوروبا. حين احتل الألمان تشيكيا، تشكلت في القسم

الثاني من البلاد دولة سلوفاكيا، وأصبحت "لقتسي" مدينة مجرية. هل يمكن فهم ما  
حدث؟

سألهما بعد ذلك عما يريدان فعله في فلسطين.



- سائق تراكاتور، - قال "جبرائيل" مباشرة ما خطر بذهنه.

ضحكوا جميعاً.

- ولكننا بحاجة إلى ساتقي دبابات، - قال لهم الشاب. فكر لحظة، وبعد ذلك

شرح بشكل مباشر.

- إننا بحاجة إلى جنود لحماية نساءنا، وأولادنا مثلما نحن في حاجة إلى ساتقي

تراكاتور. إذا كنتما لا تتقنان الرمي فإننا سنعلمكما، ولكن يمكنكما أن تكونا نافعين

في أشياء أخرى لأن الحرب بحاجة إلى عاملين في الإذاعة أو ممرضين.

- وماذا عن الطباخين؟ سأله "يان".

ضحك الجميع من جديد ولكن ذلك الشاب عاد إلى حديثه وقال:

- نعم، إذا كانت لديك خبرة بالتموين فإن ذلك يناسبنا لأننا في القريب العاجل

سنحتاج إلى كتائب تموين.

- عندي خبرة في تغليب المواد الغذائية، - شرح "يان".

لم يجبه الرجل بشيء وغادر بشكل مفاجيء.

حين أصبحنا في المعبر بقي "جبرائيل" يتطلع في وجه "يان" مشدوهاً من حديثه.

- وهل ستذهب فعلاً إلى جيش المحاربين؟

- يا "جبرائيل"، أرجوك افهمني، - بدأ "يان"، ولا تكن ساذجاً. إن اليهود يقاتلون

من أجل إنشاء دولة، ولكن لا البريطانيين ولا العرب يوافقونهم. هل جئت إلى هنا

كي تعيش تحت الاحتلال البريطاني؟ أنا لا. لابد لنا في أقرب وقت من فعل شيء ما.

- ضد العرب؟ سأله "جبرائيل" مرتعباً وأضاف. - إنهم يعيشون هنا منذ الأزل!

أم ضد البريطانيين؟ وأنت تعرف أن بريطانيا قاتلت ضد هتلر.

- لقد انتهت الحرب قبل عام ونصف في برلين، - رد عليه "يان"، - إننا هنا الآن

في "حيفا".

أحضرت المرأة التي رعتهما في اليوم الثالث لـ "جبرائيل" عنوان عمه "أنطون"

الذي يسكن في تل أبيب مع زوجته وأخته العمّة "آنا"، كما أخبرتهما أن بانتظارهما

زيارة أمام البوابة. ذهباً مستغربين ليعرفا من الذي جاء لمقابلتهما في "حيفا". كان

رجلاً طاعناً في السن بلحية وقد حضر ليسألها عما إذا كانا بحاجة إلى أوراق

نظامية. بالطبع كانا بحاجة. قال إنه سيصورهما ويعد عدة أيام سيحلب لهما

الأوراق ثم أخرج من حقيبته آلة تصوير كبيرة وأخذ لهما لقطتين، وقبل أن يصحوا

من الدهشة كان قد غادرهما. مباشرة وفي اليوم التالي جاءتهما تلك المرأة التي

كانت في ذات الوقت تخدم بوصفها بوابة العمارة وأخبرتهما عن وصول رسالة. كان المخلّف يحتوي على هويتهما. ذهباً في الحال ليسألاً المدير - القائد ما إذا كانت صالحة، فما كان منه إلا أن أخبرهما أنه بإمكانهما مغادرة المعسكر مع تلك الهويات ولكن عليهما إعلامه إذا أرادا النوم في الخارج، لأن "حيفا" تعتبر مدينة خطيرة، فالعرب واليهود بدأوا التقاتل فيما بينهما. اقترح المدير - القائد على "جبرائيل" أن يهاتف عمه مسبقاً من المكتب إذا رغب في زيارته. اتصل "جبرائيل" مع عمه واتفقا على أن ينتقل إلى "تل أبيب". كان عليه أن يسافر بعد يومين. أصيب "يان" بالخيبة لأنه لم يتوقع أن يبقى وحيداً بهذه السرعة.

أعطى المدير - القائد لـ "جبرائيل" أجور السفر بالحافلة إلى تل أبيب. قام "يان" بمرافقته إلى المحطة. دوّن له "جبرائيل" على قطعة ورق عنوان عمه ورقم هاتفه. اتفقا أن يكتب "يان" أو يتصل بالهاتف فور مغادرته المعسكر كما وعده "جبرائيل" بأن يتحرى له إمكان تدبير عمل في تل أبيب، وكان عمه قد منعه بالحرف الواحد أثناء المكالمة من إحضار صديقه معه.

جلس "جبرائيل" في الباص وراح يراقب من النافذة صديقه "يان" الذي راح يلوح له بيده مودعاً. كان يرى فيه قبل الحرب إنساناً متعجباً وأنائياً، ولكن موت والديه جعله يتبدل إلى إنسان حساس ومتواضع. لقد تقارب أحدهما من الآخر كثيراً خلال السنة الماضية، وحين كان عليهما أن يفترقا، أحس كلاهما بالحزن.

المسافة من حيفا إلى تل أبيب ليست بالبعيدة، ومع ذلك توقف الباص ثلاث مرات على حواجز التفتيش التي أقامها البريطانيون لمراقبة الوثائق. شعر "جبرائيل" عند الحاجز الأول بالخوف ولكنه ابتسم للجنود في المرة الثالثة. عرف بعد وقت أن الابتسامة في مثل تلك المواقف تكون مدعاة للشك، وما أن مراقبة الوثائق ليست مريحة لأحد، لذلك لا يوجد ما يدعو إلى الابتسامة.

كان العم "أنطون" يسكن في بناء مؤلف من ثلاثة طوابق يقع في مركز المدينة. حين وصل "جبرائيل" لأول مرة إلى العمارة أصيب بالدهشة من روعتها. كان طلاء الجدران الخارجية ممزجاً بقطع من الكريستال أو البلور، مما جعله تزهو وتلمع مثل حجر كريم كبير. كان القبو مستودعاً للمواد، والطابق الأرضي والأول ورشات عمل، والطابق الثاني مكان سكن العم "أنطون" مع زوجته التي كانت تفهم السلوفاكية قليلاً لأنها تتحدّر من بولونيا، في حين شغلت العمّة "آنا" الطابق الثالث.

لقد أصبح العم "أنطون" ثريا أثناء الحرب، وكما كان الوضع في "بانسكا بستريتسي"، كان يملك هنا ورشة لإنتاج البياضات الداخلية والمشدات، وقد تمكن في الأربعينيات من الحصول على طلبية من الجيش البريطاني لتصنيع ألف قطعة سراويل داخلية. وظف أول خياطة. أنتج الطلبية دون أي خطأ، ولذلك تمكن بعد وقت قصير من الحصول على طلبية جديدة لتصنيع ثلاثة آلاف قطعة، ولهذا السبب وظف خياطة أخرى، وحين عرف أثناء الحديث مع الجنود أن القوانين العسكرية لا تسمح لهم بإرتداء سراويل رسمية غير تلك التي يقوم بتصنيعها - وهذا الأمر لم يكن مستحباً عند بعضهم لأن تلك السراويل كانت قبيحة في الشكل وغير مريحة - أدرك "أنطون" أن عليه تصميم بياضات تكون قصتها ولونها الترابي شبيهاً بالسراويل الرسمية، ولكن على أن تكون أجمل وأفضل. استطاع في وقت قصير تصميم نموذجين. النموذج الأول كان لسروال يعلوه زنار أبيض يسهل طيه ليصبح خلال ثانية ملائماً للقوانين العسكرية، أما تفصيلة النموذج الثاني فقد أظهرت سعةً في القسم الأمامي من الداخل. لقد صمم "أنطون" قصة للسروال بحيث شكلت قُطْبَ الخياطة في الأمام مثلثاً يبدو معها السروال كأنه يغطي قضيباً كبيراً. وجمع بعد ذلك النموذجين، وعرض في منتصف عام 1941 في فترينة مشغله الجديد السراويل ذات الزنار الأبيض والقُطْبَ التي تشكل مثلثاً في الأمام. كانت تكلفة إنتاج النموذجين بالمقارنة مع السراويل القديمة الرسمية أعلى بمقدار خمسة عشر بالمئة، ولكن السعر الذي وضعه لمنتوجه كان يعادل ثلاثة أضعاف قيمة التكلفة الأساسية. كان المدنيون يشترون المنتج أيضاً.

ركز بعد ذلك العم "أنطون" في إنتاجه على رغبات زوجات الجنود. افتتح مخزنًا صغيراً خصصه للسيدات، وراح يصنع، بالإضافة إلى السراويل العادية والمشدات، نوعين مثيرين من حمالات الثدي مجهزتين برباط شفاف. قَصْر قمصان النوم وبذلك وفر من كمية القماش المستخدم ورفع السعر بما يعادل النصف. لقد راجت بضاعته بشكل لم يتصوره.

وجه غالبية بضاعته في نهاية عام 1946 إلى أمريكا، وصنَّع تيمناً بكنيته "روزنبرغ" ماركة أسماها "روز أند بلاك" احتلت مكاناً مرموقاً في بيوتات الموضة الراقية المخصصة لبيع البياضات. دخل السوق بنوع جديد من الانتاج أو بالأصح بنوع معدل من الموديلات القديمة مثل القمصان الشفافة المثيرة، وحمالات الثدي التي دَعَمها بحشوات جانبية أو أمامية، وحمالات ثدي بدون شرائط أو بشرائط

يمكن فكها بسهولة، ولكن على الدوام بلمعة كبيرة، وحمالات ندي يمكن فكها أو لبسها بوساطة ربطة بين السلتين. لقد عرض للسيدات أيضاً نموذجاً لـ "كيمونو" قصير، وجلباباً بفتحة واسعة "دكولت" على الصدر أو على الظهر، وفتحة تعري قسماً كبيراً من الفخذين، وسراويل رقيقة تُعلق بشرائط من الجانبين، ومن الأمام والخلف. كما كان يبيع الرجال، إضافة إلى السراويل ومايوهات السباحة، بيجامات خاصة مثيرة تخدم الشاذين جنسياً منهم، إذ جهزها بفتحة أمامية وأخرى خلفية، وحين وجد نفسه عاجزاً عن إنتاج موديلات تنافس السوق راح يتفنن باختيار الألوان أو بطبع الصور والأشكال على المنتج، ومن غير المستغرب أن يكون الشارع الفلسطيني إزاء ماركة "روز أند بلاك" محافظاً جداً.

اهتم العم ببيع الجملة وكسب العروض وحضور الاجتماعات مع العملاء التجاريين، أما العمة "آنا" فقد كانت تدير عملية الإنتاج، وبقيت محافظة على طيبة قلبها وبساطة روحها تماماً كما كانت منذ سنوات.

بدأ "جبرائيل" العمل عندهم بوصفه عاملاً عادياً. كان يخييط البيجامات الرجالية والنسائية على الآلات، وكان بوسعه السكن دون مقابل. كانت الغرفة التي يسكنها في الطابق العلوي محاذية لغرفة عمته "آنا" ذات إطلالة رائعة على الساحة التي تتوسطها نافورة جميلة. لم يكن أكله بالمجان، إذ طلب عمه منه مبلغاً كبيراً بدل إطعامه، وهذا جعله يُفضل الذهاب إلى المدينة لتناول الغداء والعشاء، أو إنه كان يشتري المواد الغذائية من المخازن. وشرح تصرفه هذا على أنه وسيلة للاحتكاك بالناس وتعلم العبرية التي كان يجد صعوبة في تعلمها، وكانت تلك حقيقة. كانت الأحرف التي كتبت بها أسماء وجبات الطعام تدور أمام عينيه، وكان موظفو المطعم يتحدثون إليه مستخدمين كلمات مختلفة وأصوات لغة يصعب تذكرها، إن فكرة عيشه بين أناس يتحدثون لغة يصعب عليه تعلمها بدت له أمراً مستحيلاً. تكيف "جبرائيل" بصعوبة كبيرة أيضاً على أن يوم السبت هو يوم العطلة بدلاً من يوم الأحد لا سيما وأن والديه في "لفتسي" لم يتعودوا العطلة في يوم السبت.

وبالرغم من أن الحياة بدت لـ "جبرائيل" آمنة في تل أبيب، إلا أنه كان هناك على الدوام من يتحدث عن إطلاق نار هنا أو عن اقتراب موعد بدء معركة هناك. لقد أفرعه ذلك الشعور. كان السلام يخيم على أوروبا التي غادرها، وهنا يتم التحضير للحرب. كل رسالة تصله من والده وأخته أو من "بيتز" أو "ماريا" كانت

تعادل عنده قيمة الذهب، لأنها كانت نثرات من وطنه العابر إلى تلك الغربة الشرقية الذي يستحيل فهمها.

حتى إن زيارات "يان" القليلة كانت تشعره بمزيد من الإحباط. راقب كيف كان صديقه يتكيف بالتدرج في ذلك البلد الغريب، وكيف كان يبني عالمه الخاص به، علماً أنه لم يتبأن أن "يان" أثر عدم الحديث معه في العديد من الأمور. سافر "يان" للقاء صديقه "جبرائيل" للمرة الأولى بعد شهر تقريباً، وكان في حينها قد بدأ العمل في مصنع لحفظ المواد الغذائية في "كيبوتز" يقع بين حيفا والناصرة.

لم ينس في الحقيقة الرجل الذي تحدث إلى "يان" في معسكر تجميع اليهود. أجرت مقابلة مع يان إحدى السيدات المسنات التي أنشأت مع زوجها قبل عام إحدى "الكيبوتزات" بعد عدة أيام من مغادرة "جبرائيل". قالت إنها على الرغم من أن الـ "كيبوتز" لا يزال دون اسم، إلا أنها بدأت العمل في تعليب إنتاجها الخاص وإنتاج الجوار من المواد الغذائية. سمعت أن "يان" عمل قبل ذلك في معمل لتصنيع المعلبات ووجدته نافعاً للعمل معها. شرحت له قواعد الانتساب إلى الـ "كيبوتز"، لكنها أخبرته أنه غير مضطر إلى أن يكون "كيبوتزياً"، وأنه في هذه الحالة سيكون مجرد موظف يمكنه السكن هناك.

كان لديهم في الحقيقة خط إنتاج واحد للمربيات والفواكه. حصل "يان" على مرتب زهيد شأنه شأن سبعة أو ثمانية عمال وعاملات عرب جاءوا للعمل من قرى قريبة. كانوا يتكلمون في غرفة واحدة بالعربية والعبرية، وبالجيدش والانكليزية. اقترحوا على "يان" أن ينادوه "يوخانان" ولكنه قال لهم: ليس بعد.

أخبر "يان" صديقه "جبرائيل" خلال زيارته الأولى عن كل تلك الأحداث، ولكنه لم يخبره أنه أحياناً يخرج مع غيره من شباب الكيبوتز إلى الصحراء، حيث يتدربون هناك على الرمي من المسدسات والرشاشات وتفجير القنابل اليدوية واستخدام اللاسلكي وتصنيع الزجاجات الحارقة، لأن تلك الأمور كانت تجري في سرية تامة. لم يكن "يان" يعرف أسماء رؤسائه، ومع ذلك عرف اسم رجل كان قد تحدث إليه في صبيحة اليوم الأول في معسكر تجميع المهاجرين. جاء مرة لزيارتهم أثناء التدريب. كانوا ينادونه "مناحيم". تأكد "يان" بعد ذلك من أن هذا الرجل يشغل منصباً رفيعاً.

نقلوهم عدة مرات بالسيارات في الليل ليحرسوا الكيبوتزات القريبة. قالوا لهم إن تلك الأماكن تتعرض لغارات العرب، ولكن ذلك كان جزءاً من تدريبهم لأنهم لم يلحظوا أي هجوم من هذا النوع، وكان العرب يتصرفون معهم بوصفهم أصدقاء. بدأ "يان" التدخين المنتظم أثناء الحراسة الليلية بالرغم من التشديد على منع التدخين أثناء الحراسة. كان في اليوم التالي لحراسته مرهقاً وبحاجة إلى النوم.

لم ينم "بتر" بشكل جيد في تلك الليلة أيضاً. لقد شرب البارحة كمية أكبر بقليل من البراندي واستيقظ في الصباح على ألم في الرأس، وشعر بالغثيان حين ألقى نظرة على الفطور الذي قامت والدته بتحضيره، لهذا السبب، اكتفى بشرب الماء البارد وغادر البيت بسرعة. في تمام الثامنة صباحاً بدأ الاجتماع المقرر لمنطقة الحزب.

- لا أيها الرفاق، لا يمكننا التبطيء، ولا يمكننا التراجع ولو خطوة واحدة، - خطيب من براغ أراد أن يُصعد اللهجة ولكنه تريت عند رؤيته فم "بتر" المفتوح على مصراعيه. ظن أن ذلك الرفيق الشاب يشكو من خطب ما وهو بحاجة إلى المساعدة، ولكن الأمر كان مجرد تثاؤب لأن "بتر" أغلق فمه بعد ذلك دون مساعدة. وبذلك انتقل الخطيب بعد استراحة قصيرة إلى نهاية خطابه:

- إننا مصممون أيها الرفاق من أجل أنفسنا ومن أجل أطفالنا وأطفال أطفالنا ومن أجل ذكرى جميع الشهداء من لينينغراد ومن كورسكا وبوزولكا، ومن ليديتسي و تلغارت.

تبع ذلك تصفيق طويل.

- أيها الرفيق، أنت لم تسمعي على الإطلاق، - قال الخطيب موجهاً كلامه لـ "بتر" أثناء الاستراحة.

- ولكنني سمعتك أيها الرفيق "نوفوتني"، - دافع "بتر" عن نفسه وفجأة خطرت بباله فكرة ولهذا أضاف:

- حتى إنني أريد الكتابة عن خطبتك في صحافة الحزب.

- حقاً؟ أرغب في قراءة مقالاتك. ما اسمك، أيها الرفيق؟

- "روناي"، "بتر روناي".

- "روناي"؟ إنه اسم مجري، أليس كذلك أيها الرفيق؟

- نعم، مجري... ولكن بالاسم فقط...

- بالتأكيد، بالتأكيد أيها الرفيق "روناي"، الرفيق "بيتر روناي"... هز الرفيق

البراغي رأسه وهو يغادر القاعة.

- بالتأكيد، بالتأكيد، جيد جداً، غمغم "بتر" بالمجربة، ثم اتجه نحو الرفيقتين النشطتين "بافليناكا" و"دانكا" اللتين سجلتا بالتأكيد بعض الملاحظات من خطاب الرفيق "نوفوتني".

انشغل "بتر" في تلك الأوقات في عملية إعادة بناء الدولة السلوفاكية reslovakizace. لقد ندىه الحزب الشيوعي للمشاركة في حضور العديد من اجتماعات اللجان وورشات العمل والجمعيات. وكان عليه سماع قرارات "براغ" و"براتيسلافا" اللتين كانتا تتنافسان على المشروعات: هيئة الاحصاء الحكومية، هيئة التوطين، الجامعة السلوفاكية، هيئة المدارس والثقافة، وزارة الداخلية، اللجنة المركزية للتوطين الداخلي. تسلم كما هائلاً من التعليمات الداخلية وشارك في العديد من الدورات، وكان في كل مرة يتعرف على أشياء جديدة مغايرة لما حشوه في رأسه قبل ذلك. أثناء عملية إعادة بناء الدولة السلوفاكية كان من المفروض أخذ نوع القومية التي أعلن الشخص انتماءه إليها في عملية تعداد السكان التي جرت عام 1930 بالحسبان، كما كان ضرورياً معرفة سلوكيات ذلك الشخص وشعوره في الأيام التي كانت فيه تشيكوسلوفاكيا مهددة عام 1938، وإذا كان قد شارك بنشاط في النضال ضد الفاشية أو أسهم في تجديد دولة تشيكوسلوفاكيا، فإن أراد ذلك الشخص العودة إلى سلوفاكيته فإن ذلك مرهون بمقدار انتمائه إلى الثقافة السلوفاكية ومعرفته باللغة والعادات المتأصلة، والرغبة الصادقة التي عليه أن يبرهن عليها من خلال نشاطه الخاص ليصبح مواطناً ينتسب إلى القومية السلوفاكية. كان الأمر برمته يتعلق بتهجير المجرين بالرغم من أن أجدادهم عاشوا منذ مئات السنين على تلك البقعة من الأرض، في حين كان بإمكان أي شخص يحمل الجنسية السلوفاكية البقاء في تشيكوسلوفاكيا حتى لو أنه انتقل قبل وقت قصير. البلخاري "رانكوف" الذي انتقل إلى "لفتسي" في منتصف الثلاثينيات كان بإمكانه البقاء، ولكن جاره السيد "كمني" سوف يضطر إلى مغادرة البلاد، بالرغم من كونه مقيماً قديماً في "لفتسي"، ويتباهى بأجداده الذين سكنوا بالتحديد في نفس المكان الذي يسكنه أيام الغزو التركي.

وافق "بتر" من جهة على ترحيل أعداء الدولة التشيكوسلوفاكية المتحمسين من أمثال "جيولا هارسانيي" إلى المجر، ولكنه من جهة أخرى سأل نفسه كيف ستكون المجر بعد ذلك. هل ستصبح محمية يسكنها الأعداء؟ ولئن تم تهجير أعداء كبيرة فإن الغضب والكره لتشيكوسلوفاكيا سيصبح أكبر. لم يرغب "بتر" بأن يتصورهما

ستؤول إليه الأوضاع في المستقبل. الحل الوحيد لهذه الأزمة هو انتصار الشيوعيون في تشيكوسلوفاكيا وفي المجر. إن الحزبين المبنين على أسس وقواعد الأممية البروليتارية، وبمساعدة الاتحاد السوفيتي، سوف يكفلان الصداقة والسلام والعيش المشترك بين الشعبين.

لقد كان حماس ابن عائلة "روناي" لحل التوتر القومي في تشيكوسلوفاكيا أمراً يصعب فهمه عند العائلة. كانوا على الدوام يعتبرون أنفسهم مجريين، وبتلك الروح أيضاً قاموا بتربية أولادهم. لقد كان "كارتشي" مجرياً متحمساً، ولكن "بيتر" لم يكن يهتم بالأمر.

- هل تتذكر كيف كنا نصلي من أجل "كارتشي" كي لا تتسبب وطنيته المجرية المتطرفة في إيذائه؟ قالت والدة "بتر". ها نحن الآن نصلي من أجلك. لقد تخمرت بسرعة مثل عصير العنب وتحولت إلى سلوفاكي، ولكن النبيذ يكون أفضل كلما تعتق.

- يا أمي، إننا في تشيكوسلوفاكيا، - عارض "بتر" كلامها.  
- لقد كان المجريون منذ القديم في "لفتسي" أكثر من السلوفاك. اتركوا الناس وشأنهم ودعوهم يعيشون في أراضي أجدادهم، أم إنك سترسلني مع والدك إلى ما وراء الدانوب؟

- لا يوجد من سيرسلكما إلى أي مكان، - رد عليها "بتر"، - ولكن عليكما أن تفهما أن هناك حدوداً، وهي في نفس المكان الذي كانت فيه قبل الحرب.  
- ونحن أيضاً لا نزال نفس المجرين الذين كانوا قبل الحرب، - تذمر السيد "روناي".

قام "بتر" بكتابة إخبار موجز، مستنداً إلى الملاحظات التي دونتها "بافليناكا، ودانكا" في إجتماع الحزب، وأعطاه بعد ذلك إلى "ماريا" التي صححت عدداً من الأخطاء، لأن الإخبار نشر في جريدة "برافدا" دون أي تعديل، ولكنهم بدلوا اسم الكاتب من "روناي" (ronaj) إلى "روناي" (ronaj). وصلت بعد ذلك رسالة موقعة من رئيس التحرير الجديد "هيسك"، شكر فيها "بتر" وعرض عليه إمكانية نشر مقالات أخرى. حين كتب "بتر" بعد عدة أيام مقالاً عن ترميم بناء محطة القطارات في "نوفي زامكي"، وقع المقال باسم "روناي".

- هل رأيت، - ضحكت "ماريا"، - أثناء الحرب حولنا نحن "بيلاي" إلى "بيلاي"، وأنت الآن بدلاً من "روناي" أصبحت "روناي".



حتى "ماريا" لم تكن راضية عن عملية إعادة ترميم سلوفاكيا وأدارت رأسها أمام الطلب الذي وزعه اتحاد السلوفاك على المجرين.

- ما هذا الهراء؟ اتحاد السلوفاك، - بدأت القراءة، - قامت الدولة الوطنية التشيكية والسلوفاكية التي لا يوجد فيها مكان لقوميات أخرى بحمايتكم ومكنتكم من العودة إلى وطنكم الذي تتحدرون منه. هل أنقذت المجرين؟ من أي عدو؟ من السلوفاك؟ ألا يوجد مكان هنا لمواطنين غير سلوفاك؟ وهل سنُهجّرهم على غرار ما فعل الفاشيون؟

- هذا هو واقع سياسة ما بعد الحرب، - شرح "بتر".

- إذاً فإن واقع السياسة هو إنتاج جيل جديد من السلوفاك الفاشلين من أنقاض مواد أولية قديمة مجرية. هذا لا يمكن أن ينجح.

## حادثة عام 1947

- حين كانت أمي تروي لي الحكايات، كان اسم "فاطمة" يمثل جميع بطلاتها الأميرات الجميلات، - قال "يان" وهو يمرر يده برفق على شعر "فاطمة" الذي أبي الاختباء وراء الحجاب.

- وها قد عرفت الآن بأني لم أسمع في حياتي باسم "يان". إنك عندي الوحيد في هذا العالم، - قالت له "فاطمة" وهي تضع رأسها على كتفه.

أمسك أحدهما يد الآخر وهما في طريق عودتهما بين الصخور العالية، حيث يوجد العش الذي تعودا الذهاب إليه كل يوم. نصفه مغطى بصخرة انتشرت من حولها أشجار التين البري، وكان قريباً أيضاً من الرصيف الواصل بين الـ "كيبوتز" والقرية العربية التي تسكن فيها "فاطمة". تعودت "فاطمة" في صغرها اللعب مع صديقاتها بين الصخور العالية.

- كيف كان سيتصرف أبّ عربي مع يهودي اعتدى جنسياً على ابنته؟ سألتها "يان".

- ربما كان سيقتله إذا كان ذلك اليهودي فقيراً كما هو أنت، - رفعت "فاطمة" رماستي كتفيها.

- حظي جيد لأني لم أعتد عليك.

قَبَلته "فاطمة" بعد أن نزعت نظارتيه عن وجهه، ثم هرعت راكضة بعد ذلك على الرصيف.

مشى "يان" في الاتجاه المعاكس، وهو يبحث بينه وبين نفسه عن شيء يعادل ويساوي جمال "فاطمة". بدت له عيناها عميقتين، ولكنه لم يجد ذلك التشبيه صائباً. غامضتين، يليق بهما أكثر. لم يرغب في القول إنهما ساحرتان لأن "جبرائيل" نصحه بذلك قبل عام حين حاول وصف "ستيغاني". كان لون شعر "فاطمة" ميالاً إلى الخرنوبي أكثر منه إلى السواد، وبشرتها سمراء معتمة... معتمة مثل بداية الليل في الصحراء... بهذه الأوصاف حاول "يان" تشبيهها. ربما كان "جبرائيل" سيقول إن

"فاطمة" صبية لا تتميز عن غيرها بشيء، وهي سمراء غامقة مثل كل غجرية في سلوفاكيا أو في المجر.

قرر "يان" زيارة "جبرائيل" في أقرب وقت. سوف يهاتف عمه ويتفق معه على موعد الزيارة.

شارك "يان" ذلك المساء في قتال حقيقي. لقد حملتهم سيارة نقل إلى كيبوتز "بن جوزيف" الذي يبعد حوالي خمسة عشر كيلو متراً حيث تعودوا الذهاب للحراسة الليلية. توقعوا أن الأمر سيكون مجرد تدريب على التحمل في الليل والتخفي، ولكن الأمر كان أسوأ من ذلك بكثير، إذ إن الأمور تطورت فجأة باتجاه مغاير لما كان يحدث من قبل. لم يستقبلهم هناك أحد، ولا وجود للقهوة ولفافات التبغ، وبدلاً من هذا وذاك كان عليهم أن يتسللوا من تحت سور الكيبوتز حيث يوجد عدة رجال من السكان المحليين المسلحين بالبنادق.

- البارحة كنا نحن عندهم، واليوم هم عندنا. إنهم هناك، - قال كيبوتسك وهو يوشر بإصبعه باتجاه منطقة حالكة الظلام.

جحظت عينا "يان"، ومع ذلك لم يشاهد هناك سوى العتمة التي لمعت منها بعد قليل أضواء تبعها صوت إطلاق نار، وبعد ذلك صوت ثان، وثالث. انكمشوا بعضهم على بعض.

كان عدد المدافعين عن الكيبوتز ثمانية: ستة يحملون البنادق، وواحد مسلح برشاش "ساموبال" والثامن ممدس، وهذا كان "يان". اتفقوا على أن يُفرغ حامل الساموبال كل مخزونه باتجاههم في حين يلتف بقية المهاجمين ويباغتونهم من الخلف. كان مطلوباً من "يان" البقاء في مكانه ليدعم حامل الساموبال.

- اختبئ خلف الجدار، لست الآن بحاجة إليك. قال له حامل الساموبال الذي احتتمى خلف الجدار وبدأ الرمي. فرغ أول مخزن، واختبأ لتحضير الثاني ثم خرج ليفرغه مثل سابقه. لم يعد "يان" يسمع أي شيء بسبب ضجيج الطلقات، كما لم يعرف ما إذا كانت هناك طلقات مصدرها سلاح آخر.

احتتمى حامل الساموبال من جديد خلف الحائط وراح يملأ المخزن الرابع، ثم نهض من جديد ولكن "يان" بدلاً من صوت الرشاش سمع صوت طلقة واحدة، استلقى على إثرها زميله حامل الساموبال بالقرب منه. قال شيئاً لم يفهمه "يان" حين سلمه الساموبال بيده السليمة.

تردد "يان" لحظة ولكنه حين لمح كتف زميله المدمى، أخذ منه الساموبال وأمسك المخازن المرمية على الأرض بيده الثانية، ثم زحف عدة أمتار محاذة

الجدار. سُمعت من الناحية الأخرى أصوات متقطعة للمهاجمين. مدّ "يان" رأسه بحذر ونظر في العتمة وفجأة بدا له أن شيئاً يتحرك أمامه. أطلق رشة قصيرة في هذا الاتجاه. اختبأ من جديد وانتقل عدة خطوات من مكانه ثم مدّ رأسه من جديد وتطلع باحثاً عن الهدف. مَيَز حركة في تلك اللحظة في مكان آخر. أطلق رشة أخرى في ذلك الاتجاه ولكنها كانت أطول. سمعت بعد ذلك طلقات آتية من الجنب. لقد وصل بقية أفراد المجموعة وأحاطوا بالمهاجمين من الخلف.

- لقد أصبت أحدهم، - قال لـ "يان" أحد زملائه.

- وهل..... بلع "يان" لعابه، - مات؟

- لا أظن، لأننا لم نجد هناك دمماً غزيراً. لقد حملوه.

- سوف يفخر بك "تساهال"، - قال له أحد الرجال وهو يربت على كتفه.

سأل "يان" بعد عودتهم إلى "الكيبوتز" عن معنى كلمة "تساهال"، وعرف أنها اختصار لجيش الدفاع الإسرائيلي.

- دفاع؟ كشر "يان"، - أرى أن مقولة "الهجوم أفضل وسيلة للدفاع"، تُعتمد في فلسطين أيضاً.

عاد كل شيء في اليوم التالي إلى وضعه السابق، وعاد "يان" للعمل في مصنع التعليب التابع للكيبوتز، مستغلاً مع "فاطمة" كل لحظة فراغ ليتمكننا من اللقاء، وتبادل القبلات أو على الأقل تبادل الوشوشات. لقد تخلى الآن عن فكرة الموت ميتة أبطال كما كان يفكر في السابق، وبدلاً من ذلك كان يطمح إلى العيش مع تلك الفتاة الجميلة.

حضر "مناحيم" مع بداية شهر نيسان إلى الكيبوتز. اصطحب "يان" إلى الخارج ليتمكننا من الحديث دون رقيب.

- يقولون إنك أبلت بلاء حسناً في القتال أيها الطباخ، - بدأ "مناحيم" حديثه.

تجههم وجه "يان".

- كانت البداية فحسب، - تابع "مناحيم"، - ولكن أخبرني أيها المُمُون، بماذا ستمون الشباب الذين يستعدون لإجراء هجوم، ومن المحتمل أنهم بعد ذلك سوف يضطرون إلى الاختباء في الصحراء عدة أيام؟

- بالماء، - رد عليه "يان".

- معك حق، إنني أحسب حسابك.

كانت مهمة "يان" تأمين الحراسة أثناء الهجوم الكبير على سجن "عكا" حيث احتجز البريطانيون اليهود الذين تم إلقاء القبض عليهم بسبب العمليات الارهابية أو القتالية. كان يحرس سيارتي نقل مهمتهما نقل المسجونين المحررين إلى أبعد نقطة ممكن والعودة بعد ذلك إلى المدينة بواسطة دراجة هوائية، والبقاء عند إحدى العائلات التي تسلم عنوانها قبل وقت قصير من بدء العملية إلى حين انتهاء حملة البريطانيين المضادة.

عاد "يان" إلى الكيبوتز بعد ثمانية أيام، ووصل بعد انتهاء الدوام الرسمي. راقب "فاطمة" التي كانت في تلك الأثناء تغلف علب الفواكه في الكرتون وقد خلعت الحجاب عن رأسها، ما جعل شعرها يتراقص على كتفها مع كل حركة تقوم بها.

كان يشعر نحوها بالحب، ولم يصدق أن تلك الفتاة الجميلة يمكنها أن تبادل شعوره. حين استدارت "فاطمة" عرف أنها تبكي.

هرع أحدهما باتجاه الآخر دون أن ينتبها إلى ما إذا كان أحد يراقبهما. ارتمت عليه وضمته إلى صدرها، وشعر في الحال كيف تبلل قميصه بدموعها.

- ظننت أنهم قتلوك.

- يقتلونني؟ ولماذا؟

- "عكا" ... وأجهشت في بكاء أشد.

- من قال لك إني متٌ في "عكا"؟ سألتها "يان".

جلسا وقد تشابكت أصابعهما في مكانهما المعتاد تحت الصخرة.

- لا أحد، والكل، - ردت عليه "فاطمة"، - لم يقل أحد إنك كنت هناك، ولكن

الجميع تحدثوا عن ذلك الهجوم. يقال إن قرابة منتي سجين قد فروا. إن أمراً كهذا لم يحدث للبريطانيين من قبل. إنهم غاضبون الآن. انتبه إلى نفسك، لأنني لا أريد أن أفقدك.

نظر "يان" بشغف إلى فمها. فكر في الكلمات التي سيصفها فيها لـ "جبرائيل" في

أقرب وقت.

- هل سمعت عن زواج تم بين عربية ويهودي؟ سألتها فجأة.

- إحدى نساء قريتنا تزوجت من يهودي قبل سنوات.

- وهل هما سعيدان؟

- لقد ذبحوهما بعد وقت قصير. أثناء نومهما.

- أتمنى أن يكونا قد مارسا الحب قبل ذلك.

نزعت "فاطمة" النظارات عن وجه يان واستلقت على ظهرها.

- كيف تسير أمورك في الوطن الجديد يا "يان"؟ سأل العم "أنطون" حين دخل غرفة "جبرائيل".

- أعمل ما بوسعني، - أجابه "يان".

- هذا شيء جيد. أرجو أن تؤثروا على "جبرائيل" لأنه كسول، وأظن أنه يريد تمضية حياته مثل أحرق خلف آلة الخياطة في مصنعي.

- ولكن يا عمي، حاول "جبرائيل" أن يدافع عن نفسه، - إننا لسنا هنا الآن لحل مشكلاتنا، أرجوك.

- إنه لا يصغي إلى كلامي، - قال عمه بحنق وأضاف: إنني أريد لك الخير. أعرف أن ذلك ليس سهلاً في تلك الأوضاع الصعبة... لقد وقفت على قدمي أثناء الحرب، وأنا الآن بحاجة إلى حرب عالمية جديدة لكي أصبح مليونيراً، ولكن للأسف نحن الآن في حالة سلم، ويجدر بي أن أتأقلم مع الوضع وأستثمر وفق الإمكانيات المتاحة. ولكن ما الذي يجعلني أناقشك؟ أليس كذلك أيها البروليتاري؟

قال "جبرائيل" بعد أن سمع صوت إغلاق الباب الذي ودعهم منه العم "أنطون":

- تعال معي الآن إلى مركز البريد، أرجوك. إنني بحاجة إلى إنكليزيتك. أريد مهاتفة القائم بأعمال تشيكوسلوفاكيا كي يجهز لي جواز سفر. إنني عائد إلى الوطن. أدرك "جبرائيل" في مرفأ "جنوه" بأنه عاد إلى تلك المدينة بعد سنة بالضبط كما أحس بنفس الشعور السابق. كان الهواء معبأ برائحة البحر وكانت أنغام الموسيقى تصدح من حانات المرفأ.

تسكع "جبرائيل" في مساء تلك المدينة التي رحبت به بوصفها تمثل أوروبا. كان يعمل في محفظته الموجودة في جيب قميصه مبلغاً لا بأس به من المال كان قد حصل عليه لقاء عمله في معمل عمه. ألقى نظرة على البار والمقاهي ولكنه لم يكن يعلم أن مظهر الناس الذين جلسوا في داخلها يدل على أنهم هادئون ويتصرفون كأصدقاء.

لمح من خلال نافذة كبيرة مشرعة صورة امرأة تجلس إلى البار. لم تشده بجمالها، ولكن حُيل إليه أنه يعرفها.

دخل الحانة وتفحصها. كان شعرها الأحمر الطويل الواصل إلى خصرها يشبه النار التي تبت حولها أشعة تكهرب الجسم. حين أحنرت رأسها لتضع الكأس بين

شفتيها، انزلق نظر "جبرائيل" من رقبته الطويلة إلى فسحة قميصها الواسعة التي عرّت قسماً من صدرها.

جلس بجانبها إلى البار، تطلعت إليه واستدارت ببطء. ظن "جبرائيل" في أقل من ثانية أنها اندهشت من رؤيته، ولكنها ابتسمت بعد ذلك واستدارت من جديد.

ذكره وجهها بإنسانة يعرفها، ولكنه فشل في تذكرها. راح يستعيد بالترتيب جميع النسوة اللاتي التقاهن في فلسطين، ولكنها بالتأكيد ليست إحداهن. استرجع في ذاكرته بعد ذلك وجوهاً عرفها بعد الحرب في "لقتسي"، وحتى بينهم لم يجدها أيضاً. انتظر برهة ثم تشجع حين تأكد من أنها تجلس وحيدة.

- ما اسمك؟ سألتها:

لم تلتفت إليه ولكنها ردت:

- وات إز يور نيم؟

- جبرائيل. واسمك؟

- جبريلا. كول مي جبريلا.

بالرغم من أن "جبرائيل" لم يتعلم في فلسطين الإنكليزية بشكل جيد إلا أنه كان يحسن تمييز اللهجات. إن هذه اللهجة تشير إلى أن صاحبها كانت في الماضي تتحدث الألمانية.

- شبرخن ذي دويتش؟ سألتها.

وضعت المرأة إصبعها على شفتيه كي يسكت.

كانت تلك التجربة الثانية في حياة "جبرائيل" العاطفية. لقد علمته "تشاني إرين" المضاجعة بشكل حيواني، كأن العملية الجنسية تجري بين ثور وبقرة. تلك المرأة التي لم تخبره حتى عن اسمها الحقيقي جعلت من المضاجعة حدثاً سرياً. كانت تبدل وضعياتها وحركاتها بشكل غير متوقع وحين تصل إلى الذروة تذوب بسرعة أكبر. لم يعرف "جبرائيل" ماذا ومتى يفعل، ولهذا لم يجد أمامه سوى الاستسلام لتلك الليلة السحرية. حين غادر غرفتها في الصباح ففتح جيوب معطفه ليتأكد من وجود المال ثم ترك لها قطعة ورقية.

بعد عدة ساعات، حين اقترب القطار من الحدود النمساوية التشيكوسلوفاكية توقف "جبرائيل" عن التفكير في تلك المرأة التي تعرف عليها في مرفأ "جنوة"، وانتقل في تفكيره إلى الأشياء التي تركها خلفه في فلسطين. عمه "أنطون" الجاثي على

المال ولا يفكر في شيء سواه، وعمته طيبة القلب "آنا"، و"يان" أفضل صديق له الذي خبأ عنه أكثر فأكثر في الآونة الأخيرة أخبار حياته الجديدة. كل شيء كان مختلفاً قبل الحرب في "لفتسي". كانوا في حينها يتحدثون بصراحة عن كل شيء. عن أنفسهم وعن عائلاتهم. تذكر "جبرائيل" في تلك اللحظة الفتاة التي شبه بها الصبية التي تعرف عليها في مرفأ "جنوه". إنها تشبه "يتكا" شقيقة "هونزا".

- قرأتم بالتأكيد يا "بتر" عدد اليوم اليس كذلك؟ بدأ "فريتش" رئيس تحرير صحيفة "برافدا" حديثه.

لقد طلب في الصباح مباشرة حضور "بتر" الذي عرف أن بانتظاره محادثة غير مريحة.

- بالطبع أيها الرفيق رئيس التحرير. إنني أقرأ كل عدد من صحيفتنا.

- لا بد أنك تستغرب عدم نشر مقالاتك المتعلقة بتهجير المجرين. كان من المفروض أن تُنشر في عدد الاثنين الموافق للأول من سبتمبر في الصفحة الخامسة.

مرت لحظة مثيرة، ذأب خلالها رئيس التحرير على قياس ردود أفعال "بتر" الذي غمز بعصبية، ثم تابع الحديث.

- بالطبع لم يُنشر لأنني سحبتة. إنه ليس ذا قيمة.

بقي "بتر" جالساً في الكرسي في حين شد رئيس التحرير ظهره إلى الخلف وسمعت في الحال طقطقة عظام ظهره.

- متى بدأت العمل في "البرافدا"؟ سأله رئيس التحرير.

- في الأول من حزيران.

- كما ترى، لم أكن في ذلك الوقت رئيس تحرير. إنني أتذكر بعض مساهماتك الرائعة. مثلاً مقالاتك عن الجفاف وشح المحصول، أو ذلك الذي تتذكر فيه جمهورية سلوفاكيا. ولكن أحدث مقالة لك عن الأشهر الأولى من حياة المهجرين في "لفتسي" كان كارثة. كانت سيئة في الشكل والمضمون. كنت أنتظر العكس لا سيما أنك تتحدر من تلك المنطقة، وتعرف مشكلة (سلوفاكنا) إعادة بناء سلوفاكيا. هل عندك مشكلات خاصة؟

تريث "بتر" وسأل نفسه عما إذا كان عليه الوثوق برئيس التحرير وإخباره كيف انتهى لقاؤه في "لفتسي" مع "ماريا". مضى شهر على لقاؤهما الأخير الذي أخذت عليه "ماريا" فيه مباشرة بعد أول - ويمكن القول - آخر قبلة أن رائحة



الكحول تفوح منه بشكل كبير. تجادلا، وبدقة أكثر وبخته ونعنته بالكحولي. ولم يكن بوسعهم سوى الإصغاء إلى كلامها. كانت محقة لأنه كان يشرب كل يوم تقريباً. قرر عدم الخوض مع رئيس التحرير في تلك الأحاديث، لا سيما وأن لا علاقة لها بشؤون العمل.

- المشكلة الأساسية هي في الموضوع ذاته أيها الرفيق رئيس التحرير. إذ يتعذر كتابة مقال حول هذه القضية في الصحف الناطقة بإسم الحزب الشيوعي.

رفع رئيس التحرير حاجبيه مندهشاً من كلام "بتر" وكانت تلك الحركة بمنزلة طلب من المرؤوس ليتابع الحديث.

- المهجرون الذين تحدثت إليهم هم في غالبية مؤمنون.

- متعصبون دينياً؟ سأله رئيس التحرير.

- مؤمنون متعصبون دينياً. أردت أن أبدأ مقالتي في الحديث عن الطريقة التي حافظوا فيها على اللغة وعلى عادات أجدادهم في "نيرجيهازي"، وهذا ما تسبب في إدانتهم بالبانسلافيسم (التعصب لوحدة السلوفاك). ولكنهم كانوا يكررون ويؤكدون لي كيف تمكن أجدادهم من الحفاظ على الديانة. اللغة السلوفاكية عندهم وسيلة للإيمان بالديانة. لقد سجنوا في العشرينات أحدهم بسبب التعصب، ولكنه كان واعظاً، وقد أخبروني أنه عمل بنشاط على إنعاش الشعور القومي.

- كان عليكم النقاط تلك النقطة المتعلقة في بعث الشعور القومي. - قال له رئيس التحرير.

- هذا ما أردته... الأمر لا علاقة له بالشعور القومي، ولكن بالروح، بالموجة التي أطلقتها في سلوفاكيا الشقيقتان "رويوفي".

- إذ، كان بوسعك تقريب عملية التهجير وشرح العوامل والظروف المحيطة. إن ترحيل الناس إلى أرض مجهولة ليس بهذه السهولة بالرغم من أنها وطنهم.

- أردت ذلك. اكتشفت أنهم لم ينتقلوا على شكل عائلات، بصفتهم فرقة مسيحية. كان هناك من جديد ذلك العامل الديني القوي المؤثر.

- كان عليك التركيز في مقالتك على كيفية استقبال الناس لهم في "لفتسي".

- بشكل سيء. استقبلهم مجربو "لفتسي" بشكل سيء، وهذا أمر يمكن فهمه، ولكن ما أدهشني هو استقبال سلوفاك "لفتسي" لهم. لقد كانوا عند الجميع بمنزلة متطفلين. لقد استولت منظمة الطلائع على البناء الذي كان يمكنهم فيه الصلاة.

لقد اشتكوا إلي وقالوا إن الوحيدين الذين استقبلوهم بحرارة هم إخوانهم في الديانة من براتيسلافا.

فكر رئيس التحرير برهة ثم سأل:

- وما نوع تلك الطائفة؟

- إنهم "ميثوديون"<sup>(١)</sup> يمثلون مجتمعاً خاصاً ويقال إن الناس في "نيرجيهازي" يطلقون عليهم لقب التائهون.

- جميعهم تائهون، ولكن يمكنهم أن يتسببوا في مشكلات. سوف نتحدث عنهم في الوقت المناسب، ولكن عليك العودة إلى "لفتسي" وكتابة مقال واقعي عن المهجرين.... ما اسم تلك الجامعة الجديدة التي ستدرس فيها؟  
- كلية العلوم الاجتماعية في "برنو".

- أتمنى أن يكون بوسعك التباهي مباشرة في أول محاضرة لك في كلية العلوم الاجتماعية بمقالتك المنشورة حديثاً.

بتلك الكلمات أنهى رئيس التحرير المقابلة.

جاءت سكرتيرة رئيس التحرير بعد الظهيرة إلى طاولة "بيتر" وأخبرته عن وجود مكاملة هاتفية بانتظاره في مكتبها.

- أحبيك، معك "جبرائيل"، جاء الصوت من السماعه، - إنني الآن في محطة قطارات "براتيسلافا"، وقد وصلت للتو من "براغ" بالقطار السريع وسوف أتابع سفري إلى "لفتسي". أن تسافر معي؟ ربما بإمكاننا أن نتسابق في المسبح. إنه الأول من سبتمبر.

---

(١). ميثوديون: طائفة إنجيلية. م.

## حادثة عام 1948

- لست يهودياً؟! صرخت "فاطمة".  
انزلت البطانية التي تعودا تغطية جسديهما بها عن خصر "يان" وهذا جعل "فاطمة" تبحلق بعينيها الجميلتين في العضو الذكري الذي يستريح بالقرب منها.  
- اسكتي، يمكنهم سماعنا، - تلفت "يان" حوله.  
تعودا ممارسة طقوس الغرام مذ بدأ الطقس بالبرودة في مستودع الكونسروة بعد انتهاء الدوام. خطرت تلك الفكرة لـ "يان" حين روى لـ "فاطمة" مرة كيف كان يعيش أثناء الحرب في أوروبا مختبئاً في معمل لتصنيع الكونسروة.  
كانت "فاطمة" تعود إلى البيت بشكل منتظم بعد ساعة أو ساعتين من انتهاء الدوام، وكان عليها أن تختلق الأعذار لشرح تأخيرها. أكدت لأهلها أنهم زادوا لها ساعات العمل لتصبح عشر ساعات، وحين كان عليها تسليم راتبها إلى والدها توجب على "يان" كل أسبوع أن يضيف إليه من ماله الخاص كي يتناسب مع أجرة زيادة ساعات العمل.  
- لقد خدعتني، إنك لست يهودياً، - كررت "فاطمة" قولها ولكن بصوت أخفض ونزعت البطانية التي حاول "يان" أن يغطي بها جسمه.  
- جئت إلى فلسطين لأني أريد أن أصبح يهودياً. لقد شاهدت المظالم التي تعرض لها اليهود خلال الحرب. إنهم كانوا أولئك الذين عانوا، ولهذا السبب قررت بعد انتهاء الحرب أن أصبح واحداً منهم. إنني يهودي واخترت ذلك بحرية مطلقة.  
- غبي، لا يمكنك أن تختار الدم، - قالت له "فاطمة" وبدأت بارتداء ملابسها.  
خاف "يان" من أن "فاطمة" لن ترضى بمصادقته بعد أن كشفت حقيقته، ولكن ما حدث كان عكس توقعاته. قبل ذلك كانت لا تريد الحديث عن المستقبل المشترك ولكنها مذ عرفت حقيقته بدأت تعرض عليه رغبتها في الهروب معه، والأفضل إلى أمريكا. أرادت أن يغادرا ما دام البريطانيون يحتلون فلسطين. كانت شبه متأكدة من أن حرباً ضروساً سوف تستعر في فلسطين فور مغادرة البريطانيين

لها. لم يوافق "يان" على اقتراحها معتبراً الهروب من الحرب نوعاً من الجبن، لا سيما أنهم بحاجة إليه.

كان رجال الكيبوتز - حيث يسكن ويعمل - لا يؤيدون منظمة "الإرجون" التي يقودها "مناحيم بيغن"، بل يؤيدون "الهاغانا" التي كان يترأسها "دافيد بن غوريون". اعتبر "يان" ذلك تحولاً واضحاً. كان مقاتلو "الإرجون" يركزون نشاطهم على عمليات التخريب وشن الغارات، على عكس "الهاغانا" الذين كانوا يملكون تنظيماً يمكنهم من انتزاع السلطة في البلاد. لقد تصور "يان" أن حياته وثيقة الصلة بـ "الهاغانا" ومن ثم بمستقبل إسرائيل.

توجب عليه في مارس - آذار إنهاء عمله في مصنع الكونسروة لأنهم نقلوه بشكل مفاجيء إلى معسكر كبير للجيش حيث الحديث عن الحرب على كل لسان. تمكن بصعوبة كبيرة من كتابة رسالة قصيرة إلى "فاطمة"، ولكن المرأة التي رجاها أن توصل الرسالة بدت له غير متحمسة لإنجاز تلك المهمة.

كانت الأوضاع مع بداية السنة في تشيكوسلوفاكيا ناضجة لثورة شيوعية، وهذا ما انتبعت إليه قيادات الأحزاب اليمينية التي احتجت في العشرين من فبراير على ما يسمى بمخالفة القواعد الديمقراطية وازدياد نفوذ الشيوعيين في البلاد، وذلك بتقديم استقالة اثني عشر وزيراً من الحكومة التشيكوسلوفاكية.

في ذلك اليوم بالذات وصل رئيس هيئة المفوضين "غوستاف هوساك" إلى جريدة "البرافدا" ليطلع الصحفيين على آخر التطورات الجارية في البلاد وعن استراتيجية الحزب الجديدة.

بعد نصف ساعة كان في غرفة الاجتماعات من دخان السجائر ما جعله يتوقف عن التحرك في الهواء، إذ كان يتجمع بكثافة مشكلاً غيوماً ثقيلة ترتفع ببطء شديد باتجاه السقف، ومع ذلك لم يزعج الجو الخانق أحداً من المجتمعين الذين كانوا يستمعون بشغف كبير. كانت عينا "بتر" تلمعان، ومعدته تدغدغه من شدة تأثره. قال "هوساك" إن الأوضاع الآن شديدة التأثر بالصحافة التي من واجبها تعبئة جماهير العمال لدعم الحزب.

- علينا ألا ننسى أن الأحزاب البرجوازية لها صحفها، - أنهى "هوساك" مداخلة، - لحسن الحظ أعلن عمال الطباعة الذين يُخرجون جريدة "تشس" الاضراب العام. إن هذا لصالحنا.

حين جاء وقت الأسئلة كانت يد "بتر" أول الأيدي المرفوعة.

- أيها الرفيق "هوساك"، هل هي ثورة؟.

ابتسم "هوساك":

- لا أظن أنك تفكر أيها الرفيق أن نائب وزير الخارجية "زورين" قد طار  
البارحة من موسكو إلى براغ كي يخلط الحنطة.  
اهتزت الغرفة بموجة عارمة من الضحك.

- ما الذي سيحدث لهيئة المفوضين في سلوفاكيا حيث يملك الحزب الديمقراطي  
فيها الأغلبية؟ جاء السؤال الثاني.

لتأخذ الموضوع بشكل عقلائي، - كان "هوساك" لا يزال يبتسم. - إذا كان وزراء  
الحزب الديمقراطي قد قدموا استقالاتهم في "براغ" فهذا يعني أن مندوبي ذلك  
الحزب في الهيئة سوف يستقبلون بشكل أوتوماتيكي في "برائيسلافا" أيضاً.  
صفق المحررون بحرارة.

ألقي "هوساك" نظرة على ساعته:

- يجب أن أغادر. هل من أسئلة أخرى؟

- أنا عندي سؤال، - صرخ "بتر" كي لا يسبقه أحد. - هل الحزب مستعد إذا  
حاولت الأحزاب البرجوازية حل الأزمة السياسية عن طريق العنف؟  
- مستعد، - أجابه "هوساك".

بعد ثلاثة أيام كتب "بتر" مقالة عن إنشاء الميليشيا الشعبية. زار المصانع التي  
شكل فيها العمال مجموعاتهم المسلحة، وأحس بالسعادة لأن الثورة أخذت في  
التسارع ولكنه مع ذلك شعر بالقلق، لأن السلاح المحروس بشكل جيد في  
مستودعات هيئة الأمن الوطني قد وصل فجأة إلى أيادي العامة من الناس.

سأل وهو يحتسي النبيذ المغلي ويدخن مع بعض الشباب في طقس جليدي  
أمام بوابة أحد المصانع:

- هل تعرفون أيها الرفاق الحالات التي يمكنكم فيها استخدام السلاح؟

ألقي عليه الشباب نظرات ملأى بالشك.

- وهل تظن أيها الفتى أننا مجموعة من الحمقى؟ رد عليه أحدهم بغضب.

- تعودت عناصر الشرطة أيام الجمهورية الأولى إطلاق النار على العمال حسب

المزاج، والآن جاء دورنا!

- لا وقت الآن للحذر، أضاف الآخر بهدوء.

- عليك أن تتوخى الحذر حين تستلقي مع صديقك فحسب، - قال ثالث.

ضحكوا وفي الحال اختفى التوتر، ثم راحوا يتحدثون عن النساء.  
حين كتب "بتر" بعد ذلك مقالته كانت تقادر إلى ذهنه بشكل دائم الكلمات  
التي لم يكن لها أي علاقة بالمليشيات الشعبية. لقد حان الوقت ليستلقي مع  
صبية.

حين توضحت الأمور بعد أسبوعين وفاز الشيوعيون، تنفس محررو جريدة  
"البرافدا" الصعداء، وعادوا لزيارة حانات النبيذ المحببة إليهم حيث تحول النقاش  
هناك من السياسة إلى النساء. حين سمع "بتر" كلام زملائه أدرك أن الزمن قد سبقه  
وأنة تخلف عن أقرانه. تواعد ثلاث سنوات مع مازيا ولكن دون أن يحدث بينهما  
أي شيء. كيف يمكنه الآن تبديل الأوضاع؟ أم أن عليه انتظار الزواج؟ ولكنهما لم  
يتحدثا في هذا الأمر. كان عليه أن يحجزها منذ أمد بعيد.

"صنع في تشيكوسلوفاكيا" - فرح "يان" حين كان ينقل إرسالية القنابل اليدوية  
من عيار 59 مم التي وصلتهم حديثاً.

- إنهم الوحيدون الذين يرفدوننا بالسلاح. لولا تشيكوسلوفاكيا لكانا انتهينا، -  
قال له الشاب الذي كان يعاونه في إخراج العلب.  
- لقد ولدت هناك، - قال له "يان" بفخر.

قرر "يان" أثناء وجوده في أوروبا مساعدة اليهود لأنهم تعرضوا أثناء الحرب  
للأذى، واتخذ الآن قراره بالقتال معهم، بالرغم من أن الطرف الثاني لم يكن نازياً،  
بل عربياً. اشترك في نيسان بالهجوم الذي نفذته "الهاجانا" على "حيفا". أحس برهة  
بشعور الغازي الذي لا يقهر. - لقد وصلت إلى شواطئ "حيفا" قبل سنة ونصف  
وكنت في حينها هارباً عادياً، ولكنه الآن يتنزه والساموبال على كتفه مع زملائه من  
المقاتلين كي يؤكد سيطرة اليهود على المدينة وعلى البلاد. تكفيه طلقة واحدة عابرة  
فوق رأسه ليعود إلى رشده.

أذاع الراديو في الرابع عشر من أيار 1948 إعلان "بن جوريون" إنشاء دولة  
إسرائيل المستقلة. قامت الدول المجاورة في الحال بالهجوم على الدولة الجديدة  
وبدأت بذلك الحرب الحقيقية. لم تقتصر مهمة "يان" على حراسة الناقلات أو  
تفريغ خزاني ذخيرة من خلف الجدار، بل تعدته إلى القتال بشكل حقيقي. كانت  
مهمته القتل، وبالرغم من أنه لم يكن متأكداً من قتل أحد من العرب الذين رأهم  
من خلف إشارة التصويب في ساموباله إلا أن احتمال إصابته لبعضهم كان وارداً.

استطاع "يان" في حزيران أثناء وقف لإطلاق النار الحصول على إجازة والعودة إلى الكيبوتز حيث خبر هناك أن "فاطمة" قد اختفت منذ بداية الحرب ولم يرها أحد. القرية التي كان يسكنها والداها تقع في الطرف الإسرائيلي من خط الجبهة. هرع إلى هناك، ووجد المنطقة خالية من السكان إلا من أحد البيوت التي استقرت فيه فرقة مراقبة إسرائيلية، وهي التي عرف منها "يان" بأن جميع القرويين قد هربوا إلى "الناصره" التي بقيت في أيدي العرب.

حين تجدد القتال في التاسع من حزيران، شارك "يان" في الهجوم على "الناصره"، وبعد احتلالها راح يجوب المدينة بيتاً بيتاً ويسأل كل امرأة عربية يلتقيها عن "فاطمة". كانت النسوة ينظرن إليه بريئة، ومع ذلك فقد وشوشه أحد الصبية وأخبره أن والدي "فاطمة" قد اصطحبها إلى الأردن. لقد تعذر على "يان" الوصول إليها. كان بإمكانه الاتصال بالهلال الأحمر ولكن ذلك الأمر بدا له ضاراً بـ "فاطمة" لأن والديها سيعرفان عن علاقتهما.

انتهى القتال، وبانتهائه اكتشف "يان" بأنه لا يوجد مكان يذهب إليه. شد رحاله إلى تل أبيب لزيارة عم "جبرائيل" ولكن تلك الزيارة لم تنته كما كان يظن. كان يسكن عند العم "أنطون" في ذلك الوقت والد "جبرائيل" الذي وصل قبل أيام من تشيكوسلوفاكيا. بدا حزيناً وقد خاب ظنه لأن "جبرائيل" و"دورिका" بقيا في أوروبا حيث تضرر اليهود مدة طويلة. أحس "يان" كيف كان حديث السيد "روزنبرغ" مع صديق ابنه يسبب له المزيد من الألم.

حين تم الاتفاق في نهاية الشهر على إيقاف جديد لإطلاق النار، قدمت جامعة "حيفا" منحاً تخصصية للجنود الذين يرغبون في الدراسة. كانت تلك مناسبة لـ "يان" كي يبدأ حياة جديدة.

كانت قاعة الجامعة في الأول من سبتمبر ملأى بالشبان الذين يرتدون زياً عسكرياً. وقفوا في صفوف أمام الطاولات التي جلس خلفها الموظفون الذين كانوا يتسلمون منهم الطلبات. سلم "يان" أوراقه للموظفة.

- هل ملأت حقل الفرع... نعم. - أخذت منه موظفة الجامعة الأوراق، - على ما يرام، كيمياء التغذية... حسناً، نعم... وهذه الورقة أيضاً، كما يوجد أيضاً ترشيح قائد الكتيبة. حسناً... الأوراق سليمة ولكن تنقصك ورقة صغيرة. إنها تصريح من الرايين يثبت يهوديتك.

- لست يهودياً، ضحك "يان".

- ولكن... - حدقت الموظفة في وجه "يان"، - هذه المنحة ليست مخصصة للأجانب.

- لست أجنبياً، وأنا جندي في الجيش الإسرائيلي، وأمامك ما يثبت ذلك.

- ولكننا من أجل المنحة نحتاج إلى تأكيد يهوديتك من الرايين.

- تقولين إداً إنني بحاجة إلى تأكيد يهوديتي؟ كان صوت "يان" يهتز من شدة غضبه. - وحين كنت أدافع عن الكمبيوتر ضد هجمات العرب لم أكن بحاجة إلى تأكيد يهوديتي؟ حين قاتلت بالقرب من "عكا" لم أكن بحاجة إلى تأكيد يهوديتي من الرايين؟

صرخ "يان"، ما جعل جميع الحاضرين في القاعة الكبيرة يصمتون ويتطلعون إليه بنظرات ملأى بالشك:

- حين أطلقوا عليّ النار في "حيفا"، لم أكن بحاجة إلى تأكيد الرايين، وحين وقعت

كتيبتنا بين نارين في "الناصره" لم أكن بحاجة إلى تأكيد الرايين؟

- إهدأ من فضلك، ربما ستمنحك الجامعة استثناء، - قالت له الموظفة محاولة امتصاص غضبه.

- استثناء؟ تقولين استثناء. تورد وجه "يان" في تلك اللحظة وراح جسمه يهتز. - أي نوع من الاستثناء؟ إنني لست يهودياً وهذا الأمر لا يمكن تغييره. - أيام نت جيو (أنا لست يهودياً).

استدار بسرعة وخرج بين حشود الطلاب الذين كانوا يرمونه بنظراتهم الفضولية.

حين وصل إلى باب القاعة، استدار من جديد وعاد باتجاه الموظفة.

- وهذا ليس كل شيء. إنني أحب "فاطمة"، إنها عربية، - قال ذلك بهدوء مدهش.

وصل "بتر" مع حلول مساء الأول من سبتمبر - أيلول إلى "لفتسي". أراد في البداية زيارة والديه، و"ماريا" قبل أن يبدأ الفصل الدراسي الجديد في الجامعة. لم يكن هنا منذ ما يقارب الشهر، وكان قد أجّل الزيارة لأنهم وُعدوا من مدير التحرير بمكافأة خاصة كان من المفترض أن يتسلموها في الخامس عشر من آب، ولكنهم حصلوا عليها في النهاية بتأخير أسبوعين. لم يتسلموا في تلك المرة مكافأة مالية فحسب بل بطاقات لشراء البضائع. أراد "بتر" إهداء "ماريا" نقاطه



المخصصة للثياب لتشتري بها ثياباً جميلة أو حذاء، كما أراد في تلك المناسبة معاهدتها بالتوقف عن شرب الكحول.

التقى "بيتر" فور نزوله من الحافلة في "الفتسي" والدي "ماريا". كانا مسافرين إلى "زلاتي مورافتسي" لزيارة أخت السيد "بيلاي" التي أرسلت إليهم برقية تطلب فيها منهم الحضور لمساعدتها في قطف محصولها الوفير من الفواكه، لأنها غير قادرة على تصنيع المرابي وحدها. لذا قررا تمضية يومين في مساعدتها.

وجدها "بيتر" فرصة لا تفوت. اتجه مباشرة إلى منزل "ماريا". ستكون وحدها في البيت حتى مساء الغد. لن تكون وحدها في حقيقة الأمر لأنه سيكون معها...

توقف "بيتر" أمام البيت الذي تسكنه عائلة "بيلاي". لم يكن قد خطط لأمر بعد. لا يمكنه إعطاء "ماريا" البطاقات ومن ثم القفز عليها. كانت حساسة جداً في تلك المسائل لأنها ستخمن مباشرة أنه يشتريها مثل امرأة رخيصة بخسة الثمن.

عاد "بيتر" أدراجه نحو الساحة. وجد نفسه بحاجة إلى الجلوس والتفكير بهدوء في كل شيء. دخل إحدى الحانات وطلب كأس جعة وقدمج "بوروفتشكا"<sup>٥١</sup> كي يكسب قدراً من الشجاعة.

غادر الحانة مع حلول الليل وكان قد شرب حتى تلك الساعة خمس كؤوس من الجعة وستة أقداح "بوروفتشكا" ولكنه مع ذلك لم يتخلص من ارتبائه. تسكع في الأزقة المعتمة. كانت ثيابه تخزن رائحة دخان السجائر ونفسه يعبق برائحة الكحول. أسوأ ما في الأمر أنه لم يعرف كيف سيتصرف مع "ماريا". لم يعرف ما سيقوله لها وكيف سيشرح لها سبب زيارته المسائية. كان يفرك بين أصابعه بطاقات الملابس والنقود الورقية. دمدم بعد ذلك كلمات سيقولها حين سيسلمها مكافأته، ولكنه تصور في الحال أن هديته في ذلك اليوم سوف تتسبب في غضبها، ولهذا فضل إخفاء البطاقات. كان مثلاً كما لم يحدث له من قبل.

نقر على الباب بلطف. لم يرغب أن ينتبه الجيران أن رجلاً يدخل على "ماريا" في الليل، لا سيما أن والديها غائبان عن البيت، ومع ذلك فإن "ماريا" لم تسمع نقر الباب وهذا جعله في النهاية يتشجع و يخبط على الباب بقوة.

- ما الذي حدث؟ سألت "ماريا" خائفة حين فتحت الباب.

- لا شيء، - رفع "بتر" رمانتي كتفه بفرح، - كل ما في الأمر أنني جئت لزيارتك

فحسب.

<sup>٥١</sup> - بوروفتشكا: كحول مركز مصنوع من مهر الصنوبر، م.

بدأت رغبته تتصاعد وتراقصت عيناه وتاهتا تحت رداؤها الشفاف الذي لمع قميص نومها من تحته.

أمسكته "ماريا" من معطفه وشدته إلى داخل البيت.

- ثمّ من جديد. قالت له حين أغلقت الباب.

- نعم، - أكد لها "بتر" شكوكها. - ولكن للمرة الأخيرة. لقد جنّث لكي أقسم لك بذلك.

نظر "بتر" بطرف عينه إلى "ماريا" ليتأكد مما إذا كانت تأخذ كلامه على محمل الجد وأضاف:

- ولكي أبرهن أنني جاد في هذا الأمر، سأعطيك النقود ونقاط الكسوة.

بدأ يبحث في جيوبه ولكنه لم يتمكن من العثور على الهدية.

أومات "ماريا" برأسها متفهمة وضعه وقالت:

- حسناً، ستعطيني إياها في وقت آخر. تعال الآن واغتسل ريثما أحضر لك القهوة وبعد ذلك ستعود إلى البيت.

وقف "يان" بأدب، وأنزل رأسه وتركها تغسل وجهه مثل طفل صغير. سكبت

"ماريا" الماء على وجهه، وحين حاول رفع رأسه لمس أنفه حلمة ثديها. فقد السيطرة على نفسه وراح يقبلها. ضم خصرها بيده الأولى ومرر الثانية بلطف على

ثديها. دفعت "ماريا" عن جسمها.

- توقف، تنهدت بقرف.

- لا. أريدك، وأنت تريدين ذلك مثلي، - قال لها "بتر". ترنح في مشيته وكان

عليها أن تسنده كي لا يسقط.

استيقظ "بتر" في الصباح ليجد نفسه في معبر منزل والديه. أحس بألم شديد في

رأسه أشعره كأن دماغه يبحث عن طريق للخروج من رأسه.

- ثمّ مثل عنزة، دورت السيدة "رونأيوفا" رأسها حين خطت من فوقه.

تذكر "بتر" أن تلك الكلمات كانت تقال مع بداية الحرب عن أخيه.

هرع مسرعاً نحو التواليت، ولكنه لم يتمكن من السيطرة على تيار بوله في

اتجاه واحد ولهذا طرّش الأرض من حوله. راح يشتم. وفي اللحظة التي انحنى فيها

ليمسك الخرقة المسندة إلى طرف السطل الموجود في زاوية التواليت، أحس

بانقلاب معدته. تقيأ وشعر في الحال أنه أصبح أفضل.

حين طَمَسَ وجهه في الماء البارد، تذكر بشكل ضبابي أن "ماريا" قد غسلت البارحة وجهه، وبالرغم من أنه استيقظ في البيت إلا أنه البارحة كان عندها. لم يفهم كيف تمكن بعد ذلك من الوصول إلى بيت أهله. اسوأ ما في الأمر أنه لم يتذكر ما حدث عند "ماريا". كان يعرف سبب ذهابه إليها ولكنه لم يتذكر إن كان هدفه قد تحقق.

- لقد اصطحبتك "ماريا" في الليل. - قالت والدته.

تنهد "بتر":

- هل غضبت؟

- لا، ابتسمت، - ردت عليه السيدة "رونايوفا". - ولكن من يدري ما تخفيه تلك الابتسامة؟

وضعت أمام "بتر" صحن بيض مقلي. أحس بانقلاب معدته من جديد.

- يجب عليّ أن أعود إلى "براتيسلافا" في حافلة الصباح، - قال وهو يحاول تحاشي نظرات والدته. - عندي واجبات كثيرة في هيئة التحرير.

جاءت سكرتيرة رئيس التحرير بعد الظهيرة إلى طاولة "بتر" وأخبرته أن لديه مكالمة هاتفية.

- أحبيك، أنا "يان"، - جاء الصوت من السماعة، - إنني بحاجة إلى مساعدتك مثلما ساعدت "جبرائيل" قبل سنة. أريد العودة بأسرع وقت من إسرائيل إلى تشيكوسلوفاكيا.

- هل لديك جواز سفرنا؟

- ليس معي أي شيء.

- سوف نحتاج إلى عدة أيام، لأن... ولكن انتظر، - أخفض "بتر" صوته حتى إن "يان" لم يسمعه بشكل جيد. - لقد سمعت أن وحدة تفتيش سرية سوف تسافر إلى إسرائيل بعد أن تدربت في ثكنات الجيش التشيكوسلوفاكي، وسوف يقودها الميجر "أنطونين سوخر". سوف أطلب من أحد الرفاق أن يتصل به. أظن أنهم سوف يجدون لك مكاناً في طائرتهم العائدة وسينقلونك معهم.

- سيكون أمراً رائعاً.

- اتصل بي في الغد حوالي الرابعة... وشيء آخر. الأمر في غاية السرية.

- بالطبع... وماذا عنك؟ هل ستتزوج من "ماريا"؟

- سأخبرك حين ألقاك. هاتفني في الغد.

- وماذا عن "جبرائيل"؟

- إنه مريض... هاتفني غداً.

سحب "جبرائيل" ميزان الحرارة ووضعه على طاولة السرير. لم ينظر إلى درجة الحرارة. استعار من المريض المجاور جريدة "البرافدا". لقد تعود في أوقات أخرى أن يتصفح الجريدة فحسب، ولكنه اهتم اليوم بالمقال الموجود في الصفحة الخامسة الذي حرره صديقه مع صورته الشخصية.

## الجرذان تهرب والأبطال يعودون

بعد انتصار طبقتنا العاملة في شباط - فبراير، غادر الوطن بعض المفلسين وبعض البرجوازيين الذين تعارضت مصالحهم مع النظام الجديد. لقد تعودوا سنوات طويلة العيش واستغلال الطبقة العاملة، وفجأة اكتشفوا أن تلك الحقبة قد انتهت في تشيكوسلوفاكيا الجديدة. غادروا، ونحن لا نأسف عليهم.

ولأن الحدود مفتوحة في الاتجاهين، يعود إلى تشيكوسلوفاكيا أولئك الذين يرون مستقبلهم السعيد في تلك البلاد حيث يحكم العمال والفلاحون تحت قيادة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي. أحد أولئك هو أيضاً "يان بيزك" (الصورة مرفقة) الذي سوف نقرب للقراء مسيرة حياته.

ولد "يان بيزك" عام 1925 في "لغتسي" من عائلة تشيكية. حين جاءت الأحداث المدمرة التي تلت ما يسمى بـ "إملاءات ميونيخ" و"تحكيم فيينا"، توجب على هذه العائلة الهرب لسبب وحيد هو كونهم "تشيكي". لقد طردوا في البداية من قبل "فاشيست هورتي" وبعد ذلك من قبل "الفاشيست المتدينين من جماعة تيس". عاش ذلك الشاب في تلك الفترة أوقاتاً ملأى بالكراهية التي لا يمكنه نسيانها.

وجدت عائلة "بيزك" لها وطناً جديداً في "برنو"، وكيف كانت "برنو"، وكيف لـ "برنو" أن تكون وطناً؟ كانت مدينة باكية حزينه ترزح تحت حذاء عنصر إس إس الألماني، الحذاء المطلي لجندي الاحتلال ونعل المتعاون. في هذا الجو المقيت ترعرع "يان" جسدياً وروحياً، وتمكن بذلك من تمييز حدود الشر والخير بدقة.

إن الغضب المرافق للحرب الذي أودى بحياة والدي "يان" وحياة أخته أيضاً حوّل ذلك الصبي الخجول إلى رجل شجاع. جاء أيار 1945 الذي لا ينسى حين حرر الجيش السوفيتي البطل وطننا الذي كان ينزف، في حين دافع جنود هتلر القتلة

حتى الرmq الأخر في "برنو" إلى أن تم القضاء عليهم في "رجتشكوفتسي" في العاشر من أيار.

أخيراً تمكن الشعبان التشيكي والسلوفاكي من تذوق طعم السلم ولكن "يان" رأى العالم بمنظور آخر.

علينا أن نؤمن بأن محرضي الحروب سيفشلون في تأجيج صراع جديد. وماذا عن "يان"؟ إنه في وطنه، في تشيكوسلوفاكيا وكل ما يتمناه هو ألا يمك السلاح في يده. إنه يتوق لدراسة الهندسة والتخرج في مجال الصناعات الغذائية الكيمائية ليكون نافعا لوطننا في المرحلة الجديدة، لا سيما بعد الجفاف الذي أصاب بلادنا في السنة الماضية، وسيكون موضوع العناية وتخزين وتعليب الغذاء من أهم الوظائف التي تواجهها في حقل تومين العمال. لن يلحق "يان بيزك" هذه السنة بداية العام الدراسي في جامعة التكنولوجيا ولكنه سيحضر نفسه بشكل مثالي لفحوص القبول لكي يتمكن في العام القادم من الجلوس في قاعات الدراسة.

بيترروناي

## حادثة عام 1949

- هل تخاف؟ سأل "بتر"، وفي الحال أحس بنظرات "يان" الغاضب.  
- من الموت؟ هل تسألني إذا كنت أخاف الموت؟ - جاءه رد "جبرائيل" الهادئ والواثق من نفسه. - عندي خوف من الموت بعد ذاته. أخاف من أن أختنق. لقد سبق واختنقت مرة، وكان ذلك كافياً لما تبقى من عمري، ومن موتي. لا بد أنك تذكر ما حدث معي في مسبح "لفتسي" في الأول من سبتمبر - أيلول عام ثمانية وثلاثين.  
- سعل "جبرائيل" بسرعة كما لو أنه أشرف على الغرق في تلك اللحظة، وليس قبل أحد عشر عاماً. غطى فمه بمنديل الجيب في حين كان جسمه بكامله يقفز فوق السرير أثناء السعال. راح "بيتر" و"يان" ينظران بلا حول ولا قوة تارة إلى وجه صديقهم المتورد وحيناً إلى الباب. وهما يفكران فيما إذا كان عليهما استدعاء الممرضة أو الطبيب.

حين خفت وتيرة هجمة السعال، ألقى "جبرائيل" نظرة على منديل الجيب.

- لم أتقشع الدم بعد، - أخبرهما.

- وكيف يمكنك... أراد "يان" تشجيعه.

مد "جبرائيل" يده وتناول قدح الشاي الذي كان على طاولة سرير النوم، وبعد أن شرب، سحب وسادة ووضعها خلف ظهره وتابع حديثه من حيث توقف قبل هجمة السعال.

- الاختناق أسوأ أنواع الموت. هل تعرفون كم أحلم به؟ إن رئتي مملوءتان حتى النصف بالماء وأريد إيصال الهواء إليهما، ولكني حين أستنشق لا يدخل إليهما سوى الماء. أحاول أن أطفو إلى السطح ولكن صدري ثقيل وما بداخله يشدني إلى الأسفل. أتألم وأشعر أن رئتي آيلتان إلى الانفجار. أشعر بالضغط في سائر أنحاء جسمي، وهذا يجعل عيني تخرجان من جورتيهما كما يصطدم من الداخل بغشاء طبل أذني، ويطعنني في بطني.

- كفى أرجوك، لا تكمل، - ترجاه "يان".

- معك حق، لن أتابع. ولكنني أظن مع ذلك أن الماء قد أضر برئتي في حينها وجعل السل في وقت لاحق يعيش فيهما... نعم أردت قول شيء آخر. في ذلك اليوم، الأول من سبتمبر، ونحن اليوم أيضاً في الأول من سبتمبر، ولكنني أعني ذلك اليوم قبل أحد عشر عاماً، اكتشفت كيف يموت الإنسان. إنني أموت منذ ذلك اليوم. هذا ما يحدث لي ولا يمكنني إيقافه. كل ما في الأمر أنني أراقبه.

- ولكنك على قيد الحياة، - عارضه "يان".

- ولكن يجب أن أموت.

- كل واحد فينا يجب أن يموت، - قاطعه "بتر".

- لا تعرفان عن أي شيء أتحدث، - تنهد "جبرائيل". - لقد رأيتم موت الآخرين ولكنكم لم تعيشوا موتكم ولهذا فإنكم لم تفهموا بعد. - احمداوا ريكم لأن الحياة بدون الموت أجمل. هذا بالضبط ما أحاول شرحه. لقد عشت الموت في ذلك المسيح ولكن حين سحبتني والد "ماريا" منه عرفت أن الموت سيلازمني. إنني أحمله معي على الدوام.

- هذا يعني أنك عشر سنوات بكاملها.... - بدأ "بتر".

- أحد عشر عاماً! صحح له "جبرائيل".

- عشت أحد عشر عاماً وفكرة الموت تسيطر عليك؟

- نعم، وبسبب ذلك الشعور تخطيت ويلات الحرب وأشياء أخرى.

- وهل تخطيت ويلات الحرب لأنك كنت تموت!؟

نظر الصديقان أحدهما في وجه الآخر. ضحك "جبرائيل" بعد ذلك، وانتقلت عدوى الضحك إلى "يان" وإلى "بتر". ضحكوا بصوت عال أكثر فأكثر إلى أن تحول ضحك "جبرائيل" إلى سعال شديد. ضغط من جديد منديل جيبيه على فمه.

- بدون دم، - أكد لهما حين تطلع في المنديل.

- سوف ترى أنك بسبب الموت سوف تتخطى ذلك المرض، - قال له "يان" وراح

يضحك.

- مرض السل لا يشبه الانفلونزا، والموت يعتبر حادثاً شائعاً في هذا القسم. إن السرير الفارغ الذي تجلس عليه لم يكن قبل البارحة فارغاً، وكان "مارتين ستينكا" يستلقي عليه. كان شاباً رائعاً من "بستريتس". جنازته، حسبما سمعت ستكون بعد الغد.

صمتوا. بدأ "يان" بمسح نظارتيه في حين سحب "بتر" لفافة تبخ من جيبيه،

ولكنه أعادها في الحال إلى مكانها.

- أخبراني، ما أحوال "ماريا"؟ سألهما "جبرائيل" بعد لحظات.  
- إنها في حالة انتظار. تنتظر بلهفة قبولها في كلية التعليم. قال "يان".  
- كيف تبدو؟ سأله "جبرائيل" من جديد.  
- إنها الآن أجمل من السابق، - رد عليه "بتر".  
- يبدو لي أنها بدلت لون شعرها. إنه الآن يزهو نضارة ويشبه لون العسل.  
شرح "يان".

- أنت لم تتخلص بعد من تلك العادة السيئة؟ تتحدث عن النساء مثل الشعراء؟ كشر "بتر".  
- إذًا، تستحق أن أموت من أجلها؟ سألهما "جبرائيل".  
أوماً "بتر" برأسه موافقاً.

- يمكن القول إنك تستحق على الأغلب العيش من أجلها، - أضاف "يان". - لقد عادت من جديد إلى زيارة الكنيسة بسببك، ومن أجلك، إنها تصلي عنك.  
- "جبرائيل" بحاجة إلى مساعدة الأطباء وليس إلى مساعدة السيد الرب، - أكد لهما "بتر".

- لا يوجد عند الإنسان ما يفعله في المشفى، يستلقي ويفكر فحسب. - تابع "جبرائيل" حديثه بعد قليل. - السياسة، مقالات في الصحف، وبالرغم من أن من يكتبها صديقي إلا أنها فقدت عندي معناها. يقال إنهم في المجر يحاكمون الخائن "رايك"؟ إن ذلك لا يهمني على الإطلاق. إنني أفتش في الماضي فحسب. أتذكر طفولتي.. وأمي. كم يؤسفني غضب والدي مني، وعدم تفهمه سبب عودتي إلى "لفتسي". لقد بقي الخوف مسيطراً عليه حتى بعد الحرب. إنه يخاف من الجميع، ويظن أن كل شخص عدو. لم يصدق حين أخبرته أنني أشعر بالراحة في "لفتسي" لأنني وجدت فيها أناساً أنقذوا حياتي. ربما كان عليّ أن أذهب معهم. هل يمكن أن يكون المرض الذي أصابني عقاباً ربانياً لأنني لم أسمع كلام والدي؟  
- أرجوك، كيف يمكنك أن تفكر بهذه الطريقة، - قال له "بتر" مندداً بصوت مرتفع.

تابع "جبرائيل" كلامه كأنه لم يسمع جملة صديقه الأخيرة: أفكر أغلب الأوقات في الشهر الذي قضيناه في قبو "بيلاي"... ولكن أكثر ما يخطر ببالي هي تلك اللحظة التي كنا فيها جالسين فوق الجدار البيتوني في مسبح "لفتسي" ونحن نراقب زميلتنا التي وقعنا جميعاً في غرامها.



- وبعد ذلك نسبح وكاننا نتراهن على الحياة.... - ضحك "يان".  
- لقد كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت، - ذكرهما "جبرائيل".  
- من يدري ما إذا كانت "ماريا" عرفت أنك غرقت من أجلها، - قال "بتر" وهو  
يبتسم.

- لا أظن أنها عرفت، وربما كان أفضل لو أُنِي غرقت في حينها.  
- لا تقل هذا الكلام! نهرة "يان".  
- انتظر، دعني أتفلسف قليلاً. لو أُنِي غرقت في ذلك اليوم لكنت فارقت الحياة  
كصبي طاهر، وأكثر من ذلك ستكون ميتة في سبيل حب حقيقي. وهذا يكفي  
ملوكوت السماء كما يقول المؤمنون.  
- إنك إذاً تفكر الآن بهذه الطريقة؟ سأله "بتر" مستغرباً.  
- الموت على المؤمنين أسهل، وهذا ما لاحظته، - شرح "جبرائيل".  
فُتِحَ في تلك اللحظة باب الغرفة الذي أطلت منه ممرضة صبية. دورت نظرها  
في الغرفة ثم رَمَتْ شفيتها وزَوَّرَتْ بغضب.  
- "جبرائيل"، العشاء، وأنتما أيها الرفيقان يجدر بكما أن تغادرا. لقد انتهى وقت  
الزيارات منذ زمن بعيد.

- أيتها الأخت، ألم يخبروك أن لدينا تصريحاً من الرفيق المدير "كورتسا" بالبقاء  
هنا حتى المساء؟ قال لها "بتر". - إننا مسافران في الغد لفترة طويلة إلى الاتحاد  
السوفيتي، ولهذا جئنا لتوديع "جبرائيل".  
- ها ها... لديكم تصريح من الرفيق المدير، - تفحصتهم الممرضة وقد ساورها  
شك في صحة الكلام. - حسناً، ولكن على "جبرائيل" شئتم أم أبيتم أن يذهب لتناول  
طعام العشاء. الأكل المغذي هو علاج في نفس الوقت، وهذا أيضاً ما يقوله الرفيق  
المدير.

- لماذا كذبت عليها وأخبرتها أن لدينا تصريحاً من المدير؟ سأله "يان".  
- لا أعرف، رد "بتر" بعنجهية وأضاف: لاحظت أُنِي بدأت أكذب في الآونة  
الأخيرة...

- إنه مرض مهني، وأنت صحفي، - كشر "يان".  
حين وقفوا أمام بوابة المصح وكل منهما بيده لفافة تبغ. تجمعت فوق جبال  
التاترا سحب كثيفة سوداء. فجأة انتشر الظلام في كل مكان.  
زفر "بتر" سحابة دخان وقال:

- حين حرروا "لفتسي" وتمكننا مع "جبرائيل" الخروج من المخبأ، سألني إلى أي مدى وصلت علاقتي مع "ماريا". أجبته بأنها لم تصل إلى شيء ولا زالت أمامنا نفس الفرصة. حين عدت بعد سنوات من إسرائيل كنت أنت أيضاً فضولياً، وأردت معرفة علاقتي مع "ماريا". أجبتهك إننا متخاصمان ولكنه كان في الحقيقة افتراقاً بسبب معارفتي الشراب. إنني أتسكع بسبب طبيعة عملي بين "براتيسلافا" وبين جميع مناطق سلوفاكيا. أدرس في "برنو" وإلى أن تمكنت "ماريا" من ملاحظة توقيفي عن الشرب، بدأت أنت بالدوران حولها لأنك بيننا كنت المستقر الوحيد في "لفتسي". إنك محظوظ الآن من جديد لأنكما ستدرسان في "براتيسلافا". ربما تكونان قد خطتما لذلك. وهنا سأسألك أنا: إلى أي مدى تطورت علاقتك بـ "ماريا"؟

- تريد الحقيقة؟

- بالطبع الحقيقة.

- لم تتطور إلى شيء. إننا مجرد صديقين. حين يحدث أن لا يرى أحدهنا الآخر فترة طويلة فإننا أثناء اللقاء نتبادل قبلة بريئة، مثل قُبَل الأقرباء. أحياناً نزور معاً السينما، أو ننتزه إلى "بيريكيا" أو إلى القلعة، ولكنني أطلع، حين سيدرس كلانا في براتيسلافا، إلى أن نلتقي أكثر. إنني لا أزال مغرماً بها، وأظن أنك تعرف ذلك. داس "يان" على ما تبقى من لفافة تبغته بالقرب من سلة المهملات ثم سحب علبة السجائر من جيبه وأشعل لفافة جديدة.

- ماذا تقول عني؟ - سأله "بتر".

- تريد الحقيقة؟

- بالطبع الحقيقة.

- إنها لا تذكرك على الإطلاق، ماعدا حين نتحدث عن الطفولة....

- إذا صدف وقالت أشياء هامة، أخبرني بها، - قال له "بتر" بجدية.

- هامة مثل ماذا؟

- أي شيء... أنا نفسي لا أعرف....

- لا تعرف، - قاطعه "يان". - أعتقد أنها هي أيضاً لا تعرف ما تشعر به، وفيما إذا كانت علاقتكما أصبحت من الماضي أو إنه افتراق مؤقت. غالباً ما تتحدث "ماريا" عن "جبرائيل"، وأغلب الظن أنها تفكر فيه باستمرار. إنها تصلي صباحاً ومساءً من أجل شفائه. ربما سيكون المحظوظ بيننا... إذا شفي من مرضه.

- سوف يتعافى، سترى، - قال "بتر" مؤكداً.

لم يرد "يان" على ذلك بشيء. خطأ بضع خطوات إلى الأمام كي يتمكن من رؤية قمم جبال التاترا التي بدت مخيفة مع اقتراب المساء من شدة سوادها. اقترب منه "بتر" وسأله بشكل مفاجيء:

- هل ضاجعتها؟

- بالطبع لا.

- إذأ لستما مثل اليد في الكم، - ضحك "بتر". - سأصعد كي لا ينتظرننا "جبرائيل" وقتاً طويلاً. الحقنا بعد انتهاء لفاقتك.

وقف "بتر" أمام الباب الزجاجي للمطعم وراح يراقب المرضى أثناء تناولهم طعام العشاء. علق على الجدار فوق النافذة التي يأخذ منها المرضى صينية الطعام يافطة حمراء كُتِبَ عليها بأحرف بيضاء "العاملون في الصحة والمرضى يحيون الذكرى الخامسة للانتفاضة الشعبية السلوفاكية المجيدة". كان للزهور الصفراء المثبتة تحت اليافطة وقع لا يناسب الكلمات. ربما لم يكن بحوزتهم في المشفى نجمة أو منجل ومطرقة.

جلس "جبرائيل" مع شابين من سنه. كانوا يملؤون بصمت ملاعقهم الكبيرة من صحنهم المملأ بالعصيدة ويضعونها في أفواههم مثل الآلات.

عصيدة السميد، تذكر "بتر". عادت به الذكريات إلى والدة "يان" حين كان "يان" يُنادى "هونزا". تذكر بدقة حركات السيدة "بيزيكوف" حين كانت تضع أطباق عصيدة السميد المرشوشة بالسكر والقرفة والفريز أو التوت البري. كان مع "جبرائيل" يعشقان عصيدة والدة صديقهما ولكنهما كانا يخجلان في البداية من الجلوس والشروع في الأكل، وكانا ينتظران بفارغ الصبر اللحظة التي ستقوم فيها العمدة "بيزيكوف" بدعوتهما. بعدها كانا ينتقلان إلى الطاولة ويلتصقان بطبقهما بسرعة البرق. كانت والدة "هونزا" تراقبهما بفرح وسعادة. كانت تقول بعد أن ينتهيا من الأكل:

- حكايات الشباب.

- لم يعرفا ما إذا كانت بذلك تصف عصيدة السميد أم اللذة التي أكلتا بها تلك العصيدة.

فتح "بتر" باب المطعم وأمسك بدرفته ليعطي الأسبكية لإحدى المريضات. كانت صبية تلبس رداء أزرقاً غامق اللون، وكانت قد ابتسمت له من بعيد.

- إنك على الأكثر لم تعد تتذكرني، - قالت ومدت له يدها.

- أتذكر، ولكن... تأنأ "بتر"، - لست متأكداً... إنك ربما...

- إنني من "لفتسي". لقد جئت لزيارتنا قبل عامين. كتبت مقالاً عنا... عن المهجرين من "نيريجهازي".

- آه، نعم، تذكرت. لم أتوفق في هذا المقال، كما إنه لم ينشر أيضاً... وماذا أنت فاعلة هنا؟

اعتذر "بتر" في الحال عن سؤاله الغبي. لم تنزعج الصبية منه. لوحت بيدها وكأن الأمر لا يعينها.

- ماذا أفعل هنا؟ الأمر واضح. وماذا عنك أنت وماذا تفعل هنا؟

- جئت لزيارة صديق. إنه ابن "لفتسي"، وربما لديكما معارف مشتركة في المدينة،  
- أشار "بتر" بيده إلى المطعم. - ذاك الذي وقف للتو. "جبرائيل روزنبرغ". ألا تعرفينه؟

- حتى الآن لا أعرفه. لقد جئت إلى هنا في الأسبوع الماضي.

- سأعرف أحدكما بالآخر.

- لست بعجلة. سوف نتعارف لاحقاً. إلى اللقاء.

تطلع "بتر" باحترام إلى تلك الصبية التي غادرته آنفاً وثفاجاً بكمية الأمل والفرح اللذين يقطران منها.

- هل تقيم علاقات قصيرة مع النساء؟ ضحك "جبرائيل" الذي كان قد وصل للتو، ووقف خلف ظهره.

- إنها من "لفتسي" أوضح "بتر". - هل تلتذت بحكاية الشباب (يقصد العصيدة)؟

- تمزح؟ دؤر "جبرائيل" رأسه. - حلوها زائد، باردة وملأى بكتل السميد مع الزبدة المتماسكة. لم تكن حكاية شباب ولكنها واقع الشباب المر.

عاد "يان" في تلك اللحظة من الخارج وكان نَفسه يعبق برائحة التبغ.

- مساء رائع، والنظر إلى جبال التاترا ينعش القلب. أَلن نخرج؟ سأل.

- أفضل البقاء في السرير، - رد "جبرائيل". - لا يمكنكم أن تتصوروا التعب الذي يعانيه الإنسان من الاستلقاء الطويل حتى إني لا أجد الرغبة اليوم في السباحة بالرغم من أنه الأول من سبتمبر.

## حادثة عام 1950

- السل مرض معد تسببه عصيات السل وربما أيضاً عصيات إفريقيا، أجاب "يان" في امتحان علم الجراثيم الأول بهدوء لأنه سحب سؤالاً كان قد حضره بشكل جيد.

- العصيات لا تتحرك وهي مقاومة للوسط الحامض وشكلها متطاوّل. أكثر مصادر العدوى هو الإنسان المريض وبشكل أقل العجول والطيور. تنتقل عصيات السل بواسطة الهواء وتدخل الجسم عن طريق جهاز التنفس ولهذا السبب فإن أكثر الإصابات تحدث في جهاز التنفس. ينتقل المرض بشكل أقل بواسطة اللمس. انتقال المرض من الأم الحامل إلى الجنين ممكن ولكنه نادر الحدوث. إن جدار عضية ما الخارجي ذو خاصية معينة ولهذا يمكن للعصيات أن تتكاثر في الخلايا البالعة الكبيرة، وبعد تحزّب هذه الخلايا تتحرر العصيات وتشكل بؤراً التهابية تسمى الإيداع الأول أو التأثير الأولي.

- المؤثر به... صحیح له المدرس.

أوماً "يان" برأسه دليل موافقته على ملاحظة المدرس وتابع:

تنتقل عصيات السل من الرئة إلى أقرب غدد لمفاوية موجودة وتتسبب مباشرة في توزمها وينتج عن ذلك تشكيلها مواد مضادة. مهاجمة عصيات السل للخلايا للمفاوية يدعى المركب الأولي. "الكافرنا" هي حفرة ملأى....

- لا بأس، كفى، - قاطعه المدرس. - أخبرني شيئاً عن العلاج الشافي.

- لا توجد حتى الآن وسيلة ناجعة لعلاج السل....

- ماذا تقول؟ صرخ المدرس، - أم تسمع بـ "الستربتوميسين"؟

- إن الرفيق البروفيسور "أوتشوفسكي" لم يذكر لنا ذلك في المحاضرات... وتحدث أكثر عن ارتفاع نسبة الوفيات وعن الانذارات السيئة للمرضى.

- هكذا إذاً، البروفيسور "أوتشوفسكي" لم يذكر ذلك، - كشر المدرس ولم يعرف "يان" إذا كانت تلك الابتسامة الساخرة موجهة إليه أم إلى المحاضر. - لو كنت

طالب طب أو صيدلة لكنك طردتك، ولكننا الآن لحسن حظك في فرع هندسة تكنولوجيا الكيمياء التابع لمدرسة التكنولوجيا العليا السلوفاكية. بالمناسبة هل تعرفون أن اسم الكلية سيتغير من الفصل الدراسي القادم ويصبح كلية الكيمياء؟ هذا شيء ثانوي... أعطني دفتر العلامات.

وضع "يان" بسرعة دفتر علاماته أمام المدرس كي لا يمنحه فرصة لتغيير رأيه. وحين وجد علامة ثلاثة مكتوبة في الدفتر، سأل:

- اعذرني أيها الرفيق المعيد، إن معالجة السل تهمني ليس فقط من الناحية العملية ولكن من الناحية الإنسانية أيضاً.

رمقه المعيد بنظرة، قاسه فيها من رأسه حتى أخمص قدميه.  
- أعز صديق عندي مصاب بالسل وحسب علمي إنهم لا يعالجونه بأي دواء جديد.

تنهد المعيد ولوح بكلتا يديه وكأنه هو المسؤول عن حقيقة عدم تسلّم "جبرائيل" لأفضل دواء.

- يقولون إن "الستربتوميسين" ذو فعالية سحرية ولكنه غير موجود عندنا. إنه مضاد حيوي سجل براءة اكتشافه في أمريكا رجل يدعى "سلمان واكسمان" عام 1945 وهو من زمرة الأمينوكليكوئيدات. تنتجه باكتيريا "ستربتوميتسس جريسيوس". إن "الستربتوميسين" يوقف نمو البكتيريا بألية منعها من تشكيل البروتين. إنه يتحد مع أنواع محددة من تحت مجموعات "ribozomy" الباكترينات وبذلك يوقف تشكل سلسلة البروتينات. إنه لا يؤثر في بروتينات الإنسان. هل تعرفون السبب؟

- لأن بروتينات الإنسان لها هيكلية مختلفة، - أجابه "يان".  
- صحيح، - أشار المعيد برأسه. - إذا كان عند صديقك أقارب في بلد أجنبي فليطلب منهم هذا الدواء. دُونَ الاسم: ستربتوميتسين.

خرج "يان" من مبنى الكلية، وكان أمامه نصف ساعة للقاء "ماريا" في مقهى "توليبان"، ولكن هذا الموضوع كان أهم من كل شيء. اتجه بخطوات سريعة نحو محطة "براتيسلافا" الرئيسية حيث يوجد مركز بريد يعتبر الأسرع في توصيل الرسائل.

اشترى المُغلف مباشرة من صندوق البريد ومزق ورقة من دفتر كان قد دون فيه ملاحظات عن علم الجراثيم. كتب عدة جمل طلب فيها من "جبرائيل" أن يتصل بسرعة بأبيه ويطلب منه إرسال "الستربتومايسين". وأكد أنه قد خبر من أحد

(\*) Ribozomy: المادة الأساسية في سيتوبلازما الخلية وهي تتألف من البروتينات والحموض النووية.

البكتريولوجيين الأذكياء أن هذا العلاج سحري لمرض السل وهو قيد الاستخدام في أمريكا منذ خمسة أعوام.

وضع "يان" الورقة في المغلف، وقبل أن يلصقه أخرج الورقة من جديد، ودون ملاحظة كتب فيها إنه يتفهم غضب السيد "روزنبرغ" من "جبرائيل" لأنه لم يبق في إسرائيل ولكنه متأكد في ذات الوقت من أن الوالد سوف ينحي في هذه الحالة غضبه جانباً. فكر "يان" قليلاً وأضاف بعد ذلك: الأمر موضوع حياة أو موت.

تسلم "جبرائيل" رسالتين في ذات اليوم من نهاية تموز، وهذا نادراً ما يحدث، وبذلك لا يحق له أن يتذمر من قلة الرسائل. كان يتسلم الرسائل في العادة من جميع الذين يتوقع منهم الكتابة. كتبت له أخته "دوريكا" مع زوجها من "بودابست"، ومن "براتيسلافا" كتب له "هولزا"، و"بيتر" و"ماريا" وبمناسبة الأعياد كتبت له عائلة "روناي" وعائلة "بيلايي". أرسل له والده رسائل مقتضبة مرة كل شهر كانت تصله مع بداية الشهر. كان بالامكان من خلال السطور قراءة الأسي الذي يشعر به والده لأن "جبرائيل" لم يهاجر معه سنة الثمانية وأربعين، ولكنه مع ذلك لم يكن غضباً بل مجرد تعبير عن الحزن. شعر "جبرائيل" بمقدار الخوف الذي يشعر به والده حياله وبقي على الدوام يشعر بالمرارة.

جلس على المقعد الموجود في القسم الخلفي من المصح. أخرج الرسالتين من جيب رداثة. كان العنوان الموجود على إحدى الرسالتين مكتوباً بيد "ماريا" والثاني كان على الأغلب من "يان" ولكن الأحرف كانت مهزوزة أكثر من اللازم. فتح بالطبع رسالة "ماريا" في البداية.

اكتشف حين أراد البدء بالقراءة أنه يجلس في مواجهة شمس مابعد الظهيرة الحارقة التي كانت أشعتها تنعكس من سطح الرسالة الأبيض على وجهه وتسبب له حرقة في عينيه. عكس جلسته وأدار ظهره إلى الشمس. أسند الرسالة على طرف المقعد وبذلك أصبحت في مواجهته.

جابو الحبيب

الجميع يتذكرونك. أتمنى أنك أفضل مما كنت عليه حين كتبت إلى "يان". إننا نقرأ جميع رسائلك مجتمعين ولهذا حين تكتب له كأنك تكتب إلي والعكس صحيح، ولكنني هذه المرة أكتب إليك دون أن يعرف "يان". أرجو ألا تخونني وتخبره.

أريد إخبارك بأن العلاقة بين "يان" وبينني أصبحت أكثر من مجرد صداقة. إننا نفكر في مستقبل مشترك. إننا نخطط للزواج وأنت أول من أخبره بذلك، حتى والداي لا يعرفان. أشعر بالخوف من إخبار "بيتر" لا سيما أننا كنا بعد الحرب قريبين أحدهنا من الآخر وكانت العلاقة بيننا مجرد صداقة ولكن الأمر مختلف مع "يان" وهي أكثر من صداقة.

إننا نخطط كي يعقد الرفاف في نهاية الصيف، ولكن "يان" يفضل الأول من سبتمبر - أيلول (لم يخبرني السبب) ولكنه سيصادف يوم جمعة، لهذا فإننا سنقول "نعم" في اليوم التالي - 1950/9/2.

لم يرغب "يان" أن أكتب إليك قرارنا، ولكني أوّمن أن ذلك الخبر سيفرحك. لقد كنت لي على الدوام.

لم يتمكن "جبرائيل" من إكمال قراءة الرسالة لأنه في تلك اللحظة سمع صوتاً أتياً من خلف ظهره يسأل:  
- رسالة من حبيبة؟

عرف في الحال الصوت الفرح لـ "سوزكا" من "لفتسي"، وبالنظر إلى الأوضاع والحالة الصحية التي يعيشانها فإن تفاؤلها اللا محدود كاد يوصله إلى أعلى درجات الغضب.

لقد نبهه "بيتر" إليها في العام الماضي حين جاء لزيارته مع "يان"، وكان والداها مع إخوتها قد انتقلوا إلى "لفتسي" ضمن حملة تبادل السكان التي جرت بين تشيكوسلوفاكيا والمجر. كانت "سوزكا" متعصبة دينياً، ولم يشك "جبرائيل" بأنها تريد تحويله إلى مسيحي.

- ماذا يا "جبرائيل"، هل أنا مخطئة؟ هل هي حالة حب؟

أثار كلامها ضحك "جبرائيل".

- لماذا تضحك؟ سألته بقليل من الانزعاج.

- لأنك محقة في كلامك. إنها يا "سوزكا" قصة حب، تخبرني فيها كاتبها أنها

سوف تتزوج في سبتمبر من صديقي.

- أتمنى أن تكون داعماً لهما.

- بالطبع... ولكن كل ما في الأمر أنني أحسدهما لأنهما تمكنا من تخطيط

حياتهما في حين لم يتمن لي الرب أي مستقبل.

- لا، يا "جبرائيل"، لا تغضب من الرب حتى ولو كنت لا تؤمن به، - قالت له

"سوزكا" بحدة.



- وأنتِ، ألسنت غاضبة مني، - حاول "جبرائيل" تهدئتها.  
لمس "جبرائيل" يديها، سحبتهما في الحال. حاول مراراً الإمساك بيدها أو كتفها  
ولكنها كانت تمنعه. لقد راقه خجلها، ولم يعرف كيف سيتصرف لو أنها تركت مرة  
أصابعها في كفه.

- وماذا عنك، وهل عندك حبيب؟ سألتها.

تظاهرت "سوزكا" بالخجل.

- إذا كنت أبدو لك غير مؤدب، فمن واجبي تذكيرك بأذك قبل قليل سألتني إذا  
كنت أقرأ رسالة من صديقة.

- سألتك إذا كانت من حبيبة وليس من صديقة.

- وهل هناك فرق؟! لا تقفي خلفي مثل حارس، اجلسي، تفضلي.

سقطت أشعة الشمس مباشرة في عينيها بعد أن جلست، وكان عليها أن  
تحجبها بكفها.

- هيا إذا لا تتعاملي مع الأسرار، يا "سوزكا". هل عندك صديق حبيب أم لا؟

- كان هناك شاب في "نفتسي"، وقد أبدى رغبة.

- وأنت أيضاً رغبت فيه.

- ربما قليلاً... ولكنني طلبت منه إنهاء كل شيء بعد أن خربت مرضي.

- ربما كنت تتوقعين ملاقاتي في التاترا.

كلاهما ضحكا.

- عندي رأي مشابه لرأيك حول هذا الموضوع، - قال لها "جبرائيل" بعد

لحظات. - ربما لا يحق لنا أن نسمح لأحد أن يتعلق بنا.

سكتا برهة من جديد، وبعد ذلك قال لها "جبرائيل":

- قبل أن أجيء إلى هنا، كنت أظن أن موت المسلولين يتم في غاية السهولة.

ولكنني أرى هنا شيئاً مختلفاً. هل تتذكرين "يوجا فارادا"؟، أو "بيشتنكا" ذا الوجه  
المنمش؟ كم على الإنسان أن يتعذب كي يتمكن في النهاية من الوصول إلى الموت!  
إذا كان الرب قد حكم علينا بهذا القدر من العذاب، فمن الأولى أن يتركنا نموت  
بهدوء.

- لا تكفر. إذا كان تصورك لربكم لا يروق لك، يمكنك أن تجرب ربي... حتى

العذاب له ما يبرره بالرغم من أنك وأنا أيضاً لا نفهم تبريره. يوجد عند الكاثوليك

قديسة... "تيريزكا" من "ليسيو". وعلى الرغم من أنني ضد أن تعلن مجموعة من

الناس قدسية مجموعة أخرى، ولكن "تيريزكا" تلك تدهشني. كانت مريضة بالسل

واعتقد الأطباء أن الموت سيدهمها مع حلول الصيف، ولكنها تعذبت حتى نهاية أيلول وكانت تتألم بشكل لا يوصف. هل تعرفون ماذا قالت عن عذابها؟ - أشرح بهذا العذاب رغبتى الكبيرة في إنقاذ الروح. حتى إنها بعد الموت أرادت ذلك. أرادت أن تستغل وقتها في السماء كي تنشر الفضيلة على الأرض...

مرر "جبرائيل" يده برقة فوق يد "زوزكا".

- هل فهمت، يا "جبرائيل"؟ صبية صغيرة في سننا لم تفقد إيمانها حتى وهي تعذب، وفهمت ألمها على أنه خدمة للخير. لقد أعطت للعذاب معنى.

كشر "جبرائيل" بحزن.

- إن ألمها بالتأكيد لن يخدمني. وهل يمكن أن يكون للعذاب معنى؟ إنه دون فائدة! كيف يمكن للرب أن يسمح بتلك الأخطاء الغبية. أمراض، وقتل، وحروب...

- ومع ذلك لا يمكنك القول إن الرب هو من افتعل القتل، والحروب. إنها من

اختراعات البشر.

- أرجوك يا "سوزكا"، أنتِ من يؤكد أن الله قادر على كل شيء وهو الذي خلق

العالم كله.

- خلق العالم ولكنه ليس المسبب في كل ما نراه اليوم. لا أظن أنك تفكر أن

الرسالة التي بين يديك قد كتبها الله.

- معك حق. إنني في الحقيقة لا أظن ذلك. لقد تغلبت علي من جديد... ولكني

لن أستسلم لك بهذه السهولة. تقولين إن الله رحيم إلى أقصى الحدود ولكن ذلك...

ربما يكون... لأنه لو كان رحيماً وطيباً لما كان سمح بقتل اليهود أثناء الحرب وهم

شعبه المختار... وأمي ماتت.

- أعرف يا "جبرائيل"، وهذا يؤسفني.

- ربما لم يخلق القتل ولكن كان بإمكانه إيقافه، - تابع "جبرائيل". إذا كان

موجوداً في كل مكان كما تقولين، كان عليه أن يرى ما يحدث. كان موجوداً أثناء

ذلك، ولكن لا شيء؟

- يا "جبرائيل"، بكل سرور أحب أن أتابع النقاش معك لأنني أرى ضرورة أن

أشرح لك الفرق بين السوء الفيزيائي الذي نشعر به بصورة الألم، والسوء التربوي

الذي نقوم به وهو معصية، ولكني قبل ذلك أريد أن أذهب لتناول طعام العشاء.

أشعر حتى اللحظة أنني الفائزة في النقاش. إنك تؤمن بوجود الخالق ولكنك لا

تفهم ماهيته.

نهضاً وتحركاً ببطء باتجاه المسكن.

- هل تعرفون قراءة المجرية؟ سألته "سوزكا".

- بالطبع أعرف.

- عندي كتاب صغير عن القديسة "تيريزكا"، ولقد أعارتني إياه...

- من أعارك؟

- إحدى السيدات... كاثوليكية من "لوتشانيتسا".

- لقد ماتت وأنت الآن لا تجددين من ستعيدين إليه الكتاب، أليس كذلك؟

سألها "جبرائيل" بسخرية.

أنهى "جبرائيل" قراءة رسالة "ماريا" بعد العشاء. سحب بعد ذلك المغلف المرسل من "يان"، ولدهشته لم يجد فيه شيئاً يشير إلى قرب زواجه من "ماريا". كتب فحسب عن العلاج الجديد ضد السل الذي أصبح قيد الاستخدام في البلاد الأجنبية، وطلب منه أن يكتب بسرعة إلى والده ليرسله إليه. كان "جبرائيل" متشامماً، وتخيل أن الأطباء يفعلون معه ما بوسعهم. بعض المرضى تعافوا والبعض الآخر لم يحالفه الحظ. كان "جبرائيل" يؤمن بالقدر أكثر من إيمانه بالطب.

بحثت "سوزكا" في اليوم التالي مباشرة بعد الفطور عن "جبرائيل". ارتسمت تحت عينيها دائرتان زرقاوان من التعب وكان صوتها يرتجف. قالت إن زميلتها في الغرفة أصيبت في الليل بنزف شديد. حقنوها بدواء لزيادة تخثر الدم ولكن النزيف لم يتوقف.

تصور "جبرائيل" أن "سوزكا" معرضة هي الأخرى إلى نزف شبيه بالذي حدث لزميلتها. يجب ألا يحدث ذلك.. حدث نفسه، وفي تلك اللحظة اعترف بينه وبين نفسه بحبه الحقيقي لـ "سوزكا".

ذهب قبل ظهيرة ذلك اليوم لمقابلة الطبيب المسؤول وسأله عن رأيه بالـ "ستربتوميسين". اندهش "جبرائيل" من رأي الطبيب الإيجابي بهذا الدواء بالرغم من أنه لم يتعامل معه بشكل مباشر. سأله "جبرائيل" عن الجرعة التي ينصح بها ولكن الطبيب لم يعرف. أخبره بأن الـ "ستربتوميسين" يحقن في العضل فحسب.

كتب "جبرائيل" بعد الظهيرة لوالده. تراجاه أن يرسل له جرعتي علاج من الـ "ستربتوميسين"، ولم يشرح له أن الجرعة الثانية لا يحتاج إليها. كتب أن الطبيب نصحه بذلك. خاف أن يكون الدواء باهظ الثمن مما يضطر والده إلى طلب النقود من العم "أنطون" الذي لن يعطيه المال من أجل إنسان غريب، وربما لن يعطيه أيضاً من أجل "جبرائيل".

سلم الرسالة مع أجور البريد الجوي إلى ممرضة القسم التي وعدته بالتوقف في البريد في طريق عودتها إلى البيت بعد انتهاء الدوام.

جلس في ذات المساء على المقعد من جديد مع "سوزكا". لم يرغب "جبرائيل" في الاقتناع. الرب طيب وقادر على كل شيء، ولكن الناس لا يعرفون سبب لجمه لقدراته. "سوزكا" تعرف. السبب هو منحه الإنسان حرية الاختيار بين الخير والشر. شعر "جبرائيل" في تلك اللحظة بسعادة كاملة. شعر أنه حي يرزق. وزاد إحساسه بذلك حين عرف أنه يقف على حافة الموت. أدرك أن الحياة خليط من الأحاسيس التي ينمو فيها. أحب تلك المرأة التي بدأت معه بكل روحانية نقاشاً دينياً. أحس "جبرائيل" بسعادته كحدث بين مجموعة أخبار سارة، وبدون أي أثر للغيرة فرح من خبر زواج أعز صديق له من الصبية التي كان مغرماً بها فيما مضى. عرف "جبرائيل" بعد وقت قصير أن الأمر بين "يان" و"ماريا" أخذ منحى آخر.

- ولكن لماذا؟ لماذا يريدون اعتقال والدك؟ سألتها "يان".

ضم رأس "ماريا" إلى صدره وداعب شعرها بأصابعه.

- لأنه كان من جماعة "نيلاشي" المجرية، - ردت عليه "ماريا". ضربت كتفه بقبضتها وكأنه هو السبب فيما جرى في "لفتسي" في الليلة السابقة.

- كان قبل خمس سنوات من جماعة "نيلاشي". لماذا لم يعتقلوه مباشرة بعد الحرب؟

- في حينها شهد الشيوعيون المجرزيون لصالحه لأنه كان على علاقة جيدة معهم أثناء الحرب.... هم من طلبوا منه الانخراط في صفوف الفاشست. كان هناك بمنزلة جاسوس لصالح الشيوعيين.

- هذه حقيقة يعرفها الجميع. إنه لم يكن "نيلاشي" حقيقي. لا بد أن يتوضح الأمر في أقرب وقت.

أحد عناصر الشرطة من الذين جاؤوا لاصطحاب أبي يعرف أمي جيداً. وشوشها قائلاً: الشيوعيون الذين كانوا يعرفون والدي أثناء الحرب هم معتقلون الآن في المجر وهم يشكون في أن والدي كان ضمن مجموعتهم التخريبية.

- مجانين، تنهد "يان"، - مجانين حمر.

- ماذا يمكننا فعله؟ سألت "ماريا".

- لنذهب مباشرة إلى "بتر"، إنه لا يزال الآن في الجريدة، - قرر "يان".

تسلم "جبرائيل" العديد من الرسائل ولكن أحداً لم يقم بزيارته، لهذا السبب استغرب حين سمع إذاعة المصح تعلن عن وجود زيارة بانتظاره عند البوابة. رمى على نفسه رداء الغرفة وأسرع إلى البوابة.

- "بتر"، حتى إنك لم تخبرني بحضورك، كيف، أنت هنا؟ - رحب بصديقه.
- أمسك "بيتر" يد "جبرائيل" وقاسه من رأسه حتى أخمص قدميه.
- الحمد لله، إنك لا تبدو أسوأ مما كنت عليه قبل نصف سنة.
- أشعر اليوم أني جيد ولكني في الأسبوع الفائت كنت منتهياً.
- خرجنا إلى الحديقة الموجودة أمام المصح.
- كنت في مدرسة الصحافة في "كوشيتسي"، وحدثت نفسي بما أني قريب منك أن أستغل الفرصة وأزورك.
- كيف أحوالك؟... مثلاً في الدراسة؟ سأله "جبرائيل".
- أجلتُ أصعب فحص في التشيكية إلى الأول من سبتمبر. إنني أدرس الآن، -
- أدخل "بيتر" يده في حقيبة الكتب وأخرج منها كتاباً مدرسياً. أعطاه إلى "جبرائيل" لكي يتصفح بعض صفحاته.
- لا يمكنك أن تصدق مدى صعوبة التشيكية.
- هذا لأنك مجري، - كثر "جبرائيل"، - سيكون بانتظارني دبلوم التخرج والفحص الأخير... وماذا تفعل أنت هنا كل هذه الأيام؟
- استلقي، وأتنفس، وأكل، وأقرأ. قرأت في المدة الأخيرة عن القديسة "تيريزكا" من "ليسيو".
- حديق فيه "بتر" مندهشاً.
- لقد أعارتني إياه تلك المريضة من "لفتسي" التي تعرفها، وكنت قد أجريت معها في إحدى المرات لقاء. اسمها "سوزكا".
- أها... "سوزكا"؛ قال "بتر" وضحك.
- وماذا أيضاً؟ تعرف، "ماريا" سوف تتزوج، - ابتسم "جبرائيل" ولكن وجه "بتر" تلون فجأة.
- إنني هنا بسببها، - قال.
- جلسا فوق جدار واطيء من الحجر سخنته أشعة الشمس.
- سأحاول أن أشرح لك باختصار ما الذي يحدث، - تنهد "بتر".
- إنه نذير شؤم. قال "جبرائيل".
- إنه حدث مشؤوم، - أكد "بتر". - لقد ألقوا القبض على والد "ماريا".
- جحظت عينا "جبرائيل" من هذا الخبر.
- بسبب كونه "نياليسست" قديم. أكمل "بتر".
- ولكنه...

- دعني، دعني أشرح لك. كلانا يعرف أن السيد "بيلاي" كان يعمل لصالح الحزب الشيوعي، وقد أوصل إلى الرفاق معلومات هامة، ولكن بعد اتهام "رايك" حدثت في المجر محاكمات أخرى لأعضاء الحزب الشيوعي. لقد اتهموا حتى أولئك الذين تعاون معهم والد "ماريا"، وأثناء استجوابهم ظهر اسمه ومن هناك حولوه إلى جهاز أمننا. الآن لن أخبرك برأيي ولكن بما تمكن رئيس تحرير جريدتنا من معرفته حول هذا الموضوع. صدقني، إن لذلك الرجل اتصالات مع أعلى المستويات. سوف يُتهم السيد "بيلاي" لأنه أثناء الحرب عمل بوصفه جاسوساً مزدوجاً. يقولون إنه في الحقيقة لم يعمل لصالح الشيوعيين بل كان يوصل إلى الفاشست معلومات عن الشيوعيين.

- ولكن هذا مغاير للحقيقة، احتج "جبرائيل".

- بالطبع ليس حقيقة.

- علينا مساعدته. سوف تشهد بأنه أخفانا شهوراً بكاملها. لو أراد تسليمنا لـ "نيلاشست" لكان فعل ذلك في أي وقت. إن شهادتنا ستساعده.

- لقد جئتكم لهذا السبب، - هز "بتر" رأسه. - لقد أخبرني رئيس التحرير تفصيلات واسعة تتعلق بمحاكمة والد "ماريا" وغيره من المتهمين من جنوب سلوفاكيا. تعرف، لقد أنشؤوا في أيار وزارة الأمن الوطني، وأخذ الوزير "كوبريفا" على عاتقه تنظيف الدولة من الأعداء الداخليين. الثورة المضادة لا تستسلم، كما إنها لم تستسلم في روسيا بعد ثورة أكتوبر. هذا هو زمن احتدام الصراع الطبقي في جميع الدول الشيوعية. بعد الثورة الاشتراكية تأتي هذه المرحلة. إنها جدلية التاريخ. إن نظرية احتدام الصراع الطبقي في الاشتراكية لا تزال مطروحة.

استمع "جبرائيل" إلى كلام "بتر" ولكنه لم يعرف ما إذا كان يقول قناعته بصدق أو يقول ما يؤمن به رئيس تحريريه أو ما يؤمن به الوزير "كوبريفا"، أو ما هو مكتوب في بعض أمالي الجامعات التي يفترض في الجميع أن يؤمنوا بها.

تابع "بتر":

المهم في الوقت الحاضر هو تعزيز سلطة الثورة الديمقراطية الشعبية باتجاه الداخل. إن انتصار الثورة أسهل بكثير من الدفاع عنها. حين تقطع أشجار الغابة تتطاير القطع الصغيرة. الشيء المحزن أن والد "ماريا" هو من تلك القطع الصغيرة البريئة.

- الثورة تلتهم أطفالها، - علق "جبرائيل".

- يمكنك أن تقول ذلك.

- ولكننا لن نسمح أن يكون السيد "بيلاي" بين تلك القطع الصغيرة، أو من الأطفال الملتهمين.

- أخبرني رئيس التحرير إن هذه القضية تشبه محاكمة غبار المتفجرات التي يمكنها أن تقتل كل إنسان يقترب منها. سأكرر كلمات رئيس التحرير: الشاهد الذي يشهد لصالح الفاشيين يصبح مشبوهاً بشكل أوتوماتيكي.  
- ماذا علينا فعله؟ لا يمكننا أن أشهد. إنني صحفي، وأنا أدرس. وسوف أبدأ حياتي.

- إنك على عكسي، - كشر "جبرائيل".

- لم أقصد ذلك. إنك أيضاً سوف تبدأ حياتك... اعذرني.

- لا تعتذر، - لوح "جبرائيل" بيده، - إنني غير مزعوج، ومستقبلي غير مضمون. لا داعي كي أخاف جهاز الأمن لا سيما أنني مصاب بالسل. سأكتب إلى "ماريا" بأني أريد الشهادة لصالح والدها ولن أجيء على ذكرك أثناء التحقيق. سأتحدث كأني كنت مسجوناً في ذلك القبو وحدي. متى ستجري المحاكمة؟  
- بعد ثلاثة أسابيع. الأول من سبتمبر في "براتيسلافا".

- الثاني من سبتمبر سيكون حفل الزواج.

- لقد ألغوه.

- أتمنى أن أتعاقي قليلاً حتى ذلك الوقت كي أتمكن من السفر إلى هناك.

- لا داعي لسفرك إلى أي مكان. إذا كتبت إلى رئيس المحكمة أنك مريض وتريد الإدلاء بشهادتك فإنهم سوف يرسلون إليك محققين. لقد سألت عن ذلك.

أوما "جبرائيل" برأسه موافقاً.

- أخبرني، - فجأة سأله "بتر"، - أولئك "روزنبرغ" الذين اعتقلهم الأمريكيان بوصفهم جواسيس للاتحاد السوفيتي، هل يقربونكم؟ "إتيل" و"يوليوس روزنبرغ"...  
إذا كنتم أقرباء فإن شهادتك سيكون لها وزن مختلف.

استلقى "جبرائيل" في سريره دون حراك. تعلقت عيناه بقطرات المطر التي كانت تسيل على زجاج النافذه. كان غاضباً من الرب بشكل لم يسبق له مثيل، وزاد حنقه أكثر لأنه كان يعرف بوجوده.

- إن سبتمبر إذاً يعلن عن نفسه بهطول المطر، - قال زميله الساكن الجديد في الغرفة.

لم يجبه "جبرائيل" بشيء.

- يقال، إذا هطل المطر في الأول من سبتمبر... بدأ زميله الكلام ولكنه توقف حين سمع صوت نداء الميكروفون الموجود فوق الباب.

إعلان: على الرفيق "جبرائيل روزنبرغ" التوجه إلى قسم الاستقبال لتسلم طرد بريدي. أكرر: "روزنبرغ" في الحال إلى قسم الاستقبال.  
بقي "جبرائيل" في سريره وتابع النظر في النافذة.  
- ألا تسمع؟ لديك طرد. اذهب واستلمه من قسم الاستقبال، - صرخ به زميل الغرفة.

نهض "جبرائيل" ببطء شديد ولبس معطف البيت وتحرك باتجاه السلام ويداه في جيبه. أجبر نفسه على الوقوف اعتقاداً منه أن الشرطة السرية قد حضرت وليس بسبب الطرد البريدي. لقد زاروه ثلاث مرات بسبب شهادته المتعلقة بمحاكمة السيد "بيلاي". كانوا يفعلون ذلك حتى هذه الساعة بأن تطلبه الممرضة إلى غرفة الفحص الطبي حيث يكون المحققون هناك بانتظاره. أخبروه أثناء مغادرتهم في المرة الأخيرة بأنهم سيعودون من جديد. لقد بدأت اليوم محاكمة والد "ماريا"، وربما هم بحاجة لمعرفة شيء جديد يتعلق بالمحاكمة.

حين وصل إلى مكتب الاستقبال وجد أمامه ساعي البريد:

- لديك طرد من بلاد أجنبية. وقّع لي استلامه.

ألقى "جبرائيل" نظرة على الطابع الملتصقة على الطرد وسأل بعد ذلك:

- "ستريبتوميتسين"؟ وما الفائدة من استلامه إذا كانت "سوزكا" قد ماتت أول

البارحة؟



## حادثة عام 1951

- الأول من سبتمبر كان يوم سبت. لقد أجل "يان" الامتحان النهائي من الفصل الصيفي إلى هذا التاريخ.
- نهض من المقعد الذي كان يحضر فيه نفسه للامتحان وجلس إلى الطاولة في مواجهة الفاحص.
- أرنى في البداية أيها الزميل أي سؤال سحبت، - قال له البروفيسور "اوتشوفسكي" بلطف.
- أعطاه "يان" ورقة السؤال وقال:
- "كلوستروديوم بوتولينوم".
- كلوستروديوم بوتولينوم؟! عظيم قال له البروفيسور - إنه خزنة ذهبية في علم البكتريولوجيا الثاني. هيا تكلم.
- "كلوستريديوم بوتولينوم" هي جرثومة تتكاثر في الأغذية المعلبة إذا تم تعقيمها في حرارة غير كافية. تسبب تسمماً غذائياً "botulismus" يتظاهر بألم في الرأس، وعطش وازدواج في الرؤيا، إضافة إلى شلل في جهاز التنفس وصعوبة في النطق والبلع، ولكنني سأعود إلى البكتريا تحديداً.
- لا تعد إلى أي مكان، - ابتسم البروفيسور "اوتشوفسكي". أعطني دفتر العلامات، سأكتب لك علامة واحد.
- بهذه السرعة؟ استغرب "يان".
- دون البروفيسور العلامة في دفتر "يان" بسرعة وأعادته إليه.
- تفضل... ولكن لا تغادر الكلية. عليك أن تراجع الغرفة رقم تسع وأربعون الموجودة في نهاية المعبر.
- سأذهب في الحال، - فرح "يان" - إلى اللقاء، وشكراً مرة أخرى.
- لا تشكرني أيها الزميل، لا شكر على واجب، - رد عليه البروفيسور حين أغلق الباب خلف "يان".

كان "يان" شأنه شأن جميع الطلاب يخاف من هذا الامتحان بسبب مزاجية البروفيسور الفاحص الذي لا يمكن لأحد معرفتها. لذا فإنه شعر بالفرح حين انتهى من الامتحان بهذه السرعة وتلك السهولة، بل وحصل أيضاً على علامة واحد، وهي علامة نادراً ما يحصل عليها طالب في البكتريولوجيا.

كانت الابتساماة لا تزال مرسومة على وجه "يان" حين قرع باب الغرفة (49)، ولم تغادره حتى حين دخل الغرفة ووقف في مواجهة رجل أشيب الرأس في الخمسين من عمره، يجلس خلف طاولة ضيقة، ببزته الزرقاء التي تلمع أكمامها من كثرة حفيفها بالطاولة. كانت أشعة الشمس تنعكس من خلفه على أكمامه كأنها تنعكس فوق سطح ماء البحيرة. كانت أمامه بعض الأوراق التي كُتب بعضها بالآلة الكاتبة وبعضها الآخر بالقلم الأزرق.

- نهارك سعيد. أرسلني الرفيق البروفيسور "أوتشوفسكي"، - قال له "يان" بفرح.

- لا بد أنك الرفيق "يان بيزك"، - رحب به الرجل ونهض من مكانه كي يمد يده إليه وأثناء ذلك سقطت بعض الأوراق على الأرض. أراد "يان" رفعها ولكن الرجل صرخ به:

- لا، لا ترفعها. سوف أجمعها وحدي. تفضل واجلس أيها الرفيق "بيزك" في المقعد على الراح والسعة.

جلس "يان" وراح يراقب الرجل الذي انشغل في ترتيب الأوراق الرسمية التي رفعها عن الأرض. استدار بعد ذلك نحو "يان". ابتسم أحدهما للآخر وأدركا في الحال عدم أهمية تبادل الابتسامات.

- كيف انتهى الامتحان؟ سأله الرجل.

- بعلامة واحد، - تباهى "يان".

- لهذا السبب، - رفع الرجل إصبعه بسعادة - لقد توسطت لك عند الرفيق "أوتشوفسكي".

- توسطت لي؟

- نعم. إننا أصدقاء قدامى. لقد طلبت من الرفيق "أوتشوفسكي" ألا يتعبك ويُعطلك كثيراً. ابتسم الرجل ولطح الجدار براحة يده وكأنه يريد التعبير عن مدى سروره كون كل شيء تم كما خطط له.

- لماذا توسطت لي؟

- لم أرغب أن تحضر لمقابلي وأنت متعب، وفي مزاج معكر. إنني أعول كثيراً على أن يجري حديثنا في جو من الصداقة والراحة. لا أريد تضيق وقتك، إنه يوم السبت.

تبادر إلى ذهن "يان" أنه يجلس مقابل رجل أمن سري. فكر فيما إذا كان عليه سؤاله بشكل مباشر أو عليه أن يتظاهر بعدم فهمه لما يجري. قرر الطريقة الثانية. - ولكنني لا أفهم أبداً سبب اللقاء.

- عندي لك عرض.

- أي عرض؟

- لقد تم منذ وقت قصير إنشاء مركز أبحاث لتطوير المواد الغذائية في "ترنشين".

- حقاً؟ لم أسمع به.

- هذا ما نريده. إنه منشأة عسكرية سرية، هذا جيد لأنك لم تسمع به حتى الآن.

أخرج الرجل لفافة تبغ.

- هل تريد إشعال واحدة؟

- لا، شكراً. تمكن "يان" من ضبط شهيته للتبغ.

- لا؟ ظننت أنك مدخن.

- إنني أدخن، ولكن لا رغبة عندي الآن.

- هكذا إذاً - هز الرجل رأسه. سوف أدخن وحدي.

سحب الرجل بهدوء عدة شحطات ثم حبس الدخان في فمه وتلذذ بطعمه. راقبه "يان" وأسف لأنه لم يدخن هو الآخر.

- الآن إلى المهم، - فجأة قال له الرجل. - إن مركز الأبحاث في "ترنشين" بحاجة إلى أناس أذكيا، وحسب الإمكانيات يجب أن يكونوا من الشباب المهتمين بكيمياء التغذية، وقبل كل شيء واعين لكونهم سيعملون في منشأة ذات صفة استراتيجية حيث يجري كل شيء كما يقال في منتهى السرية.

أحس "يان" بالراحة. الأمر إذاً لا علاقة له بوالد "ماريا" الذي انتهت محاكمته قبل وقت قصير. إنه عرض للعمل.

- سأسألك بشكل مباشر: هل تريدون العمل في مركز أبحاث علمي بهذا الشكل؟

- بالطبع، أجاهه "يان"، ولكن تنتظرنني سنة دراسية أخرى.

- ستكتب رسالة التخرج في موضوع له علاقة بعملك في المركز، - شرح الرجل.

وبالطبع علينا الانتباه كي لا تذكر فيه أي شيء له علاقة بأسرار الدولة. ولكن ذلك ليس مشكلة. سوف نقرأ الرسالة ونقيمها إذا كان هناك ما يجب حذفه.

- يمكنني إذاً أن أبدأ العمل أثناء الدراسة؟

- هذا بالضبط ما عرضته عليك. يمكنك أن تتمتع بعطلتك وتبدأ العمل في الأول من سبتمبر.

- "بريما"، سيكون شيئاً رائعاً، - شع الفرع من عيني "يان".

- عندك في السنة الأخيرة عدة مواد وربما سأتمكن من تدبير أمر حضورك إلى الجامعة أسبوعين في الشهر فحسب.

هز "يان" رأسه بالموافقة.

- شيء آخر، - قلت "بريما"، إنها كلمة تشيكية. إنك تشيكي في الأصل، أليس كذلك؟

- نعم، - رد عليه "يان".

- اسمك إذاً "يان" (ألف قصيرة) وليس يان (ألف مع شحطة) ألف طويلة، ضحك الرجل.

- إنني أعيش في سلوفاكيا منذ فترة طويلة. شرح له "يان".

- ولكنك أمضيت شبابك أثناء الحرب في منطقة الانتداب، أليس كذلك؟

- نعم في "برنو".

- هناك فقدت والديك، أليس كذلك؟

أوماً "يان" برأسه:

- أرى أنك تعرف عني كل شيء. الجيش هو الجيش.

- معك حق. نعرف تقريباً كل شيء، - ابتسم الرجل وأضاف: ولكن شقيقتك تبقى لغزاً عندنا.

- لم يجب "يان" بشيء.

- ماذا يمكنك أن تخبرني عنها؟

- لا شيء تقريباً. لقد اختفت أثناء الحرب، وعندني شعور أنها ماتت.

- لقد قيل الكثير عن سلوكها، قال الرجل، وراقب ردود أفعال "يان".

- لقد رأيتها آخر مرة عام اثنين وأربعين وربما ثلاث وأربعين. لم تسكن معنا.

- أين كانت تشتغل؟

- هذا شيء في الحقيقة لا أعرفه، يمكنك أن تثق بكلامي.

- تخيل، أنني أثق بك، وحتى نحن فشلنا في معرفة أخبارها.

أخرج الرجل من جديد علبة سجائر.

- "دثفا"، أُن تأخذ واحدة؟

- آخذ.

- هل رأيت، قال له الرجل بسعادة وكأنه كسب موافقة "يان" على أمر في غاية الأهمية.

حين نفث "يان" أول سحابة دخان، سأل بصوت منخفض.

- هل سيؤثر هذا؟

- ماذا؟

- تعرف... بحث "يان" عن العبارة، - الانتداب وما شابه.

- ولكن كيف، - ابتسم الرجل، - ربما على العكس. لقد عملتم في مصنع تعليب وهذا سيساعدكم في التدريب.

هز "يان" رأسه برضى.

- ولكن هناك شيء آخر، - قال الرجل حين نفث الرماد في صحن السجائر. فتح درج المكتب ويبحث فيه عن شيء.

- أها، وجدته، - ابتسم حين أخرجه.

نظر "يان" إليه غير واثق.

- هذا، قال الرجل وأعطاه قصاصة جريدة.

كان يكفي "يان" نظرة واحدة إلى الصورة وإلى عنوان مقالة "بتر" "الجرذان تهرب والأبطال يعودون".

- إذأ أنت ذاك البطل... قال الرجل بصوت خلا من أي لون.

- إنني لم أكتبه، - رد عليه "يان".

- لكي يفهم أحدنا الآخر، إنني لا أحملك أي مسؤولية. كلنا توقعنا أن تكون إسرائيل مركزاً للنضال ضد الامبريالية الأمريكية والبريطانية في الشرق الأوسط. حتى

إن الرفيق "ستالين" دعم نشوء دولة لليهود. كل ما في الأمر أن إسرائيل أصبحت دولة مختلفة عما كنا نتوقع منها.

- هذا ليس ذنبى، - أجابه "يان" وضحك هو أيضاً من جوابه.

- لابد أن عندك هناك العديد من الاصدقاء. كيف يرون تطور الأوضاع في إسرائيل؟

- لا يوجد عندي هناك أي أصدقاء.

<sup>101</sup> دثفا: نوع من السجائر السلوفاكية، م.

- غير معقول. خلال سنتين من إقامتك هناك لم تتعرف على أحد؟
- تعرفت على فتاة عربية، وحين اشتد القتال نزحت عائلتها من فلسطين ولا أعرف الآن أي شيء عنها.
- ما رأيك في الصهيونية؟
- هل هي نقل اليهود إلى فلسطين؟
- لا، الصهيونية هي الطريق للسيطرة على العالم، - قال الرجل محتدماً.
- لم أهتم بهذه الأمور في حياتي، - بدأ "يان" تنظيف نظارته بعصبية.
- وما رأي صديقك "روزنبرغ" بالصهيونية؟
- لقد أخرجه قبل عدة شهور من مصح أمراض الصدر. إنه مصاب بالسل وقد صارع من أجل الحياة، وهو لا يهتم بالسياسة أصلاً. يمكنني أن أكفله.
- تذكر "يان" اللحظة التي وقف فيها مع "جبرائيل" على ظهر السفينة أمام القائد البريطاني. صرخ أثناء ذلك: أيام نات غي جو (لست يهودياً)
- لا أعرف ما إذا كنت على علم، قال له "يان"، - أنا لست يهودياً.
- أعرف ذلك، - هز الرجل رأسه، ولكني لا أعطي هذا الأمر أهمية تذكر. إنك تعرف كما أعرف كيف هم اليهود. أصحاب بنوك، ومقاولون كبار، وأصحاب ملايين ولا يصعب عليهم شراء أي إنسان، تشيكي، أو سلوفاكي، أو عربي. لقد أرسل "روزنبرغ" لولده أدوية باهظة الثمن.
- إنهم لم يشتروني، وحتى إنهم رفضوا إعطائي منحة دراسية.
- ادرس إذًا عندنا. هذا شيء جيد، وعلى الأقل يمكنك أن تساهم في بناء الاشتراكية في وطنك، - قال الرجل.
- نظر إليه "يان" بحذر. انتظر هجوماً آخر.
- نهض الرجل من مكانه وسار باتجاه النافذة.
- أيها الرفيق "بيزك"، أرجو ألا تتضايق لأني أستجوبك بهذه الطريقة. عليك أن تفهمنا. إننا نعرض عليك عملاً هاماً في مؤسسة ذات طابع استراتيجي. كل شيء من حولنا يفوح برائحة حرب باردة حولها الامبرياليون في كوريا إلى حرب ساخنة. آلاف الأبرياء يموتون. الآن لا يتحدد مستقبل كوريا أو تشيكوسلوفاكيا فحسب بل مصير العالم بأكمله.
- جلس الرجل إلى الطاولة من جديد وراح يتحدث من جديد بلهجة خالية من العواطف:

- لقد حُكِمَ على حميك المستقبلي سبع سنوات. حين نستعرض التهم الموجهة إليه يمكننا القول إن الحكم لم يكن قاسياً. حتى أنت توقعت أكثر، أليس كذلك؟  
احمر وجه "يان". خطر بباله أن يقفز من مكانه ويوجه لكمة قوية إلى وجه الرجل الجالس أمامه. عليه أن يقتله. ربما بإمكانه تنفيذ رغبته قبل أن يتمكن ذلك الرجل من سحب مسدسه، هذا إذا كان في الأصل يحمل مسدساً. تخيل "يان" كيف تبتعد يده ببطء عن بلعوم ذلك الرجل الذي يتهاوى جسمه تحت الطاولة. لقد أراحته تلك الصورة ولهذا تمكن من القول:

- بالعكس، انتظرت إطلاق سراح السيد "بيلاي"، وبالرغم من أنني لم أكن أثناء الحرب في "لفتسي" إلا أنني متأكد من أنه لم يؤذ أي إنسان.  
- هذا ما أكده "روزنبرغ" أثناء المحاكمة.

نهض "يان" من مكانه:

- سأغادر.

- انتظر، لوح الرجل بيده مندهشاً. - إنك لم تفهني. إنني لا أدينك، ولا يوجد عندي أي شيء ضدك، وأكثر من ذلك إني أعرض عليك التعاون. نريدك أن تطور إمكاناتك في مخبر عسكري سري للغاية. وفي ذات الوقت أتوقع منك تعاوناً من نوع آخر.

- أي تعاون؟ سأله "يان".

- أريد منك أن تكتب لي عن جميع الأحداث التي عشتها في إسرائيل. بالطبع لست مجبراً على كتابة أي شيء شخصي يتعلق بحبيبتك العربية. الأشياء التي لها علاقة بالجيش فحسب. أسماء الأشخاص، وأسماء الفرق، والطرق المتبعة في القتال.  
- أفضل ألا أكتب.

- لا تريد؟ ضحك الرجل. - ربما لا تدرك مدى أهمية ذلك بالنسبة إلى حياتك. لقد حاربت في بلد أجنبي، وفوق كل هذا في الجيش الإسرائيلي. أعز أصدقائك يتسلم طروداً من إسرائيل. إنني حتى الآن لا أؤكد أنك جاسوس إسرائيلي. أختك كانت نازية متطرفة. والد حبيبتك سجين بسبب الجرائم التي ارتكبتها في لباس أصحاب الصلبان البرية. إنني حتى الآن لا أؤكد أنك أيضاً فاشستي مُقنع. إنني لا زلت أؤمن حتى هذه اللحظة بأنك تقف في جانبنا، لقد سمعنا لك ممتابعة دراستك وسمعنا أيضاً لحبيبتك. عليك أن تُظهر مدى تعلقك بدولتك الشعبية الديمقراطية وبطبقتها العاملة. ربما تقف على مفترق طرق، وأنا هنا لأساعدك على اختيار الطريق الصحيح.

فكر "يان" بروية، إن تطور محاكمة والد "ماريا" يشير إلى السهولة التي يمكنهم فيها تلبسه أي جريمة يريدونها.

- هل تعطيني وقتاً لأفكر؟ سأل "يان".

- بالطبع، - ابتسم الرجل وأضاف: نلتقي هنا الاثنين في الحادية عشرة. أرجو ألا ترتكب حتى ذلك الحين أي حماقات، وبالتأكيد لا تخبر أحداً بما جرى بيننا من حوار لأن ذلك يمكن أن يستخدم دليلاً ضدك.

توجب على "يان" أن يُسلم تقريره الأول في منتصف آب. كتب فيه كل شيء طلبه منه رجل الأمن: أسماء الأشخاص، والوحدات العسكرية وطرق القتال التي عرفها في الجيش الإسرائيلي، وربما كتب أكثر مما هو مطلوب منه. حين لم يتذكر أحد الأسماء كان يخترع اسماً من بنات أفكاره. كان يعرف أنه لن يضر أحداً في تقريره. الناس الذين ذكرهم في تقريره لا يمكن لأيادي الشرطة السرية التشيكوسلوفاكية أن تتألمهم وبالتحديد الأقسام التي تتعاطى أمور المخابرات حيث يتبع ذلك الرجل الذي التقاه "يان".

أفاض "يان" في الكتابة عن عودته من إسرائيل إلى الوطن. كرر ثلاث مرات موضوع جلوسه في الطائرة العائدة إلى الوطن برفقة حامل وسام بطل الاتحاد السوفيتي "أنطونين سوخور"، وفرح للفوضى التي سببها معلوماته تلك في جهاز الأمن السري. لم يتذكر بالضبط رتبة "سوخور" لذا كان يشير إليه في تقريره تارة بالعقيد وحيناً بالكابتن وفي المرة الثالثة وصفه بالضابط.

اللقاء الذي سَلم فيه "يان" تقريره الأول جاء قصيراً. تصفح الرجل أشيب الشعر التقرير وكشر ثم قال:

- هل رأيت؟ تم كل شيء دون ألم.

كانت الصحف التشيكية والسلوفاكية في منتصف آب لا تزال تزخر بالقصائد الانتخابية عن الأمين العام "رودولف سلانسكي" الذي احتفل في الواحد والثلاثين من تموز بعيد ميلاده الخمسين، وتسلم في هذه المناسبة من يد الرئيس "جوتوالد" وسام الاشتراكية لخدماته الجليلة. سارع الصحفيون لتغطية ذلك الحدث الهام بكل تفاصيله، بعضهم من زاد في التفاصيل وبعضهم الآخر اخترع بعضها.

كان "جبرائيل" في ذلك الصيف قد باشر العمل من جديد في مسبح "لفتسي". نصحه الأطباء بتمضية معظم أوقاته في الهواء الطلق، وهذا ما حرص على فعله. كان يسكب في الماء كل صباح سطلاً من سائل الكلور ذي الرائحة القوية ويقوم



فيما تبقى من اليوم بغسل عينيه وأنفه كي يتخلص من الدموع والقشع الذي تمكن الكلور من سحبها منه.

حتى إن "يان" وجد عملاً مؤقتاً في مسبح "لفتسي" خلال عطلة الصيف. كلاهما كانا يسكنان في بيت الدولة الذي تمكن "بتر" من تأمينه لهما في خضم فوضى ما بعد الحرب. بقي البيت فارغاً أثناء إقامة "جبرائيل" في مصح جبال التاترا وتمكن "بتر" من خلال معارفه إيقاف الإيجار المطلوب خلال غيابه للعلاج.

توجب على "ماريا" بوصفها طالبة في دار إعداد المعلمين أن تتدرب ثلاثة أسابيع من شهر تموز في معسكر "الطلائع" الموجود في منطقة "أورافا". تمتعت بالعمل مع الأطفال حتى إنها شعرت أن المهمة الإيجابية المطلوبة لم تعد كونها مجرد تسلية. كانت تخرج للنزهات مع الأطفال أو تلعب معهم كرة الطائرة، كما أنهم أمضوا عدة أيام في حقول البطاطا وتسابقوا في جمع الدود الذي كان كل طفل يملأ منه زجاجة ويضع علامة على مستوى امتلائها. لم تشك "ماريا" بأهمية ذلك العمل للأرض ولكنها في ذات الوقت لم تقتنع بأن تلك المخلوقات الضارة الصغيرة قد رمتها الطائرات الأمريكية فوق الأراضي التشيكوسلوفاكية، وكان هذا هو التفسير الرسمي لتكاثر تلك الحشرات. حين حضر بعد ذلك في الليلة الأخيرة إلى المعسكر الكاتب "أوندرسي سيكورا" ليكرم الأطفال الأوائل في تجميع الحشرات بمنحهم كتابه "عن خنفساء البطاطا السيئة"، تذرعت "ماريا" بألم رأسها وغادرت لتستلقي في سريرها.

حين سألتها الأطفال في اليوم التالي من هو "ترومان"؟ عرفت أن الروائي الشهير جاء إلى المخيم برفقة صحفي من يومية "برافدا"، دربهم على ترديد هتاف يقول "حشرة البطاطا، هي مساعدة من ترومان، فوي!"

أمضت "ماريا" شهر آب عند والدتها حيث ساعدتها في تصنيع المربي وتنظيف البيت الذي أهمل لضيق الوقت في السنة الماضية أثناء محاكمة السيد "بيلاي"، إضافة إلى أنهما في حينها لم يجدا الرغبة في ذلك. كانت تذهب كل مساء إلى مسبح "لفتسي" للقاء "جبرائيل" و"يان".

- انظرا، لقد وجدت في مشلح الملابس عدد اليوم من جريدة البرافدا. لقد كتب فيها "بتر" مقالة طويلة، - قال "جبرائيل" وجلس إلى جانبهما على البطانية.

- دعني أرى، - سحب "يان" الجريدة من يده.

تصفح الصفحة بسرعة وكشر بعد ذلك:

- يا له من سياسي متعقل. إنه ينتظر ما يكتبه الآخرون عن "سلانكي" ثم يجمع كل الآراء في مقال يوقعه باسمه.

- لا ترفع صوتك، - أنبته "ماريا".

نظر "يان" من حوله وتابع:

- إنه يبدأ بمقولة "جوتوالد": إن حزبنا وجميع العاملين في بلادنا يحيونك بوصفك الابن البار والمناضل الذي يستحق تقدير الطبقة العاملة وتقدير الاتحاد السوفيتي و"ستالين" الكبير.

- كفى أرجوك، لا تقرأ البقية، - قالت له "ماريا" بصوت لا يكاد يسمع.

جمع "يان" الجريدة وأعادها إلى "جبرائيل" الذي بدأ قراءتها من الصفحة الأخيرة، وحين وصل إلى منتصف الصفحة، سأل "يان":

- أنت تعرف "أنطونين سوخور" أليس كذلك؟

- لقد رأيته مرة، لماذا تسأل؟

بدأ "جبرائيل" القراءة:

- أثناء تأدية واجباته الرسمية، مات بشكل مروع بطل الاتحاد السوفيتي...

- لدُبري، صرخ "يان"، أعطني الجريدة!

سحب الجريدة بقوة من يد "جبرائيل"، وقرأ بعصبية مرتين الخبر الذي جاء في عشرة سطور، وبدون شعور كانت شفتاه توشوشان قسماً من الخير:

- اصطدمت السيارة الرسمية بناقلة مدرعة... تلك الحادثة المروعة... كان متاضلاً من أجل الاستقلال....

- ماذا تقول؟ - سألته "ماريا". كانت تحديق مندهشة في وجهه مع "جبرائيل".

- لقد بدأت...

- ما الذي بدأ؟ سألته "ماريا".

- لا أعرف. ختم "يان" حديثه بسرعة.

نهض بسرعة من مكانه على البطانية:

- اتركوني لحظة. إنني بحاجة إلى التفكير بهدوء.

تمشى "يان" ببطء مبتعداً عنهما، وعاد بعد دقائق وكان شيئاً لم يحدث وأعلن

وهو يبتسم:

- هل تعرف يا "جبرائيل"؟ لقد حان الوقت كي نتسابق. الأول من سبتمبر

سيكون يوم سبت، وفي ذلك اليوم سيعود "بتر" من "لفتسي". لقد مضى زمن طويل

على زيارته الأخيرة. لم أعد أتذكر متى كان هنا آخر مرة. سأتسلم عملي الجديد في الثالث من سبتمبر في "ترنشين"، وكم أتمنى لقاءكما قبل هذا الموعد.

سيطرت على "يان" فكرة كون الشرطة السرية تلاحقه، ولم يشك أيضاً في أنهم سوف يعتقلونه في أقرب فرصة ويحاكمونه بوصفه عميلاً إسرائيلياً أو متعاوناً فاشستياً، لذا وجد من الأفضل له في تلك الظروف قطع علاقته مع "جبرائيل" و"بتر"، وبالطبع مع "ماريا" أيضاً، وكل ذلك لخوفه من أنهم سوف يتهمونهم أيضاً إذا استمر في لقائهم وسوف يصفونهم بين الأعداء. لهذا السبب أيضاً أراد دعوتها بسرعة إلى السباق في مسبح "لفتسي". كان متأكداً من صعوبة التجسس عليهم هناك.

قال "يان" لأصدقائه كل شيء قبل بدء السباق.

- الأمور تسير ضمن ترتيبات غريبة، - انتهى إلى القول. - اهتمام الشرطة السرية بإقامتي في إسرائيل، الموت المستغرب لـ "أنطونين سوخر" الذي التقيته هناك، الحكم على والد "ماريا".

أصغى "بتر" إلى حديث صديقه بقرف وكان طوال الوقت يدير رأسه تعبيراً عن استهجانه:

- موت "سوخر" جاء إثر حادث، والحكم على السيد "بيلاي" خطأ قضائي. هذه الأمور مع الأسف تحدث وسوف تحدث في المستقبل.

- إنهم يلاحقوني، - تمسك "يان" برأيه.

- أرجوك، رد "بتر" غاضباً، - ما السبب الذي يدعو الشرطة السرية إلى ملاحقتك أنت بالذات؟ ومن أنت؟

لوح "يان" بيديه ولم يرغب بمتابعة الكلام.

- لا يمكن أن يكون "أنطونين سوخر" قد قتل، أكد "بتر".

- لقد قتل! تمسك "يان" برأيه، - إنها مؤامرة.

- ضدك، أليس كذلك؟ تشيكوسلوفاكيا بأكملها ضد "يان بيزك"، - سخر "بتر" - لا بد أنك فقدت عقلك.

حين كرر "يان" نظريته من جديد، لبس "بتر" ثيابه وغادر.

كان "جبرائيل" يستمع إليهما طوال الوقت دون أن يعلق بكلمة واحدة، ولكنه مع ذلك كان ميالاً لمشاركة "بتر" أفكاره. بدأ له من المستحيل أن يقتلوا "أنطونين سوخر" لأن "يان" ذكره في تقريره. لقد كانوا يعرفون وظيفة "سوخر" في تدريب الجنود الإسرائيليين منذ أمد بعيد.

- كل شيء سيترتب، - أكد "جبرائيل" لـ "يان"، - إن هذه الأوضاع السياسية لا  
يمكنها أن تستمر، وسوف تعود الحياة بعد عدة شهور إلى مسارها الصحيح.  
- هذا ما أتمناه أيضاً، أوماً "يان" برأسه، - ولكن عقلي يطلب مني توخي الحذر.  
جلسوا فترة دون كلام وبعد ذلك قال "يان":  
- عليك أن تغير اسمك.  
- أنا؟

- بالطبع أنت. إن كنية "روزنبرغ" تؤكد أصلك اليهودي.  
- تؤكد؟ امتعض "جبرائيل" من كلام "يان". - وهل هذا كفر لكوني يهودياً؟  
- ليس كفراً. إنه دليل لتلفيق التهمة. إنهم يرون علاقة مباشرة بين الأصل  
اليهودي والعمالة للصهيونية، صدقتي.  
- هل جننت؟ نقر "جبرائيل" على جبهته، - إنك تتكلم بأسلوب أيام الحرب.  
يوجد اليوم في قيادة الحزب الشيوعي عدد كبير من اليهود. عائلة "روزنبرغ"  
المتهمة بالعمالة للاتحاد السوفيتي هي عائلة يهودية.  
- إنهم يهود، كشر "يان"، - ولكن ماذا إن لم يكونوا جواسيس؟ ربما يكون الأصل  
هناك أيضاً ذريعة للتهام.  
- سفالة، - دؤر "جبرائيل" رأسه.

مذ أصيب بالسل كان يصحو كل صباح على فكرة كونه قد عاش أطول مما  
يستحق، وأن الموت يمكن أن يداهمه في أية لحظة. لم يخف على نفسه، ولم يؤرقه  
أصله من أساسه، ولكنه يخاف الآن على "ماريا" وعلى "يان". إن اهتمام الشرطة  
السرية بهما كان يؤرقه بالرغم من أنه أكد العكس لـ "يان"، وكل ذلك كي يطمئنه.  
- وماذا عن علاقتك بـ "ماريا"؟ ألن توجلا الرفاف؟ - سأله "جبرائيل".  
- لا أعرف، تنهد "يان"، زفاف في تلك الأوضاع... لا أدري.

اعتقد "يان" أن وضع "ماريا" في غاية الخطورة. من جهة يمكنهم اتهامها  
بالعمالة للفاشست أثناء الحرب بوصفها ابنة متعاون مع حزب "نيلاش"، ومن جهة  
أخرى سوف يتسبب هو بذاته في أذيتها كونهم ربما سيتهمونه بالعمالة للصهيونية  
ومن ثم سوف يدينونها لمساعدته في نشاطه التخريبي. لهذا السبب قرر إلغاء  
الزواج.

لم يعرف كيف يشرح قراره لـ "ماريا". أخبر "بتر" و"جبرائيل" أنه التقى عميلاً  
للشرطة السرية، ولكنه أخفى عليهما توقيع عقد التعاون الدائم معهم. لم يرغب  
في إبلاغ "ماريا" حتى بجزء من تلك التفاصيل. كان يعرف أنها شديدة الحساسية

وتغضب بسرعة. كانت تعيش في حالة من عدم الاستقرار منذ تم إلقاء القبض على والدها ولم يكن يرغب في إدخال الرعب إلى نفسها، فقد تتحسن الأمور وتعود إلى حالتها الطبيعية، وغير ذلك، ربما ستذهب إلى الشرطة السرية وتخبر أحدهم هناك أن "يان" ليس عميلاً لدولة أجنبية ولا حتى متآمراً ضد الشيوعية. كانت تطالب بدعوتهما للشهادة في محاكمة أبيها. كتبت رسائل إلى المدعي العام، وإلى الوزير وحتى إلى الرئيس "جوتوالد"، واستمرت في الكتابة حتى بعد انتهاء المحاكمة وأثناء وجود والدها في سجن "فالديتس".

أراد "يان" أن يقترح على "ماريا" اللقاء معها بشكل سري وأن يظهرها أمام الملا كأنهما قد افترقا، وهذا ما يجب على "ماريا" أن تؤكد أمام زملائها ومعرفها، ولكن علاقتهما ستستمر بشكل دائم، وحين ستنتهي تلك الحقبة المؤلمة سيتزوجان. كان لدى "يان" مخطط ولكنه لم يعرف كيف ستقبله "ماريا"، وخاف في ذات الوقت أن يكون الزمن يعمل في غير صالحهما. بإمكان الفخ أن ينغلق في أي لحظة.

لم يتسلم "يان" حتى ذلك الوقت أي عمل مهم في المخبر العسكري. كان عمله ينحصر في غسل أنابيب الاختبار، وترتيب المواد الكيماوية في المستودع وقراءة الكتب التخصصية. بدا له أن معهد دراسات المواد الكيماوية - والتغذية الأول التابع للجيش التشيكوسلوفاكي بأكمله يتلمس حتى الآن طريقه. كان "يان" يعمل بوصفه مديناً بنصف عقد عمل. تسلم مرتباً محترماً لأنهم حسبوا له شهادته الجامعية، كما حصل إضافة إلى ذلك سكناً مجانياً في ثكنة "ترنشانسكي" ومنحوه تعويض سفر، وبغض النظر عن الاتفاقية التي كان عليه تنفيذها في علاقته مع الشرطة السرية، تعتبر تلك وظيفة ممتازة، إذ كانوا يتعاملون معه بإيجابية في كافة الشؤون، وحسب برنامج الكلية كان عليه أن يُعلمهم. في "ترنشين" عن أيام الأسبوع التي سوف يقضيها في العمل.

سافرت "ماريا" من "لغتسي" يوم الأحد السادس عشر من سبتمبر للمشاركة يوم الاثنين مع جميع طلاب كلية التعليم في النشاط الحزبي العام الذي سيعقد في بهو جامعة "كومنسكي" بمناسبة افتتاح العام الأكاديمي الجديد. قرر "يان" لقاء "ماريا" مباشرة بعد انتهاء النشاط الحزبي وإخبارها بطريقة فجأة عن رغبته في التحدث إليها في أمور هامة. سوف تندهش بالطبع وربما ستشعر بالإهانة وبذلك يكون قد وصل إلى هدفه. فليشهد أكبر عدد من الناس على انتهاء علاقتهما.

وصل "يان" إلى بهو جامعة "كومنسكي" بعد نصف ساعة من بدء اللقاء الحزبي. كان معاون الأول لوزير التعليم الرفيق "أوندري بافليك"، أهم ضيف في اللقاء قد

انتهى للتو من مداخلته التي شرح فيها أهمية توحيد قوانين التدريس في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الشعبية الديمقراطية. لم يول "يان" أهمية تذكر لكلمات معاون الوزير لأنه كان يفكر في مشروعه. لقد بدا له من مكانه في المقعد قبل الأخير أن "لينين" بذاته يتحدث إلى المدرسين وطلاب كلية التعليم.

بعد محاضرة "لينين" تحدث الرفيق ممثل الفرقة الحزبية في الكلية قائلاً إن الحرب مع الثورة المضادة تحتد على جميع الجبهات، واعترف أنه حتى وقت قريب كان ساذجاً، وكان يؤمن أن بإمكان شعب تشيكوسلوفاكيا بعد انتصار شباط - فبراير أن يركز على بناء الاشتراكية بشكل سلمي، ولكن لسوء الحظ لم تسر الأمور كما كان يظن. الأعداء يرفعون رؤوسهم، لذا علينا أن نزيد من لحمتنا ومناعتنا أكثر من أي وقت مضى. إن وظيفة المدرس في تلك الظروف الصعبة من النضال الطبقي ترتدي أهمية كبرى. إنه يُشكل الجيل الجديد الذي علينا الاعتراف بأن الظروف العائلية يمكن أن تخربه. المدرس إذاً يعيد تشكيل ما تخرب. لهذا السبب يجب على المدرس الاشتراكي أن يتحلى بالوعي الطبقي وبنسبة عالية من التطور الأيديولوجي. ولكن هل يمكن لمدرس أن يصل إلى هذا المستوى إذا كان هو بذاته قد خُرب من محيطه الخارجي؟ هل يمكن لابن "كولاك" أن يصبح مدرساً اشتراكياً؟ وهل يمكن أن تخدم مدرسة قضية الاشتراكية إذا كانت ابنة عضو في حزب الشعب؟ أظن أن ذلك أمر في غاية الصعوبة. إننا لا نغلق باب الثقافة أمام أحد ولكن علينا أن نطلب من بعض الشباب أن يظهروا في أقرب وقت ولاءهم للطبقة العاملة أثناء عملهم المباشر في المعامل أو بشكل أفضل في جمعياتنا الفلاحية الجديدة.

سجت القاعة بتصفيق حاد شارك فيه حتى معاون الوزير. تمكن "يان" في النهاية من رؤية "ماريا" التي كانت تجلس في وسط القاعة ولكنها لم تصفق.

## حادثة عام 1952

تابع "جبرائيل" منذ الخريف الماضي باهتمام كبير جميع الأخبار المتعلقة بالقبض على "رودولف سلانسكي"<sup>10</sup> وغيره من الشخصيات الحزبية ومسؤولي الدولة. لقد أحس للوهلة الأولى بالفرح من القبض على "سلانسكي" لأنه كان يعتقد أن السكرتير العام للحزب هو المسؤول الأول عن تنظيم المحاكمات السياسية، مثلما حدث لوالد "ماريا"، ظناً منه أن الأوضاع سوف تبدأ بالتحسن بعد طرده من السلطة.

أصيب "جبرائيل" بالهلع حين عرف بعد وقت قصير أن جميع المتهمين في قضية "سلانسكي" هم من اليهود. لقد نبهت الصحف في البداية إلى أصولهم ولكنها بعد ذلك تحدثت بشكل مكشوف عن تأمرهم مع الصهيونية. الأخبار الآتية من رومانيا والتي تتحدث عن طرد اليهودي "فاسيل لوتسي" واليهودية "آنا باوكروفا" من الحزب الشيوعي أكدت له أن معاداة السامية قد عصفت بجميع دول أوروبا الشرقية.

حين حضر "بيتر" عام 1952 إلى "لفتسي" لقضاء عدة أيام مع والديه أثناء احتفالات الليلة العظيمة، جاءه "جبرائيل" طالباً منه النصيحة والمساعدة. أراد الانتقال للسكن في منطقة جبال التاترا لأن الطبيب نصحه بذلك أثناء مراجعته الأخيرة كما أراد أيضاً تبديل كنيته، وهذا ما كان قد نصحه به "يان"، ولكنه أراد في البداية معرفة رأي "بيتر". توقع "جبرائيل" من "بيتر" نهيهِ عن ذلك ولكن ما حدث كان مغايراً لتوقعاته، وهذا شكل عند "جبرائيل" نذير شؤم. الآن لن يُلاحق اليهود.

<sup>10</sup> رودولف سلانسكي: (1901 - 1952): سياسي تشيكي 1952 - 1901، انتدب من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي إلى الانضاضة السلوفاكية. تسلم منذ عام 1945 ولغاية 1951 منصب الأمين العام للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ومن ثم تنقل في المناصب الحكومية والحزبية إلى أن تم سجنه في عام 1951 وحكم عليه بالاعدام في عام 1952 ونفذ الحكم إبان سيطرة الحقبة الستالينية على قيادة الحزب.

من قبل عناصر الـ "إس إس" الألمان ولكن من قبل عناصر الأمن السري والشرطة. هذا ما أخبره به "يان" في المسبح. لقد كان محقاً في توقعاته.

ولكن "بتر" لم يحاول التأثير عليه ومنعه من تبديل الكنية لأسباب أخرى. إنه هو بالذات بدل اسمه من المجرية "رونايا" - Ronaia إلى Ronaj السلوفاكي.

- جاءتكم مخابرة يا "يان". اتصل السيد "روجوفتش". قال إنه سيحضر لزيارتكم مساء اليوم حوالي الساعة. عليكم انتظاره في البيت. سألني ما إذا كان بإمكانه قضاء ليلته هنا. وافقت على طلبه، وقمت بتحضير شراشف نظيفة. سوف نجعله ينام على الأريكة الموجودة في المطبخ بالمجان أيضاً لأننا لا نحاسب على زيارات الذكور.

سمع "يان" مدبرة المنزل ولكنه لم يفهم شيئاً مما قالت. شكرها وأغلق باب الغرفة على نفسه. أشعل لفافة تبغ وسرح في التفكير. "روجوفتش"؟ بهذا الاسم قدّم رجل الأمن نفسه. عليه إذاً انتظاره حتى الساعة. كان يوم جمعة، وكان "يان" قد خطط للذهاب في المساء الرقص في إحدى مشارب الخمر. ماذا يريد مني رجل الأمن الخنزير؟ لقد قدم المعلومات المطلوبة عن ثلاثة موظفين يعملون في مركز الأبحاث العلمية الأول للكيمياء والتغذية التابع للجيش التشيكوسلوفاكي قبل عدة أيام، وعليه تقديم تقريره اللاحق بعد شهرين، نهاية تشرين الثاني. ربما سيأخذ عليه إشادته بالجميع في تقريره. تلك التعابير مثل العمال النشطاء، والمثاليين من معيلي العوائل والمتحمسين لقراءة الأدب السوفيتي بدت له أيضاً مبالغاً فيها.

اللعز الكبير الذي لم يفهم "يان" كنهه في حديث رجل الأمن كان رغبته في المبيت عنده. هل هو امتحان لولائه؟ أم إنهم يريدون توريطة في إحدى لعبهم الجديدة. معس "يان" ما تبقى من لفافة تبغ في صحن السجائر. فكر، ماذا سيحدث لو أنه رفض الإذعان لأوامر رجل الأمن، وأثناء تفكيره امتلأ صحن السجائر بكومة من بقايا لفافات التبغ. راح يشكل في ذهنه الجمل التي سوف يشرح بها سبب مدحه للجميع في تقريره. إنه متيقن من ضرورة قول الحقيقة، كما لا يمكنه أن يخترع المشكلات، وكل إنسان يمكنه أن يؤكد كلامه. إنه لا يزال على ولائه، وهو مستعد لكتابة التقارير في المستقبل. إنه يتفهم أهمية مركز كيمياء التغذية الأول التابع لمركز الأبحاث العلمية في جيش تشيكوسلوفاكيا والدور الذي يلعبه في حفظ أمن البلاد، كما أنه سبق وواعد أن يبنه على كل ما يشير إلى مؤامرة أو خيانة أو اختراق من قبل جواسيس أجنب، ولكنه يرفض في ذات الوقت أن يتورط في نشاطات أخرى.



كان "يان" لا يزال مستغرقاً في تفكيره بالذرائع التي سيستخدمها لمنع رجل الأمن من المبيت عنده. حين فُتح الباب الذي ظهر منه رأس مدبرة المنزل:

- ألم تسمع الجرس يا "يانوشكو" (اسم التحبب من يان)؟ عندك زيارة. لقد حضر السيد "روجوفتش".

انتفتخت لقمة في حلق "يان" لم يتمكن من بلعها. نهض ومرر يده على شعره وكأن تسريح الشعر أمر ضروري، ثم فتح الباب.

- جابو (تصغير لجبرائيل)، - صرخ "يان" وفي غمرة فرحه راح يربت على كتفي صديقه الذي وضع بين رجلبيه حقيبتين كبيرتين.

- أنت إذأ "روجوفتش"؟ ضحك "يان".

- هل سبق أن تعارفتما؟ سألت "يان" مدبرة البيت التي بقيت واقفة في مدخل البيت وراحت تتأمل الحرارة التي غلبت على لقاء الصديقين.

- بالطبع، أجاها "يان".

سحب "جبرائيل" إلى الغرفة وأغلق الباب بسرعة.

- اخلع معطفك، الجو حار هنا... اجلس على الأريكة. لا يمكنك تصور مدى سعادي لأنك أنت الضيف، - ربت "يان" من جديد على كتف صديقه وأضاف: يا لها من مزحة. كنت خائفاً من حضور شخص يدعى "روجوفتش".

- أنا "روجوفتش"، شرح "جبرائيل"، - لقد عملت بتصيحتك.

- هكذا إذأ. تجمدت الإبتسامة في وجه "يان".

- "روزنبرغ". "روز" تعني بالتشيكية روجي، - شرح له "جبرائيل".

- معك حق، تنهد "يان"، - حسناً فعلت. حتى إن "روناي" أصبح "رونابي" بالمجرية.

مشى "يان" على رؤوس أصابعه نحو الباب وأسند أذنه عليه وراح يصغي.

- اسمع، أيها المدعو "روجوفتش"، - استدار نحو "جبرائيل"، - الأفضل لنا أن نذهب إلى بار "كريشتال". إننا في هذه السنة بدلاً من التسابق في السباحة سوف نتسابق في الرقص الجماعي. ستسبقني إلى هناك. لا داعي لكي يرونا معاً. سأشرح لك كيف يمكنك الوصول إلى هناك.

استقبل النادل "يان" بوصفه ضيفاً دائماً. أجلسهما إلى طاولة يمكنهما منها رؤية حلبة الرقص وخشبة المسرح الصغير الذي كانت الفرقة الموسيقية قد رتبت عليه آلاتها الموسيقية بشكل جيد.

- طبقين كولاج<sup>١٤٠</sup> مجري مع زجاجة نبيذ أبيض، يا سيد "فيش"، - طلب "يان".  
- زجاجة، باعتقادي كمية كبيرة. أنا يكفيني اثنان "دتسي"<sup>١٤١</sup> من النبيذ الأحمر.  
إنني لا أزال في فترة نقاهة، - ابتسم "جبرائيل".  
- أحضر لنا إذاً اثنين "دتسي" لصديقي إضافة إلى الزجاجة، أضاف "يان" إلى  
الطلب.

- سوف ترى أننا سنجد ذبابة نبيذ تريد الجلوس فوق زجاجة نبيذنا الأبيض، -  
كشر "يان" بعد مغادرة النادل.

- إذاً، أنت أيضاً ستغادر "لفتسي"؟ سأله "يان" بعد أن مسح فمه بالمنديل.  
- نعم، ويبدو لي أنني سأغادر بشكل نهائي، حتى إنني سلمت بيت الدولة.  
- يا إلهي، "روجوفتش"، لن تكون تاجراً يهودياً. كان عمك "أنطون" محققاً في  
كلامه. كيف يمكنك أن تُسلم البيت؟ كان عليك أن تبدله مع بيت في  
"سموكوفتسي" أو في "لومنتسي".

- لا توجد هناك بيوت، بل مصحات، ومراكز معالجة وفنادق.  
- يمكنك تبديله إذاً مع بيت في "بوبراد"<sup>١٤٢</sup>، دور "يان" رأسه بخضب.

- ولكنني لست بحاجة إلى بيت، لأنني من يوم الاثنين الأول من سبتمبر - أيلول  
سأتسلم وظيفة في أكواخ تاترا السياحية. يطلقون عليها اسم "مؤسسة الأكواخ  
الشعبية في التاترا". سوف يؤمنون لي الإقامة. لقد هاتفت الرجل الذي سيكون  
مديري في المستقبل، إن غرفة الملحق ستكون بانتظاري في "تاترانسكا لومنتسي".  
الفيلا تدعى "توليبان". أليس الاسم رومانسياً؟ قال "جبرائيل" وهو يضحك.

سكب "يان" النبيذ في الكأس، رفعه، واشتمه ثم شرب ما فيه دفعة واحدة.  
- وما الذي تنوي فعله هناك أيها الرومانسي؟ - سأله "يان".

- عمل إداري. سوف يعطونني ورقة ما وحسب زعمهم سوف أنتجُ منها ورقة  
أخرى.

بدأت الفرقة العزف.

- كيف تسير أمورك؟ صرخ "جبرائيل" في أذن "يان" كي يتخطى صخب  
الموسيقى.

<sup>١٤٠</sup>. كولاج مجري: أكلة مجرية شهيرة تتألف من خليط اللحم والبصل والبندورة والفليفلة وبعض التوابل، م.

<sup>١٤١</sup>. دتسي: الدتسي تعادل 10 مل. م.

<sup>١٤٢</sup>. بوبراد: أكبر مدينة في جبال تاترا السلوفاكية.

وبدلاً من الإجابة، لُوح "يان" بيده دون اكتراث.

- هل تلتقي "بيتر"؟ - أحنى "جبرائيل" رأسه من جديد نحو أذن صديقه.

- التقينا بالصدفة منذ مدة أثناء النزهة، تبادلنا بعض الكلمات... - انظر إلى هاتين الصبيتين. أراهن أنهما طالبتان من الريف وقد قذفتها الرياح إلى "براتيسلافا".

أشعل "يان" لفافة تبغ. ابتسم حين تخيل ما سيجري لاحقاً في تلك الأمسية. نظر إلى "جبرائيل" لمعرفة إذا كان يدرك ما عليهما محاولته. أشار إليه "جبرائيل" أن ينفث دخان لفافة تبغ في الاتجاه المعاكس.

كان "يان" في ذلك المساء من بداية آب يفاجيء "جبرائيل" بشكل مستمر. أرسل في البداية زجاجة نبيذ أبيض إلى طاولة الصبيتين، وبعد ذلك ألصق ورقة نقدية على جبين عازف الكلارينت، وبعد الانتهاء دعا الصبيتين ليذهبا معهما إلى البيت وأقنعهما فوق ذلك بلعب لعبة اجتماعية خاصة.

- إذاً أيتها السيدات، - شرح "يان" بصوت خافت من تأثير الكحول، - الشروط هي التالية. في البداية أنا من سيطرح الأسئلة على "هانيتشكا"... - "أنيتشكا"، نبهته السمراء البدينة التي جلست بمحاذاة.

- "أنيتشكا" صحح "يان" بسرعة وقَبِلَ يدها، سوف أطرح عليها سؤالاً سهلاً. وكل سؤال لا تعرف الإجابة عليه، يتوجب عليها خلع قطعة من لباسها، وعندما حال تكون إجابتها صحيحة، تبدأ هي بالسؤال. إذا لم أحزر سأخلع قطعة، وإن حزرت سأسأل. هل هذا واضح؟ واضح بالتأكيد، - رد "يان" على سؤاله.

- وماذا سنفعل أنا و"جبرائيل"؟ سأنته الفتاة البسيطة ذات الشعر الناري الجالسة على طرف الأريكة. كانت عينا "جبرائيل" تكبوان فيها من شدة التعب.

- لا تهتما، سيجيء دورك في المرحلة الثانية يا آنسة "روجينكا" مع السيد "روجوفتش"، - قال "يان" وهو يسحب لفافة تبغ من معطفه. - أرجوك لا تدخن، نبهه "جبرائيل".

- مفهوم، لا تؤاخذني. إننا في هذا المساء لن نلمس السجائر، هل ترضون؟ قال "يان" وهو يبتسم بحيوية في حين انزلقت عيناه اللامعتين على تقاطيع جسم "أنيتشكا" النحيلة.

- السؤال الأول سيكون، - حاول "يان" التمل أن يتصرف مثل مقدم برنامج في الملهى. - أخبرينا يا "أنيتشكا"، أي دوق وعد بتقديم جائزة إلى من يجد حلاً لتموين الجيش العامل. مساعدة: حدث ذلك في بداية القرن التاسع عشر.

- سؤال غريب، قالت "أنيتشكا". - بداية القرن التاسع عشر؟ هم...  
 بدأت "أنيتشكا" بمص إبهامها:  
 - اسكندر الكبير؟ لا، قبل ذلك... ربما أعرف. الملك الحديدي والذهبي؟ لا. إني  
 أنسحب.  
 - نابليون، - قال "يان". عدّل وضع نظارته التي كانت مستقيمة قبل ذلك  
 وأصبحت الآن مائلة. تحولت نبرة صوته لتصبح شبيهة بصوت مدير السيرك.  
 - تصفيق لـ "أنيتشكا" التي سوف تخلع قطعة من لباسها.  
 خلعت "أنيتشكا" فردة حذاءها.  
 - حذاء رائع بلون القهوة. سنتابع، السؤال الثاني. أخبرينا يا "أنيتشكا" من أي  
 مادة تُصنع الأواني المستعملة في تعليب المواد الغذائية.  
 دورت "أنيتشكا" عينيها:  
 - لا أفهم. من أي مادة؟  
 - السؤال هو من أي مادة صنعوا علب الكونسروة، قال "يان" وقد نفذ صبره  
 من الخشب أم من الجلد، أم من الورق...  
 دلكت "أنيتشكا" يديها:  
 - أعرف، من الصفيح، يعني من معدن.  
 - لا يا "أنيتشكا". من الزجاج. تفضلي واخلمي فردة الحذاء الثانية كي لا تهربا  
 منا بسرعة.  
 خلعت "أنيتشكا" فردة الحذاء الثانية من قدمها.  
 قرّبت "روجنكا" رأسها من أذن "جبرائيل" وهمست:  
 - أشعر بانزعاج. سأتقيأ.  
 أمسك بها "جبرائيل" بسرعة من تحت إبطها ورافقها إلى التواليت.  
 بدأت الصبية هناك بإصدار أصوات إقياء. أراد "جبرائيل" مساعدتها ولكنه لم  
 يعرف كيف يفعل ذلك. انتبه إلى سقوط بضع قطرات كبيرة على الأرض. ذهب إلى  
 الحمام حيث انتبه قبل ذلك إلى وجود حُرْقٍ للتنشيف.  
 بعد أن عاد إلى المرحاض مع الحُرقة ملح الصبية وهي تغلق من خلفها باب  
 البيت. لَوّح لها بيده وذُهب لينظف الأرض.  
 نام "جبرائيل" على الأريكة في المطبخ. استيقظ على أصوات طرق الصحون  
 وحكّ أعواد الثقاب. كانت صاحبة البيت تجهز طعام الفطور.  
 - لم أرغب في إيقاظكم، أعرف أنكم استقبلتم هنا البارحة زيارة نسائية، - قالت  
 صاحبة البيت ذلك دون أن ترفع رأسها عن الطباخ.  
 - إن زائرتي لم تبق هنا وقتاً طويلاً، قال لها "جبرائيل" وهو يتثاءب.

- بقيت أم لم تبق، الأمر سيان. سيكلفكم ذلك خمسة بالمائة، ابتسمت صاحبة البيت.

جلس "جبرائيل" على طرف السرير مسنداً قدميه على الأرض الباردة وهذا جعله يعطس في الحال.  
- خمسة بالمائة؟ سألتها.

صبت صاحبة البيت شاي الهندباء في الفنجان. جلست إلى الطاولة وراحت تُحمي يديها فوق البخار الصاعد من الفنجان.

- هناك اتفاق بيني وبين "يان". عن كل زيارة نسائية تتخطى عتبة هذا البيت في المساء تزداد أجرة البيت خمسة بالمائة. إنني لا أمنعه من شيء، إنه رجل ناضج ولكن كل تسلية لها ثمن. البيت لي، والأثاث أيضاً. يستعملون مائي. لا تقطب حاجبيك، لقد وافق "يولينكو" على هذه الشروط منذ البداية.  
- إنني أقطب ولكن ما يدهشني هو كيف يعيش "يان".

قهقهت صاحبة البيت:

- صدقي، لا بد أن يكون صديقك خنزيراً حقيقياً. زادت أجرته في آذار مئة وخمسين بالمثل.

لم يكن بمقدور "جبرائيل" سوى أن يهز رأسه مستغرباً.

- انظر، عندي هنا تلك الرزنامة، - أشارت سيدة البيت. دائماً حين تحضر زيارة نسائية فإنني أرسم في الصباح قلباً... رسمت عن ليلة اليوم قلبين اثنين. ولكن لا تجلس أمامي حافياً، سوف تصاب بنزلة برد. أين الحذاء؟

- لبس "جبرائيل" حذاءه، ذهب إلى التواليت وبعد ذلك إلى الحمام، وحين خرج كانت سيدة البيت قد ارتدت معطفها.

- سأذهب إلى المخبز وإلى الحلاب. إذا أردت سأشتري لك ما تريد. يمكنك أن تأخذ حاجتك من التلاجة. ولكن من الرف الأوسط فحسب لأنه مخصص لـ "يان". لقد اقتنيت تلك التلاجة بفضل "يان". نسقوها هناك حيث أعمل، وجلبها لي عسكريان. لقد طلب مني "يان" منحهما زجاجة "روم".... إن تجارة بهذا الشكل تناسبني، ويمكنني أن أقوم بها كل يوم، إن لـ "يانيك" قلباً من الذهب، وأحياناً يعطيني بطاقات تموين.

حين دخل "يان" إلى المطبخ وجد "جبرائيل" جالساً خلف الطاولة وبيده الرزنامة.

- كيف؟ سأله "جبرائيل".

- اضطرت في النهاية إلى خلع سروالها الداخلي. لم تعرف معني كلمة "إنستانت".

- أوخ، وأنا أيضاً لا أعرف. إني محظوظ لأنني لم أكن هناك وإلا لكنت انتهيت بمؤخرة عارية.

ضحكا...

- هل تعدّ قلوب الصغيرة في الرزنامة؟ أخبرتك تلك البخيلة الشمطاء كل شيء، أليس كذلك؟

- اسمعني، "هونزو"، - سأله "جبرائيل"، - كنت فيما مضى تملك موهبة رومانسية تخترع فيها صوراً شعرية في وصف النساء. بشرة "ستيفاني" شبيهة بحلاوة أفضل كريم شوكولا، وشفتاها شبيهتان بوردة تتفتح. عينا "فاطمة" عميقتان وبشرتها تشبه لون الغروب في الصحراء. هل لا زلت شاعرياً حتى بعد مغامرات المرة الواحدة؟

لوح "يان" بيده وجلس على الكرسي المقابل لـ "جبرائيل":

- يمكنك بكل بساطة أن تشعر بالخجل من تصرفاتي. أنا أيضاً أخجل من نفسي... إنه نوع من التعويض... عن السعادة الغائبة.

- تقصد "ماريا"؟ سأله "جبرائيل".

إنني لم أرغب في فراقها. لقد أحببتها... ولا زلت أحبها. ولكنني اقترحت أن نخفف من ظهورنا معاً أمام الناس، وهذا ما اقترحت عليك أيضاً وعلى "بتر". وماذا عن "ماريا"؟ سأله "جبرائيل".

- لم يعجبها اقتراحي أن نلتقي في الخفاء. ظنت أن عملي في "ترنشين" يجعلني

أخاف لقاء ابنة سجين سياسي. لم أجد الوسيلة التي تمكنني من شرح رأيي، كما أني

لم أرغب في إخبارها أن الأمن يراقب كل تحركاتي. لقد غضبت مني ولكن الأمر بيننا

لم يصل بعدُ إلى درجة الانفصال النهائي. حاولتُ رغبة مني في حمايتها البحث عن

علاقات عابرة تجعل التحري الذي يلاحقني يكتب عن توقف علاقتي معها. أردتهم

أن يظنوا أن علاقتي مع "ماريا" قد انتهت، وفعلت ما فعلته رغبة مني في حمايتها،

ولكنها لمحتني في إحدى المرات مع صبية وكان ذلك كفيلاً بإنهاء كل شيء... ولا

أخفي عليك، لقد بدأت أشعر باللذة في علاقتي مع النساء.

نهض "يان" وملاً كأساً بالماء البارد ثم شربه دفعة واحدة.

- ومن لا يحب الجنس؟ قال وهو يغادر إلى الغرفة ليرتدي ثيابه.

عاد بعد لحظات إلى المطبخ وجلس من جديد مقابل "جبرائيل" وقال له:

- لكن "ماريا" تهمني كثيراً. كوني أحبها يعتبر الآن أمراً ثانوياً لأنها لم تعد تريدني حتى ولو ألغوا كل دوائر الأمن، أو حتى لو أفرجوا عن والدها. انتهى كل شيء بيننا. انتهى الأمر. كما إنها لا تريد "بتر". لقد سبق وصادقته ولكنهما لم يتفاهما وترك أحدهما الآخر. ووضع "بتر" عندها الآن أسوأ لأنها تكره الشيوعيين.

وضع "جبرائيل" إصبعه على شفتيه.

- لا تخف، الجدران هنا سميكة، - لوح "يان" بيده، - يمكنك أن تأخذ راحتك في الكلام. لا أحد يسمعنا هنا سوى تلك العجوز الساحرة.

- أمتنى ذلك، - قال له "جبرائيل".

سكب "يان" كأساً آخر من الماء. استدار بعد أن شربه إلى صديقه وقال له:

- أنت الأوفر حظاً عند "ماريا" الآن.

- أرجوك، - تنهد "جبرائيل"، - إنني مجرد مسلول ولا شيء أكثر.

- لقد تعافيت.

- هذا ما سأتحقق منه بعد خمس سنوات، إذا عشت حتى ذلك الوقت.

- اتفقنا كأولاد صغار على أن تكون "ماريا" من نصيب أحد منا. لقد جرب "بتر"

حظه وفشل. جربت أنا وفشلت أيضاً، والآن جاء دورك يا "غابو".

- لا يا "هونزا"، لا يمكنني، فضلاً عن ذلك "ماريا" ستصبح مدرسة في "لفتسي"

وسوف تتسلم العمل بعد غد.

نهض "يان" من جديد.

- متى يغادر قطارك السريع؟ سأرافقك إلى المحطة.

غادر جميع الركاب الذين كانوا مع "جبرائيل" القطار في محطة "جيلينا". بقي

وحيداً في المقصورة. غفا بعض الوقت واستيقظ حين هزه أحدهم من كتفه.

انتصب رجلان أمامه. كلاهما كان يحمل مدية في يده. أحدهما وضع مديته الحادة

تحت رقبته. أرادا محفظة "جبرائيل". أخرجها من جيب معطفه ولكنه قبل أن

يسلمها لأحدهما، أخرج ببرودة أعصاب تذكرة القطار منها. بدأ يرتجف بعد أن

غادرا.

أحس طعم الدم الحلو في فمه. بصق لعابه في منديلته ولكنه لم يلحظ أي أثر

للدم. كانت المرة الأولى التي لم يذكره الخوف فيها بحادثة غرقه في طفولته، ولكنه

ذكره بالنزف من الرئتين الذي يسببه مرض السل. بصق مرة أخرى ومن جديد لم

يكن هناك سوى اللعاب. أصبح المنديل مبللاً بكامله. رماه في سلة المهملات وأخرج

عوضاً عنه من حقيبته منشفة. تحسس بعد ذلك مغلفاً في جوربه حيث أخفى قبل

سفره راتبه الأخير إضافة إلى العملة الورقية التي جناها من بيعه أثاث بيت "لفتسي". تذكر أنه نسي على جبل الغسيل الجوارب التي أهدته إياها قبل سنة "تشانى إيرين"، وكانت قد رافقته في رحلته من "ديور" إلى "لفتسي" مروراً بـ "تبلتسي" إلى "تل أبيب" ومن هناك عادت معه من جديد إلى "لفتسي"، وانتهت الآن في المزبلة بالرغم من عدم وجود أي اهتراء فيها.

كان بانتظار محرري جريدة البرافدا في يوم الإثنين الأول من سبتمبر اجتماع تشاوري هام. أخبرهم رئيس التحرير الرفيق "ندفيد" أن كبار مسؤولي الحزب يحتاجون إلى دعمهم. الصحفيون خبراء بالكلمة ويعرفون توظيفها. إن مسؤولي الحزب الكبار يلتقون العمال وفلاحى الجمعيات الزراعية والشباب المنضوين تحت جناح "تشي. إس. ام"<sup>٢١</sup>. الناس يعيشون حالة من الضياع مذ تم القاء القبض على "سلانسكي" ومجموعته المعادية للدولة، وهؤلاء يسألون على الدوام كبار مسؤولي الحزب عن الشخصية التي يمكنهم منحها ثقتهم، في حين تشير التحقيقات إلى أن الأعداء والجواسيس والمتعاونين تمكنوا من اختراق المناصب العليا وأن التعريف أصبح يهدد كل خطوة: البرجوازية القومية، والتروتسكية، والصهيونية، والتيتوية، والاشتراكية الديمقراطية. إن كبار مسؤولي الحزب والدولة يطلبون من صحفيي جرائد الحزب اليومية، "رودي برافو"، و"برافدا" أن يردوا بجواب مقنع وسهل على السؤال المطروح: لمن تُمنح الثقة؟.

لم يهتم "بتر" بالمسألة التي عرضها رئيس التحرير لا سيما أنه كان منشغلاً منذ عدة أيام بكتابة ريبورتاج حول تسريع انضمام الفلاحين إلى التعاونيات الزراعية في جنوب سلوفاكيا بعد صدور قرارات حيزران للحزب والحكومة المتعلقة بتقوية وتطوير الجمعيات التعاونية الفلاحية "ي. ر. د.". أشارت القرارات إلى التعليمات التي يجب اتباعها أثناء عملية الإنتاج النباتي والحيواني، والنهج الصحيح في تنظيم وتطوير عمل المؤسسات، ودعم وتحفيز المسابقات الاشتراكية في الجمعيات.

اصطدم "بتر" في القرى منذ البداية أثناء كتابته للتقرير بالكثير من المقاومة والكراهية. اعتقد الناس أن "بتر" هو مسؤول آخر جاء ليقنعهم بالانضمام إلى الجمعيات التعاونية، ولكنهم حين تبينوا أنه لم يحضر للدعاية فحسب، وأن هدفه هو اكتشاف حقيقة الأوضاع، تبدلت نظرهم، وراحوا يتطلعون إلى الصحفي

<sup>٢١</sup> تشي. إس. ام: الشبيبة التشيكوسلوفاكية.



الشاب بوصفه محامي المظلومين الذي سيكتب الحقيقة في نهاية الأمر، وكان تلك الحقيقة لم تكن واضحة لكل واحد فيهم منذ البداية.

وجد "بتر" أمامه على الطاولة بعد عدة أسابيع دفترًا مليئاً بالحديث عن غياب العدالة في الحصص التي يتوجب على الفلاحين دفعها، وعن الفلاحين الكسالى الذين وصلوا بلمح البصر إلى رئاسة الجمعية، وعن الإسطبلات الفارغة عند الفلاحين في الوقت الذي تتزاحم فيه المواشي في حظائر الجمعيات المؤقتة. كانت أسس التطوع التي أكدها تقرير الحزب والدولة غائبة، توجب عليه كتابة تقرير من صفحتين عن النجاحات التي حققتها التعاونيات.

لقد شعر "بتر" أن الموضوع ليس فقط مشكلة الصحفي الذي لا يعرف كيف يبدأ مقالته، ولكنه أيضاً مشكلة الشيوعي الذي يرى بأم عينيه الأخطاء التي تحدث أثناء عملية بناء الاشتراكية. لم يكن مستغرباً إذًا، كونه لم يتعب نفسه في إيجاد الرد القاطع على السؤال المطروح؛ لمن يمنح الشعب ثقته.

جمعت سكرتيرة رئيس التحرير جميع التقارير في صباح الثلاثاء من الصحفيين. لقد شاهد بتر بين يديها نتائج جهود زملائه. كانت تحاليل موسعة ملأى بأقوال "ستالين" و"لينين"، وترجمة لمقالات مأخوذة عن الصحافة السوفيتية، وأحياناً ملفقة عن الخونة والمتخاذلين. ترجى "بتر" السكرتيرة أن تأتيه بعد نصف ساعة. وضع ورقة فارغة في آلة الكتابة. "بيتر روناي"، وقع في الزاوية اليمنى. وبعد ذلك لا شيء.

جلس وراح يراقب المحررين الذين كانوا يتنقلون من مكتب إلى مكتب ليقوموا بواجبهم المهني، أو ينقروا على الآلة الكاتبة أو يستخدموا الهاتف. من يمكنه الوثوق؟ يثق بالجميع أو لا يثق بأحد. كان واضحاً له أنهم جميعهم متفانون في سبيل قضية الاشتراكية، ويثقون بشكل كامل بـ "ستالين" الكبير وبأول رئيس من أصول عمالية "كلمنت غوتوالد". لم يكن أحد من المحررين صديقاً لـ "بتر". لم يكن بوسعهم طلب المساعدة من أي فرد من هيئة التحرير في كتابة التقرير عن التعاونيات، كما لم يكن بوسعهم الاعتراف لأحد منهم بشكوكه، مثلاً في قضايا المحاكمات ومجرياتها. حين يجلس "بتر" أحياناً معهم لتناول الجعة أو النبيذ، كان يقدر بالضبط حواجز الخوف وعدم الثقة التي تفرقهم. لم يكن باستطاعة أحد منهم في الحانة الإدلاء برأيه الخاص المتعلق بأمور الحياة في الوطن ولهذا كانوا يفضلون الحديث عن كرة القدم، وعن النساء أو كيف شربوا حتى الثمالة في لقاء سابق. كل لقاء ناجح في الحانة كان موضوعاً دسماً للحديث في اللقاء اللاحق.

نقرت السكرتيرة على كتف "بيتر":

- هل بدأت الكتابة؟ سألته.

- نعم، - رد عليها "بيتر" وبدأ ينقر بأصابعه على أحرف الآلة الكاتبة.

"ثقوا بالحزب أيها الرفاق"، كتب وكرر الجملة بالتشكيكية: "ثقوا بالحزب أيها

الرفاق".

سَلِّم "بتر" في نهاية الأسبوع تقريره عن الجمعيات التعاونية في جنوب سلوفاكيا. وافق رئيس التحرير على تقليص حجم التقرير إلى النصف وبالرغم من ذلك فقد مُلأت نصف الصفحة بصورتين: الرفيقة التعاونية "توتوفا" أثناء الحلب الصباحي، ووصلت محارث جديدة.

طلبت السكرتيرة من "بتر" بعد ظهيرة يوم الجمعة الرد على الهاتف. كان المتصل "يان" الذي دعاه يوم الأحد إلى "رانشي" لحضور احتفال قطاف العنب. كان واضحاً من كلامه أنه يُعول الكثير على اللقاء. كانا قد تحدثا آخر مرة دقائق معدودة أثناء لقائهما في إحدى طرق "براتيسلافا" بعد اختلافهما الأخير أثناء النقاش في مسبح "لفتسي" منذ سنة تقريباً.

جلسا تحت شجرة كثيفة الأوراق في الرواق الخلفي لإحدى حانات "رانشي". كانت الساعة تقارب الثانية، وكانت الطاولة فارغة من حولهما. طلبا إبيريقاً من نبيذ العنب الجديد ودجاجاً مشوياً.

- كان عليّ أن ألقاك، بدأ "يان" حديثه.

- ما الذي حدث؟

- هل تذكر الجدل الذي جرى بيننا في الصيف الماضي؟

- أذكر بالطبع، - رد عليه "بتر" بتحفظ.

- إذاً تعرف أن الشرطة السرية تهتم بي.

- لقد ذكرت شيئاً من هذا.

- يطلبون مني أن أكتب لهم تقارير دورية.

نظر "بتر" من حوله ولكن رواق الحانة كان لا يزال فارغاً.

- المفروض أن أكتب عن أناس يعملون معي في المؤسسة، - وضح "يان" كلامه.

- حقاً؟ - رفع "بتر" حواجبه مندهشاً. سيكون ذلك أمراً مزعجاً.

- إنه كذلك!

- كن حذراً... قال له "بتر" معزياً.

- وهو كذلك، لهذا السبب نحن هنا.

- هل تحتاج إلى مساعدة مني؟  
- نعم، إنني بحاجة إلى مساعدتك.... لقد طلبت مني كتابة تقرير عن صديقي "بتر روناى".

- تمزح؟ ضحك "بتر" غير واثق مما يسمعه.

- لا أمزح! لهذا السبب طلبت منك الحضور.

- كي تخبرني؟

- كي نكتب التقرير معاً.

أشعل "بتر" لفافة تبغ. ترافقت أول سحابة دخان ينفثها مع تنهيدة طويلة.

- هل لي بوحدة؟ سأله "يان".

- عفواً، - مد له "بتر" علبة السجائر، - لقد أخرجني ما سمعته منك عن طوري.

توقفاً عن الحديث إلى أن انتهيا من التدخين. لم ينظر أحدهما في عيني الآخر.

- أعتقد أن لا خطورة في الأمر، - بدأ "يان" الحديث وهو يطفىء عقب لفافته

على طرف الطاولة ويرميها تحت الشجرة. إنهم لا يملكون شيئاً ضدك.

- لا يمكنهم أن يملكوا أي شيء ضدي، - أجابه "بتر".

- هذا ما أردت قوله. ربما أكون قد كتبت عشر مرات تقارير بهذا الخصوص،

وجميعها عن أناس يعملون في مركز "ترنشانسكي". كلام فارغ بشكل عام...: المذكور

قليلاً ما يتحدث في السياسة، وحين يفعل في النهاية فإنه ينتقد جرائم الامبريالية

الأمريكية، ويتوقف عن زيارة الكنيسة، وعن رواية النكات السياسية... وهلم جرا.

- يمكنك كتابة ذلك عني أيضاً، - رفع "بتر" كتفيه.

- إنك صديقي وأريدك أن تعرف نوع الكلام الذي سأكتبه عنك... أرجوك من

كل قلبي أن نكتب ذلك معاً.

تنهد "بتر".

- معي هنا دفتر وقلم. سنكتب الآن رؤوس أقلام وبعد ذلك سأنقلها على الآلة

الكاتبة.

- ولكن لا يمكنني ذلك.

- إننا مجبرون. سوف نفكر في كل كلمة لكي لا تضرك ولا تضربي، ولا تضر

"ماريا" أو "جبرائيل"... لا تضر أحداً.

سحب "بتر" لفافة تبغ جديدة.

- هل تعطيني؟ سأله "يان".

- أعطيك.

نُشرت لـ "بتر" مقالات قصيرة عن نجاحات زارعي الفواكه البلغار وعن عملية كهربية روسيا في العشرين سنة الماضية. كانت مجملها خلاصة معلومات منقولة عن صحافة الدول الصديقة. شعر "بتر" أن كتاباته أوصلته من جديد إلى أزمة، وانتظر الوقت الذي سينتبه فيه الآخرون لذلك، بعد عدة أيام طلبه رئيس التحرير. نهض رئيس التحرير من خلف طاولته حين دخل "بتر" إلى مكتبه، ومد له يده. خطر في بال "بتر" أن مثل هذا الترحاب الرسمي ربما يُجهد للوداع في حال أشار له رئيس التحرير أنه سيكون من الأفضل لو تقدم باستقالته، كما اقترح في السابق على موظفين آخرين. السبب سيكون ربما تلك المقالات الضعيفة التي كتبها في الآونة الأخيرة. أو ربما تكشف على السطح في نهاية الأمر قيامه بكتابة تقرير عن نفسه إلى الشرطة السرية؟ وهذا سيكون كارثة.

دعاه رئيس التحرير إلى الجلس.

- لا بد أنك تذكر يا "بتر" أننا أخذنا في المدة الأخيرة على عاتقنا أمام قيادة الحزب والدولة تحضير إجابة على السؤال: بمن يمكن مواطن تشيكوسلوفاكيا أن يثق في بناء الاشتراكية؟ جوابك جاء مختصراً: ثقفوا بالحزب، أيها الرفاق. أليس كذلك؟

- الأمر... أيها الرفيق رئيس التحرير، نأتأ "بتر"، - لم يكن عندي الوقت الكافي. كنت في حينها منشغلاً في كتابة تقرير عن التعاونيات الزراعية... وهذا أيضاً لم يكن بالمستوى المطلوب. لقد انتقدت نفسي على ذلك.

ابتسم "بتر" في محاولة منه لترطيب الأجواء وليسهل تفهم الاعتراف الذي تقدم به.

- "ثقفوا بالحزب، أيها الرفاق"، - جرب رئيس التحرير إلقاء الشعار بصوت واثق. انتفج صدره بعد ذلك وقال بطريقة خطابية:

- "ثقفوا بالحزب، أيها الرفاق".

تابعه "بتر" بعصبية. توقع أن رئيس التحرير يسخر منه. كان بوسعه أن يصرخ في كل لحظة.

- أهنتك يا "بتر"، - صرخ رئيس التحرير، - لقد حظي شعارك بإعجاب الرئيس "غوتوالد" مباشرة.

- ولكن... كيف؟ سأل "بتر" وكان لا يزال يشك في صحة مزحة رئيس التحرير القاسية.

- هذا ما حصل! ربت رئيس التحرير على كتفه. - الرفيق الرئيس يتابع بانتباه عمل الصحفيين. إنه يهتم بما نفعله وكيف نتفاعل مع متطلبات الحزب في النضال الايديولوجي. "فقوا بالحزب، أيها الرفاق!" أتوقع أن يستخدم الرئيس تلك الجملة في أقرب وقت. لهذا أطلب منك عدم استخدامها في مقالاتك. يمكنك ذلك في وقت لاحق. - هناك أمر آخر: راجع القسم المالي حيث بانتظارك مكافأة بسبب تنفيذك المهمة بشكل مثالي.

كذبح من الشروق إلى الغروب. قاس، ونشر، وقطع، وبشر، وحفر، وقشّر، ودق، ولصق، ودهن. لم يفقد شيئاً من مهاراته القديمة ما عدا ذلك التعب الذي بدأ يداهمه مبكراً بعض الشيء. لم يضرب المطرقة بذات القوة كما كان يفعل في شبابه، كما أن أسنان منشاره راحت تنغرز في قطعة الخشب أبطأ من ذي قبل. اسودّ لون قميصه من العرق بشكل أسرع مما كان يحدث له قبل عشرات السنين حين كان يتدرب.

ولكنه لم يسمح للتعب أن يسيطر عليه. كان يرى الرجال الذين يُجهز لهم السرير الأخير واقفين أمام عينيه. لم يكن باستطاعته أن يفعل لهم أكثر من ذلك. كل تابوت قام بتصنيعه كان يخص شخصاً منهم. هذا بدين، تذكر، ولهذا صنّع له تابوت أعرض. حين يقبس التابوت الآخر كان يتخيل الثاني الذي هو أطول ولهذا كان عليه تصنيع تابوتاً طويلاً. ذاك صاحب الأقدام الكبيرة يحتاج إلى غطاء أعلى.

كانت تجمعه مع كل واحد منهم ذكريات. أحس نحوهم بشعور أكبر من الصداقة. كانوا زملاء نضال. لقد وُلدت علاقتهم من ذات الآمال والرغبات وقويت أثناء الملاحقات وضغوط الأعداء. أصبحوا إخوة. ألفوا عاداتهم السيئة ونقاط ضعفهم، واكتشفوا طعامهم المفضل، وشربهم المفضل أيضاً. لقد عرف النجار بشكل جيد اللون والظل الذي أحبه أصدقاؤه القدامى. دهن تابوت أولهم بالبني الغامق، ولمّع تابوت الآخر أكثر. فعل كل ما أمّلت عليه أحاسيسه، ونصح به قلبه، ووشوشه به ضميره بأعلى درجة من الحرفية والخبرة.

لقد قصّر وقت أصدقائه، وقصر بذات السرعة وقته أيضاً. أمضى وقتاً أطول يوماً بعد يوم منذ الخريف في المشغل الموجود في أحد الشوارع الضيقة تحت القلعة. غالباً ما كان يعمل في النهار والليل، حتى إن يده لم تلمس الطعام الذي كانوا يحضرونه له. كان يتعثّر في مشيته من شدة تعبها وبينام مباشرة في ذات التوابيت التي يصنعها.

فُتح في أحد الأيام باب المشغل. نادوا عليه. ألقى نظرة سريعة ودور بصره بين التوابيت التي كان قد انتهى من تصنيعها. الأول، الثاني، الثالث... كان عددهم الإجمالي في المقدمة ستة توابيت وثلاثة في المؤخرة، واحد تحت النافذة، وكان قد أنهى التابوت الحادي عشر قبل لحظات، لكن طلاؤده لم يجف بعد.

- لقد حان الوقت، - جاءه الصوت من ناحية الباب.

- إنني أت، - رد المعلم "كلمنت".

ولكنه لم ينزع صدرية التجارين! وبدلاً من ذلك جلس على الكرسي الموجود في الزاوية. وضع رأسه بين كفيه. نَقَطَت دموع رجولته الثقيلة على الأرض الحجرية وأحدث سقوطها صوتاً مسموعاً. لقد أدركه الوقت. أحد عشر تابوتاً بدلاً من أربعة عشر.

- لقد تأخرت، لم يكن عندي الوقت الكافي، - تنهد.

ثلاثة توابيت ناقصة ولا وقت عنده لتجهيزها. بدلاً من أربعة عشر كان هناك أحد عشر. فكر في الثلاثة الباقية ولم يعرف كيف سيتصرف.

- أيها الرفيق الرئيس، - جاءه الصوت من البوابة، - الاجتماع سينعقد بعد دقائق.

لقد تقرر في الثالث عشر من نوفمبر 1952 أثناء اجتماع السكرتاريا السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي البت في الأحكام التي سوف تعلن بعد عدة أيام بحق أربعة عشر متهماً شيوعياً في القضية المتعلقة بنشاط مجموعة "سلانسكي" الخائنة ضد الدولة. قال النجار السابق والرئيس الحالي لجمهورية تشيكوسلوفاكيا "كلمنت جوتوالد" في نهاية الاجتماع:

- سنجهد أحد عشر حبلاً، وثلاثة مؤبد.

حظي شعار "بتر" ثَقُوا بالحزب، أيها الرفاق! على رضى ومحبة الرفيق الرئيس الذي استخدمه للمرة الأولى مع بداية السنة الماضية.

---

.. كلمنت جوتوالد: أول رئيس عمالي لجمهورية تشيكوسلوفاكيا بعد استلام الشيوعيين للسلطة.

## حادثة عام 1953

مات القائد الكبير للحركة الشيوعية العالمية "جوزيف فيساريونوفتش ستالين" في الخامس من آذار 1953. تسبب موته في قلق العديد من الناس الذين لم يتصوروا وجود الاتحاد السوفيتي بدون قائده، وفي ذات الوقت شككوا في مصير تشيكوسلوفاكيا اللاحق. ماذا لو نشطت الدوائر الامبريالية في تلك الأوقات الصعبة وبدأت هجوماً عسكرياً ساحقاً؟ لقد فقد الاتحاد السوفيتي قائده الذي انتصر في الحرب العالمية الثانية على القوات الفاشستية، ولهذا السبب يمكن لمروجي الحرب أن يستغلوا الأوضاع الحالية. "بتر" لم يكن مطمئناً أيضاً. حين مات "كلمنت غوتوالد" بعد تسعة أيام تبدل عدم الاطمئنان بالخوف. كان "بتر" يصحو في الليل وقد تبلل جسمه بالعرق. أصبح عصبياً وعاد من جديد لمعاقرة الخمر بكثرة. شعر بأنه يعيش نهاية حقبة تاريخية كبيرة جلبت معها الأخطاء لكن توجهاتها الأساسية كانت صحيحة دون شك. ما الذي سيأتي بعدها؟ ما الذي سيحدث؟

لكن شيئاً لم يحدث. استمرت الحياة. تسلم "أنطونين زابوتوتسكي" رئاسة الجمهورية، وتولى "أنطونين نوفوتني" منصب الأمين الأول للحزب الشيوعي. كانت قيادة الحزب بحاجة من جديد إلى صحفيين متفهمين.

شرح رئيس تحرير جريدة "البرافدا" الرفيق "ندفيد" لموظفيه الأوضاع على الشكل التالي: لسوء الحظ لم يحصل في تشيكوسلوفاكيا ما كان متوقفاً من تلاحم بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين كما حدث في الاتحاد السوفيتي. لم يدرك الفلاحون أهمية التعاونيات الزراعية وغالباً ما كانوا ينظرون إلى المروجين الذين يحاولون إقناعهم بفوائد الانضمام إلى التعاونيات على أنهم مندوبو عمال المدن وبأنهم أعداؤهم أيضاً. كما واجه العمال في المعامل صعوبات جمّة أثناء تنفيذهم المهمات الصعبة المتعلقة بالخطة الخمسية الأولى، وكانوا على قناعة تامة أن الريف هو سبب المشكلات، كونه يقف ضد العمل الجماعي مما يؤثر سلباً على عملية

التموين. بهذا الشكل قيمت قيادة الحزب والدولة الأوضاع، ولهذا السبب طلبت من محرري صحيفة "رودي برافو" وصحيفة "البرافدا" أن يفكروا في اختراع شعارات قصيرة وواضحة تساعد في رفع سوية وعي الجماهير في المعامل وفي الريف.

ركز "بتر" هذه المرة على العمل، وتفهم الهدف المرجو من ورائه.

"الاتحاد السوفيتي - مثَلنا في توحيد العمال والفلاحين"، كتب في البداية. ولكنه مع ذلك كان مقتنعاً بأن وحدة العمال والفلاحين في هذه المرحلة من بناء الاشتراكية ليست الهدف، ولكن الهدف هو توظيفهما في عملية البناء. الفلاحون سيقون فلاحين والعمال سيقون عمالاً ولكن علاقتهما يجب أن تكون أكثر التحاماً. "الاتحاد السوفيتي - هو مثَلنا بوصفه اتحاداً بين العمال والفلاحين". إن وقع الشعار أسوأ ولكنه يعبر عما يجول في خاطر "بتر"، وبالذات القسم الثاني منه، كما أن فقرة "اتحاد العمال والفلاحين" بدت له رائعة. يحتاج فقط إلى شيء يشير فيه إلى تشيكوسلوفاكيا.

"فليعيش الاتحاد السوفيتي، وليعيش اتحاد العمال والفلاحين في بلادنا!" هذا بالضبط يعبر عن أهم فكرة ولكنه طويل ومعقد. كلمة "فليعيش" جاءت مرتين، الأفضل لو أنه حذف واحدة وبذلك سيكون: "فليعيش الاتحاد السوفيتي، اتحاد العمال والفلاحين في بلادنا!" ولكن هذا يبدو دون معنى.

بعد الاختصار اللاحق النهائي جاء الشعار على الشكل التالي: "فليعيش اتحاد العمال والفلاحين في بلادنا". كان ذلك مقبولاً لأن كلمة "اتحاد" تذكر بالاتحاد السوفيتي، وكان يكفي لو حذفت الكلمة التي تدل على الأناثية "في بلادنا". حذفها "بتر" وبذلك أصبح الشعار جاهزاً: "فليعيش اتحاد العمال والفلاحين!" وبالتشكيكية كان وقعه أفضل (نفس الترجمة مع اختلاف بسيط في لفظ كلمة العمال).

كان "بتر" شبه متأكد من أن شعاره سيحظى برضى المسؤولين وكان محقاً في ذلك، ولكنه لم يتوقع تغيراً في ترتيبه الوظيفي. لقد بقي من الناحية الشكلية موظفاً في يومية "البرافدا" ولكنه نُدب ليكون تحت تصرف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي بشكل كامل من خلال قسم الدعاية والايديولوجيا. كان بمقدوره في أي وقت إذا أراد أن يكتب مقالة صحفية أو ريبورتاجاً، ولكن مهمته الأساسية أصبحت منذ ذلك الوقت تأليف الشعارات التي يمكنها أن تزين منابر المؤتمرات ويافطات الأول من أيار أو إدخالها في سياق خطابات المسؤولين. كان عمله يتميز بأعلى قدر من السرية، وهذا ما جعله يكسب عن جدارة في هيئة التحرير مكانة خاصة.



تلقي "بتر" مع بداية الربيع ضربة شأنه شأن صحفيين تشيكيين من يومية "رودي برافو"، مهمتهما تأليف الشعارات، استدعواهم في التاسع والعشرين من أيار إلى لقاء عمل في براغ. تهادى إلى سمعهم أن المجلس النيابي سوف يصادق على تخفيض قيمة العملة وهذا يعني إلغاء نظام بطاقات التموين، ومن ثم سيصدر قرار بتبديل العملة الذي سيصبح ساري المفعول في الأول من حزيران. هذا يعني أن المواطنين سوف يحصلون مقابل كل ثلاثمائة كورون قديم على ستين كوروناً جديداً، ولكنهم أيضاً سوف يحصلون مقابل كل ثلاثة آلاف كورون قديم على ستين كوروناً جديداً. كانت مهمة "بتر" وزميليه شرح الفوائد التي سيجنونها من تخفيض مقتنياتهم المالية للمواطنين.

كانت المهمة صعبة التنفيذ. جاء "بتر" بشعار: الضربة الأخيرة للمستغلين والوسطاء، واقترح زميله البراغيان شعاراً مشتركاً يقول: وحدة المواطنين لأجل سوق مشتركة.

وكرر فعل على الاضطرابات التي قام الجيش والميليشيات الشعبية بقمعها، دفع الصحفيان التشيكيان اللذان اقترحا الشعار الثمن غالياً، إذ تم تسريحهما من يومية "رودي برافو" بينما استُخدم شعار "بتر": الضربة القاضية للمستغلين والوسطاء "عدة مرات بالرغم من أنه لم يتمكن من إقناع الرأي العام.

تبديل العملة كان يعني حتى بالنسبة إلى "جبرائيل" مزيداً من العمل كونه يعمل محاسباً في المؤسسة الوطنية لأكواخ تاترا السياحية، إذ توجب عليه تحت إشراف معاون المدير أن يقوم في ليلة الواحد والثلاثين من أيار بتبديل أسعار البضاعة. لقد تسلم نائب المدير أمراً واضحاً بضرورة تبديل جميع الأرقام في اللوائح بمعدل خمسة على واحد. تمكن "جبرائيل" مع طلوع الفجر من إقناع نائب المدير بأن هذا المعدل يغير سعر البضاعة فحسب بغض النظر عن الكمية. أصر "جبرائيل" على أنه إذا كان في المستودع مئة كيلو غرام من الدقيق قبل التصحيح فإن المئة كيلو غرام سوف تبقى مئة كيلو غرام بعد التصحيح، وهذا الشيء ينطبق على السكر، والملح، والفاصوليا، والشاي. وافق نائب المدير على رأي "جبرائيل" ولكنه اعتبره منذ ذلك التاريخ ناقداً بيروقراطياً.

كان تبديل العملة عند "جبرائيل" أمراً مفيداً لأنه برهن على صحة فلسفته في الحياة. أفضل الأشياء أن تكون فقيراً. لم يكن لديه أي وفر ولهذا فإنه لم يفقد أي شيء. استغرب كثيراً حين سمع عن طبخة فندق "سموكوفتس" التي رمت بنفسها من النافذة لأنها فقدت بين ليلة وضحاها ما جمعته خلال سنوات.

لقد أخذ "يان" علماً بالتصحيح النقدي المقرر قبل يوم، بوصفه موظفاً في معمل الكيمياء والبحوث العلمية للمواد الغذائية التابع للجيش التشيكوسلوفاكي.

لذا قام بالخطوات اللازمة كي يحمي مدخراته المالية وذلك بصرفها حتى الكورون الأخير في "بيشتاني" على النساء.

حمل هذا العام معه إلى تشيكوسلوفاكيا، إضافة إلى تبديل العملة، تعديلاً في تنظيم المدارس. أُطلق منذ الأول من سبتمبر على المدارس الابتدائية والمدارس المتوسطة اسماً جديداً "مدارس الثماني سنوات". لقد ضموا إليها ما كان يسمى بمدارس الشعب والمدارس المتوسطة المتحدة. قرر "بتر" استغلال هذا التبدل وكتابة ريبورتاج عن المدارس في "لفتسي" التي كانت ستصبح مكان عمل "ماريا" بعد انتهاء دراستها في كلية التربية. لقد مضى على افتراقها عن "يان" ما يقارب السنتين، ولهذا السبب أن الأوان ليعبر عن رغبته في التقارب معها.

جلس "بتر" في غرفة المدرسين وراح يراقب المدير الذي بدا في غاية العصبية بسبب زيارة محرر من قسم الصحافة التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي. كان المدير يلتفت كل لحظة إلى الباب ويصرخ طالباً عدم الإزعاج. حين قاربت الزيارة على نهايتها، تطلع المدير إلى "بتر" عبر بلور نظارته السميك الذي تجمعت عليه بصمات أصابعه ونقاط الحساء الصغيرة الجافة. لحس شفثيه الدهنيتين، وتلمظ بصوت مسوع ثم قال:

- انطلاقة قوية للثورة الثقافية التي بلا شك سوف ترافق التطور الهائل في اقتصادنا، إضافة إلى دعمها للمجلس النيابي وللقوانين الدراسية التي تم المصادقة عليها في هذا العام، وكما تعلمون سوف تبدأ اليوم في مدارسنا الاشتراكية مرحلة جديدة. لقد أحدثنا مدارس الثماني سنوات المتوسطة. إننا لا نفهم هذا التغيير على أنه مجرد تغيير إداري أو تشكيل ميكانيكي فحسب. إننا نتطلع إلى الأسس. نُحسّن مستوى التعليم والتربية، لأن التعليم لا يمكن له أن يستقيم بدون التربية. يجب ألا يغيب عن بالنا أننا نربي إنساناً اشتراكياً جديداً. شبيبة جديدة، شبيبة "جوتوالد". يحضرنى الآن هذا الممثل أيها الرفيق المحرر. جاءت لمقابلتي في نهاية حزيران صبية، ولا أخفيك، كانت رائعة الجمال. قدمت نفسها بوصفها خريجة جديدة من كلية التربية.

أخرج "بتر" بفرح دفتر ملاحظاته لتدوين ما سيسمعه، وقد توقع مسبقاً من تكون تلك المدرسة.

- حتى إنها تركت دبلومها هنا، - تابع المدير. - قِيلنتها لتكون مدرسة، وكيف لا أفعل. ولكن... بما أنني أملك حاسة شم جيدة إزاء الناس. لم أستخ الأمر واستعلمت

من أهل المنطقة... إنني لست من سكان "لفتسي" الأصليين وقد جئت إليها من "ترنافا". اكتشفت أن تلك الصبية هي ابنة رجل محكوم بسبب ارتكابه جرائم حرب. تركتها تعمل طوال الأسبوع الماضي على ترتيب الصف. علقت الصور على اللوحة، ورسمت الحيوانات الصغيرة على السبورة، تفضل. ولكنني استدعتها صباح اليوم وقلت لها: أيها الأنسة اللطيفة، لم أقل أيتها الرفيقة بل أنسة، والدك كان فاشستياً، ونحن هنا في مدرستنا نُربي شبيبة اشتراكية. لهذا وجدت لك عرضاً مناسباً. - لدينا في الطرف الثاني من باحة المدرسة قسم إ طعام جديد، يمكنك أن تذهبي إلى هناك وتعملي في تقشير البطاطا. إننا بحاجة إلى مساعدة طباخ. تفضلي، وبرهني لنا أن حبك لشبيبة "جوتوالد" حقيقي.

قهقه المدير وفرك كفيه.

- ما رأيك في ذلك أيها الرفيق الصحفي؟

صمت "بتر". لقد تعلم السيطرة على غضبه منذ زمن بعيد.. فكر في تلك اللحظة بالطريقة التي يمكنه فيها مساعدة "ماريا".

- أعود الآن إلى ريبورتاجي، - بدأ "بتر" الحديث ببطء. - أرغب في الكتابة عنك أيها الرفيق المدير وعن الطلاب والمدرسين. لقد سلموني في اتحاد شباب "براتيسلافا" اسم إحدى الرفيقات التي أثبتت التزامها أثناء دراستها وكانت من الكوادر الاحتياطية، وهي الآن تعمل في مدرستكم. تعرف أيها الرفيق المدير أنني في العادة لا أسمح لأحد بالتدخل في موضوع الريبورتاج، ولكن الأمر هذه المرة يتعلق كما يقولون بالمصلحة العامة للدولة، والغاية هي في لفت الانتباه إلى تلك الرفيقة التي تعول عليها الدولة كثيراً.

- تقولون إنها مدرسة ضمن مجموعة مدرسينا؟ - استغرب المدير.

- بالضبط. إنها رفيقة، - أخرج "بتر" محفظته من جيبه، وفتحها وتظاهر بأنه يقرأ اسمها من بطاقة كتب عليها: الرفيقة "ماريا بلايوفاف".

أطلق المدير صوتاً شبيهاً بالشخير:

- إنها... ليست... يمكن... هكذا إذاً. اليوم هو الأول من سبتمبر، والرفيقة "بلايوفاف" شأنها شأن غيرها من المدرسين تعمل مع الطلاب. إنه أهم يوم في العام الدراسي، لا بد أنك تعرف. العام الدراسي يشبه الثورة، والأول من سبتمبر يشبه

قذيفة "أورورا"<sup>١٠</sup>. إنها ضرورية جداً. لا أحب إزعاج الرفيقة "بلايوفا" أثناء تأديتها عملها في التدريس.

- أتفهم رأيك، - أوماً "بتر" برأسه وأضاف: كان من المفروض أن أجيء بعد الظهيرة.

- بالضبط، تنهد المدير، - تعال في الواحدة، وستجد الرفيقة "بلايوفا" هنا بانتظارك. سأحضرها لك.

غادر "بتر" بناء المدرسة بسرعة، وعبر الباحة باتجاه مطعم الطلاب. كان الباب الخلفي مفتوحاً. ملح "بتر" من الباب "ماريا" وهي منحنية فوق قدر كبير. سار مباشرة باتجاهها في حين نظرت الطباخات إليه بفضول. حين اقترب أكثر، رفعت "ماريا" عينيها الباكيتين نحوه.

- سنلتقي بعد الظهيرة ولا تخبري أحداً بصدافتنا. لم تريني من قبل، ولا تعرفين اسمي، - همس "بتر".

لم تتمكن "ماريا" من قول شيء من هول المفاجأة، وكل ما فعلته هو أنها نظرت إلى ظهر "بتر" وهو يغادر.

- إنك ساحر حقيقي، ابتسمت "ماريا" حين خرجت بعد الظهيرة مع "بتر" من المدرسة. - كيف تمكنت من فعل ذلك؟ لقد أمضى ذلك الخنزير نصف ساعة وهو يعتذر وترجاني بالأخبار أحداً عن سوء التفاهم الذي حصل.

- كما ترين، يمكن أن تعود المياها إلى مجاريها، قال "بتر" بسعادة.

- ليس دائماً، - ذكّرتُه "ماريا".

تمشيا دون تخطيط مسبق باتجاه "برنسو". كانا يتمشيان هناك قبل عام ساعات طويلة.

- لم أكن هنا منذ وقت طويل، - قال "بتر" وسحب نفساً عميقاً.

- المرة الأخيرة في عام سبعة وأربعين أو ثمانية، برفقتك.

- دعنا لا نتحدث عن الماضي، قالت له "ماريا" بشكل قاطع.

- كما ترغيبين، وافقها "بتر".

مشيا لحظات صامتتين.

- لن أشعر بالراحة، - بدأ "بتر". - إلا إذا عرفت الشيء الذي يجب أن أعتذر

بسببه منك، يجب أن أسألك.

<sup>١٠</sup>. أورورا: اسم السفينة التي أطلقت قذيفة القصر الشتوي لقيصر روسيا، وأعلنت البدء بالثورة الروسية. م.

- اسأل.
- ما الذي حدث في تلك المرة؟
- متى؟
- حاول "بتر" عدم النظر في وجهها؛
- حين جئت إليك... وكنت ثملاً.
- لقد جئت ثملاً أكثر من مرة، ولكن هذا حدث منذ زمن بعيد.
- مرة، كنت في حالة شديدة من السكر، ثملاً مثل خنزير. ربما تصرفت أيضاً مثله. لم أذكر في اليوم التالي كيف تصرف.
- سكنت "ماريا".
- أريد أن أعتذر منك عن تصرفي.
- تعتذر لأنك كنت ثملاً؟
- أعتذر عن فعلتي.
- وماذا فعلت؟
- لَوَّح "بتر" بذراعه.
- "ماريا"، لا تعذبيني.
- لا أريد تعذبيك. لقد طلبت منك ألا تتحدث عن الماضي. إنه وراءنا بشكل نهائي. لقد تغيرنا، وأنا لم أعد كما كنت في السابق. إنني أنظر اليوم إلى العالم بشكل يختلف عن نظري في إليه قبل سنوات. كنت في حينها ساذجة ومؤمنة بمستقبل أفضل.
- سيكون أفضل، - رد عليها "بتر".
- سيكون؟ رفعت "ماريا" من وثيرة صوتها. - لقد قلنا في السبعة وأربعين بأننا بعد سنوات سوف نعيش في عالم يسوده العدل والسعادة. مرت تلك السنوات. هذا هو المستقبل؟! لقد أدانوا والذي بحكم جائر وهاهم يلاحقونني بسبب ذلك. لم ينبس "بتر" بكلمة. أحس من نبرة صوتها أن قسماً من المسؤولية يقع عليه.
- لست المسؤول عما يحدث، وأنا أيضاً مثلك لا أستسيغ بعض التصرفات، وهذا الأمر تعرفينه، - دافع "بتر" عن نفسه.
- ولكنك تدعمهم، وتكتب لصالحهم، - ردت عليه "ماريا" بقسوة.
- يا "ماريا"، تعرفين جيداً أن والدك هو من صنع مني شيوعياً أثناء الحرب. حبك لوالدك جعلك تكرهين الشيوعيين، وأنا بسبب احترامي لوالدك سأبقى شيوعياً. إنني أؤمن أن الثورة الحقيقية لا زالت بانتظارنا.

- يا إلهي، - تهتدت "ماريا".

- الفكر بعد ذاته ليس مسؤولاً عما يفعله به الناس، - تابع "بتر" كلامه. - إنني أومن بالأفكار الجيدة. إن أمراض الطفولة أثناء التطبيق تؤسفني، ولكن ربما يصعب تجنبها... إنك تزورين الكنيسة. هل تحاسبين الراهب عما فعلته محاكم التفتيش؟

- هذا موضوع آخر.

- برأيي لا فرق بين الاثنين. إننا نتحدث عن النظرية والتطبيق... الحزب بحاجة إلى عناصر شريفة وبهذا الشكل فقط يمكن إجراء التطهير. أؤكد لك أن والدك سيستعيد يوماً بطاقته الحمراء.

- أتمنى لو أنه يرفضها، - شاكسته "ماريا".

ابتعدا أكثر فأكثر في سيرهما عن المدينة.

- الأرض هنا موحلة، - دعنا نعود، - قالت "ماريا".

- لا، يكفيك خلع الحذاء.

ابتسمت "ماريا" ولكنها حين وجدته يخلع الحذاء ويطوي طرفي سرواله، خلعت حذاءها وجوربها.

- تعالي، - مد لها "بتر" يده، - هذا ليس وحلاً بل عصيدة ساخنة.

سارت معه "ماريا" عدة أمتار ولكنها توقفت بعد ذلك.

- دعنا نعود، - قالت له.

- لماذا؟

- سوف تصاب أُمي بالخوف لتأخري.

- أرجوك، إذا لم تخف عليك وتركتك تذهبين معي قبل ست سنوات فإنها لن

تخاف الآن.

- إنها لا تعرف أنك معي، إنها تعيش منذ اعتقال والدي في حالة من الذعر،

إنها تخاف أصغر الأشياء.

- نعد إذًا، كما تريد، أشار "بتر" بإبهامه، ولكن يجدر بي أن أقول لك يوماً ما

بأنني أعرف كيف أحملك، وكما ترين فقد نجحت اليوم. إنني لا أخاف المخاطرة

من أجلك، ولا من أجل والدتك أو والدك. إن عائلتك أنقذت حياتي.

أمسكت "ماريا" يد "بتر" وسحبته إليها لتتمكن من النظر مباشرة في عينيه.

- إنني متأكدة يا "بتر" من أنك ستساعد والدي إذا كان بإمكانك، ولكن كلانا

نعرف أنك لا تزال أصغر من أن تنجح في ذلك. لاحظ لأحد في مواجهتهم. إننا

جميعاً نخافهم. أنت أيضاً. لماذا إذاً لم تحضر حفل تخرجي من الكلية؟ خفت كما خاف "يان"؟

- لا تجرحيني! لم أكن خائفاً. ربما خاف "يان" الذي يعيش الآن في دنيا أحلامه. يظن أن العالم بأسره يقف ضده. لم أحضر حفلة تخرجك لأنني كنت في رحلة عمل في "براغ"، ولم يكن بمقدوري التهرب. كيف كانت الحفلة؟ هل تسلمت زهوراً كثيرة؟

- نعم، الكثير. باقة واحدة من أمي. لم يحضر أحد سواها.  
قطع "بتر" غصناً صغيراً مليئاً بالأزهار البرية وأعطاه "ماريا":  
- أهنتك بالنجاح، وباليوم الذي لا ينسى لدخولك سلك التعليم.  
قربت "ماريا" غصن الزهور من أنفها.  
- الزهور بلا رائحة، قال لها "بتر" وضحك.  
- لها رائحة، قربت "ماريا" الغصن من أنفه.  
- أمسك "بتر" يدها، ولكن "ماريا" سحبتها بلطف.  
غسلا أقدامهما في النهر الذي بدا مع نهاية الصيف هادئاً وضحل الماء.  
- هل سمعت بأنهم نقلوا والدي من سجن "فالديتس" إلى سجن "مير وفا"؟  
سألته "ماريا".

أراد "بتر" أن يرد عليها ولكن أصوات أطفال ناعمة جاءت من خلفهما منعتهم من ذلك:

- تشست براتسي<sup>1</sup>؛ أيتها الرفيقة المدرسة.  
- تشست براتسي، - ردت "ماريا".  
- هل تسمحين لي أيتها الرفيقة المدرسة أن أجيء إليك في يوم الأحد؟ سألها  
"بتر" مقلداً صوت الأطفال.  
- إنني أزور الكنيسة في يوم الأحد ولا أظن أنك ترغب في مرافقتي، أيها الطلائعي، - ردت عليه "ماريا".

التحق "يان" يوم الأحد الواقع في الثلاثين من آب لمدة أسبوعين بالمصح العسكري الموجود في "تاترانسكي زروبوخ" للنقاهة الصحية التي حصل عليها بوصفه مدنياً يخدم في الجيش وعلى تماس مباشر مع المواد الكيماوية. كانت تلك

<sup>1</sup> تشست براتسي: سلام يستخدمه الشيوعيون، وهو قريب من التحية العربية.

الإقامة إحدى مكاسب عمله وهي حق يمكنه الاستفادة منه مرة كل ثلاث سنوات. اتصل في اليوم التالي لإقامته بالهاتف من غرفة البواب بإدارة أكواخ تاترا السياحية. طلب منه "جبرائيل" زيارته في "تترانسكي لومنتسي" يوم الثلاثاء.

بدأ خوف "يان" من الشرطة السرية يتلاشى، وأصبح عنده لقاء رجل أمنه أمراً عادياً. ولحسن حظه نادراً ما كان ذلك الشخص يأخذ عليه سوء تنفيذ مهماته، بالرغم من أن "يان" كان يشعر أن تقاريره اتسمت بالحيادية المطلقة ومن ثم لا يمكن الاستفادة منها، كما أحس أيضاً أن رجل الأمن ذاته كان يعمل بشكل سطحي وروتيني وكأنه لا يقرأ محتوى تقاريره على الإطلاق. لهذا السبب لم يشعر بالخوف من زيارة "جبرائيل". كانا صديقي طفولة وربما سيكون عدم لقاؤهما في جبال "تاترا" مثيراً لشك.

أخذ "جبرائيل" إجازة في الأول من سبتمبر. أراد مرافقة صديقه وجعله يتمتع بذلك المنظر الرائع الذي يسحر الأبواب في "لومنتسكي شتيت"<sup>1</sup> لقد زار مراراً تلك المنطقة مستخدماً "التلفريك" وشعر بالسعادة الآن لأنه سوف يُفرحُ صديقه الآتي من المناطق المنخفضة بذلك المنظر.

كانت حجرة "التلفريك" نصف فارغة، فبالإضافة إلى "يان" و"جبرائيل" كان هناك رجل من تشيكيا برفقة زوجته، وصبايا سائحات لا تفارق الابتسامة وجوههن من أحد منتجعات العمال.

- جبال التاترا رائعة في سبتمبر، - قال "جبرائيل" حين تحركت كابينه "التلفريك".  
أوماً "يان" برأسه بالموافقة ولكنه لم يتطلع إلى الخارج. كان يراقب الفتيات اللاتي يضحكن وهن يتهايمن في شيء ما.

- انظر، - قال "جبرائيل" وقد سحره المشهد، - السقف الموجود خلف الأشجار هو لمصح "مورافا". إن "يانوشيك"<sup>2</sup>... هناك. لابد أن يكون هذا المشهد رائعاً بالنسبة إليكم يا صبيان المناطق المنخفضة أليس كذلك؟ إنه يسحرنني دائماً حين أنظر إليه من هذا الارتفاع. انتظر، سوف يدهشك المنظر أكثر من قمة الجبل. سوف أريك من هناك مصح "فولجا"... و"جراند هوتيل" الذي يبعد مسافة قصيرة عن "لومنتسي".

<sup>1</sup> لومنتسكي شتيت: أعلى قمة في جبال التاترا السلوفاكية.

<sup>2</sup> يانوشيك: بطل قومي سلوفاكي شهير. كان يسلب الأغنياء ويعطي الفقراء، وقد سُق بعد محاكمة شهيرة من



أوما "يان" برأسه، وألقى نظرة سريعة إلى الخارج.

- ذاك السطح الأحمر هو للمحطة، - أشار "جبرائيل" بيده، - وهناك يوجد مركز البريد. سوف أحدثك لاحقاً عن خنزير يعمل هناك لأني لا أريد الآن تكبير مزاجي.... انظر إلى الأمام. "لومنتسكي شتيت" وقمة "كجمارك". أغلبية الناس كانوا يظنون أن "لومنتسكي شتيت" هو أعلى نقطة في جبال التاترا لأنه يبدو كذلك من سفح الجبل.

هز "يان" رأسه.

- ولكن دعنا نعود إلى الخلف. هل ترى ذلك البرج الرفيع؟ إنه لكنيسة إنجيلية. البرج الثاني هو لكنيسة كاثوليكية قريبة من "جراند هوتيل".

أوما "يان" برأسه من جديد وكانت عيناه نصف مغمضتين.

- أزور الكنيستين أحياناً. مرة إلى الإنجيلية ومرة أخرى إلى الكاثوليكية. الكاثوليك يُقسمون القديس بشكل أفضل. يقرؤون الإنجيل ويتلون الخطبة في القسم الأول وهذا ما أجد فيه متعة، وفي القسم الثاني يؤدون المراسم الكنسية، ولكنني غالباً لا أكون هناك. إنني أستمتع بتلك التأملات الدينية التي تتحدث عن وجود الله وما شابه. مثلاً إن تلك الطبيعة الخلابة يمكن أن تكون برهاناً على وجود الله... ولكنني أرى أنك لا تسمعي، - أنهى "جبرائيل" حديثه منزعجاً.

- إنني في حالة سيئة، - رد عليه "يان" هامساً، - من ذلك الارتفاع.

حين وصلت الكابين إلى القمة كانت الغيوم تغطي "لومنتسكي شتيت" والرياح تعصف بشدة، والرؤية ممكنة بضعة أمتار فحسب. لقد غرقت الطبيعة في التاترا بحساء أبيض كثيف. لم يتمكن "جبرائيل" من رؤية أي شيء كما أن "يان" دس يديه في جيبي معطفه من شدة البرودة ومشى خلف صديقه. أشار "جبرائيل" إلى الصخور التي يكون المشهد منها عادةً في غاية الروعة.

سأل "يان" صديقه "جبرائيل" بالرغم من ذلك عما إذا كان بإمكانه استعارة سقيفته الموجودة في فيلا "توليبان" عدة ساعات فحسب. جحظت عينا "جبرائيل" من الطلب:

- ولماذا؟

- لقد تعرفت هنا على زوجة ملازم أول تشيكي.

- ألا يمكنكما أن تلتقيا في غرفتك أو في غرفتها؟

- زوجها يلازمها طوال الوقت، ولكننا فكرنا في أن تفتعل معه مشادة كلامية، تتمكن بعدها من أن تغادر منزعة وتستقل الحافلة الكهربائية إلى "لومنتسي". سأنتظرها هناك.

ضحك "جبرائيل":

- لا ترتاح حتى أثناء العلاج.

هطل المطر بغزارة.

- هل تظن أنه من الصواب العودة بـ "التلفريك" في هذا الجو الماطر المصحوب بالرياح؟

بعد يومين عادت السيدة زوجة الملازم الأول من "تاترانسكا لومنتسي" بواسطة الحافلة الكهربائية في الثالثة والنصف. رافقها "يان" إلى المحطة. وكان عليه أن يسافر هو الآخر بعد ساعة. كان لديه الوقت ليعود إلى فيلا "تولييان" حيث كان "جبرائيل" بانتظاره.

- كيف سارت الأمور؟ سأله "جبرائيل" الذي تذكر أنه طرح عليه نفس السؤال في ظروف مشابهة قبل سنة في غرفة "براتيسلافا" المستأجرة.

- لم تخيب ظنني، ولكنها لم تفاجئني في ذات الوقت، - قهقهه "يان"، ولكنه أضاف بعد لحظة:

- أسأل نفسي أحياناً، لماذا أعيش بهذه الطريقة.

- يؤسفك افتراقك عن "ماريا"، ولا تعرف الوسيلة التي يمكنك من خلالها الجلوس والتحاور معها بهدوء.

- ربما.

- لا تزال خائفاً من الشرطة السرية؟

- وهل أعرف؟ لقد ألفتهم.

تمشياً ببطء على الرصيف الضيق الذي تنتصب على جانبيه أشجار الصنوبر. أسند "يان" يده على كتف صديقه:

- اسمع يا "جبرائيل"، لماذا لا تجرب حظك مع "ماريا"؟ هل عندك غيرها؟

- لقد التقيت "ماريا" في الصيف، كانت برحلة في التاترا مع الأطفال بوصفها رئيسة معسكر الطلائع. أعطت الأطفال استراحة، وترافقنا معاً إلى كنيسة خشبية جميلة في "سموكوفتسي"، ولكن كما تعرف كان علينا أن نحتاط كي لا يرانا أحد لأن المفروض برئيسة الطلائع أن تكون ملحدة بأفكارها.

شاءت الظروف أن يقول مدير المدرسة الإعدادية ذات الثمانية صفوف نفس الجملة في "لفتسي".

- المفروض بالمربي الحديث أن يكون ملحدًا.

لقد حذر المدير أثناء اجتماع العشر دقائق الصباحي جميع المدرسين من مغبة زيارة الكنيسة. إن هذا التصرف عند المدرس الاشتراكي الذي يؤثر على تفكير عشرات الأطفال أمر لا يمكن التهاون فيه. لهذا السبب بدأت "ماريا" بزيارة الكنائس الموجودة في القرى المجاورة.

يوم الأحد كان أيضاً اليوم الذي تعودت فيه كتابة البطاقات بشكل منتظم. في البداية كانت تكتب مع والدتها رسالة إلى والدها، وبعد ذلك تكتب لـ "جبرائيل" وحدها، وهو أيضاً كان يكتب لها في يوم الأحد.. كانت الرسائل تتلاقى في منتصف الطريق خلال الأسبوع بحيث أنهما في أقرب يوم أحد كانا يتفاعل أحدهما مع ما كتبه الآخر.

كان اتصال "ماريا" مع "بتر" أقل بكثير. كان أحياناً يهاتفها قبل الحصة على رقم المدير، ولم ينس أبداً أن يُعرف بنفسه على أنه من اتحاد الشبيبة في براتيسلاف.

كتب "يان" بداية سبتمبر من هذا العام في تقريره عن شهر أوكتوبر ما يلي:،  
التقيت بعد زمن طويل أثناء إقامتي في المصح العسكري في "تاترانسكي زروبوخ" بزميل الدراسة "جبرائيل روجوفتش" الذي خبرت منه أثناء الحديث عن حقيقة أرى من واجبي التنبيه إليها كي تتخذ الخطوات اللازمة. أخبرني الرفيق "روجوفتش" عن وجود موظف هاتف في مركز "ترانسكي لومنتسي" يدعى "مايرسكي"، وأن المذكور يبقى تحت تأثير الكحول طوال زمن الدوام الرسمي، وهذا لا شيء إذا عرفنا أنه غالباً ما يصرخ في مركز البريد أمام الجميع قائلاً إنه يشكر "هتلر" لأنه استطاع قتل اليهود. كما يقال عن "مايرسكي" أيضاً إنه كان أثناء الحرب "كارديستا" (عضواً في الوحدات الخاصة). وبما إنني كنت شاهداً على فظاعة وحيوانية الفاشست، أرى من واجبي الإشارة إلى عدو النظام الديمقراطي الشعبي هذا.

حين أحضر "جبرائيل" رسالة إلى مركز البريد في منتصف كانون الأول ليعث بها إلى "ماريا"، لم يكن المغلف الذي وضع فيه بطاقة عيد الميلاد التي رسمت عليها صورة المادونا (العذراء) مع السيد المسيح سميكاً، ناداه عامل الهاتف من شباكه وطلب منه الحضور لدقيقة. حين اقترب "جبرائيل" من النافذة نهض "مايرسكي" من كرسيه ووقف على رؤوس أصابعه كي يطال فمه أذن "جبرائيل". اشتم "جبرائيل" في

الحال رائحة البراندي القوية المنبعثة حين لامست شنبات عامل الهاتف أذنه، ما جعل النمل يزحف على ظهره. أمسكت أصابع "مايرسكي" قبة معطف "جبرائيل" وسحبته ليقترّب أكثر كي يسمع الوشوشة الخارجة من فمه الذي يطلق رائحة كريهة.

- اسمع، أيها المخبر، لاتظن أنك الوحيد الذي يعرف رجال الأمن. أنا أيضاً عندي بينهم أصدقاء. لقد أخبروني أن كنيته كانت "روزنبرغ"، وهذه كنية يهودية، أليس كذلك؟

- تخلص "جبرائيل" من بين يدي "مايرسكي" بصعوبة وهرع خارجاً إلى مساء تاترا البارد. أحس بطعم الدم الحلو في فمه، ولكنه حين بصق لعابه في الثلج تحت ضوء مصباح الشارع، لم يجد لعابه أحمرأ.

أدرك "جبرائيل" حين أمسك بيده بعد اسبوعين بطاقة التهنئة بالعام الجديد التي أرسلها له صديقه "يان"، أن الحديث عن الشرطة السرية الذي جرى بينه وبين عامل الهاتف لابد أن يكون له علاقة بشكل أو بآخر بصديقه "يان".

## حادثة عام 1954

تأمل "جبرائيل" الكثير من تطور مواضيع الرسائل التي جرت بينه وبين "ماريا" التي أصبحت مع مرور الوقت تنم على الثقة المتناهية. كانت "ماريا" في البداية تصف له الأحداث التي تعيشها برفقة طلابها، أو تشرح له عن حالة والدتها الصحية ولكنها بعد وقت قصير أخذت تستفيض في شرحها وتعبر له عما يجيش في نفسها من مشاعر مستذكرة اللحظات اللطيفة التي عاشوها معاً.

كان يحدث في بعض المرات أن يصل غلاف رسالة "ماريا" ممزقاً أو ملصوقاً من جديد، وهذا جعل "جبرائيل" يعتقد جازماً أن عامل الهاتف "مايرسكي" يقف وراء هذا العبث، لأنه كان دائماً يطلق ملاحظاته التعريضية حين يحضر "جبرائيل" لتسلم البريد. لهذا السبب بدأ "جبرائيل" بإرسال خطابات من مركز بريد "سموكوفتس"، وترجى "ماريا" أيضاً أن تكتب عنوانه على الغلاف بالآلة الكاتبة، وأكثر من ذلك ألا تدون اسمه ولكن وظيفته: شاليهات التانرا، ن. ب. ليد السيد المحاسب، ومن اللحظة التي بدت فيها الرسائل رسمية في شكلها، أصبحت تصل دون تشويه.

دعت "ماريا" للمرة الأولى "جبرائيل" لزيارتها في الليلة الكبيرة. حين فتحت له السيدة "بلايوفافا" الباب، أصيب "جبرائيل" بالهلع. تذكر في الحال جمال تلك السيدة الشيطاني الهادىء حين كانت في أواسط عمرها، وها هو يرى أمامه الآن وجهاً غزته التجاعيد الكثيفة والشعر الأشيب المنكوش. شرحت له "ماريا" في وقت لاحق أن والدتها قد انهارت بسبب ما عاشته أثناء التحقيق معها وبسبب الحكم على السيد "بيلاي".

حتى "بتر" جاء في ليلة الاثنين الكبيرة ومعه السوط والعطر. كانت حالة خاصة وافق فيها "بتر" عن طيب خاطر على توزيع الأدوار، وبدا الأمر في تلك الليلة وكأن "جبرائيل" هو زوج "ماريا"، في حين كان هو خطيباً مزدري من الماضي. حين غادر بعد أن شرب عدة أقذاح من النبيذ، أحس "جبرائيل" بضرورة اللحاق به وتوضيح

الأمر وإعادتها إلى نصابها، ولكنه لم ينجح في إقناع "بتر" أن العلاقة بينه وبين "ماريا" هي مجرد صداقة وحسب. وهذا الوضع حرض شعوراً أكبر عند "جبرائيل" بإمكان الفوز بقلب "ماريا".

المرّة الثانية التي قام فيها "جبرائيل" بزيارة عائلة "بيلاي" كانت مع بداية الصيف إذ أمضى هناك ثلاث ليال. زار مع "ماريا" جميع الأماكن التي تذكّرهما بطفولتهما وشبابهما. شربا عصير البرتقال في مقهى "دنكا"، وزارا عائلة "بتر" التي كانت لا تزال كنيتهما "روناي" وتحدثا إليهما باللغة المجرية، وذهبا إلى النهر وإلى القلعة أيضاً. المكان الوحيد الذي لم يزوراه كان المسيح، لأنهم كانوا يقومون هناك بإصلاحات روتينية.

تسلم "جبرائيل" في نهاية آب رسالة من "ماريا". كتبت له فيها أنها حصلت في يوم الأحد التاسع والعشرين من آب على تصريح من إدارة السجن بزيارة والدها. كان واضحاً لـ "جبرائيل" أن السيدة "بلايوا" غير قادرة على تحمل أعباء السفر الطويل بالقطار ومن ثم بالحافلة، لهذا رد عليها برقياً بأنه سيرافقها، وجاء قراره هذا نابغاً من واجبه اتجاه "ماريا" ووالدها الذي أنقذ حياته إبان الحرب، في حين بادت محاولته بالفشل حين أراد أن يشهد لصالحه أمام المحكمة.

سافر "جبرائيل" إلى "لفتسي" في يوم السبت مساءً. أمضى ليلته في منزل عائلة "بيلاي" وسافر في الصباح الباكر برفقة "ماريا". وصلا إلى "ميريفا" قرابة الساعة الرابعة بعد الظهر، وفي هذا الوقت بالذات كان من المفروض أن تتم الزيارة حسب لوائح السجن.

- أنظر، - أشارت "ماريا" إلى التلة البعيدة حيث يوجد السجن، - يا له من قلعة مهيبة. لو كنا سيّاحاً لرغبنا بالتأكد في زيارتها.

- ربما سنجيء إلى هنا مرة بوصفنا سيّاحاً.

- أخاف لقاء والدي، تنهدت "ماريا".

لقد سمحوا لنا بخمسة وأربعين دقيقة فحسب. تدخلين وحدك في البداية، وسألحق بك في ربع الساعة الأخيرة.

أومات "ماريا" برأسها موافقة.

- لا تخبريه عن حالة والدتك الصحية لأن ذلك بلا معنى، - أضاف "جبرائيل" حين دخلا إلى السجن. مشيا في عدة معابر حسب تعليمات حراس البوابة إلى أن

وصلا إلى غرفة الزوار. دقا الجرس، وحين فُتح الباب وقفا أمامه مذهولين. وجدا أمامهما مولود "لفتسي" "جيولا هارساني" في بزة الحرس.

- أرنى تصريح الزيارة، - قال دون أن يرمش له جفن. كانت لكنته المجرية في لغته التشيكية تخرش الأذن.

فتحت "ماريا" حقيبتها وراحت تبحث في داخلها. لم يتمكن "جبرائيل" من إبعاد عينيه عن "هارساني". تذكر صديقه "يان" حين قال في إحدى المرات إن اليهود لن يلاحقوا الآن من قبل عناصر "إس إس" الألمانية، بل من عناصر "إس. ن. ب." "و. ش. ت. ب."، ولكن الأمر بدأ له أكثر سخافة. الشيوعيون المحجوزون في المعتقلات يحرسهم الفاشست القدامى.

وجدت "ماريا" في النهاية التصريح الذي أرسلوه لها من السجن، سلمته إلى "هارساني" دون أن تتفوه بكلمة.

- السجن "بيلاي"، - قال "هارساني" وهز رأسه تعبيراً عن أهمية السجن.

- دعاني أرى هويتكما.

بدأت "ماريا" من جديد البحث في حقيبتها في حين دس "جبرائيل" يده في جيب معطفه وسلمه هويته. سكتت "ماريا" محتويات حقيبتها على الأرض. ركع "جبرائيل" وساعدها في جمع محتوياتها. قلم، ومشط، وسكاكر، ومنديل، وماء الكولونيا، ومراة تكسرت أثناء وقوعها، وفي النهاية وقعت في يده هويتها التي سلمتها إلى "هارساني". أخذها منه ثم استدار وأغلق الباب من خلفه.

مضت عشر دقائق إلى أن عاد "هارساني"، وسلم "ماريا" هويتها:

- إلى ذلك الباب، هناك.. أشار بيده.

أمسك بعد ذلك بيد "جبرائيل" الذي أراد اللحاق بها.

- لست في الجدول. هل أنت من أقرء "بيلاي"؟

- هراء قال "يان" بصوت منخفض.

- لا، لا، اهدأ، - صرخ "هارساني" وأغلق الباب بسرعة.

أسند "جبرائيل" جسمه إلى الجدار الأخضر الفاتح وانتظر. طرح من جديد سؤالاً: من يا ترى ربح الحرب الأخيرة؟، - إن "مايرسكي، وهارساني" بالتأكيد لم يكونا من بين المهزومين.

<sup>١١١</sup> إس. ن. ب: عناصر الأمن القومي. م.

<sup>١١٢</sup> ش. ت. ب: عناصر أمن الدولة. م.

خرجت "ماريا" من الباب بعد ثلاثة أرباع الساعة بالضبط. ارتقت على "جبرائيل" وأحاطت عنقه بذراعيها وراحت تبكي من شدة حزنها. ناحت في طريق العودة بصوت منخفض ولكن دون انقطاع ساعات طويلة ولم تنطق بكلمة.

وصلا إلى محطة قطارات "برنو" مع حلول الليل وكان أمامهما أربع ساعات انتظار قبل أن يستقلا القطار السريع إلى "براتيسلاف". أرسلها "جبرائيل" إلى التواليت كي تغتسل هناك ثم بحث في بناء المحطة عن مقعد بعيد عن تيار الهواء. أخرج بلوزة صوفية من الحقيبة، وحين عادت "ماريا" أعطاها إياها. توقفت عن البكاء ولكن بشرة وجهها بدت حمراء متورمة، كما تسلخ الجلد تحت أنفها من كثرة التمشيط. أسندت رأسها على كتف "جبرائيل" ونظقت في النهاية:

- لو رأيت كيف أصبح هرمًا. إنه يبدو حتى أسوأ من والدي. لقد تساقط شعره بالكامل، وأصبح رأسه أصلعًا مثل الركبة. بدا هزيل الوجه. كان يسعل طوال الوقت، أخاف أن يكون مسلولاً أو عنده التهاب في الرئتين.

بكت من جديد. أمسك "جبرائيل" رأسها وأسنده إلى صدره وهمس:

- كفاف بكاء، أرجوك.

- تماسكتُ أمامه، ولم أذرف دمعة واحدة، - قالت "ماريا" حين تخلصت من عناق "جبرائيل" لها.

- هكذا بدت ندبة جرحه، أشارت بإصبعها على خط في راحة كف يدها الثانية. عشرة سنتمترات تقريباً. أكد لي أن ذلك لا شيء، زاعماً أن شيئاً قد سقط على يده في المشغل فحسب.

- هل قال لك "هارساني" أي شيء؟

- كان هناك معنا، وكان يحرسنا. أكد طوال الوقت أنه لا يعرفني، إلا أنه قال في النهاية: عندك صبية جميلة يا "بلابي"، ولكنها لم تتزوج، ولا تزال "بلايوا".  
الخنزير.

- "ديزنو"، ترجم "جبرائيل" إلى المجرية.

- معه حق، ابتسمت "ماريا"، - حقيقة، لقد أصبحت امرأة عجوزاً. سأبلغ الثلاثين في السنة القادمة.

- أرجوك، لا تقولي، - اعترض "جبرائيل".

- بسبب "بتر"، و"يان" أصبحت امرأة عجوزاً. الأول في البداية. وبعد ذلك الثاني... وكلاهما شعراي أنهما يأخذان الأمر على محمل الجد، مغرمين.



- ولكنهما صادقان في شعورهما نحوك، - كان على "جبرائيل" أن يدافع عن صديقيه.

صمتا. أحس "جبرائيل" أن مستوى الثقة بينه وبين "ماريا" قد ارتقى في تلك اللحظات إلى مستويات أعلى بكثير، وبدأ له أن لا فائدة من إخفاء ما يجيش في داخله بغض النظر عما سيفكر به "يان" و"بتر".

- "ماريا"، بدأ "جبرائيل" كلامه بجدية، - أريد أن أخبرك شيئاً عن "يان".

- الأمر لا يهمني، - قاطعته.

- هذا بالذات يجب أن يثير اهتمامك، إنك كما أعتقد لا تعرفين شيئاً ضرورياً عنه، لا أريد منك أن تحقدي على صديقي من كل قلبك لأن هناك شيئاً ما لم يُقل بعد.

رفعت "ماريا" كتفيها غير مكترثة.

- قبل ثلاث سنوات، - تابع "جبرائيل"، بالتحديد سنة واحد وخمسين جاء إلى "يان" أحد رجال الأمن السريين، ش. ت. ب. لقد هددوه بأنهم في حال رفضه التعاون معهم سوف يتهمونك ويتهمونك بالتآمر مع والدك، ارتعب "يان" كثيراً ولكنه لم يخف على نفسه، بل خاف عليك، أراد حمايتك، ولهذا السبب اقترح عليك ضرورة التوقف عن اللقاء أمام الناس، ظناً منه أن إخفاء العلاقة سوف يحميك، أراد خداع عناصر أمن الدولة السريين.

- هل هذا حقيقي؟ سألته "ماريا" وقد شرد تفكيرها، ظننت أنه أراد التوقف

عن ملاقاتي كي لا تتسبب ابنة سجين في تخريب مستقبله.

- كما ترين، الأمر على العكس تماماً، إنني أحبكما ولهذا أريدك ألا تغضبي منه.

- ولكن هذا بعد ذلك، - بدأت "ماريا" البكاء من جديد، - هذا يعني أنه لم

يخني ولم يتركني بدافع مصلحته الشخصية... هذا أمر رائع...

ضحكت وهي تبكي، أدرك "جبرائيل" في نهاية الأمر أن "ماريا" لا تزال مغرمة بـ

"يان".

استمرت "ماريا" في سؤال "جبرائيل" عن تفاصيل الحوارات التي دارت بينه وبين "يان" خلال السنوات الثلاث الماضية إلى أن وصل القطار السريع. أرادت من جديد ومن جديد، التأكد من أن "يان" لم يخنها في ذلك الوقت، ما يُقهم منه أنه لا يزال يحبها حتى اليوم.

حين صعدا إلى القطار، وجد "جبرائيل" مقصورة فارغة، استغل الفرصة وخلع بغضب شديد عن النافذة ملصقاً صغيراً يصور حصادة كتب في أسفلها: الذكرى

العاشرة للانتفاضة الوطنية السلوفاكية: بالسلاح حققنا النصر، وبالعامل سوف نحصل على الخبز 1944 - 1954. تلفتت "ماريا" بخوف من حولها لتعرف ما إذا كان أحدهم قد شاهد "جبرائيل" من المعبر وهو يقوم بفعلته تلك.

- هل تعرف أين يسكن "يانكو"؟ سأنته "ماريا" حين وصلا إلى محطة قطارات "براتيسلافا".

أوماً "يان" برأسه.

- خذني إلى هناك. قالت له "ماريا" وكانت قد اتخذت قرارها.

خاف "جبرائيل" من أن يكون "يان" في البيت مع إحدى معارفه العشوائيات، كما أراد في ذات الوقت أن يوفر على ماريا مثل ذلك اللقاء المخيب للآمال. كان واضحاً له أيضاً أن هذا الأمر لن يفيدته في شيء لا سيما وأنها طوال تلك الشهور التي كانا يتراسلان فيها، كانت تعتبره مجرد صديق.

- الوقت لا يزال مبكراً والساعة لم تتجاوز الخامسة. إنه نائم، - قال لها.

- أريد مفاجأته، - ابتسمت "ماريا".

فهم "جبرائيل" من بريق عينيها أن لا فائدة من معارضتها. قادها عبر شوارع "براتيسلافا" الفارغة وهو يفكر في الطريقة التي سيقنعها بها كي تنتظر أمام البناء ريثما يصل إلى الطابق الذي يسكن فيه "يان". كان عليه أن يُبته "يان" كي يخفي الزيارة النسائية المفترضة في مكان ما.

حين وصلا بعد نصف ساعة مع إطلالة ضوء النهار إلى البيت الذي استأجر "يان" إحدى غرفه. طلب "جبرائيل" من "ماريا" انتظاره في الأسفل لأن صاحبة البيت لا تحب حضور زيارات نسائية إلى بيتها في ذلك الوقت المبكر من الصباح. وافقت "ماريا" على الطلب.

كان "يان" قد أنهى تحصيله منذ مدة وبدأ العمل في "ترنشين"، إذ سمح له راتبه المرتفع استئجار غرفة في "براتيسلافا". كان يعيش حياتين معاً، فمن جهة كان يعمل في "ترنشين" ويعيش حياة زهد بوصفه كيميائياً عسكرياً يتنقل بين المخبر وبين سكن الضباط، ومن جهة أخرى عاش في "براتيسلافا" حياة لهو ومرح إذ عرفته جميع حانات المدينة.

كان صاحبياً في ذلك الصباح، وقف في الحمام يمسح قضيبه بسائل أحمر أمام المغسلة وراح يكرز أسنانه ويتلوى والدمع يسيل من عينيه من شدة الألم. لم يجد أمامه وسيلة أخرى للتخلص من تلك الطبقة البيضاء الكريهة سوى بحرقها بسائل

الصخر الأحمر الممدد بالكحول بنسبة تسعين بالمئة. إنه أنجح علاج ضد الالتهابات الفطرية.

سمع قرعاً على الباب تلاه صوت صاحبة البيت:

- يانوشينكو، عندك زيارة. السيد "روجوفتش".

كان "يان" يضع أثناء ذلك النقطة الأخيرة من السائل على قضيبه، وقد نفر الدمع من عينيه من شدة ألمه. لعن الساعة التي تعرف بها إلى "مارجيتا" في بداية شهر آب. مسح دموعه، وثبت نظارته، وذهب ليفتح الباب.

- ألا توجد عندك مومس؟ سأله "جبرائيل" بدلاً من إلقاء التحية.

- لا يوجد، رد عليه "يان" مستغرباً السؤال، ما الذي يجري؟

- "ماريا" تنتظر في الأسفل، تريد رؤيتك.

- دعها تجيء، - جاء الرد من صاحبة البيت التي كانت تقف خلف باب المطبخ فرحة لأنها سوف تتقاضى خمسة بالمئة زيادة على أجور الغرفة، لا سيما أن "يان" في الأسابيع الأخيرة وبسبب إصابته بالتهاب، لم يفرحها بـ "هيلر" واحد زيادة. - سأرتدي ثيابي وأنزل ملاقاتها، - قرر "يان".

وصل "جبرائيل" إلى منزل صديقه "بتر" المؤلف من غرفة واحدة، والذي تسلمه من هيئة التحرق قبل السادسة والنصف صباحاً. شرح لـ "بتر" أنه أوصل قبل قليل "ماريا" إلى بيت "يان". استغرب "بتر" كثيراً ما سمعه هذا الصباح.

- كنت أفكر أن زواجك من "ماريا" هو مسألة وقت، - قال لـ "جبرائيل".

- وأنا كنت في سري أتمنى ذلك، - هز "جبرائيل" رأسه بحزن. - ولكنها طوال تلك المدة كانت تحب "يان".

- لم أكن لي أي حظ معها. قال له "بتر" مقيماً وضعه.

- ومع ذلك يبدو الأمر غريباً. إننا نحاول طوال الوقت ولكن دون فائدة، وفجأة يظهر "يان" وفي الحال يكسب كل شيء، علق "جبرائيل".

كانت الدموع تضغط على عينيه وشعر بتعب كبير. أراد الجلوس في أي مكان ولكنه لم يعرف أين. لقد عمت الغرفة فوضى شبيهة بتلك التي نراها في غرف العُزاب، إذ توجد على الطاولة بجانب الآلة الكاتبة كومة من القمصان غير المكوية، في حين تبعثرت على السجادة حقائب وأحذية يصعب التعرف على فرداتها المرمية في أماكن مختلفة. جلس "جبرائيل" على السرير الذي نهض منه "بتر" قبل لحظات، وأسند ذقنه بين كفيه وراح يفكر في نتائج ما فهمه هذا الصباح.

حضر "بتر" الشاي في تلك الأثناء وسخُن السجق التي لم يمد "جبرائيل" يده إليها. أعاد ترتيب شعره وهندامه إلى أن خرجا معاً من البيت. شعر أنه عاد إلى نشاطه بعد أن لفتحته شمس الصباح التي كانت تسطع بضوئها أعينهما بفرح. اقترح عليه "بتر" أن يذهب معه ليريه مكتب التحرير. كان الطريق يستغرق مشياً ما يقارب ربع الساعة.

بدأ "جبرائيل" الحديث عن سجن "ميروفسكي" وعن لقاء الأمس مع السيد "بيلاي".

- الشيوعي "بيلاي" محروس من قبل الفاشستي "هارساني"...

- هل تذكر شاي الخامسة الفاشل حين ضربه أخي "كارتشي"؟، تذكر "بتر".

- تقول فاشل؟ على العكس كان ناجحاً! ضحك "جبرائيل". لقد تذكرت ذلك منذ

مدة قريبة وشعرت أني بحاجة إلى قبضة "كارتشي".

- لمن أردتها؟

- لأحد موظفي الهاتف في مركز بريد "ثاترانسكي لومنتسي"... يدعى "هايرسكي".

هذا الرجل لا يتورع عن إزعاجي ونرفزتي في كل مرة ألتقيه فيها، وأنا من جهتي لا أرد عليه لأنه يحتمي بأصدقاء له في أمن الدولة في "بوبراد" وغالباً ما يلتقون ويسكرون في مطاعم التاترا.

- هكذا إذًا. لا يمكنك ضربه لأنه سوف يشي بك.

لَوْح "جبرائيل" بيده.

- تعرفني جيداً، بالرغم من ذلك فأنا لن أضربه... ولكن إذا استمرت الأحوال

بهذا الشكل فإني سوف أنتقل من "لومنتسي".

- تعال إلى "براتيسلاف"، اقترح عليه "بتر" وهو يضحك بالرغم من عدم وجود

سبب يدعوه لذلك.

وصلا إلى بوابة هيئة التحرير.

كانت المكاتب لا تزال خالية من الموظفين. جلس "جبرائيل" إلى طاولة "بتر"،

وجرب الدوران على المقعد. قال إنه مريح، ورفع بعد ذلك سماعة الهاتف الذي

جهزه لـ "بتر" قبل عدة أيام. دَوَّر "جبرائيل" رقمين ثم أغلق السماعة. بدأ يتصفح

الأوراق الموجودة فوق سطح المكتب. أثار مهمة "بتر" السابقة من اللجنة

المركزية اهتمامه: الذكرى العاشرة للانتفاضة الوطنية السلوفاكية: بالسلاح حققنا

النصر - وبالعامل سنحصل على الخبز 1944-1954.

- أنت من وضع هذا الشعار؟ سأله "جبرائيل".

- ألم يعجبك؟ استوضح "بتر".

- أعجبني، وقعه جيد... ولكنني لست متأكدًا من انتصر في تلك الحرب.

"مايرسكي" مع "هارساني" أم أنا وأنت؟

لم يكن عند "بتر" ما يقوله بعد ما سمعه قبل قليل.

- إذا كان "مايرسكي وهارساني" قد ربحا الحرب، علينا إذاً أن ننتقل إلى أسلوب

حرب العصابات، - قال "بتر" مبتسماً حين صافح أحدهما الآخر بجانب الباب.

فكر "بتر" ملياً بكلام "جبرائيل". إن ما سمعه عن "مايرسكي وهارساني" ألمه

أكثر بكثير مقارنة مع خبر كون "ماريا" لا تزال تحب "يان". درس موضوع كتابة

ريپورتاج عن عامل الهاتف السكير الذي لم يتورع بعد عشر سنين من انتهاء الحرب

في دولة ديمقراطية شعبية مثل تشيكوسلوفاكيا من كيل المديح لـ "هتلر". كان أمراً

لا يمكن تصوره، لا سيما وأن الجميع كتبوا سنوات عديدة عن العقوبات العادلة

التي تلقاها الفاشست والخونة. كيف يمكن شرح سكوت زملاء "مايرسكي" في البريد

عنه، أو إنهم ربما كانوا يوافقونه الرأي. هذا يعني أن الشعب يختلف عن ذلك

الذي صوروه لنا.

فكر "بتر" بعد ذلك في إمكان الوشاية بعامل الهاتف. نهاية الأمر، وحسب

القانون هي من ضمن واجباته، ولكن حادثة بهذا الشكل يمكن أن تصل باديء ذي

بدء إلى طاوله رجال أمن "بوبراد". لقد كان واضحاً لـ "بتر" منذ حادثة "سلانكي" أن

الحكومة ليست السلطة الأقوى في الدولة، ولا حتى قيادة الحزب الشيوعي أيضاً،

وأن السلطة الحقيقية هي في يد جهاز أمن الدولة السري الذي يتستر على عملائه،

ولا يسمح بوصولهم إلى أيدي القضاء، ويطلب منهم في المستقبل مدح "هتلر"

بصوت منخفض، ومع ذلك كانت المشكلات من نصيب "جبرائيل".

كان "بتر" يعتقد دائماً أن الثورة الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا بحاجة إلى مرحلة

ثانية، وفي أسوأ الحالات يجب الانتقال إلى حرب العصابات.

أخبر رئيس التحرير أنه سيسافر في اليوم التالي إلى "كوشيتسي". أراد أن يكتب

هناك عن تحول عاصمة شرق سلوفاكيا إلى مركز صناعي، وأخبره أيضاً أنه سوف

يعود إلى "براتيسلافا" في مساء الأول من سبتمبر. وافق رئيس التحرير.

كان "بتر" من الناحية الرسمية موظفاً في هيئة التحرير، ولكنه عملياً كان يرتبط

مباشرة باللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، ولكنهم تركوه على

ملك جريدة "البرافدا" لتكون الجهة التي يتقاضى منها رواتبه. كان "بتر" يطلب في كل شيء موافقة رئيس التحرير حفاظاً على التسلسل ولضرورات العلاقة الجيدة والانسانية بين البشر، وكان رئيس التحرير بالمقابل يعطيه الموافقة على كل ما يطلبه منه دون تحفظ. كان "بتر" يعرف ضمناً أن رئيس التحرير يخافه كونه على اتصال مع شخصيات تحتل مراتب عليا في الدولة.

اتصل "بتر" في الأول من سبتمبر حوالي الثامنة والنصف صباحاً من مركز بريد محطة "كوشتسي" بـ "جبرائيل".

- أجبني بصوت منخفض! هل يوجد أحد غيرك في المكتب؟ - سأله بدلاً من التحية.

- ماذا؟... بالطبع يوجد، - رد عليه "جبرائيل" مستغرباً السؤال.

- في هذه الحالة لا تذكر اسمي أثناء الحديث، - أمره "بتر".

- حسناً... ولكنني لا أفهم....

- هل تعرف ماذا تعني كلمة "أبيبي" (العذر)؟

- بالطبع، أعرف.

- عليك إذاً أن تُحضر "أبيبي" لبعد ظهيرة اليوم. اذهب مع أحد زملائك في

العمل إلى المقهى. عليك أن تبقى تحت بصر الناس. هل بوسعك فعل ذلك؟

- سأحاول.

- سنحقق النصر بالسلاح، لا بالعمل، - قال له "بتر" قبل أن يغلق سماعة

الهاتف.

لم يتوقع "جبرائيل" ما يجري تحضيره. كان في الماضي يعترف بضرورة تنفيذ كل

ما يقترحه "بتر". إذاً كان عليه أن يجد العذر فإنه سيفعل. يمكنه مثلاً أن يدعو

"ميلكا" التي تعمل في المحاسبة لتناول الحلويات لا سيما وأن تلك الصبية تلاحقه

بنظراتها مذ جاء إلى التاترا.

جلس "بتر" في المقعد الأخير من حافلة تاترا الكهربائية. نزل في موقف "ستارا

لسنا" وكانت الساعة تشير إلى التاسعة إلا ربعاً.

اجتاز سكة الحديد والحاجز لكي يتمكن من السير بين الأشجار، وبدأ هناك

بخلع ثيابه. أخرج من الحقيبة سروال السياج الذي يصل إلى تحت الركبة، إضافة

إلى سترة وحذاء ثقيل، نزع بزته ووضعها في الحقيبة ثم توغل في الغابة حيث

أخفى الحقيبة خلف صخرة كبيرة.

ذهب إلى "تاترانسكي لومنتسي" سراً على قدميه، مستنداً إلى عصا طويلة بحيث ظهر كأنه إنسان عائد من نزهة في الجبال.

تسكع حول مركز البريد الذي يغلق أبوابه بعد ساعة. وكان سيّاح يرتدون ثياباً مشابهة لثيابه يمرون بجانبه. لم يشك أحد في أمره.

أخيراً أغلقوا باب البريد. بعد عدة دقائق فُتح الباب من جديد وغادر الموظفون إلى بيوتهم. أخذ "بتر" علماً من "جبرائيل" أن رجلاً واحداً يعمل هناك - بشاربين وأربعيني يدعى "مايرسكي".

لاحقه "بتر" بنظراته من مسافة ثلاثين متراً. كان "مايرسكي" يسير برفقة زميلتين. سيسوء الأمر لو أنه سار طوال الطريق برفقتهم، حدث "بتر" نفسه. لحسن الحظ تفرقوا بعد لحظات. تابعت السيدتان طريقهما باتجاه موقف الحافلة في حين تابع "مايرسكي" طريقه نحو مصح "فولجا". لقد أخبر "جبرائيل" صديقه أن موظف الهاتف "مايرسكي" غالباً ما يذهب إلى هناك لاحتساء الخمر.

مشى "بتر" خلف "مايرسكي" على رصيف الغابة الطويل المليء بأشجار الصنوبر، ولما وجد الطريق خالياً، ولم يلمح أحداً حين نظر إلى الأمام وإلى الخلف، قرر عدم الانتظار وقتاً أطول.. أخرج منديلاً من جيبه وربطه حول وجهه كما تعلم من الأفلام التي تتحدث عن الغرب المتوحش. لم يكن ظاهراً منه سوى عينيه. ركض على رؤوس أصابعه ليلحق بـ "مايرسكي" الذي لم يكن قد شعر بوجوده حتى تلك اللحظة.

ضرب "بتر" بقوة "مايرسكي" بعصاه على يده اليسرى. صرخ عامل الهاتف وانحنى من شدة ألمه ثم تلفت ليعرف مهاجمه. انتقل "بتر" في تلك اللحظة إلى الجهة اليمنى ليحافظ على مكانه خلف ضحيته، ثم ضربه من جديد على كتفه الأيمن، وحين ركع موظف الهاتف على ركبتيه ناو له "بتر" من جديد ضربة قوية على لوح كتفه جعلته يصرخ من جديد.

وقف في النهاية وجهاً لوجه. رمى "بتر" عصاه في حين تمايل خصمه أمامه منحنيًا إلى الأمام وهو يقبض كوعه المصاب بيده اليمنى وباليسرى كتفه الأيمن. كانت عيناه تتراقصان في جميع الاتجاهات. استخدم "بتر" نفس الطريقة التي استخدمها أخوه "كارتشي" فيما مضى. لگم "مايرسكي" بقبضته في بطنه كي يجعله ينحني إلى الأمام، ثم أمسك به بعد ذلك من شعره وضربه بركبته على وجهه.. ارتقى موظف

الهاتف على الأرض. نظر "بتر" من حوله. كان الرصيف لا يزال خالياً. ضربه مرتين بقدمه على خاصرته.

- ماذا تريد؟

- أريد أن أخبرك أن كل فاشستي سيحاسب في يوم من الأيام. سأتركك اليوم حياً ولكنني لن أدعك تعيش في المرة الثانية.

أراد "بتر" ضربه بقدمه على بطنه من جديد ولكنه أصاب أضلاعه ثم توارى بسرعة بعد ذلك بين الأشجار.

كانت حقيبة "بتر" في طريق العودة أخف بكثير لأنه ترك بنطاله، وسترته ومنديله في الغابة، ولكنه أثر الاحتفاظ بحذائه لأنه جديد لا يدخله الماء، ومجهز بنعل مطاطي مانع للانزلاق.

كان عليه أن يركض ليلحق بحافلة "ستاري لسنا" الكهربائية، وفي اللحظة التي صعد فيها إلى الحافلة جاءه قاطع التذاكر، وقبل أن يطلب "بتر" بطاقة العودة إلى "بوبراد" قال له قاطع التذاكر:

- إنكم على ما يبدو لم تمضوا وقتاً طويلاً. لقد وصلتم بعد الظهيرة، وها أنتم تعودون أدراجكم.

أحس "بتر" بغشاوة أمام عينيه.

- ولكن، أرجوك، - تأتأ، - السبب أنهم بدلوا مكان سكني، ولم يخبروني. سوف أسكن في "سموكوفتس".

- بطاقة واحدة إذاً إلى "ستاري سموكوفتس"؟

- نعم.

بعد ثلاثة أيام، وبعد تردد طويل، دخلت المحاسبة "ميلكا" إلى مكتب "جبرائيل". بقيت واقفة بين درفتي الباب وهي تضرب بقدمها.

- "جبرائيل"، سأخبرك شيئاً، - قالت بخجل.

نظر إليها "جبرائيل" بقليل من الخوف. حكّت وجنتها الممتلئة بعصبية، وأومضت بعينيها.

- إنها حالة مؤسفة تبعث على الحزن، - تابعت. - حضرت عناصر من الأمن السري إلى منزلنا البارحة. سألوا عنك. جاءوا ليتأكدوا ما إذا كنت قد أوصلتني في

الأول من سبتمبر إلى البيت. أكدت لهم ذلك، وأكد لهم والدي ذلك أيضاً لأنهم شاهدوك. لقد رغبت في التعرف إليهم حسب علمي، ولكن بعد ذلك...

- ماذا... بعد ذلك؟ قاطعها صوت "جبرائيل". - هل قالوا لك شيئاً؟



شعر أنه تذوق في مكان ما من فمه الطعم الحلو للدم من جديد.  
- هم لا. ولكن والدي قال، يجدر بي ألا أتصادق مع شخص ملاحق من قبل الأمن.

طفر الدمع من عيني "ميلكا". نهض "جبرائيل" عن طاولته وضمها إلى صدره.  
- إنني شديدة الأسف، - همست.

- هكذا هي الحياة، - أعطأها "جبرائيل" مندبله. - القدر يعاكسنا.

- هل يؤسفك ذلك أيضاً؟ سأنته "ميلكا" ويحدوها الأمل....

- يؤسفني، ولكن الأسف لن يساعدنا في شيء، - تنهد "جبرائيل".  
بدأت ميلكا البكاء:

- منذ بدأت العمل هنا قبل سنتين، وأنا أشعر بأنك لا تهتم بوجودي، وحين دعوتني بعد ذلك مرة لتناول قطعة حلوى، انتهى كل شيء في الحال.... يا له من ظلم....

فتحت "ميلكا" الباب وهرعت خارجة.

- سامحيني، كان ظلماً حقيقياً، همس "جبرائيل".

في ذات اليوم ذهب "جبرائيل" إلى "سموكوفتس" ليرسل بطاقة إلى "هونزا".

أحبيك من كل قلبي، يا صديقي.

جاء الأول من سبتمبر هذه السنة استثنائياً في تاترا. لقد كسر مجهول سني عامل هاتف وضلعه. كنت أرافق في حينها إلى البيت إحدى زميلاتي التي أخبرتني اليوم أن علاقتنا انتهت. يؤسفني أنك اليوم غير موجود، وإلا كان بإمكاننا أن ننفذ سباق السباحة في الأول من سبتمبر أثناء حفلة رقص التاترا.  
تذكر أيضاً أخاك.

جبرائيل

## حادثة عام 1955

حدث بالضبط ما توقعه "جبرائيل". تجاوزت مشاعر "ماريا" بشكل مفاجئ الثلاث سنوات الماضية، وعاد حبها لـ "يان" إلى النقطة التي تفتح فيها عام واحد وخمسين. لكن "يان" الساخر الذي آمن خلال تلك السنين أن بالامكان التهرب من أمن الدولة إلى الأبد، بدأ يتخلى عن فكرة الزواج وإنجاب الأطفال والمستقبل السعيد.

توجب على "يان" المكوث في "براتيسلافا" أكثر من ذي قبل لأن بعض مهمات البحث في قسم كيمياء التغذية التابع للجيش في "ترنشين" تشارك فيه الكلية في "براتيسلافا". التقى من جديد بالبروفيسور "أوتشوفسكي"، ولكن "يان" في تلك الأثناء عمل بوصفه رئيس المجموعة. راقب عن كثب أبحاث "أوتشوفسكي" وبطيء خاطر نهبه على كل خطأ أو تأخير.

كانت علاقة غريبة. كلاهما كان يعرف أن الآخر يعمل لصالح أمن الدولة، ولكن "يان" الأصغر منه بعشرين سنة تمكن دون أن ينطق بكلمة واحدة أن يولد إحساساً بأنه شخصية موثوقة من النظام ومن أجهزتها الأمنية، بينما في حين بقي "أوتشوفسكي" مجرد مدني حذر أجبر على التعاون.

أتقن "يان" بعد عدة سنين من عمله في المخبر تمثيل دوره بشكل جيد، لا سيما حين يتعلق الأمر بعلاقاته مع مرؤوسيه ومع من هم أدنى منه وظيفياً. لهذا لم تكن نجاحاته في وظيفته نتيجة إمكاناته ونشاطه فحسب، بل جاءت من حدسه الذي أملى عليه بدقة متى يكون خنوعاً، ومتى يكون أخوياً، ومتى يكون موثقاً.

حتى إنه شكل مع رجل أمنه علاقة عمل خالية من المشكلات، ويمكن القول علاقة تجارية. سأل بشكل مفيد حين تلقى مهمة كتابة تقرير عن "جبرائيل" عما إذا كان عليه أن يركز على صفة معينة تتعلق بـ "جبرائيل". أجابه رجل الأمن إنه بحاجة إلى معلومات شاملة. أحس "يان" بالراحة لأن جميع التقارير تشير إلى أنهم لا يملكون شيئاً مؤكداً ضد "جبرائيل".

لم يخبر "يان" صديقه "جبرائيل" بالأمر. كتب قبل عدة سنوات تقريراً عن "بتر" مباشرة بحضوره ولكن الأمور تغيرت الآن. كان "بتر" إنساناً عملياً وعقلانياً في حين كان "جبرائيل" ساذجاً وجباناً. اقترح "بتر" أن يكتب في التقرير أنه تعود الشراب بعد الانتهاء من العمل لمعرفة أن معلومة بهذا الشكل يمكنها أن تعرضه للانتقاد ولكنها لن تتسبب في ضرره. كان "جبرائيل" سيقع فريسة حالة من الرعب وكان سيطلب أن يخلو التقرير من أي أثر لنواقصه، أو على العكس، كان سيصر على كتابة الحقيقة، والأساسي في الأمر هو خوف "يان" من أن يزلق "جبرائيل" في الكلام أمام "ماريا".

لهذا السبب كانت كتابة تقرير عن "جبرائيل" بالنسبة لـ "يان" أمراً يتسم بالصعوبة الشديدة علماً أنه درس الموضوع، وفكر بالضبط فيما سيكتبه كي لا يسبب الأذى لصديقه. لقد أحس بنفس الشعور الذي عاشه في سنة واحد وخمسين، حين جلس أول مرة ليكتب تقريره لجهاز الأمن السري. لقد أدرك أنه واثق. لم تكن تلك الأمور تُوَرَّقُ "بتر" في أوقات أخرى. مثلاً لم يشعر بالخجل حين كتب عن رئيس مركز أبحاث الكيمياء والمواد الغذائية بأنه يعرِّب مع زميلته "مايكا"، ويقوم بتلك الأفعال أثناء الدوام الرسمي ويذمر أثناء ذلك بالمواد الخام، علماً أن وشايته تلك يمكن أن تتسبب في فتح تحقيق ربما ستكون نتائجه وخيمة وضارة برئيس المركز.

التقرير المتعلق بـ "جبرائيل" كان مفزقاً في الحذر ولهذا تسلم "يان" مهمة إكماله.

الحب القديم - الجديد بين "ماريا" و"يان" تسبب في تغيير موقفهما من "بتر". اختفت من علاقة "ماريا" مع "بتر" جميع الملامات القديمة، والاتهامات الخفية، لا سيما تلك التي تصفه بالشيعوي الذي يتحمل قسطاً من مسؤولية سجن والدها، ويبدو أنها نسيت بشكل كامل علاقة الحب القديمة التي ربطتهما والانفصال أيضاً. لقد خيم عليهما الآن جو من العرفان بالجميل والصدقة القديمة.. إنه هو من ساعد "ماريا" في التخلص من العمل في مطبخ المدرسة، وهو من أعادها إلى حقل التدريس، كما أنه هو من أخبرها وأخبر والدتها عن مجريات محكمة والدها السيد "بيلاي".

تعود "يان" حين يكون في "برائيسلاف" أن يهااتف "بتر" إلى هيئة التحرير كي يلتقيا في أحد المقاهي أو في إحدى حانات النبيذ. كان كل منهما له رأيه الخاص بالأمر ولهذا السبب كانا يتحدثان في كل شيء ما عدا السياسة.

كان الأمر مختلفاً أثناء اللقاء مع "جبرائيل". لم يتورع "يان"، ولا حتى "بتر" من انتقاد الحياة السياسية في البلد. كان "يان" يشتم كل شيء له علاقة بالشيوعيين، ولم يشعر بالخوف لأنه هو وليس "جبرائيل" من كان يشي بالناس، في حين كان "بتر" ينتقد النظام أمام "جبرائيل" من وجهة نظر مختلفة. كان يحلم بثورة جديدة. ترك "بتر" مباشرة بعد السنة الجديدة رسالة لـ "يان" عند صاحبة البيت. أراد الحديث معه في أقرب وقت. اتفقا على اللقاء في مقهى "نافرنا". حضر "بتر" قبل الموعد بربع ساعة ولم يتحمل انتظار اللحظة التي سيرى فيها صديقه بين درفتي الباب.

لمعت عينا "بتر":

- عتدي أخبار جيدة.

- أخبرني بسرعة، شجعه "يان".

- شكلت اللجنة المركزية اليوم لجنة برئاسة الوزير "رودولف باراك"...

- أظن يا "بتر" أن كلينا لا يريد التحدث في السياسة! قاطعه "يان".

- لا أتحدث في السياسة، - رفع "بتر" من وتيرة صوته، - إنني أتحدث عن والد "ماريا". مهمة هذه اللجنة الجديدة دراسة الأحكام القضائية التي صدرت في السنوات الماضية. اليوم أصبح لهم الأمر واضحاً. حصلت أخطاء ويجب إصلاحها.

- أمر رائع، قال "يان".

- يجب ألا نضيع الوقت. عليك أن تكتب طلباً في أقرب وقت لإعادة دراسة الحكم. لقد سمعت بأنه مريض. من الضروري إخراجه من السجن في أقرب وقت.

- بالتأكيد، - أوماً "يان" برأسه. أشكر.

- لا تشكر. إنك تعرف أني أدين لعائلة "بيلاي" بإنقاذ حياتي أثناء الحرب. لا أزال أدين لهم بالكثير. سأحاول حين تبدأ اللجنة بدراسة الحكم الاتصال بأشخاص لهم كلمتهم في هذا الأمر. تغيرت الأمور اليوم في بلادنا وفي "سابوز" (الاتحاد السوفيتي) عما كانت عليه قبل عدة سنوات، ولكنني حقيقة أرجو أن ترسل الطلب في الحال. يمكنك أن تتصور أعداد الناس الذين سيتقدمون بطلبات مشابهة لتعديل الأحكام وإعادة الاعتبار.

- واضح. سأفعل في الحال.... وأنا أيضاً سأطلب منك شيئاً، - تابع "يان" بحذر.

- ماذا؟ - نظر إليه "بتر" بفضول.

رفع "يان" فنجان القهوة إلى فمه وأخذ رشفة ببطء. خلع بعد ذلك نظارته، وزفر عليها وراح ينظفها ممدد يده باهتمام.

- إنني أشعر بالخجل، - قال بعد طول انتظار.

- ولكن، أرجوك، - لوح "بتر" بيده، وهل هناك ما يجعلك تخجل أمامي؟  
نقر "يان" بأصابعه على الطاولة بعصبية. تنهد بصوت مسموع وبدأ بعد ذلك:  
- تعرف جيداً أنني عشت حياة ماجنة في تلك الأوقات التي افترقت فيها عن  
"ماريا"، كنت في غاية التعاسة، ولهذا فلني بحثت عن عزاء في أي مكان...  
- تقصد عند نساء غيرها، - قاطعه "بتر" بقسوة.  
- معك حق، - تابع "يان"، - لقد شكلت مجموعة خلال تلك السنين. ولم يكن  
الأمر مجرد علاقات سطحية.

أخرج "بتر" علبة سجائر وأشعل كلّ منهما لفافة.  
- سأختصر، تابع "يان"، - كان من المستحيل إنهاء جميع العلاقات بين ليلة  
وضحاها... انتهى الأمر الآن بأني احتفلت بعيد رأس السنة مع سيدة راقية، معرفة  
قديمة. لقد أخبرت "ماريا" بأنهم كلفوني مهمة مستعجلة في المخبر... ولكنها لم  
تصدقني. إنها شبه متأكدة من أنني خدعتها. حدس أنثوي....  
- صبية مسكينة، - تنهد "بتر".

- صبية مسكينة، تنهد "يان" أيضاً، تابع في الحال:  
- أتذكر أنك قضيت عيد الميلاد في "لفتسي" ولكنك سافرت قبل ليلة رأس السنة.  
أريد أن أترجلك في شيء. ألا يمكنك أن تقول لـ "ماريا" إنك كنت معي في الواحد  
والثلاثين من كانون الأول؟ لقد وعدني "جبرائيل" بذلك، لا أريد جرحها... تفهم،  
أليس كذلك؟

قاس "بتر" صديقه ببرودة، إذا لم يساعده الآن فإن "ماريا" ربما ستصبح حرة من  
جديد في أقرب وقت، ونظراً لأن كرهها لـ "بتر" قد اختفى في الأشهر الماضية فمن  
الممكن أن يكون له فيها نصيب. حتى إن فكرة تأمين وصول تلك المعلومة عن  
حقيقة ما فعله "يان" في عيد رأس السنة، خطرت بباله.

ولكن يوجد هنا عامل الصداقة مع "يان" لا سيما أن صراعات السنوات  
السابقة ساهمت في تعزيز تلك الصداقة.

- حسناً، - أوماً "بتر" مع ذلك، - سأخبرها بأننا كنا معاً.  
- أشكرك، - تنهد "يان"، - لن أنسى لك تلك الخدمة. سأشرح لك الآن بعض  
التفاصيل التي اتفقنا عليها مع "جبرائيل". سوف نؤكد أنني في ليلة رأس السنة  
كنت في مهمة عاجلة في "ترنشانسكي لاباك" وأنكم جئتما لزيارتي هناك بشكل

سري...، وأن الدخول إلى القسم محظور على غير العاملين. اسمع ماذا شربنا  
وأكلنا....

ولكن "بتر" لم يسمع. نظر في وجه "يان" وفكر، كيف يمكن أن يفعل من أجل  
هذا الإنسان أشياء تخالف رغبته التي عمل عليها طوال حياته. هذه لم تكن كذبة  
عادية. إنه يحضر لخداع امرأة كان يحلم دائماً بأنها ستكون زوجة المستقبل. لقد  
تصور "بتر" أنه اجتاز الآن مع "يان" و"جبرائيل" حدوداً بدت له مقدسة، وأنهم لم  
يحترموا أمراً كان يحفزهم سنوات طويلة على استمرار الصداقة.  
- إننا خنازير، صرخ "بتر".

ضحك "يان" وقال:

- أنا الخنزير، وأنتما أفضل صديقين للخنزير فحسب.

انعقد في الأول والثاني من سبتمبر في "تاترانسكا لومنتسي" المؤتمر العام للعاملين  
في حقل التدريس والثقافة في سلوفاكيا. كان هدف المؤتمر التركيز على الأسئلة  
المتعلقة بسياسة التدريس، وتطوير التعليم، والتربية الاشتراكية والتثقيف. تحدث  
الرفيق "كارول ستراياني" نائب مستشار كلية التربية عن فوائد التربية البدنية  
الاشتراكية في حياة الشباب، كما تناول مدير مكتب الجامعة مسؤول التعليم  
والثقافة، الرفيق "رودولف برافديك" في حديثه، الطرق التي يمكن بواسطتها زيادة  
تأثير الماركسية اللينينية على تربية الطلاب. حظي موضوع تأثير وسائل الاعلام على  
جيل الشباب بأهمية خاصة، إذ قدم الرفيق "بتر روناي" محرر يومية "البرافدا"  
الناطقة باسم الحزب مداخلة هامة حول هذا الموضوع.

جلست "ماريا" في منتصف القاعة تتطلع إلى "بتر" الواقف خلف منبر الخطابة.  
تحدث عن دور الصحافة والإذاعة والسينما في بلورة الرأي العام. دعاية قوية، إقناع  
منظم، وإعلام صادق.

لم يثر الكلام إعجاب "ماريا". دأبت أثناء ذلك على تقييم شكل "بتر" الذي كان  
يتناوب في ترك شارييه وحلاقتهم. كان الآن بشارين، ولكنهما لم يكونا مقنعين. لقد  
بدأ لـ "ماريا" شبيهاً بقروي عجوز من القرن التاسع عشر، وحين قارنته بـ "يان" ذي  
الشعر الطويل والحركات العسكرية المرنة وجدته أقل جاذبية. حتى "يان" كان  
بشاريين ولكنه يبدو برفقتها كالعاشق في أفلام السينما.

- يوجد هنا شيء أكثر من السينما والإذاعة مجتمعين، - أنهى "بتر" بذلك  
محاضرتة. - هناك التلفاز، الاكتشاف الذي يجمع بين إمكانات الإرسال الإذاعي إلى  
البعيد وخصوصية الفيلم الذي يرينا الصورة وينشر الصوت. ستكون السينما في

المستقبل بانتظارنا في البيوت. ما يهمنا الآن أيها الرفاق والرفيقات هو المضمون الذي سنملاً فيه ذلك الاكتشاف الجديد.

سُمع تصفيق. صفقت "ماريا" بحماس بالرغم من أنها لم تفهم شيئاً مما قاله "بتر". كانت تفكر بشاري "يان" وطمنت أن يكون خطيبها أبشع بقليل. كانت ترى كيف تلاحقه عيون السيدات حين يذهبان إلى مكان عام، وهذا الأمر لم يشعرها بالراحة. حاولت ما بوسعها ألا تغار عليه ولكنها فشلت. كان يتناوب في عمته بين "ترنشين" و"براتيسلافا" ولهذا كان يزورها مرة كل أسبوعين في يوم السبت. حين لَمَحَت بالزواج، رد عليها أن الأوضاع الآن لا تناسب نظراً لانشغاله في العمل. إنه يعمل على الانتهاء من اقتراحه المتعلق بوصفة البيض المقلبي المجفف. انفجرت ضاحكة حين سمعت كلامه أول مرة، ولكن ذلك كان حقيقة. لقد كان المخبر العسكري السري يجري تجارب على البيض المقلبي المجفف، وهذه المعلومة كانت من السرية بمكان جعل "يان" يضع يده على قلبه كي لا تسرب "ماريا" لأحد أي كلمة تتعلق بهذا البحث.

جاء "يان" مع بداية آب بفكرة جديدة. بعد اقتراحه إضافة النشاء الغذائي إلى مزيج البيض المجفف، بنأ الآن بإضافة بودرة الحليب. كانت تلك الطريقة أفضل وساهمت في مضاعفة وتيرة العمل في المخبر. كان "يان" يزور "ماريا" يوم السبت مساءً ويعود في يوم الأحد بعد الظهر من جديد إلى "ترنشين".

اعتقدت "ماريا" أن "يان" يمضي كل وقته في المخبر، ولكن بذرة الغيرة كانت لا تزال تنمو في داخلها. انتبهت كي لا تقع في ذات الغلطة كما حدث معها في كانون الثاني، حين أجبرها "يان" أن تهاتف "بتر" إلى الجريدة من مركز بريد "لفتسي" كي يؤكد لها أنه أمضى مع "بتر" و"جبرائيل" ليلة رأس السنة في المخبر. بالطبع دون حضور أنثوي. كان أمراً محرّجاً لـ "ماريا" وفي ذات الوقت لـ "بتر". أراد "يان" بذلك إذلالها وجعلها تتخلى عن الغيرة بشكل نهائي. حتى إنه طلب منها أن تهاتف "جبرائيل" إلى "لومنتسي" ولكنها رفضت طلبه. كانت تحترم "جبرائيل" كثيراً ولم ترض لنفسها مواجهته بمثل هذا التصرف.

بدأت "ماريا" التهرب من "بتر" منذ حادثة الهاتف ولكنها لم تنجح بذلك فترة طويلة. لقد جاء لزيارتهم في آذار في "لفتسي" كي يخبرها بأخر ما توصل إليه من معلومات بشأن إعادة محاكمة السيد "بيلاي". بدا الأمر وكأنهم لن يبرئوه من التهمة المنسوبة إليه ولكنهم سوف يعفونه من بقية محكوميته. قال "بتر" إن ذلك إجراء عادي، وحسب القانون فإن بقاء السيد "بيلاي" مذنباً يعني أن القضاء لم

يرتكب أي خطأ، ولأنهم يعرفون أنه في الحقيقة غير مذنب فإنهم سيطلقون سراحه.. شبع الذئب والعنمة لا تزال كاملة.

تسلمت السيدة "بلايوفا" في الأول من سبتمبر برقية مفادها أنه تم إعفاء زوجها من باقي محكوميته وسيطلق سراحه من سجن "ميروفسكا" في اليوم التالي، يوم الجمعة الثاني من آب 1955 في التاسعة صباحاً. كما أبلغوها في البرقية ذاتها إنه، نظراً لحالته الصحية فمن الضروري أن يرافقه في الطريق شخص بالغ. اتصلت السيدة "بلايوفا" التي بالكاد تمكنت من السير إلى مركز البريد مباشرة بـ "يان" إلى "ترنشين"، الذي أخبرها تعذر تركه المخبر بسبب وجود لجنة تحقيق من الوزارة، إلا أنه وعدّها بمهاتفة "جبرائيل" إلى "تاترانسكا لومنتسي" لكي يتصل بـ "ماريا" ويبلغها خبر إطلاق سراح والدها.

نظر "جبرائيل" في ساعة يده بعد أن أغلق سماعة الهاتف إثر مكالمته "يان". كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة والربع. كان المشاركون في مؤتمر عاملي المدارس والثقافة قد بدؤوا أنفأ استراحة بعد الظهر.

غادر "جبرائيل" المكتب بسرعة. كان الباب في نهاية المعبر مفتوحاً، وحين مر "جبرائيل" من أمامه سمع من هناك صوت "ميلكا":

- ذاهب لتناول الغداء؟

- لا، إنني مسرع إلى "مورافا" للقاء صديقة.

- صديقة؟ - صرخت "ميلكا" باستغراب.

ولكن "جبرائيل" لم يرد عليها لأنه كان قد خرج من البناء. حاولت "ميلكا" اللحاق به.

كان "جبرائيل" محظوظاً لأنه لحق بـ "ماريا" و"بتر" أثناء تناولهما طعام الغداء. كانا وحيدين على الطاولة ولهذا كان بإمكانه الجلوس على المقعد الفارغ وإطلاعهما على ما أخبره به "يان" هاتفياً. بكت "ماريا" من فرحتها. الناس الجالسون من حولها على طاولاتهم نظروا إليها بفضول.

- سنذهب الآن مباشرة بسيارتي، - اقترح "بتر" بصوت منخفض. - مباشرة إلى سجن "ميروفا". ولكن لا يمكننا أن نشرح لأحد هنا أننا ذاهبون من أجل محكوم سيفرجون عنه من السجن. سنبلغهم أن مكروهاً أصاب والدك في البيت وحالته في خطر.... لا بأس من كونك تبيكين.

أومأت "ماريا" برأسها فحسب.



- اذهبي الآن إلى غرفتك وجهزي حوائجك. - سأذهب الآن لمقابلة المسؤولة عن الدوام، وسأقنعها أن توقع عنك في الغد كي لا تحدث لك مشكلات في المدرسة لأنك غادرت قبل الوقت المقرر.

التفت "بتر" إلى "جبرائيل":

- رافق "ماريا" إلى غرفتها وساعدها في توضيب حوائجها كي لا تنسى أي شيء في غمرة سعادتها.

رأت "ميلكا" كل شيء. اختبأت في زاوية المعبر وراقبت ذهاب "جبرائيل" مع الشقراء الحسناء إلى غرفتها.. انفلتت الدموع من عينيها في تلك اللحظة. فُتح الباب بعد دقائق وظهر "جبرائيل" حاملاً بيده حقيبة سفر كبيرة. في وقت قصير كهذا لا يمكن أن يكون قد حدث شيء، ضحكت "ميلكا". بعد ذلك بقليل خرجت الشقراء من الغرفة. بدت للوهلة الأولى في غاية السعادة حتى إنها عانقت "جبرائيل"، وهذا جعل عيني "ميلكا" تفيضان بالدموع من جديد. رافق "جبرائيل" الشقراء إلى الحديقة المقابلة للمصح حيث كان بانتظارهما هناك شاب آخر، تناول الحقيبة من "جبرائيل" ووضعها في السيارة. كانت سيارة جديدة من نوع "سبارتاك". صافح "جبرائيل" الرجل وانحنى أحدهما باتجاه الآخر ثم تبادلوا الكلام. لم تسمع "ميلكا" التي كانت تقف خلف السياج شيئاً من حديثهما. قال "بتر" في حينها لـ "جبرائيل" إنه كان صباحاً في مركز البريد وشاهد هناك موظفاً كسرت أسنانه العلوية. رد عليه "جبرائيل" بأن ذلك الموظف لا يزال يتكلم بنفس الطريقة السابقة ولكنه الآن يلثغ في الأحرف. شاهدت "ميلكا" الرجل الواقف أمام السيارة وهو يضحك. ودع "جبرائيل" الشقراء الجميلة بالعناق. انسكب الدمع للمرة الثالثة من عيني "ميلكا" المتخفية. راقبت "جبرائيل" وهو يوشوش الشقراء، ولكنها لم تعرف ما دار بينهما من حديث.. قال "جبرائيل" لـ "ماريا" إنه سعيد لأنهم أطلقوا سراح والدها من السجن، ولكنه يأسف لأنها ستغادر بتلك السرعة. أراد التنزه معها كي تراه زميلة مزرعة تلاحقه طوال الوقت ممسكاً بيدها، ولا يعرف كيف يتخلص منها. ابتسمت "ماريا" وطبعت قبلة على جبين "جبرائيل". هنا استدارت "ميلكا" وغادرت وعينها مغرورقتان بالدموع باتجاه فيلا "تولبيان".

## حادثة عام 1956

كان من المفروض أن يتم حفل زواج "ماريا" و"يان" في يوم السبت، الأول من سبتمبر. خطط "يان" كي يتمكنوا بشكل رمزي من إجراء سباق سباحة الأصدقاء قبل الظهيرة ومراسم الزواج بعد الظهيرة في دار البلدية، في حين يمكن إجراء زواج الكنيسة في كامل السرية بعد أسبوع في إحدى القرى الصغيرة الموجودة بالقرب من "لفتسي".

عرف "يان" قبل ثلاثة أيام من موعد الزواج بشكل مفاجيء أن عليه في الحال تحضير نفسه للسفر بمهمة رسمية إلى رومانيا. طلب وترجى تأجيل السفر عدة أيام ولكن رئيس مركز الأبحاث العسكرية رفض الموافقة على طلبه. انعقدت في رومانيا دورة تدريبية للعناصر المدنية التابعة إلى مراكز البحوث العسكرية في دول الديمقراطيات الشعبية، وكانت مهمة "يان" تمثيل تشيكوسلوفاكيا في تلك الدورة التدريبية. لم يتصور رئيسه أن يسافر "يان" إلى دورة مهمة بهذا الشكل في وقت متأخر.

لم يجد "يان" الوقت لتوديع "بتر" و"جبرائيل"، لذا كتب لهما رسالة مقتضبة، طلب منهما فيها أن يشرحا لكل إنسان في "لفتسي" أن الموضوع لا يتعدى كونه تأجيل موعد وليس إلغاء عقد القران. شرحت السيدة "بلايوف" التعيسة التي هالها الخبر لـ "يان" أن "ماريا" ستصبح مادة للتفكه والنميمة في مدينة تكثر فيها الأقاويل مثل "لفتسي".

سافر "يان" بالقطار إلى رومانيا. صعد إلى القطار الدولي في "شتوروفتس" حاملاً في إحدى يديه حقيبة كبيرة، وفي الثانية تنكة تحتوي على نصف كيلو من مسحوق البيض المجفف. إن إضافة أربع كيلوات من الماء إلى المسحوق يمكن أن تعطي أربع كيليات ونصف من البيض المقلي في قوام معلب.

وقفت "ماريا" على رصيف المحطة والدموع تملأ عينيها. لقد انهالت عليها المصائب دفعة واحدة. في البداية أصيب والدها بالتهاب في الكلى، وتوجب نقله إلى المستشفى، وبعد ذلك تعثرت والدتها وغلعت كاحلها وهي تُخرج صينية فطيرة الزفاف من الفرن، وبعد يومين جاء الأمر من رئاسة الأركان بضرورة سفر "يان" في مهمة رسمية، وهذا يعني أن الزواج لن يتم.

حين تحرك القطار، مد "يان" رأسه من النافذة وكرر قوله:

- أحبك، سترين كيف سأكون زوجاً جيداً. أحبك.

اجتمع في الدورة التعليمية السياسية المنعقدة في إحدى الثكنات الكبيرة القريبة من "بودابست" ما يقارب المئة من الموظفين المدنيين التابعين لمراكز تطوير الأبحاث العسكرية من جميع دول معاهدة وارسو. حظيت الدورة التعليمية باهتمام خاص، وبرز ذلك حين حضر في اليوم الأول لافتتاحها الرفيق "غيورجي غيوجيو - دي" الذي حيا المشاركين وألقى كلمة بلغته الأم، وبالرغم من غياب المترجم إلا أن الجميع صفقوا بحماس منقطع النظير. توقعوا محتوى الرسالة التي يريد إيصالها إليهم أكبر مسؤول روماني.

كان البرنامج الصباحي يبدأ بمحاضرات سياسية يلقيها في الغالب سياسي سوفيتي، يتحدث بشكل أساسي عن مستجدات الأوضاع السياسية في الاتحاد السوفيتي بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي الشيوعي، إذ ألقى "نيكييتا خروتشيف" خطاباً، انتقد فيه "ستالين" وعبادة الفرد. كان السياسي يبدأ محاضراته كل يوم بأمر لا تصدق عن الستالينية، مثلاً عن عدد السجناء السياسيين الذين أعدموا، أو عن عدد الضحايا الأوكرانيين الذين قضوا نحبهم بسبب الجوع، وبعدها كان يشرح على مدى ساعتين عن الاشتراكية وعن كونها أفضل نظام اجتماعي - اقتصادي يقود فيه الحزب الشيوعي البشرية إلى جنة الشيوعية. كان بإمكان المشاركين طرح الأسئلة مباشرة قبل تناول طعام الغداء.

- متى سنتنصر الاشتراكية في جميع أنحاء العالم؟ - سأل أحدهم.

فكر المحاضر وقال بعد ذلك:

- إن العملية الثورية التي تنتقل بالتدرج كل بلد على حدة باتجاه الاشتراكية سوف تُسرّع انهيار المنظومة الاستعمارية العالمية. أتوقع انهيار النظام الرأسمالي بعد ثلاث وعشرين أو أربع وعشرين سنة.

- متى سنتمكن من الوصول إلى ذلك المستوى من تطور المجتمع حتى يتم

إلغاء العملة؟ جاء السؤال من آخر.

- أتراهن معكم على ألف روبل أنه بعد نصف قرن من الزمن ستكون نهاية العملة، ابتسم السياسي المحاضر.

تذكر "يان" نظرية زوال الأسرة التي كان يرددها قبل عدة سنوات دون توقف مدير المعهد العلمي الأول لأبحاث الكيمياء والتغذية.

- كيف سنعيش حين تزول الأسرة؟ "سأل يان".

- إن الخلية الأساسية في المجتمع الشيوعي ستتشكل من المجموعة الإنتاجية العاملة، - رد عليه المحاضر.

- حتى الحب الذي هو نصف الحياة؟، سألت "إيرينا"، الشقراء السوفيتية التي أثار انتباه "يان" منذ اليوم الأول.

لوح المحاضر بكلتا يديه وقال:

- في الشيوعية سيكون كل شيء، وسيكون منه الكثير.

كانت محاضرات بعد الظهيرة من نصيب الثورة العلمية الصناعية. تحدث كل مشارك عن نتائج الأبحاث التي توصل إليها المعهد الذي ينتمي إليه. عرض ريفقان بولونيان دهنًا بني اللون، - حين ندهن به البزة العسكرية فإنه يمنع تسرب الماء إلى داخلها. سألتهم مندوب الحلفاء المجرين إذا كان دهن الخنزير يفي بالغرض. كان على البولونيين الاعتراف بأنهم لم يجربوا بعد دهن الخنزير.

قادوهم في اليوم التالي إلى خندق الرماية. تباغت عاملة من ألمانيا الديمقراطية بنتائج أبحاث فريقها. كشفت أنهم يدرسون في مخابريهم تطوير الأسلحة والمتفجرات الموقوتة. أضافت وهي تبشّر الصابون أنهم أثناء عملهم هذا يفكرون أساساً باقتراب موعد حرب الثوار في مدن أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. كان الماء يغلي ويبقى في القدر الموضوع فوق النار، وحين أنزل الرجال القدر وضعت فيه العاملة الألمانية وعاء صغيراً مليئاً بالبنزين. انتبهت في تلك اللحظة إلى أن "يان" يدخل. صرخت به كي يطفىء سيجارته. حين أذابت بعد ذلك برش الصابون في البنزين الساخن، تشكلت مادة لزجة شبيهة بلزوجة العسل، قامت بسكبها في زجاجتين، أغلقتهما بإحكام ولفتهما بخرقه تبلل أحد طرفيها بالسائل اللزج بينما بقي الطرف الآخر ظاهراً. خرجت الألمانية من الخندق وصعدت فوق تلة صغيرة ولوحت باتجاه الغابة. سُمع من هناك ضجيج محرك خرجت على أثره دبابة من الغابة. حين اقتربت الدبابة كان بالإمكان معرفة كونها دبابة ألمانية الصنع من طراز "تيجر" من مخلفات الحرب العالمية، وربما من غنائم رومانيا أثناء الحرب. حين

توقفت الدبابة وكان محركها لا يزال يدور على بعد أمتار منهم، أمرتهم بسد آذانهم. قفزت الألمانية من جديد في الخندق، وطلبت من "يان" ولاءة أشعلت بوساطتها الطرف الظاهر من الخرقة. أوامات إليهم بيدها التي لا تحمل الزجاجة كي يحنوا أجسادهم ثم رمت الزجاجة بحركة قوية غير متوقعة. سمعوا تكسر الزجاج على جسم الدبابة الفولاذي. وضعت العاملة الألمانية إصبعها على فمها طالبة الهدوء. بعد نصف دقيقة سُمع انفجار قوي. سقطت عليهم قطع صغيرة من الطين. اشتعلت الدبابة. صفقت العاملة. لقد هزمت ألمانيا الجديدة ألمانيا القديمة. سمع من الغابة صوت سيارة الحريق القوي.

قَسَمَت "إيرينا" محاضرتها إلى قسمين. رسمت في البداية على السبورة في قاعة التدريس مخطط جسم الإنسان ثم أضافت إليه بعض العظام. قالت إنها تنوب عن مجموعة من العلماء السوفييت الذين يدرسون إمكان زيادة تأثير السلاح اليدوي. رسمت بشكل أفقي على الجسم المرسوم على السبورة خطأً مستقيماً يشير إلى تأثير طلقات الرصاص الكلاسيكي. إصابة نظيفة تتطلب الإقامة في المشفى، وبعد ذلك يمكن لجندي العدو في أغلب الأحيان العودة بعد مدة إلى الجبهة. أخذت "إيرينا" الطباشور ورسمت خطأً متقطعاً راح يتلاشى في جسم المخطط المرسوم. بهذا الشكل تتحرك في جسم الانسان الرصاص التي تعرف كيف ترتد عن العظم. بعد ذلك جاء دور التطبيق العملي في حقل الرماية.. لمعت في ذهن "يان" فكرة إحضار جندي ألماني أسير من أيام الحرب العالمية، ولكنهم بدلاً عن ذلك أوثقوا عنزة إلى العمود فحسب. كانت تنام بهدوء. نبهتهم "إيرينا" إلى أن إطلاق الرصاص سيكون على الفخذ وليس على الجسم حيث توجد أعضاء ضرورية لاستمرار الحياة ثم تناولت بندقية، صويت ثم أطلقت. رفعت الرصاصه الحيوان في الهواء وحين رمته على الأرض بقي جامهاً في مكانه دون حراك. اقترحت عليهم "إيرينا" الذهاب ومعينة جسم العنزة.

لم يتمكن "يان" من معاينة جسم "إيرينا". لأن جماعهما الجنسي كان يجري بسرعة، وفي أغلب الأحيان داخل كابينة المرحاض أو خلف الأشجار بالقرب من سياج الثكنة. تذكر "ماريا" للمرة الأولى حين تمنع في شعرها ولكنه بعد ذلك رأي فيه أغصان قمح تموز. كانت بشرتها وردية شبيهة بأزرار الورد الذي لم يفتح بعد. حين كان يضغط بشفتيه على رقبتها أو على كتفها العاري كانت تتشكل هناك في الحال بفق رمادية اللون. تخيل "يان" أن في جسد "إيرينا" شيئاً شيطانياً. وفكرة

توهان قضيبه في جسدها مثل الرصاصة التي شرحت عنها كانت تزيد من شهيته للجنس.

قدم "يان" ثمرة عمل سنوات في مركز الأبحاث الأول للكيمياء والتغذية التابع للجيش التشيكوسلوفاكي في "ترنشين" في اليوم قبل الأخير من الدورة. سكب من التنكة نصف كيلو من البيض المجفف في إناء كبير ثم أضاف إليه أربع لترات من الماء المغلي الذي أحضره جندي روماني من المطبخ. خلط المادة حتى أخذت قوام بيض مقلي ثم وضعها في صحن صغيرة، قام الجنود بحملها إلى المشاركين في الدورة. لم يأكل أي منهم أكثر من ملعقة واحدة.

- تفاريتشي، - تدخل محاضر سوفيتي، - عليكم أن تتذكروا. أن هذا الأكل لا يمكن مقارنته مع الطعام الشهوي الذي يقدمه لنا الرفاق الرومان، إنه مخصص للجنود الذين يتضورون جوعاً في الخطوط الأمامية من جبهة النضال ضد الامبريالية أو للعمال الجائعين الذين تمكنوا من النجاة بأرواحهم في الملاجئ بعد هجوم ذري قام به الأمريكيان. حينها ستجدون البيض المقلي المجفف بمنزلة هدية تحسدون عليها.

انتهت الدورة التدريبية التخصصية - السياسية للعاملين المدنيين في مراكز الأبحاث والتطوير لدول معاهدة وارسو في الثاني والعشرين من أكتوبر - تشرين الأول، التقى "يان" للمرة الأخيرة "إيرينا" في منتصف الليل في إحدى حُجر تواليت النساء بالقرب من النافذة. بعد يوم واحد غادر جميع المشتركين إلى بلادهم. حضرت الطائرات لنقل السوفييت، والبولون والألمان الشرقيين في حين غادر البلغار والمجريون، و"يان" بوساطة القطارات السريعة إلى أوطانهم. غادر البلغار مع حلول الظهيرة باتجاه الجنوب في حين توجب على المجريين بالإضافة إلى "يان" الانتظار حتى المساء. اشترى لهم الرفاق الرومان بطاقات حجز لیسافروا في مقصورة مشتركة.

حين وصل قطارهم في صباح الرابع والعشرين من تشرين الأول إلى محطة قطارات "كورتيتسي" على الحدود المجرية، توقف هناك. ظنوا في البداية أن الأمر لا يتعدى كونه تأخيراً عادياً بسبب الجمارك ومراقبة جوازات السفر، ولكن مدير المحطة أخبرهم بعد ذلك أن حادثاً قد وقع على السكة وفي تلك الأثناء توقف على السكة المجاورة قطار متجه إلى الشمال.

سمع في المساء أحد زملاء "يان" المجريين في المقصورة من عمال السكك الحديدية الذين يتحدثون المجرية أن مظاهرات تجري في بودابست تطورت إلى

شغب. أذاع راديو بودابست في الصباح أن "إيمري ناجي" تسلم رئاسة الوزراء. أصبح واضحاً أن ذلك هو السبب الحقيقي الذي جعل الرومان يحجزون القطار المتجه إلى المجر.

بقي القطار في مكانه عدة أيام. لم يطلعهم خلالها أحد على شيء، ولم يعطهم أحد أي شيء. المواد الغذائية والتبغ كانوا يحصلون عليهما من عمال المحطة ومن المجرين الرومان الذين أطلعوهم على ما سمعوه من إذاعة بودابست. لقد اكتشفوا اندلاع ثورة حقيقية في البلد، وأن أصوات إطلاق الرصاص تسمع في الشوارع، وقد تدخل الجيش السوفيتي في القتال. كان رئيس الوزراء الذي دعمه الثوار شيوعياً في الأساس، ولهذا كان من الصعب الحديث عما يجري. كان زميلاً "يان" ورفيقاً سفره عصبين وفي غاية التوتر. أرادا الوصول في أسرع وقت إلى عائلتهما في الوطن ولو سيراً على الأقدام، ولكن عمال سكة الحديد أخبروهما أن الحدود محروسة بأعداد كبيرة من الجنود ومن عناصر مراقبة الحدود.

تمكن "يان" في اليوم الثالث من مهاتفة "ماريا" من مكتب أمر المحطة. لم يرغب الحديث في الهاتف عن سبب تأخره على الحدود ولكنه كان يكرر قوله إنه في غاية الشوق لرؤيتها. فهم "يان" من أجابات "ماريا" الحذرة أنهم بفضل إذاعة بودابست يعرفون في جنوب سلوفاكيا ما يجري في بودابست. كان يسمع صوت "ماريا" من السماعه ولكن صورة وجه "إيرينا" كانت ترتسم أمامه.

- أحبك! هل تحبني؟ - سأنته فجأة "ماريا".

- بالطبع، - رد عليها ولكن صوته خانه، إذ تكسر في منتصف تلك الكلمة. لحسن الحظ، انقطع الاتصال في تلك اللحظة. لم يتمكن من مهاتفتها بعد ذلك لأن خطوط الهاتف من رومانيا إلى تشيكوسلوفاكيا تمر عبر المجر، وكان بعضها معطوباً أو مشغولاً من قبل السلطات.

أخذ المسافرون علماً في التاسع والعشرين من مخبريهم أنه تم الإعلان عن وقف إطلاق النار وأن الدبابات السوفيتية تراجعت عن بودابست، ولهذا توقعوا أن القطار سيتحرك، ولكن ذلك لم يحدث.

حدث في التاسع والعشرين من إيلول حوالي الظهر أمر غير متوقع إذ هاجمت القطار مجموعة مدججة بالساموباولات من حرس الحدود الرومان الذين تفقدوا جوازات السفر. كانوا يبحثون عن مواطنين رومان. قاموا في الحال بإنزالهم من القطار، وبصعوبة كبيرة سمحوا لهم بأخذ حاجياتهم. تركوا الأجانب في القطار

ولكنهم منعوهم من مغادرة القطار. وقفت على الرصيف مجموعة حراسة مسلحة.

أخيراً تحركت في الليل عربات القطار حين قامت قاطرة رومانية بدفع القطار خارج حدود رومانيا ثم عادت أدراجها. انتظروا من جديد ما يقارب الساعة في المقصورات، ولكنهم حين تأكدوا من خلو الحدود من عمال سكك الحديد، نزلوا من القطار ومشوا سراً على الأقدام.. كانت المسافة إلى "لوكوشازي" تحتاج إلى ما يقارب الساعتين في الطريق الزراعي.

شرح "يان" في الصباح لآمر المحطة أن غالبية المسافرين الواقفين على الرصيف هم من التشيكوسلوفاك، لم يكن يعرف أمر المحطة أن مجموعة المقصورات قد تم دفعها من أراضي رومانيا، ومع ذلك فقد وعد بتأمين قاطرة ليتابعوا فيها طريقهم. المجرينيون الذين التقاهم "يان" في المحطة بدوا له في غاية السعادة، لا سيما حين عرفوا أنه أجنبي يفهم المجرية، شرحوا له وقد غمرهم الفرح كيف تغيرت المجر خلال الأسبوعين السابقين. لقد خرجت من حلف وارسو، وما هو الجيش الروسي يغادر إلى بلاده. لقد شعر الناس بالسعادة لأن بلدهم سيصبح حيادياً مثل النمسا. سوف يذهب "زاكوسي" ومعه "كيرو" إلى السجن. كان يلوح فوق بناء المحطة علم أحمر - أبيض - أخضر وفي وسطه ثقب كبير بدلاً عن النجمة الشيوعية التي كانت تشتعل على الدوام إضافة إلى المطرقة وسنابل القمح.

أشعل "يان" لفافة تبغ بين جموع الناس الذين حاول كل واحد فيهم أن يشرح له ما هو المهم في تلك المرحلة الجديدة.

- تم حل - آ. ف. ه - صرخت امرأة عجوز وهي تصفق وكأنها في حفلة.

- ما هو - آ. ف. ه - ؟ سأل "يان".

ضحك الناس حوله من السؤال.

- الشرطة السرية، - شرح له أحد الشباب. - لا بد من وجود جهاز مشابه في

بلادكم.

تذكر "يان" في الحال رجل آمنه الذي لا بد أنه ينتظر تقريره عن الدورة التدريبية في بوخارست. اقترح في تلك اللحظة عينها أحد عمال السكك الحديدية على "يان" عدم الرجوع إلى تشيكوسلوفاكيا، إلى ذلك المعسكر الشيوعي، والبقاء في المجر الحرة. رد عليه "يان"، إن عروساً بانتظاره في الوطن.

إن مغادرة "لوكوشازي" لم تكن ممكنة بتلك السرعة والسهولة كما كانوا يظنون. إذ كان من المفروض تحضير قاطرة وتأمين سائق القطار كي يعودوا إلى



الحدود لإحضار بقية العربات، ومن ثم تفتيش القطار بكامله والذهاب لإحضار مراقب بطاقات السفر الذي كان يجلس بجانب الراديو في منزله.

كانت جدران البيت الريفي العائد لـ "كونيف" مزينة من أعلاها إلى أسفلها بساعات اليد المعلقة على مسامير صغيرة. كانوا يجمعوها من أجل قائد الجنود والضباط الشهير خلال حرب التحرير. حسب "كونيف" كان هناك شعار يقوم الجنود السوفييت أثناء ترديده بخلع الساعات في أي مكان يصلون إليه. كان للمارشال "كونيف" مساعد خاص يحضر يومياً من موسكو بسيارة "كازديك" كي يُعير ويراقب العينات الفريدة. عاين "كونيف" بعد ظهيرة اليوم الثاني من تشرين الثاني غنائه الحربية. اكتشف في المطبخ ساعة لا تعمل فما كان منه إلا أن استدعى مساعده وأمره على الفور بالسفر إلى موسكو لإحضار مصلح الساعات.

كان المارشال يؤمن أكثر فأكثر مع مرور الوقت أنه في حال توقف الساعة في وقت "تسه" (C) الذي سيكون بداية هجوم "زد" (Z) فإن "عملية" أو (O) ستفشل بالتأكيد.

ومع ذلك كانت بداية سيئة. إذ تقرر البارحة أثناء اجتماع المكتب السياسي أن يكون الهجوم على بودابست بقيادة "كونيف". كانت مهمته حتى صباح اليوم البحث عن اسم لتلك العملية. لأن العملية لا يمكن تنفيذها دون اسم. لقد فشل في إيجاد تسمية للعملية، وحين اعترف بفشله أثناء الاجتماع الصباحي، أثار اعترافه غضب "نيكيتا خروتشيف" الذي لم يجد أمامه سوى أن يخلع فردة حذاه ويضرب بها سطح الطاولة. كان "كونيف" لا يرى أمام عينيه سوى وجه "خروتشيف" الأحمر وبقع من بصاقه على بزته العسكرية.

حين عاد "خروتشيف" بعد ذلك إلى هدوئه وانحنى ليلبس فردة الحذاء خرجت من أحشائه ضربات قوية. ارتعب أعضاء المكتب السياسي لأنهم شهدوا التصرف الخاطيء الذي ارتكبه أمينهم العام، وهذا سيرضهم إلى العقاب إذا أفسحوا سره في المستقبل، لهذا راحوا يفرغون هم أيضاً ما عندهم من غازات بسرعة كبيرة. كانت زوبعة من الرياح العاتية بكل ما تعنيه الكلمة. أدرك "كونيف" مع حلول المساء أن تلك اللحظة كانت مصيرية بالنسبة إليه. أخيراً تمكن الهجوم على بودابست من الحصول على تسمية. - زوبعة الرياح.

وصل القطار إلى بودابست في فجر الرابع من تشرين الثاني، ومن اللحظة التي اقتربوا فيها من المحطة تأكدوا أن الأوضاع سيئة. شاهدوا بيوتاً تحترق وسمعوا

دوي طلقات المدافع من جهات مختلفة. اشتم "يان" رائحة حرب في الأجواء شبيهة بتلك التي عاشها في فلسطين.

حين توقف القطار، تطلع المسافرون بخوف في وجه مراقب بطاقات السفر الذي نزل من القطار وسأل عمال سكة الحديد الذين كانوا يتحركون على الرصيف وبين السكك عما يحدث. استدار بعد ذلك باتجاه القطار وصرخ بالمجرية:

- لا يمكننا متابعة الرحلة، إنها الحرب ولقد هاجمنا الروس! كان على "يان" أن يترجم هذا الكلام من المجرية إلى التشيكية لركاب القطار من التشيك والسلوفاك.

ترك "يان" حقيبته في القطار ونزل منه. شاهد من خلال المدخل الرئيسي المهدم بعض الدبابات الروسية التي كانت تتحرك بسرعة في طريق مظلم. استدار ليبحث عن طريق آخر.

كاد يصطدم أثناء خروجه من البوابة بشاب كان يحمل على كتفه صبية تنزف من شريان فخذها. صرخ "يان" في الشاب وطلب منه أن يضع الصبية في الحال على الأرض. أذعن الشاب لطلبه، وأستلقى في الحال إلى جانبها وهو يتنفس بصعوبة من شدة التعب. لم يكن أحدهما قد تجاوز السابعة عشرة من عمره.

قرفص "يان" بجانب الصبية، وربط منديله بقوة فوق الجرح.

- علينا نقلها بسرعة إلى المشفى، وإلا سيصفى دمها. قال له "يان".

نهض الشاب الذي تمعن في وجه "يان" غير واثق من كلامه.

- أين أقرب مشفى؟ سأله "يان" الذي بدأ له الصبي غير متفهم لما يريد شرحه

له.

فجأة أخرج الصبي مسدساً من تحت زناره.

- أنت روسي، لقد كشفتك لكنتك، صرخ به الصبي.

- لست روسياً، إنني تشيكوسلوفاكي ولقد نزلت للتو من ذلك القطار. سأريك

أوراقى الثبوتية.

أدخل "يان" يده ببطء في جيب معطفه وأخرج جواز سفره، ثم وضعه أمام أنف الصبي. استغل اللحظة التي كان فيها الصبي يتفحص الصورة وجرده من سلاحه. أمسكه من يديه وثبتهما خلف ظهره وقال له:

- لا تخف، لست روسياً، كل ما في الأمر أنني لا أريد منك أن تصوب مسدسك

نحوي. دفعه إلى الأمام ثم رفع المسدس. حين وضعه في جيب سرواله قال:

- أعرف بالتأكيد استخدامه أفضل منك. إنه سلاح تشيكوسلوفاكي وقد

استخدمته في "حيفا".

نظر الصبي في وجه "يان" دون أن يفهم ما قاله.

- هل ننقل الصبية، - سأله "يان" وأضاف: ليس لدينا متسع من الوقت.

كان القتال على أشده في "كوروت"، وهذا ما جعلهما يستخدمان طرقاً متعرجة أخرى للوصول إلى المشفى. وضعوا الصبية مباشرة في مدخل المشفى الذي سادته جو لا يصدق من الفوضى. كان الجرحى في كل مكان وبينهم الموتى أيضاً، وكان الأطباء والممرضات يصرخون أحدهم على الآخر وهذا ما جعل "يان" يشعر أنهم جميعهم يصعدون ويهبطون دون أن يفعل أحد منهم شيئاً نافعاً. لم يعرفوا لمن يسلموا الصبية. أمسك "يان" برقبة أحد الأطباء المارين بالقرب منه وطلب منه أن يهتم بالصبية الجريحة التي تنزف من شريانها الفخذي ثم سأله بعد ذلك عن اسمه. أجابه هذا مرتعباً. قال له "يان" بعد ذلك، إذا لم يتدبر الطبيب أمر تلك الفتاة فإنهم سيأتون لرميه بالرصاص. أوماً بعد ذلك لشريكه الشاب وغادرا معاً.

تذكر "يان" أن "دوريكا" أخت "جبرائيل" تعيش في بودابست، ولكن عنوانها لم يكن بحوزته كما لم يتذكر اسم عائلة زوجها، ولكن هذا الأمر ليس ضرورياً الآن لا سيما أن الوقت غير مناسب للزيارة. لقد اشتم "يان" رائحة حرب أراد الانخراط فيها.

شعر بالرغم من أنه لم يكن يملك الوقت للتفكير بما حدث، أن الروس قد هاجموه شخصياً. لقد جاؤوا إلى المجر لحماية أناس على شاكلة رجل أمنه السري، ومحاكمي السيد "بيلاي"، ومراقب السجن "هارساني" أو من أمثال مدير مدرسة "ماريا". بإمكانه الآن هنا محاربة هؤلاء جميعاً.

- رافقني إلى أية قيادة، قال "يان" للصبي.

لم يكن الصبي الذي تعرف عليه "يان" في المحطة واسمه "جيولا" على اتصال بأي مجموعة كبيرة من الثوار. لقد شكل مع زملائه في الثانوية في الأيام الأولى من الثورة خلية ركزت اهتمامها على تحطيم جميع رموز الشيوعية. كانوا هناك حين قامت الحشود بإسقاط تمثال "ستالين" الموجود في الحديقة العامة، وهم أيضاً من خلع في المدرسة جميع الملصقات الجدارية ذات الشعارات القديمة، وهم أيضاً من أحرق الصور وكسر التماثيل النصفية لكبار القادة الشيوعيين. لقد كان المهندس الذي أخذه "يان" من "جيولا" سلاحهم الوحيد، وكانوا قد عثروا عليه بالقرب من جندي دبابات سوفيتي قتل في التاسع والعشرين من تشرين الأول، ولم تُطلق منه رصاصة واحدة منذ ذلك التاريخ.

رافقه "جيولا" إلى زملائه الذين كانوا في غالبيتهم من سكان منطقة "ناجي ميزو" و"الأوبرا". اتخذوا مركزاً أساسياً لهم في قبو إحدى عمارات "لوفاك اوتستا". حين عرف الصبية أن بينهم أجنبياً شعروا بالفرح لوجود متطوعين أجانب يشاركونهم في ثورتهم.

- جندي أجنبي: صرخ بفرح "تشابا" Caba الفتى الأشقر الذي كان في الخامسة عشرة من عمره.

كانت أصوات الانفجارات تسمع من كل حذب وصوب، إضافة إلى ضجيج محركات الدبابات، ونباح الساموبالات.

أصبح "يان" أو بشكل أدق "يانوش" بالمجرية قائداً لمجموعة الأولاد الكبار الذين يفيضون بالعزيمة والشجاعة بالرغم من أنهم عُزل من السلاح، بل ودون تدريب، ولكنه لم يهتم بذلك. إن خوفه الطويل وكرهه المكبوت للنظام الشيوعي تبدل في قرار صلب. كان مليئاً بمزيج من الكره والقوة.

قَسَم "يانوش" طلابه إلى مجموعتين. أرسل المجموعة الأولى لتأمين أنبوب مطاطي، والثانية لإحضار الصابون، والخشب وقدر، وزجاجات وخرق قماشية من البيوت المجاورة. كان عليه تأمين البنزين من الصيدليات أو من السيارات باستخدام الأنايب.

لقد تمكن "يانوش" حسب التعليمات التي سمعها قبل مدة من الرفيقة الألمانية، تصنيع مايقارب المئة زجاجة حارقة خلال عدة ساعات - بالضبط كما ذكرت - لحاجة الثوار في قتال المدن.

- يعيش في تشيكوسلوفاكيا التشيك والسلوفاك. من أيهما أنت؟ سأله فجأة وبشكل غير متوقع المدعو "بال".

أحس "يانوش" أنهم لا زالوا يشكون في ولائه ويعتقدون أنه جاسوس روسي.

- أعيش منذ الحرب في سلوفاكيا، - رد عليه.

- لا، وكيف يكون سلوفاكياً غيباً، إنه سلوفاكي ذكي قال "بال" بفرح.

أراد الفتيان الخروج في الحال من "كوروت" ليجابهوا الدبابات السوفيتية ولكن "يانوش" أخبرهم أن عليهم رمي الزجاجات المشتعلة من نوافذ البيوت، لذا عليهم في البداية الوصول إلى بيوت الطابق الأول أو الثاني. والتركيز أثناء رمي الزجاجات على القسم الأخير من الدبابة حيث يوجد خزان الوقود.

تمكنت مجموعة "يانوش" من تحطيم دابتين وسيارة نقل ومن ثم إغلاق الطريق، مما أعاق مرور دبابات سوفيتية أخرى.

أول قتيل في مجموعة "يانوش" كان الفتى "تشابا" الذي نسي بعد رميه الزجاجاة الحارقة أن يخبئ. كان يتطلع بشغف إلى الدبابة وهي تحترق. بدأ حاملو الساموبالات السوفيت الذين كانوا يواكبون الدبابة بإطلاق الأعيرة النارية مباشرة على النافذة مما تسبب في قتل الفتى. قتلت دبابة بعد ساعة تقريباً فتاتين في الغرفة بعد أن أطلقت عليهما عيارات نارية، وثلاثة قُتلت بعد انفجار الزجاجاة في يدها.

قُتل عند الفجر في اليوم التالي أحد أفراد المجموعة الذي حصده قنبلة روسية أثناء عبورهم للطريق. هرب أثناء ذلك طلاب الثانوية في جميع الاتجاهات، واختبؤوا في مداخل البيوت وتحت السيارات وزحفوا إلى القنوات.

فجأة انتشر الجنود الروس في كل مكان.

- علينا أن نهرب يا "جيولا" صرخ "يانوش" على الفتى الذي رافقه منذ البداية، وقد وجدا أنفسهما وحيدان من جديد.

اقتاده "جيولا" عبر رواقات وممرات خلفية، التقيا في إحدى الأماكن مجموعة من الثوار، وبقيا معهم حتى حلول المساء.

- علينا يا "جيولا" أن نخبئ، - همس "يانوش" في أذن الفتى حين كان يستريحان في أحد البيوت التي احتلها الثوار. تمنع الفتى في وجهه بلاء واضح.

- إن هذه الانتفاضة مهزومة، - تابع "يانوش" بصوت منخفض، - علينا الهرب.

- حسناً، سنعبّر النهر وسأوصلك إلى "بودأورش"، حيث يوجد هناك طريق يوصل إلى تشيكوسلوفاكيا وآخر إلى النمسا. يمكنك هناك الاختيار، إما العروس أو الحرية.

ودع أحدهما الآخر خلف المدينة. أزداد "جيولا" العودة إلى Csepel حيث كان الثوار لا يزالون يدافعون. سلمه "يانوش" المسدس:  
- بقيت فيه طلقة واحدة.

- إنها تكفي، - رد عليه "جيولا".

تابع "يان" طريقه وحيداً. اجتاز حدود النمسا في السابع من تشرين الثاني.

حتى إن "جبرائيل" غير مكان إقامته، ولكن هذا التغيير لم يكن مأساوياً كما هو الحال مع "يان". انتقل في يوم السبت، الأول من سبتمبر - أيلول من "تاترانسكي

لومنتسي" إلى "براتيسلافا" وهو بالتحديد اليوم الذي كان من المفروض أن يحضر فيه حفل زواج "ماريا"، و"يان".

لقد وجد وظيفة في إدارة مصحح إتحاد نقابات العمال بوصفه مراسلاً لشؤون سياحة العمال، كانت نافذة مكتبه تطل على البناء الجديد لحديقة الثقافة والراحة الموجود على شاطئ المرفأ. كان شديد الاعتزاز بتلك الوظيفة لا سيما أنه تمكن من الحصول عليها بإمكاناته الذاتية دون مساعدة من "بتر".

كان الوضع أسوأ فيما يتعلق بالسكن لأنه تقاسم غرفة صغيرة مخصصة للعازين مع عامل بناء من "روجنيا في" الذي كان ثلماً طوال الوقت، ولكن أصله المجري كان مفيداً لـ "جبرائيل" الذي تمكن معه من تقوية لغته المجرية التي لم يعد يستعملها سوى مرة في السنة حين يكون في زيارة عائلة "زونا في" في "لفتسي". كانت مراسلاته مع أخته الموجودة في بودابست تتم باللغة السلوفاكية لأن "دوريكا" كانت ترغب في المحافظة على سلوفاكيته التي تعلمتها في المدرسة.

كان "جبرائيل" يسافر كل يوم ثلاثة أرباع الساعة كي يصل إلى عمله مستخدماً الحافلة الكهربائية في البداية، وبعد ذلك الباص.

ذهب "جبرائيل" في إحدى أمسيات الجمعة الباردة لزيارة عائلة "بيلا في" في "لفتسي". لم يحضر "يان" حتى ذلك الوقت. كانت "ماريا" مشوشة الذهن، ووالداها مكرويين.

كان قدم والدة "ماريا" حسب تقرير الأطباء في أحسن حال، ولكنها مع ذلك كانت تجد صعوبة في الوقوف، وتقضي معظم أيامها جالسة على الكرسي وقدمها فوق طاولة صغيرة، في حين كان السيد "بيلا في" قد تخرج منذ مدة قصيرة من المشفى وعليه العودة إلى هناك من جديد بعد أيام، بسبب البروستات.

- هل معك صحف اليوم يا "جبرائيل"؟ سأله السيد "بيلا في".

- معي يومية "البرافدا".

- وماذا يكتبون عن المجر؟

- هناك مقال بعنوان "انتهت ثورة تشرين الأول الصغيرة المضادة للاشتراكية"،

هل تريدني أن أقرأه لك؟

- أتمنى ألا يكون "بتر" قد كتبه.... اشتكى السيد "بيلا في".

- لا، لحسن الحظ.

وضعت "ماريا" على الطاولة طبقاً كبيراً.

- اتركوا السياسة ودعونا نتناول طعام العشاء.

بعد ثانية سُمع طرق على الباب. ظن الحاضرون أن "يان" قد عاد أخيراً. هرعَت "ماريا" باتجاه الباب بينما جلس "جبرائيل" ووالداها مشدودين في المطبخ وهما ينصتون إلى كل صوت آت من المعبر.

- هل أنت "ماريا بلايوفا"؟

- نعم.

- احضري بطاقة هويتك وتعال معنا.

- إلى أين؟

- لا تخافي، لحظات وسوف تعودين إلى البيت. إننا بحاجة إلى سؤالك في موضوع ما.

- هل لديكم أخبار عن.... "يان بيزك"؟ سألتهم.

- لا نعرف شيئاً. كل ما علينا هو اصطحابك. رافقيننا من فضلك... أحضري معك

المعطف لأنك ستعودين إلى البيت سيراً على الأقدام.

قفزت السيدة "بلايوفا" من المقعد. كانت دائماً حين تنتصب على قدمها المريض

تتاوه بصوت منخفض من الأم.

- انتظروا، - صرخت حين سمعت صوت إغلاق الباب. - انتظروا، ابنتي حامل....

## حادثة عام 1957

- عليك أيتها الأم أن تدوني اسم الأب، لا لشيء، من أجل النفقة فحسب، - قالت الممرضة.
- سيكون بلا فائدة، إنه في مكان بعيد، ولا يعرف أن له طفلاً، - ردت عليها "ماريا".
- تمت الولادة في الثالث من أيار، وأطلقت "ماريا" على مولودتها اسم "كاترينا".
- كان قسم التوليد في الطابق الثاني، وفي طابق أعلى في قسم الأمراض الداخلية توفي السيد "بيلاي". كان يشكو من تشنج شديد في أطرافه السفلية التي اسود جلدتها وكان يشكو أيضاً من العطش الشديد. كانت كليته مصابته بتعطل مزمن.
- حين أخبرته زوجته أن حفيدته تزن أكثر من أربعة كيلو غرامات، قال إنه لن يموت قبل أن يرى حفيدته. كانت السيدة "بلايوفا" تتعثر متنقلة بين قسمي المشفى. كان نوعاً من الترحال في وقت واحد - بين الحياة التي بدأت، والحياة التي انتهت.
- لهذا السبب، ولكي يتخلص بشكل مؤكد من المريض الذي كان بدلاً من الإيمان بإمكانات الطب يسخر منها، نادى طبيب السيد "بيلاي" زميله في قسم التوليد وطلب منه أن تُحضر الممرضة الطفلة "كاترينكا" بالرغم من أن ذلك يخالف الأنظمة، إلى الغرفة رقم 9 في قسم الأمراض الداخلية.
- إنها حقيقة رائعة الجمال، أو ربما يخونني نظري؟ سأل السيد "بيلاي" زوجته.
- إنها رائعة، - تنهدت السيدة "بلايوفا".
- إنها قوية، وصحيحة الجسم، - أكدت الممرضة، - يمكنكما أن تكونا سعيدين.
- وأما السيد "بيلاي" برأسه ثم أغلق عينيه المتعبتين.
- انتظري، - همس السيد "بيلاي" حين همت زوجته بالخروج برفقة الممرضة.
- إنني أسمعك، - أحنت السيدة "بلايوفا" رأسها فوق زوجها.
- ابقني بالقرب مني.
- إنني معك.



- يجب على "ماريا" أن تغادر "لفتسي"، لن يتركوكم وشأنكم... سوف يهتم بكم "بتر" و"جبرائيل". لقد أنقذنا حياتهما، وهما بلا شك سيساعدان حفيدي.  
 أخرجوا "ماريا" من المشفى بعد يوم واحد كي تتمكن من المشاركة في جنازة والدها. حتى إنها لم تجد الوقت لتشتري ثياباً سوداء، وبصعوبة كبيرة تمكن الثوب الذي استعارته ووالدتها من جارتها من احتواء ثدييها المكتنزين بالحليب.  
 كانت جنازة غير عادية. شارك فيها بالإضافة إلى "بتر" و"جبرائيل" رجال متقدمون في السن. أحجم الشباب عن المشاركة كي لا يتعرضوا إلى المساءلة لأن السيد "بيلاي" كان سجيناً سياسياً وقد أنجبت ابنته طفلة من رجل استغل اضطرابات العام السابق في المجر واختفى في مكان ما في الغرب، ولم يبق من أثره سوى حقيبة مملأى ببياضات وسخة في القطار الدولي، وطفلة أمضت وقتها نائمة في جنازة جدها داخل عربة أطفال مشبوكة حسب أحدث مواصفات الموضة، كان "بتر" و"جبرائيل" قد أحضرها من "براتيسلافا".  
 حين عادا في سيارة "بتر" من نوع "سبارتاك" من الجنازة إلى "براتيسلافا" قال "جبرائيل":

- الطفل بحاجة إلى أب، والمرأة إلى رجل. أفضل حل هو عودة "يان".  
 - هل جئنت؟ نهره "بتر". - سيعتقلونه في الحال، ومع ذلك سوف يحاكمونه غيابياً.

تمعن جبرائيل في وجه "بتر":  
 - ستجري محاكمة؟  
 - بالطبع، وسوف يطلبوننا بوصفنا شاهدين. سيكون عليّ تحضيرك كي لا تقول أشياء غبية، - قال له "بتر".

تطلع "جبرائيل" من النافذة إلى جزيرة القمح التي مرا بالقرب منها.  
 - أخبرتني السيدة "بلايوففا" عن رغبتها في الانتقال إلى "براتيسلافا"، وحسب زعمها يمكننا التأثير على "ماريا" وجعلها توافقي، - أضاف بعد لحظة.  
 - لقد أخبرتني برغبتها أيضاً، - أوماً "بتر" برأسه.  
 - هل تفهم ما يحدث؟  
 - لا، - اعترف "بتر" وأضاف، - هل انتبهت إلى ثديي "ماريا"؟  
 - أرجوك، إنها تُرضع.  
 - أعرف. ومع ذلك...

صمتا. هبط الليل من حولهما. ظن "بتر" أن صديقه نائم، ولكن "جبرائيل" انتفض فجأة وقال:

- هل تعتقد أنها لا تزال تحب "يان"؟

- وأنت ما رأيك؟

- ربما تحقد عليه لأنه تركها.

- لم أسأل عن ذلك.

- وعن ماذا سألت؟

- هل ما زلت تحب "ماريا"؟

- أنا؟ وهل هذا مهم؟ وماذا عنك؟

- لا أعرف.

- الطفل بحاجة إلى أب، والمرأة إلى رجل، كما سبق وأخبرتكم.

- هذه الإشكالية لا يمكن حلها إلا عن طريق سباق الأول من سبتمبر. - أنهى

"جبرائيل" كلامه وضحك كلاهما.

بدا صباح يوم الأحد الواقع في الأول من سبتمبر في "لفتسي" ماطراً وعاصفاً، ولكنه في حوالي العاشرة قبل الظهرية بدأ بالتحسن، إذ انقشعت الغيوم فجأة وتبدل الطقس إلى صحو وحرار عند الظهرية. ذهبت "ماريا" مع "جبرائيل" ورافقتهما السيدة "بلايوفا" إلى الكنيسة لحضور قداس التاسعة والنصف في حين كان "بتر" أثناء ذلك يدفع عربة الطفلة.

ذهب "بتر" بعد الظهرية برفقة "جبرائيل" إلى المسبح.

- هل يعقل أننا سنتمكن بالرغم من كل ما حدث من إجراء سباق في الأول من

سبتمبر؟ فكر "جبرائيل" بينه وبين نفسه.

وقفوا على طرف حوض السباحة.

- لا تنس، نحن اثنان، - نبهه "بتر". استعداد، انتباه، الآن!

سقط الاثنان في حوض السباحة بين العديد من أهالي "لفتسي" الذين كانوا يلعبون في الحوض وراحا يسبحان بعزيمة قوية. أوسع لهما الجميع مكاناً للسباحة وقد بدت عليهم علامات الخوف.

كان السباق في البداية متعادلاً، ولكن لياقة "جبرائيل" بدت أفضل في القسم الثاني من حوض السباحة، وقبل عدة أمتار من النهاية كان الفرق بينهما واضحاً أكثر، ولكن "جبرائيل" لم يستفد من تقدمه لأنه اصطدم برجل مسن.

- هل أنت أعمى؟ صرخ به الرجل وهو يمسك جبينه في المكان الذي أصابته فيه يد "جبرائيل".

- سامحني أرجوك.

حين خرجا من حوض السباحة، ألقى "جبرائيل" نظرة أخرى على الرجل الذي اصطدم به، وكان لا يزال في حوض السباحة. لقد أنه بقبضة يده. لاحظ "بتر" ذلك أيضاً وقال وهو يكشر:

- سباق فاشل آخر.

مدا البطانية في طرف المسبح. تطلع "بتر" من حوله ليتأكد من عدم وجود أحد قريب منهما، وبدأ الحديث:

- إنهم مهتمون بشكل كبير بتلك المحاكمة حتى أنهم استدعوا خبيراً سوفيتياً.

- مرة أخرى؟ استغرب "جبرائيل".

- إن "يان" متهم بالخيانة وبالتهجس، والتحقيقات الجارية حتى الآن لم تدحض فرضية علاقته بإحدى المجموعات الكبيرة.

- لدُبري، سيكون شيئاً شبيهاً بمحاكمة "سلانسكي". دَوْر "جبرائيل" رأسه.

- هذا ما أريد قوله! أكد "بتر". ولكن تلك الحيلة الخطرة أصبحت الآن قريبة من رأسينا. تكفي كلمة واحدة غير مدروسة لينزلق الحبل تحت الرقبة، لهذا علينا التأكيد أن "يان" كان صديقنا في مرحلة الطفولة فحسب، ونادراً ما كنا نلتقيه في السنوات الأخيرة، ولكن في ذات الوقت لا يمكننا إنكار لقائه بشكل قاطع.. تعرف، إن الشرطة السرية كانت مهتمة بـ "يان"، ولهذا فإن اتصاله معنا لابد أن يكون مسجلاً عندهم. علينا أن نؤكد أنه كان يشعرنا بإخلاصه للاشتراكية ولعضويته في الحزب.

- ماذا تقول؟ كان "يان" عضواً في الحزب؟ استغرب "جبرائيل".

- كما ترى.. تابع، حقيقة هناك أشياء لا تعرفها عنه. حين سيسألونك إذا كان قد ذكر أمامك شيئاً عن أفكاره السياسية، عليك القول أنكما كنتما تتحدثان بشكل أساسي عن الماضي. عن المدرسة، وعن زملائكما السابقين، و... الخ. لم يتفوه أمامك ولو مرة واحدة بكلمة تشير إلى عزمه الهروب من تشيكوسلوفاكيا. علينا إقناعهم أنه لم يخطط للهروب، وأنه استغل أوضاع بودابست، ولو كان خطط للهروب فإن سؤالاً منطقياً سيطرح نفسه: مع من خطط؟ هل تفهم؟

أوماً "جبرائيل" برأسه.

- عليك أن تتحدث مع "ماريا" أيضاً، وتخبرها كيف تتصرف.

- لقد تحدثت معها، لقد تمكنت من الحصول على أدق تفاصيل التحقيق. إن شهادة صاحبة بيت "يان" كانت في صالح "ماريا"، لأنها أفادت أثناء التحقيق معها أن "يان" كان يصطحب معه العديد من النساء إلى البيت.

- يا لها من شهادة، - دور "جبرائيل" رأسه.

- إذا كان "يان" يخون "ماريا" فمن المنطقي أنه لم يخبرها بمخططاته الخفية. من الممكن أنه بفعلته تلك يتهرب من الزواج.

أجاب "بتر" على أسئلة رئيس المحكمة والنائب العام دون طول تفكير. كرر مراراً أنه يستغرب هروب "يان"، لكن هذا لا يعني أن ظنه قد خاب لأنه نادراً ما كان يلتقي زميله في الدراسة. حين أجاب على السؤال الأخير، طلب منه فرصة أخرى للكلام. سحب من جيبه بطاقة كان قد تسلمتها عائلته من "نيويورك"، وعلى الرغم من أن التوقيع عليها بحرف "ي" إلا أن "بتر" أكد أن تلك البطاقة يجب أن تنضم إلى المستندات، لأنها يمكن أن توضح مكان إقامة "يان بيزك" الحالية، وأنهى كلامه بالقول إن هروب "يان" قد أثر فيه بشكل شخصي، لأنه بالإضافة إلى خيانتة الوطن، خان الشعب الذي كان يعتبره قبل سنوات صديقاً له. شكره رئيس المحكمة على مرافحته.

بدأ "جبرائيل" شهادته بنفس الروح مثل "بتر"، ولكنه ما لبث أن تأتا و ارتبك. لقد أفلقه وجه رجل كان يجلس في الصف الأخير بين الحاضرين. كان هذا الرجل يثبت نظراته على "جبرائيل" الذي لم يتذكر من أين يعرفه. لقد أخرجه هذا الأمر عن طوره. حين سأل القاضي "جبرائيل" إذا كان قد تبادل الرأي مع "يان" حول الأوضاع السياسية، ارتبك بشكل كبير وأصبح عصبياً، وفي محاولة منه لتحسين صورة "يان" قال إنه حين كان يشك في بعض الأحيان بصحة توجهات تشيكوسلوفاكيا، كان "يان" في حقيقة الأمر من يشرح له الوضع وخطة الحزب السياسية. سأل رئيس المحكمة في الحال عن نوع الأسئلة التي كان "جبرائيل" يشك بصحتها في خطة الحزب. لم يعرف "جبرائيل" ماذا يرد. لم يكن قد حَضَّر نفسه للإجابة على مثل هذه الأسئلة. سألته بعد ذلك وكيل النيابة عن نوع العمل الذي يقوم به والده في إسرائيل، وعماً إذا كان "يان" على اتصال معه. أجابه "جبرائيل" بأنه ما من اتصال بينهما، وأنكر بشكل قاطع أي علاقة. في نهاية الشهادة تحدث "جبرائيل"

عن "يان بيزك" ونعته بـ "هونزيك". بعد الانتهاء من شهادة "جبرائيل" أعلن رئيس المحكمة عن استراحة.

هرع "جبرائيل" إلى المغسلة. لأنه أحس بطعم الدم في فمه من جديد، وكان عليه أن يغسله. حين رفع رأسه عن صنوبر الماء أوشك على فقد توازنه. كان رجل يقف عند إحدى المغاسل وهو ذات الرجل الذي كان يثبت عليه نظره في قاعة المحاكمة. تذكر "جبرائيل" في تلك اللحظة من يكون ذلك الرجل. إنه "ميخائيل"، قائد مجموعة "سمرش" الذي ساعده في بداية عام 1945 على الإمساك بالفاشيست في بودابست، وهم الذين كانوا في غالبيتهم من ضباط القيصر و"ايسترانتيسي".

- لا داعي للخوف، قال له "ميخائيل" بالتشيكية ولكن بلكنة روسية، - لقد أنقذت حياتي في بودابست وسوف أنقذ حياتك الآن. سأسوي الدين بالرغم من أنك هربت منا في النهاية.

بلع "جبرائيل" ريقه.

فُتح باب غرفة التغليف ودخل "بتر". ربت "ميخائيل" على كتف "جبرائيل" وغادر.

- لقد كان المستشار السوفيتي، - همس "بتر" حين أصبحا وحيدين. - أيها الأبله ما هذا الذي قلته؟ إنهم سيسجنونك.

حكّم على "يان" غيابياً بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاماً بتهمة التجسس ومغادرة الجمهورية بطريقة غير شرعية. لقد جاء في الحكم أنه كان على اتصال مباشر بمراكز أجنبية، وبالتحديد مع السي. آي. إي. لم يكن في تشيكوسلوفاكيا عضواً في جماعة منظمة ولم يكن له شركاء.

مضى وقت طويل على وجود "يان" في أمريكا ولكنه لم يتصل بأصدقائه. منع نفسه في الأشهر الأولى التي أحس فيها بالشوق إلى أصدقائه، وإلى "ماريا" من الكتابة. لقد راودتهم حوله العديد من المخاوف والشكوك، خاف من كتابة أحاسيسه على الورق ظناً منه أن وضعه سيسوء. خاف أيضاً من توريث الإنسان الذي سيكتب إليه مع الشرطة السرية، وأكثر ما خافه هو ماذا سيكتب إلى "ماريا". هل يتوجب عليه إنهاء العلاقة بشكل فج؟ هل عليه أن يرجوها كي تسامحه على فعلته؟ هل عليه أن يشير إليها أنه يرى المستقبل معها، وأنه يبحث عن الوسيلة التي تمكنها من الهجاء إليه؟ هل تريد العيش في أمريكا؟ وهل تريد العيش معه؟ الشيء المحير هو وجود نساء من مختلف الأعراق في أمريكا ولكن "يان" حتى ذلك

الوقت لم يجد واحدة يمكنه إنشاء علاقة قصيرة معها. تحدث الشباب مرة عن النساء في المطعم الذي يعمل فيه "يان". أخبرهم في حينها أنه مارس الجنس للمرة الأخيرة في إحدى ثكنات رومانيا مع ضابطة في الجيش السوفيتي. ضحك الجميع من هذه النكتة. بإمكانه أن يكتب في الرسالة بكل راحة أنه مخلص لـ "ماريا".

بالرغم من ذلك فقد أرسل أول بطاقة بعد مضي ثلاثة أرباع السنة إلى والدي "بتر". كانا متقاعدين وكانت مراسلاتهما مع فارٌّ من الوطن لا تؤذيها. طلب "بتر" من والديه عدم الرد على رسائل "يان"، ولكن السيد "روناني" انتقد بشدة حجج ولده، وبدا له من العمق عدم الكتابة إذا كان ذلك غير مرغوب سياسياً. لقد كتب في رسالته الموجهة إلى "يان" أنه لا يرغب أن يكتب له، لأنه لا يوافق بأي شكل من الأشكال على تصرفه مع "ماريا". لم يكتب السيد "روناني" أن "ماريا" قد رزقت بطفلة لاعتقاده أن "يان" كان يعرف بحملها قبل مغادرته. إلا أن السيد "روناني" مع ذلك لم يرغب في قطع العلاقة مع "يان" بشكل نهائي، لهذا السبب كتب له في نهاية رسالته عنوان أخت "جبرائيل" في بودابست.

كان رئيس "يان" المباشر في مركز أبحاث كيمياء التغذية الأول التابع للجيش التشيكوسلوفاكي ومركزه في ترنشين منذ آب عام 1951 يدعى "أوجستين بريولوجني"، وكان في حينها برتبة ملازم أول، وتمت ترقيته بعد ذلك إلى رتبة كابتن، ومن المفروض أن يرفع إلى رتبة ميجر في نهاية عام 1956، ولكن خيانة "يان" حالت دون ترقيته، وتسببت في خسارته ثقة مرؤوسيه في الجيش وفي قيادة الحزب.

شكلت الأبحاث العسكرية في الحقيقة جبهة للحرب الباردة. كان الباحثون في مراويلهم البيضاء يقفون يوماً بعد يوم في مواجهة الباحثين أصحاب المراويل البيضاء العاملين في مخابر الجيش الأمريكي وجيوش بلدان حلف شمال الأطلسي. كانت الحرب بالنسبة لعلماء المركز الأول لأبحاث كيمياء التغذية التابع للجيش التشيكوسلوفاكي لا ترحم، بالرغم من أنهم كانوا يطلقون عليها اسماً رياضياً هو: "سباق التسلح". إذا نجح العدو الغربي في هذا السباق سوف تتحول الحرب الباردة في الحال إلى حرب ساخنة، وفي تلك الأوضاع السياسية الخارجية العصبية من البديهي أن يتحمل القائد المسؤولية الكاملة عن خيانة من يعملون تحت إمرته. كان الحزب يعاقب دائماً بعدل وبشكل مباشر. ثم توقيف ترفيع رئيس "بيزك" المباشر، وتمت معاقبته حزبياً، إذ توجب عليه بمناسبة الذكرى العاشرة للانتصار الطبقة العاملة في شباط أن يقوم بتحضير المعجنات.

كانت المهمة الأساسية لمركز الأبحاث هي تحضير وصفة لإنتاج خلاصة البيض المقلي، وتطويل مدة صلاحية الفاصوليا المعقمة ولحم الخنزير. لقد كان للمركز قسم محروس وخاص في معمل تغليب "ترنشانسكي" حيث يقومون هناك بتربية الدواجن والمواشي، إضافة إلى مسلخ حديث على مستوى رفيع من الأناقة، ومخازن صغيرة، ومجففات خضار، وخزانات مختلفة الأحجام للطهي. وافق المسؤولون في صيف عام 1952 على اقتراح الكابتن "بريلوجني" وقاموا لغرض الأبحاث بتجهيز خط إنتاج لتعبئة الكونسروة.

جميع المأكولات التي تجرى عليها الأبحاث في المركز الأول لبحوث الكيمياء والتغذية التابع للجيش التشيكوسلوفاكي كانت مخصصة للجنود. إن مهمة تأمين خلطة لزجة من اللحم المعلب على الخبز جاءت بمنزلة عقاب لخيانة "يان بيزك" وهروبه إلى الغرب. كانت تلك المهمة الجديدة عند مجموعة العمل من أصعب المهمات إذ توجب عليهم التفكير بشكل يختلف تماماً عن السابق. أثناء تحضيرهم وصفة بودرة البيض المقلي أو تمديدهم مدة صلاحية الفاصولياء المعقمة ولحم الخنزير، لم يكن من الضروري التركيز على طعم الأكل. إن الجندي يأكل كي لا يشعر بالجوع ولكي تزداد قوته. يحتاج إلى ملء معدته والحصول على كمية كافية من الدهون والبروتين. إن خليط اللحم للزج المعلب كان يُحضر للمدنيين، وللعمال في المعامل، وللبنائين العاملين في المجمعات الاشتراكية، وللمزارعين في الجمعيات التعاونية الفلاحية، وللأمهات الشابات وأولادهن، وللطلاب. كل هؤلاء يهمهم طعم الأكل، وهذا ما شكّل عند المركز الأول لأبحاث كيمياء التغذية مشكلة أساسية جديدة.

كانت ضابط الصف "مارجينكا" المتحدرة من "برجتسلاف" بمثابة اليد اليمنى للكابتن "بريلوجني"، وهي أيضاً تنتسب إلى الجيل الجديد الذي رحب بالتغيرات التي حصلت بعد انتصار شباط - فبراير. لقد أمضى الكابتن مع ضابط الصف أمسيات وليالي في قراءة "رأس المال" لماركس، ومؤلف لينين "الدولة والثورة"، ولكن أكثر ما تأثر به كان كتاب "إنجلز" أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة. كانا يمارسان الجنس بشغف كبير بعد قراءتهما لكل صفحة كما أنهما بعد كل وصول إلى التشوة كانا يجلسان من جديد ويتابعان قراءة مؤلف "إنجلز".

أكثر ما أثار اهتمامهما كان الفصل الذي يتحدث عن زوال دور العائلة والزواج في الشيوعية، وهذا الطرح جعلهما يصابان بخيبة أمل بسبب الحشمة المفرطة التي سيطرت على الوطن وعلى الحزب الشيوعي بعد انتصار الثورة. كانا يؤمنان أن

المجتمعات في جميع بلدان العالم بعد عشر سنوات سوف تنتهي من موضوع العائلة وموضوع الملكية الخاصة والدولة، إذا قام الحزب الشيوعي برفد الثورة بكمية أكبر من الإثارة والجنس.

لقد كان "بريلوجني" و"مارجنكا" يتصوران أن الشيوعية هي عريضة عمال مع فلاحات، وفلاحين مع عاملات. كانا مسحورين وفي ريعان شبابهما. لقد سحرهما جسدهما الفتيان اللذان كانت ثور فيهما الهرمونات تماماً كما يحدث في الثورة التي تعظم الرأسمالية وسيادة الاستعمار في جميع أنحاء العالم. كانت وتيرة تحريضهما الجنسي تزداد كلما كشرت الرأسمالية الأمريكية والنااتو عن أنيابهما. كان الجنس عندهما بادرة ثورية.

لم يخفيا موقفهما في البداية، حتى إن الكابتن "بريلوجني" في نهاية الأمر أثار مناقشة حول هذا الموضوع في أحد الاجتماعات الحزبية. قال في هذا السياق إن تأميم معامل البرجوازيين لا يكفي، ومن الضروري تأمين زواجهم وبناتهم، وحين استشهد بمقولة "أنجلز" أثار موجة من الضحك، وبعثوه بالرجل الجنسي "إيروتومان". كان أمام الحزب مهة الانتهاء من التحريف البرجوازي القومي والتروتسكي والإسرائيلي، والتيتوي، والتحريف الاشتراكي الديمقراطي، وقد وشكل "بريلوجني" أحد مظاهر تحريف التحريف.

لقد جرّب "بريلوجني" مع "مارجنكا" طريقة التأثير غير الرسمي. كانا يدعوان الشباب والشابات أعضاء الحزب من المعامل لزيارتهم. يفتحان لهم زجاجات النبيذ إضافة إلى موسيقى المذياع، وفي الوقت الذي كان فيه "بريلوجني" مع "مارجنكا" منغمسين في طقوس ما قبل المضاجعة، يكون ضيوفهما قد ثملوا، وفي مرات أخرى كان الضيوف يشعرون بالخوف لا سيما حين تتم دعوتهم إلى ممارسة الجنس الجماعي، أو يعتقدون بأنهم وقعوا ضحية مزحة.

لقد تحقق الجماع الجنسي الجماعي عدة مرات، وتوجب على "بريلوجني" الاعتراف بأنه لم يتمتع برؤية منظر "مارجنكا" - التي أعطت إنساناً آخر حتى ولو كان عضواً في الحزب الشيوعي - ما أراده هو أن يبقى له وحدد. الحب هو ألد أعداء الملكية الجماعية. الحب يعني امتلاك الشخص الآخر بكامله دون حواجز. بهذا الشكل عبرت "مارجنكا" التي بادلتها ذات الشعور.

توقف "بريلوجني" و"مارجنكا" في وقت متزامن مع موت "جوزيف فيساريونوفتش ستالين" عن دعوة أناس آخرين لمشاهدة مداعباتهم الجنسية. انفراداً في تذوق سعادتهما معاً. حين كان أحدهم يقول إن عليهما أن يتزوجا كانا يردان بأنهما يزدريان الزواج والعائلة. الحب بحاجة إلى الجنس وليس إلى تصريح رسمي.



كان الكابتن "بريلوجني" يملك في منتصف الخمسينيات كل شيء. حُب "مارجنكا"، الحساء الشبقة، وعملاً هاماً لعلاقته بإنتاج وصفة بودرة البيض المقلي، وتطويل مدة صلاحية الفاصوليا ولحم الخنزير، وفجأة نزلت عليه خيانة "بيزك" كالصاعقة من سماء صافية. لقد فر إلى الغرب ومعه وصفة بودرة البيض المقلي.

بدأت مباشرة في المعهد العلمي الأول لكيمياء التغذية التابع للجيش التشيكوسلوفاكي (في حينها الجيش الشعبي)، حملة مراقبة وتفتيش واسعتين. لقد حضرت عناصر من مكافحة التجسس، ومن قيادة المنطقة، ومن منظمة الحزب، وأخيراً وليس آخراً من المستشارين السوفييت.

تسبب هروب "بيزك" بمعاقبة "بريلوجني" حزياً، وهذا ما جعله يعاني الأمرين، لا سيما أنه حتى ذلك الوقت كان يظن أنه أكثر ثورية من أي عضو آخر في الحزب الذين - في غالبيتهم - لم يقرؤوا "إنجلز". وفجأة أصبح الأسوأ. إنه معاقب. لم يكتشف الخائن، بل وأكثر من ذلك، إذ سمح له بنقل معلومات هامة عن بودرة البيض المقلي إلى العدو. كان سليماً معافى. اكتشفوا أنه يشكو من مشكلات لها علاقة بالانتصاب.

يبدو من المنطقي في تلك الأوضاع الأخذ بعين الاعتبار مبادرة "مارجنكا" التي كان خيالها بلا حدود، فمثلاً قامت في إحدى الأوضاع الغرامية بالتبول في أذن "بريلوجني"، وتوصلا بذلك إلى اكتشاف لافت للنظر؛ السائل الساخن الذي يحتوي على حمض يمكنه إذابة سدادة شمع الأذن، وفي مرات أخرى كانت "مارجنكا" تسعدُ رئيسها بارتدائها جلد خنزير مذبوح للتو.

كانا في تلك الأوقات يمشيان يوم الأحد في مكان العمل. عاشا في جو دافئ توفر فيه الطعام والشراب، وبذلك تحولا إلى ذكر وأنثى يعيشان فصل تزواج حقيقي (كما يحدث مع الحيوانات)، ووفاء كامل للحب، حتى إنهما لم ينسيا العقاب الحزبي ومهمتهما المشتركة - إنتاج "باستا" لحم بنكهة لذيدة لعمال تشيكوسلوفاكيا. لقد قامت "مارجنكا" بتحضير خلطة من لحم العجل والحيوانات المنوية. كان طعمها لذيذاً جداً، ولكن من الصعب تصور هذه الوصفة في الإنتاج الاستهلاكي.

لقد علمتُ مارجنكا حبيبها "بريلوجني" شرب النبيذ الطازج، ولكنها بعد مدة خلطته مع بضع قطرات من دم الخنزير، وبعد ذلك بوقت قصير أضافت إليه قطرات من دمه. كانت في أحيان أخرى تطحن لحم عجل مذبوح للتو وتضيف إليه الفليفلة والبهار مع البقدونس المجفف وتقدمه له ساخناً على ثدييها. كان

"بريلوجني" يلتهم تلك الكمية بشراهة تشبه شراهة رجل لم يأكل منذ أسبوع، ولم يمارس الجنس منذ سنة. كان حبهما قد وصل إلى أعلى المراتب. لقد فرغا قلبيهما الملحدين من جميع الأحاسيس الغيبية وملاهما بالحب المتبادل. لقد مارسا الحب وأرادا أن يصبح أحدهما الآخر. انصهرا في جسد واحد، ويمكن القول إنهما أرادا أن يكونا إنساناً واحداً، يخترق أحدهما شريكه ويدخل مباشرة في جسده.

كان من المفروض حضور الرفاق من لجنة الحزب المنطقية لتذوق الـ "باستا" الجديدة المحضرة لجمهور واسع من الطبقة العاملة في نهاية العام. اتصلوا هاتفياً في الثامن والعشرين من آب وأعلنوا أنهم سيحضرون في الثاني من أيلول وسيحضر معهم الرفيق الرئيس "زابوتوتوسي" الذي سيتوقف في ذلك اليوم في "ترنشين" خلال رحلته إلى سلوفاكيا.

كان لدى "بريلوجني" وصفة جاهزة من خلطة لحم الخنزير المالح مع البصل والبهار، وكان من المفروض بأي إنسان أقل منه خبرة أن يسعد من هذه الوصفة، ولكن "بريلوجني" و"مارجنكا" لم يكونا سعيدين. أرادا أكثر من ذلك ولذلك أجريا تجاربهما حتى الإعياء.

يوم الجمعة، التاسع والعشرين من آب، أرسل "بريلوجني" جميع العاملين إلى منازلهم في حوالي الثانية كي يتمكن مع "مارجنكا" من متابعة التحضير دون تشويش. بقياً من جديد في العمل خلال الليل. كانت عريضة عمل، فرغا فيها كل طاقتيهما في وصفة انصهار جسديهما.

لقد عاشا النشوة مرات ومرات. عض أحدهما الآخر، خرمش أحدهما الآخر، قرص أحدهما الآخر. لقد غطت الزرقة والجروح جسديهما. لقد تناولت "مارجنكا" دم "بريلوجني"، وفعل هو الآخر ذات الشيء، وبذلك أصبح أحدهما الآخر. انصهرا في كائن واحد معبأ بالحب والشهوة.

- أحبك، حتى إني أتمنى أكلك، أيها الرفيق الكابتن، تنهدت "مارجنكا" وهي في حضن "بريلوجني".

- "مارجنكو"، "ماينكو" وأنا أيضاً أحبك وأتمنى أكلك، - تنهد "بريلوجني".

- كُلتني يا حبيبي، الرفيق الكابتن، - صرخت "مارجنكا" أثناء وصولها إلى الذروة.

- سأكلك، نعم، سأكلك يا "مارجنكا"، "مايكا"، "ما ينكا" يا ضابط الصف، -

صرخ هو.

قضم، وعلك. كان فمه مليئاً باللحم. استلذ بطعمها.

- يا حبيبي "مارجنكا"، "مايكا"، "ماينكو"، - تنهد "بريلوجني".

تمكنا في مساء السبت، اليوم الأخير من اب من تحضير وصفة كاملة. فبالإضافة إلى خلطة لحم الخنزير المملح، والبصل والبهار كانا بحاجة إلى طعم لحم آخر. لقد تمكنا من اكتشافه. قامت بطهي خلطة الوصفة الجديدة في أكبر "حلة"، وبذلك أنتجت حتى مساء الأحد عدة عشرات من معلبات اللحم التي تزن كل واحدة منها مئة غرام.

قامت عناصر الأمن في اليوم التالي بحملة تفتيش للمخبر قبل زيارة الرئيس. حضر الرفيق الرئيس "أنطونين زابوتوتسكي" برفقة أمين فرع حزب المنطقة حوالي الظهر. قام الكابتن "بريلوجني" بتقديم شرح مفصل، وقدم بعد ذلك لكل عضو في المرافقة علبه كونسروة من "باستا" اللحم، ومن اللحظة التي وضعوا فيها أول قطعة في أفواههم، توسعت عيونهم واحمرت وجوههم.

- جيد! قال الرئيس بعد أول لقمة.

- ممتاز! صرخ بعد اللقمة الثانية.

- رائع! تنهد بعد اللقمة الثالثة.

- أفضل من ال باستا - السوفيتية، - همس بين اللقمة الرابعة والخامسة.

ساد سكون وهدهوء، ولم يسمع بعد ذلك سوى صوت التلمظ، انتهوا من الأكل.

- وما اسم الأكلة؟ وجه الرئيس سؤاله إلى "بريلوجني".

- هم.... يمكن القول - تريث "بريلوجني"، - إنه "مارجنكا" أو بشكل أدق

"مايكا".

- إذاً كونسروة "مايكا" مثل زميلتك الجميلة أليس كذلك؟

هز أمين فرع المحافظة للحزب رأسه وسأل: ولكن أين هي؟ لم أرها اليوم.

- إنها في مكان ما هنا، أشار "بريلوجني" بيده دون تحديد. كانت المعلبات

الجديدة مصففة في كل مكان.

لقد أخذ الرئيس معه إلى "براغ" ما زاد من المعلبات وكان عددها واحداً وسبعين مباشرة إلى قصر الرئاسة (هرادتشياني)، كان يأكل في كل يوم واحدة. لقد أصبحت عنده مصدر القوة وحامل الحياة ومنحته الطاقة الفيزيائية والنفسية. انتهى مخزونه منها في العشرين من تشرين الثاني. توفي الرئيس "أنطونين زابوتوتسكي" في الثلاثين من تشرين الثاني عام 1957 حسب ما ذكرته وكالة الصحافة التشيكوسلوفاكية.

استطاع "جبرائيل" أن يخلص نفسه من المساءلة بسبب هروب "يان"، ولكن الوضع كان أسوأ مع "بتر" الذي توجب عليه تقديم استقالة من جريدة "البرافدا" لأنه، حسب ما جاء على لسان رئيس التحرير "ماركو"، لا يمكن للإنسان العمل في جريدة الحزب وهو من السذاجة بحيث لا يمكنه كشف نوايا صديقه التخريبية.

ومهما كان الأمر، فما نوع الأصدقاء الذين يتعامل "بتر" معهم! لم يكن هناك داع للجدل كون الأمر بدأ واضحاً لـ "بتر". إن رئيس التحرير يتصرف حسب ما يهلي عليه الآخر، وهذا الآخر هو بالتأكيد الشرطة السرية. ما يهم في الأمر هو أن رئيس التحرير لم يدون ذلك في محضر تقييم العناصر الذي ذهب مع "بتر" إلى مكان عمله الجديد. لقد كتب هناك: إن صاحب العلاقة إنسان متفان في عمله ويعمل بنشاط على ترسيخ الأسس الحزبية في الصحافة الاشتراكية.

لقد أصبح "بتر" محرراً في الجريدة المصورة الأسبوعية "عالم الاشتراكية" التي تصدرها في براتيسلافا جمعية الصداقة التشيكوسلوفاكية السوفيتية. توجب على "بتر" إعادة البيت ذي الغرفة الواحدة إلى جريدة "البرافدا"، ولكنه بالمقابل حصل على بيت من غرفتين في عمله الجديد. لقد عرضه عليه رئيس تحرير "عالم الاشتراكية" وكأنه من أملاكه الخاصة.

أساس راتبه كان مماثلاً لما كان يتسلمه في "البرافدا". توقف هنا عن تأليف الشعارات لصالح اللجنة المركزية التي كان يتقاضى عليها تعويضات مجزية، ولكن بوصفه محرراً في "عالم الاشتراكية" كان يسافر على الدوام ويتقاضى بدل سفر وهذا كان بمنزلة تعويض لما فقده.

كانت "ماريا" مع طفلتها في البيت حين علمت من صديقتها التي جاءت لزيارتها في البيت أن مدير المدرسة قد تحدث أثناء اجتماع لجنة المعلمين عن تصويره للمدرس الجديد وكيف عليه أن يتحلى باليقظة في المدرسة وفي حياته الشخصية. إنه من غير الجائز أن تقوم مدرسة، رفيقة مدرسة، بالرغم من أنها عانس وكبيرة في السن بإنجاب طفل من جاسوس يعمل لصالح بلد أجنبي كما حدث مع زميلتنا التي هي الآن في إجازة أمومة. أمسك المدير رأسه وراح يسأل مستمعيه من الأساتذة عن الطريقة التي عليه أن يتصرف بها إزاء ذلك الحدث.

حين حضر "بتر" في وقت لاحق إلى "لفتسي"، رجته "ماريا" أن يساعدهم في تبديل البيت والانتقال إلى "براتيسلافا". أمضى "بتر" ثلاثة أشهر حتى تمكن من العثور على عائلة تريد الانتقال من "براتيسلافا" إلى "لفتسي". لقد عرضت عائلة "بيلاي" شقة بغرفتين مقابل غرفة واحدة في "براتيسلافا". قال "بتر" لـ "ماريا" إن عليهم الموافقة على التبديل، لأن المهم في الأمر هو الوصول إلى "براتيسلافا"، انتقلوا بين عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة.

## حادثة عام 1958

بعد خريف حار وجاف عام 1957، جاء شتاء جاف ودافئ، إذ أشار ميزان الحرارة في النصف الثاني من كانون الثاني إلى ثماني عشرة درجة مئوية. كانت تجري في حينها بطولة أوروبا في التزلج على الجليد في "براتيسلافا". حصل "بتر" من هيئة تحرير المجلة على بطاقتين لليوم الثالث والرابع من البطولة. تابع مع "ماريا" مسابقة الزوجي الرياضي، وزوجي الرقص على الجليد. عاشت "ماريا" سنة كاملة تصارع الخوف في البداية على خطيبتها وبعد ذلك من استجواب الأمن، إضافة إلى حزنها الشديد على والدها وفوق كل هذا وذاك توجب عليها رعاية والدتها المريضة والاعتناء بـ "كاترينكا" الصغيرة. لقد تمتعت كثيراً بالحركات الرياضية الجميلة وبالألوان والأصواء والموسيقى. حين خرجا من الملعب تعلقت بـ "بتر" من شدة فرحها ولتعب في ذات الوقت عن شكرها الكبير.

كان "جبرائيل" في تلك الأثناء يحرس الصغيرة "كاترينكا" في حين عانت السيدة "بلايوفا" من ألم في قدمها وكان عليها أن تدخل المشفى من جديد.

حين رافق "بتر" صديقه "جبرائيل" في المساء إلى بيته في "براتيسلافا" تحدثا عن طفلة "ماريا". كان "جبرائيل" سعيداً من حراسته لـ "كاترينكا"، وشعر بالفرح من رؤية طفلة ممتلئة وردية اللون أثناء نومها وفمها الصغير مفتوح على مصراعيه، ويدها ممدودتان محاذاة رأسها.

- حين تبتمس لي كنت أشعر بسعادة تجعل الدمع يتفجر من عيني. اعترف "جبرائيل".

أصغى "بتر" إلى كلامه وابتسم متنازلاً وقال بعد ذلك:

- الخطأ الوحيد الذي يقلل من جمال "كاترينكا" هو أنها ابنة "يان".
- هل يزعجك كونها ابنة هارب من الوطن؟ فاجأه "جبرائيل" بالسؤال.
- وكيف يزعجني، إن ما يزعجني هو أنها ليست ابنتي.
- لا يمكنك فعل أي شيء بهذا الشأن...

- هذا ما أظنه، وهو واضح لي.

- ربما سأبدو لك ساذجاً، ولكنني مستعد للزواج من "ماريا" في الحال، وأفضل أن تكون معنا "كاترينكا" على ألا تكون. أفصح "جبرائيل" عن شعوره.

- لطالما أحسست أنك إنسان ساذج، - أكد له "بتر".

- كما ترى، ومع ذلك أشعر أي نضجت. لقد وصلت إلى عمر المسيح، وأشعر بحاجة ماسة إلى أن أكون أباً. - دافع "جبرائيل" عن رأيه.

حين تأكد من أن كلماته لم تؤثر في "بتر"، أضاف بعد قليل:

- كان من المفروض أن يكون بيتهم أكبر.

- أرجو ألا يعتريك الخوف لأني لن أطيل إقامتي عندهم، - وعده "بتر".

الحقيقة أن السيدة "بلايوفاف" و"ماريا" و"كاترينكا" لم يسكنوا طويلاً في بيت الغرفة الواحدة لأن "بتر" تقدم بطلب - يكوي القلب - كي يحصلوا على بيت حكومي من ثلاث غرف، وأرفقه بالبيانات اللازمة. أولها كان تقرير طبيب الأمراض العظمية الذي يتحدث عن حالة السيدة "بلايوفاف" الصحية السيئة وعن تحدد حركتها، والتقرير الثاني كان من طبيب الأطفال الذي أكد ظهور أعراض أولية عن الإصابة بمرض الربو الخطير عند الطفلة "كاترينكا بلايوفاف" ذات السبعة شهور. لقد حصل "بتر" على تلك التقارير من الطبيب الذي كان في بعض الأحيان يجالسه أثناء شرب النبيذ مقابل زجاجة فودكا روسية. حين سَلِمَ الطبيب "بتر" التقارير لم ينس التنويه بأن الطفلة صحيحة الجسم مثل خشب الزان، الوثيقة الثالثة المُقدمة مع الطلب كانت تقريراً مفصلاً عن التفاني والنتائج الباهرة لعمل الرفيقة المدرسة "ماريا بلايوفاف" الذي كتبه مدير مدرسة "يوراي ديميتروف" ذات الثمانية صفوف. لقد كتب "بتر" ريبورتاجاً عن المدرسة وبالتحديد عن مدير المدرسة في مجلة "عالم الاشتراكية" مع صورتين فوتوغرافيتين. حصلت "ماريا" على بيان الخدمة الرفيع هذا بعد شهر من عملها في المدرسة، وهذا يدل على أنها كانت في الحقيقة مدرسة ذات مواهب رفيعة.

كان على عائلة "بلايوفاف" الانتقال إلى بيت مؤلف من ثلاث غرف في الأبنية الجديدة من شارع "بارتشكا" بعد العشرين من سبتمبر - أيلول، وبالرغم من أن البناء لم يُسَلَمَ بشكل نهائي، تمكن "بتر" من الحصول على استثناء وبذلك سمحوا لهم بالانتقال في الأول من سبتمبر - أيلول.

كان هذا الاثنيين مهماً حتى بالنسبة إلى الصغيرة "كاترينكا" لأنه كان اليوم الأول لانتسابها إلى روضة الأطفال. انتهت عطلة "ماريا" ولم تكن السيدة "بلايوا" في حالة صحية تسمح لها العناية بطفلة صغيرة. لقد أظهرت "كاترينكا" حتى في روضة الأطفال إمكاناتها - بكت بأعلى صوت وأطول مدة من جميع الأطفال.

الأول من سبتمبر - أيلول كان يوماً هاماً في حياة "يان". كان "إيان بيزك" قد رتب مقابلة مع إدارة مصنع "طوني" المتخصص في تحضير المعلبات والأطعمة المجففة. أبدى صاحب المعمل اهتماماً أولياً بدغم إنتاج البيض المقلي المجفف. كانت شركة "طوني" تملك معملاً في مكان ما من ولاية "كنتاكي" و"أوريجون" ولكن مكاتب الإدارة كانت في "مانهاتن" في الطابق الخامس عشر من بناء شاهق بني فاتح اللون، في "أفتو أوف ذا أمريكانس" وهذا وحده يعتبر مؤشراً على النجاح والصدقية.

تطلب العثور على مكاتب الشركة من "إيان" بعضاً من الوقت حتى إنه وصل متأخراً بضع دقائق.

- سيداتي سادتي - بدأ حديثه.

- فقط سادة، ليس من سيدات، - ضحك مدير التسويق.

- لسوء الحظ، - أضاف مدير المبيعات.

- السادة، - بدأ "إيان" من جديد وبدأ صوته يتقطع.

لقد حفظ المقدمة حتى وقت متأخر من المساء عن ظهر قلب. بدأ شرح فوائد البيض المجفف. سهولة تعليبه، وخفة وزنه، وهذا يُساعد في نقله بشكل جيد. يأخذ حيزاً صغيراً مما يسهل عملية تخزينه ويؤدي إلى زيادة مناعته ضد تبدلات الحرارة والباكتريا. هنا قاطعه المدير العام حين قال إن كل هذا معروف لهم وبفضله تزدهر أعمالهم سنوات طويلة. طلب من مستر "بيزك" أن يدخل مباشرة في صلب الحديث عن البيض المجفف المقلي.

- حسناً، أعود إلى الحديث عن البيض المقلي المجفف - تنهد "إيان".

بعد الانتهاء من المقدمة جاء دور التذوق. طلب "إيان" وعاء يحتوي على ماء مغلي. حين أحضرته السكرتيرة، راح يُدوّب فيه محتوى الظرف الذي أحضره، منبهاً المديرين في ذات الوقت إلى أن يفكروا أثناء وضعه في الاستهلاك بنوع البهار الذي

٤٠. إيان بيزك: كلمة يان تغدو في الإنكليزية إيان. م.

يمكن أن يحسن من النكهة، لأن ما عرضه عليهم لا يعتبر المنتج النهائي بل هو نموذج أولي.

تذوق المدير العام ملعقة من المنتج بينما تناول مدير التسويق ملعقتين، والبقية ثلاث ملاعق، وبعضهم أربعا. أدرك "إيان" أن الأمر لن يؤدي إلى نتيجة بالرغم من أنهم أكدوا له في نهاية المقابلة أن إدارة مؤسسة "طوني" سوف تدرس منتجه بشكل جدي. وضع بطاقته على الطاولة واستأذنه بالخروج.

المطعم التشيكوسلوفاكي "فاشاتا" حيث كان "إيان" - أو في تلك الظروف "هونزا" يعمل نادلاً، يقع في 339 شارع إيست 75. لقد عمل "هونزا" هناك ما يقارب السنة والنصف، وكانوا قد قبلوه في العمل بعد عدة أيام من مجيئه إلى نيويورك. كانت الدروع الخشبية التي كتب عليها: فليمح الرب السعادة والهدوء لأصحاب الإرادة الحسنة "إضافة إلى صحنون السراميك المعلقة على الجدران، وبيرة "بلزن" وكندليك" مع الملفوف الحامض وشرحة لحم الخنزير؛ كانت: كلها مجتمعة توظف عند المهاجرين التشيك والسلوفاك على حد سواء، شعوراً بأنهم بين أهلهم، في الواحة التي تشكل قطعة من وطنهم القديم.

تسلم "هونزا" عملاً جيداً، ولم تشكل له لكنته السلوفاكية وقلة معرفته بالانكليزية مشكلات تذكر، بل أعطت المطعم جواً أوروبياً. كان أكله بالملجان، وإضافة إلى ذلك كان يحصل في يوم السبت والأحد على زجاجة جعة تشيكية. الشيء الوحيد الذي أقلق عاملي المطعم كان خوفهم من الجواسيس التشيكوسلوفاك. لقد رأوهم في كل موظف جديد وفي كل زبون غير معروف. كانوا حذرين فيما بينهم من الحديث عن الأقارب الذين لا يزالون خلف الستار الحديدي.

لم يتأخر "هونزا" خلال فترة عمله ولو مرة واحدة، ولهذا حين جاء في ذلك اليوم متأخراً خمس عشر دقيقة، استغرب السيد "فرانتيشك فاشاتا" ولكنه لم يجد أي ضرورة لتنبئه "هونزا".

أصبح "هونزا" بسبب فشله مع مؤسسة "طوني" عصبي المزاج، وحدث أنه أخطأ في طلبية أحد الزبائن وكسر صحناً في نهاية الدوام، ولكن لحسن حظه حدث ذلك في المطبخ، وبالرغم من أنه لم يكن متأكداً بالطبع من قرار مدير شركة "طوني" إلا أنه اعتبر مقابلته الصباحية بمنزلة أول فشل له منذ مجيئه إلى أمريكا.

1. كندليك: عجينة مطبوخة على البخار. وهي أكلة شعبية تشيكية مع الملفوف والحامض واللحم. م.



سارت الأمور يسر حتى ذلك الوقت. حصل على عمل في المطعم لأنه أراد العمل في المواد الغذائية، ووجد في الحال غرفة بأجر مقبول، كما عرض عليه "رودو" - مساعد الطباخ في المطعم - بعد وقت قصير مرافقته ليعملا في تبديل الفلتر وشبكة المكيفات في ناطحات سحاب "مانهاتن". كانا يعملان طوال الليل ثلاث مرات في الأسبوع. لم يعرف "هونزا" ولم يهتم على الإطلاق بالمبلغ الذي كان يتقاضاه "رودو" لقاء هذا العمل، المهم في الأمر أن "رودو" كان يوصله مع إشراقة الصباح إلى البيت ويعطيه مباشرة في السيارة الورقة النقدية التي يستحقها لقاء عمله الليلي في ناطحات السحاب.

لم يتذكر "إيان" أثناء المقابلة الكلمات الأساسية الانكليزية بالرغم من أنه كتب كل ما يريد قوله. أسوأ ما في الأمر هو أن طعم بيضه المقلي المجفف لم ينل إعجاب أحد من الحاضرين. لقد قرأ ذلك في وجوههم. تجهم الوجوه أثناء المضغ، وإغلاق العيون أثناء البلع.

فعل ما بوسعه خلال شهر. زار السوبر ماركت وبحث عن المكونات الأمريكية للعديد من المواد الغذائية، واشترى المواد الأساسية بأسعار باهظة إضافة إلى المنكهات من مخازن متخصصة. لقد تحولت الغرفة التي يسكنها إلى مخبر مؤقت للمواد الغذائية، حتى إنه تورط في مشادة كلامية مع صاحب المنزل الذي خاف من حدوث حريق أو انفجار. ربما كان كل ذلك بلا جدوى. إن إنتاج بيض مقلي مجفف بطعم جيد يعتبر من المستحيلات.

اليوم المشهود لم يتوج بالنجاح. أقلقك تلك الفكرة "هونزا" طوال المساء، حتى إن نكات "رودو" لم تفرحه. تمدد وقتاً طويلاً على السرير وثبت نظره على السقف. دخن ثلاث علب سجائر "مالبورو" والتي لم يتمكن من تعودها بسهولة في الأشهر الأولى من حضوره إلى أمريكا بسبب تدخينه السابق لسجائر "دتفا" السلوفاكية. لقد شعر في البداية أنها خفيفة وتليق بالسيدات.

غفا مع عبور ضوء الصباح لشقوق نافذته الخشبية. أيقظه في الثامنة والنصف رنين جرس الهاتف. ظن "هونزا" أن الأمر مجرد خطأ لأن المتكلم في الطرف الثاني من الخط طلب التحدث مع شخص يدعى "بايسيك". تطلب الأمر من "إيان" عدة لحظات كي يفهم أن ذلك إكماناً آخر من إكمانات لفظ كنيته عند الأمريكيان. الهاتف كان من "جيمس ولسون" مدير المبيعات في مؤسسة "طوني". أخبره أن

مقابلة الأمس لم تكن الأفضل بالنسبة إلى "إيان"، ولكن لديه رغبة خاصة في تفعيل هذا العمل مع مستر "بايسيك". يمكن البدء بالعمل الثنائي. (ولسون بلوس بيزك بايسيك).

- فانتازيا، - صرخ "إيان" في السماعه، وكرر تلك الكلمة مرات ومرات بعد انتهاء المكالمه.

جلس إلى الطاولة، وسحب قلماً وورقة ومغلفاً من الجارور، وبدأ الكتابة. ووقع "يان" بالسولوفاكية من جديد.

تبادل "يان" الرسائل مع "جبرائيل" فحسب، ولكنه لم يوجه رسائله إليه بشكل مباشر بل عبر "دوريكا" إلى بودابست. وضعت أخت "جبرائيل" الرسالة في مغلف كتبت عليه عنوان أخيها وأرسلته إليه. الجواب كان أيضاً يتم بذات الطريقة.

كان "جبرائيل" في رسالته الأولى في غاية الحذر، ولم يذكر عن قصد أي أسماء وبالذات لم يخبره بولادة "كاترينكا" الصغيرة. حين سأل "ماريا" في وقت لاحق عما إذا كانت تريد أن يعرف "يان" بولادة طفلته في الوطن، أجابته بأنها لا ترغب في ذلك إطلاقاً. كان "يان" في كل رسالة يطلب من "جبرائيل" أن يكتب له عن جميع معارفه. بالتأكيد كان يقصد "ماريا" بالدرجة الأولى، ولكنه لم يرغب في كتابة اسمها خوفاً من وقوع الرسالة في أيادي الشرطة السرية. تهرب "جبرائيل" كثيراً من الجواب. أهم موضوع كتبه لصديقه كان يتعلق بالحالة الصحية للسيدة "بلايوبا" التي كان يشير إليها في الرسالة بالسيدة العجوز وكان في كل شهر يكتب تشخيصاً جديداً لمرضها أو يكتب عن تدهور التظاهرات المرضية عندها. كان عنده دائماً ما يكتب عنه.

كان "جبرائيل" أثناء كتابته الرسائل يشعر بشيء يشبه الخجل. إذا عرفت "ماريا" أي شيء عن تلك المراسلات فإنها سوف تعتبر ذلك خيانة، وإذا عرف "يان" أنه أخفى عنه ولادة طفلته فإن ذلك سيكون خيانة أيضاً. لم يكن بوسعها التحدث عن ذلك الأمر مع "بتر" الذي أصبح بعد طرده من العمل في جريدة البرافدا لا يريد معرفة أي شيء عن الفار، الخائن "يان"، وليس بسبب الخوف فحسب، بل لأنه أصبح يكره "يان" حقاً في تلك الآونة. اتهمه بأنه تسبب في مشكلات لجميع من حوله في الوطن، وهذا أمر لا شك فيه. ربما لا يكون "يان" بهروبته قد خان تشيكوسلوفاكيا، ولكنه بالتأكيد خان "ماريا"، وخان "بتر" و"جبرائيل" أيضاً.

حصل "بتر" في الأول من سبتمبر - أيلول على مواد تفيده في كتابة ريبورتاج آخر. هذه المرة عن طرق الزراعة الاشتراكية الحديثة. لقد فازت الجمعية التعاونية الفلاحية في "بشي" في مسابقة تربية دودة القز. لأنها زودت المعمل بـ 250 كيلو غراماً من الشرائق المزروعة في زريبة جديدة كانت حتى ذلك الوقت فارغة. حصل أعضاء الجمعية إضافة إلى شهادة التقدير من المسؤول عن اقتصاد الزراعة والأحراج على مكافأة 2000 كورون تشيكوسلوفاكي.

## حادثة عام 1959

تقع إدارة مصحح اتحاد العمال على التلة القديمة فوق المرفأ. كان "جبرائيل" يستخدم الحافلة التي تتابع طريقها إلى "كارلوفي فسي" للوصول إلى العمل. كان يطل من نافذة مكتبه على السفن التي تتحرك في نهر الدانوب وعلى مدفنة اليهود القديمة. غالباً ما كان يسأل نفسه عما إذا كان سيدفن هناك. لم يزر السيناكوك (الكنيس) منذ سنوات، ولم يحتفل بالأعياد ولا يؤدي الفروض اليهودية. إنه في واقع الأمر لا يعرف أحداً من أبناء طائفته في سلوفاكيا. كان يشعر بيهوديته حين يسمع أحدهم يشتم اليهود فحسب.

كان "جبرائيل" يرافق كل يوم أحد "ماريا" إلى الكنيسة. إلى كنيسة القديس "مارتين" الكبيرة، إلى الثلاثة المقدسين، إلى كنيسة القديسة "أورشولا" أو إلى "اليسوعيين".

- إن هذا الشاب المصلوب يهودي، - كان يمزح مع "ماريا" في بعض الأوقات - وهل يوجد تمثال لأحد مواطنيك في تلك الكنيسة؟

لقد كان "جبرائيل" في الحقيقة يؤمن في ديانتته الخاصة التي كانت على مسافة واحدة من المسيح وموسى. لم يشك في يوم من الأيام في وجود ألوهية في مكان ما من السماء، هذا إذا لم تكن السماء ذاتها، معتقداً بإمكان بقاء الروح البشرية حتى بعد موت الجسم، ورداً على سؤال "ماريا" عما إذا كان يؤمن بوجود الرب، قال بصدق: نعم. كان يتصور أن كل طقس ديني يجسد الخالق البعيد العظيم ما هو إلا تكريس لطقوس وثنية، كما إن فكرة موافقته على العماد كما كانت "ماريا" تشير عليه أحياناً بدت له محض جنون.

- صدقيني، لو وافقت على تعميدي فإن ذلك سيشكل إهانة لكل ما تؤمنين به، - دافع عن فكرته.

كانت "ماريا" تنظر إلى كُفر "بتر" بالأديان بمزيج من الشفقة والتفهم، مدركة أن الصحفي في البلاد الاشتراكية ملزم بإخفاء دينه، وهي أيضاً بوصفها مُدرسة

عليها أن تفعل الشيء ذاته. لم تشك على الاطلاق أن "بتر" في ظروف مختلفة كان سيزور الكنيسة، وسيعترف، ويتناول أيضاً. لقد بدت لها ديانة "جبرائيل" في بعض الأحيان مضحكة وفي أحيان أخرى سخيفة، كما لو أنه استأثر بالرب لنفسه. لم يكن أحد غيره يفهم ما يفهمه. كان "جبرائيل" يقف خارج الكنائس بغض النظر عما إذا كان الشيوعيون أم غيرهم في الحكم.

ذهب "جبرائيل" مع "ماريا" في تلك السنة أيام السبت عدة مرات للرقص. كان "بتر" يحسده بصمت ولكنه هو ذاته نسي في تلك السنوات ما تعلمه بصعوبة أثناء شبابه.

تم نقل "جبرائيل" في صيف عام تسعة وخمسين إلى قسم السياحة الخاص بالعمال الأجانب، واتخذ هذا القرار نظراً لإتقانه المجرية والروسية والألمانية. كانت لديه معرفة بمبادئ الانكليزية ولكن هذه اللغة لم تكن مستعملة. كان "جبرائيل" يتذكر من العبرية قراءة اللوحات التي علمه إياها "يان" فحسب. كلمة "تفضل" تشبه كلمة "خذ، عصيدتك"، إلى اللقاء تشبه غداً خارجاً، وشكراً تشبه هو يعطيه. في كل الأحوال كانت العبرية لغة ممنوعة.

كان يراسل بوصفه موظفاً مسؤولاً عن سياحة العمال الأجانب بعض الموظفين المسؤولين عن السياحة في الدول الاشتراكية الصديقة، ويطلعهم على الأماكن التي تقدمها تشيكوسلوفاكيا أو بشكل أدق القسم السلوفاكي من تشيكوسلوفاكيا لتبادل السياح. كانت مهمة "جبرائيل" الاتصال بجمهورية ألمانيا الديمقراطية، وجمهورية المجر الشعبية، واتحاد الجمهوريات السوفيتية، وكان متوقفاً في المستقبل أن يصبح رئيس بعض المجموعات من السياح الأجانب في سلوفاكيا.

سافر "جبرائيل" يوم الثلاثاء، الأول من سبتمبر في مهمة رسمية إلى "بودابست" ليتفاوض مع الرفاق المجرين حول إمكان تبادل السياح بين اتحادات العمال. عرض عليهم "جبرائيل" عدة مصحات وبالتحديد مصحات جبال التاترا. كانت مهمته الحصول على إقامة للعمال التشيك والسلوفاك في المجر، وبالذات على شواطئ بحيرة "بلاتون" وفي العاصمة بودابست. الهدف الأساسي من رحلة "جبرائيل" لم يكن العمل بل أمراً شخصياً. لقد سبق واتفق منذ عدة شهور مع أخته "دورريكا" على لقاء والده الذي تمكن في نهاية الأمر من الحصول على فيزا لزيارة المجر، وبذلك تمكن من الطيران من إسرائيل.

حين عَلِمَ "بتر" أن "جبرائيل" سوف يسافر إلى بودابست في بداية سبتمبر، قام هو الآخر بتأمين رحلة عمل، إذ كان من ضمن خطة "عالم الاشتراكية" نشر ريبورتاج واسع عن أوضاع "بودابست" الحالية، بهدف التأكيد على أن الثورة المضادة في عام ستة وخمسين كانت حادثة صغيرة قامت بها فئات معزولة بهدف إيقاف عجلة بناء الاشتراكية في المجر. لقد رتب "بتر" الرحلة بطريقة يمكنه فيها السفر إلى "بودابست" مع "جبرائيل" والعودة أيضاً.

تحرك القطار ببطء من محطة "نوجاتي بايا أودفار" (المحطة الغربية). أطل كل من "جبرائيل" و"بتر" برأسيهما من نافذة المقصورة وراحا يلوحان لـ "دوريكا" وللسيد العجوز "روزنبرغ" اللذين وقفا على رصيف المحطة. جلس "جبرائيل" بعد أن غابت عن ناظريه آخر قطعة من بناء المحطة. سأله "بتر":

- كم مضى على لقائكما الأخير؟

- جاءت "دوريكا" لزيارتي في التاترا حين كنت مريضاً هناك، - فكر "جبرائيل" - في وقت ما من عام تسعة وأربعين أو الخمسين، ولكنني لم أر والدي منذ أحد عشر عاماً.

- وكيف حاله؟

- إنه مريض، يستعمل لقلبه أدوية قوية تسببت في تخريب كبده ومعدته، ومن أجل ذلك فهو بحاجة إلى أدوية لتسهيل عملية الهضم، وتلك أيضاً لها أعراض جانبية.... - لوح "جبرائيل" بيده من القرف.

- هل ما زلت تتذكر عمتي "أنا" التي جاءت إلينا أيام الحرب من "بانسكا شتافنتسي"؟

- بالطبع أتذكرها.

- إنها تبعث إليك بتحياتها الحارة. تقول إنها تتذكر على الدوام كيف رافقتها في ذلك الوقت إلى محطة القطار. أبي يسكن معها في تل أبيب في البيت الذي اشتراه لهما العم "أنطون". إنك لم تقابله. "أنطون" مليونير.... ثري، وهو بالضبط من النوع الأناني الذي يعطي العمال ذريعة للثورة. ضحك "بتر".

- حين كنا في فلسطين، - تابع "جبرائيل"، - تعرف عمي على "يان". لقد أخبرني والدي أن "يان" راسل عمي منذ مدة ليست بالبعيدة، وسأله عما إذا كان يريد توظيف أمواله في إنتاج المواد الغذائية في أمريكا.

- قبل سنة اخذت على "يان" هروبه، - فكر "بتر". - لقد غضبت من تصرفه وهربه في الوقت الذي بدا لنا فيه أن بناء الاشتراكية بدأ يأخذ المنحنى الصحيح. المؤتمر العشرون في "سايبوز" (يقصد الاتحاد السوفيتي)، الحقيقة عن ستالين...  
- وماذا عن اليوم؟ - قاطعه "جبرائيل".

- لا زلت بالتأكيد أؤمن بالأفكار الشيوعية، ولكنني أشك في طرق تحقيقها في بلادنا. لا شك أن السنوات العشر الماضية جلبت معها تحسناً في مستوى معيشة الناس البسطاء، لقد تخلصنا من الفقر...  
- ولكن؟ - قاطعه "جبرائيل" مرة ثانية.

- ولكننا نعيش في عالم خال من التفاؤل والسعادة... - كما لو أن "بتر" تشجع في كلماته. - كان عليه أن يرى النشوة الثورية في كوبا، تلك الثورة، والبطولة، والشجاعة... كنت هناك أسبوعاً فحسب ولكن رؤيتي للعالم تغيرت. إننا خاسرون إذا لم تقفز إلينا الشرارة من أمريكا اللاتينية أو من إفريقيا التي بدأت تتخلص من الاستعمار وهي تقود نضالاً من أجل التحرر والاستقلال. إن مهمتنا اليوم في الثورة العالمية تنحصر في إعطائهم السلاح فحسب... لا أعرف ما إذا كنت تفهمني.  
- لا أعرف، - أكد "جبرائيل".

- لقد تحدثت في "بودابست" مع أناس عاديين حول ما جرى في عام ستة وخمسين. بعضهم كان صريحاً. أخبروني كيف حكمت البلاد عدة أسابيع مجموعات من العمال... كانت فرصة...  
- وهل ستكتب ذلك في مقالتك؟ كشر "جبرائيل".

رفع "بتر" رمانتي كتفيه.  
- نخاف قول الحقيقة كما في عهد "ستالين". لا زالت تنقصنا حرية التعبير.  
- إنك بلا شك ثوري شريف، - قيّمه "جبرائيل".

قال "بتر" شيئاً غير مفهوم ثم صمت. تحدثنا قليلاً في ما تبقى من الطريق، وغاص كل منهما في أفكاره الخاصة.

أحس "جبرائيل" الآن بعد سنوات أثناء تمعنه في وجه والده كيف كان يفتقده. أمه الشعور بأن والده غالباً ما يعاني من المرض في مكان بعيد في الوقت الذي يتمتع هو بحياته. لقد شعر في نهاية الأمر بنوع من تأنيب الضمير حيال العائلات التي سقطت ضحية للحرب. كأن عائلة "روزنبرغ" لم تقدر بقاء ثلاثة منها على قيد الحياة بالرغم من هروب - الأب في إسرائيل، والابنة في المجر، والابن في تشيكوسلوفاكيا. كان عليهم أن يبقوا معاً ويفرحوا لكونهم معاً.

كانت لعبة خاصة تجري بين "بتر" و"جبرائيل". إذ كان واضحاً لكليهما أنهما يتصارعان على "ماريا"، ولكنهما أخفيا ذلك الشعور. حين عادا من "بودابست" كان المهتم هو من سيحضر معه هدايا أفضل. ليس المهتم غلاء سعرها، بل ضرورتها. أهدى "بتر" "ماريا" بزة زرقاء فاتحة جميلة مع طاقة حسب المواضع الرائجة، كما أحضر معه لـ "كاترينكا" لعبة صغيرة يمكنها تغيير نوعين من ثيابها. واشترى "جبرائيل" لـ "ماريا" معطفاً رمادياً وللطفلة دمية كبيرة تنوح باكية حين تحني ظهرها.

فوجئت "ماريا" بالهدايا، وشعرت بالحرج. لم تعرف ما إذا كان من الأدب قبول هذه الهدايا أم رفضها، لذا اقترحت أن تدفع ثمنها وهذا بالطبع لقي رفضاً من "بتر" ومن "جبرائيل" على حد سواء، ولكنها أشارت بالمقابل إلى أن المعطف يناسب البزة. حتى إن "كاترينكا" كانت سعيدة لأن الدمية الكبيرة من "جبرائيل" كانت تمثل الأم بالنسبة لدمية "بتر" الصغيرة. حين سألتها "جبرائيل" عن سبب بكاء الدمية - الأم وعدم بكاء الدمية الطفلة، أجابته، إن الطفلة سعيدة بوجود أمها، ولكن الأم حزينة لأنها بدون أب.

جرت لعبة خاصة بين "إيان" و"جيمس". كان واضحاً لكليهما أن تجارتهما المشتركة لا مستقبل لها. لم يكن مهماً عدم وجود رأس المال والمخير للبدء لأن جميع التجارب يجب أن تجري في منزل "إيان". أسوأ ما في الأمر كان غياب الثقة المتبادلة بينهما. حاول "جيمس" انتزاع وصفة البيض المقلي المجفف من "إيان" في حين كان "إيان" يحتال على أسماء الإضافات والمواد المنكهة التي كان يحضرها "جيمس" في بعض الأحيان كي يضيفها إلى الخلطة.

التقيا آخر مرة في عام تسعة وخمسين، حين أمسك "إيان" بـ "جيمس" متلبساً في تفتيش طاولة مكتبه. تشاحنا. قام "إيان" في اليوم التالي بوضع أهم أوراقه في خزانة البنك. لو حاول أحدهم السطو على أوراقه فلن يجد الشيء المهم، لأن "إيان" بات يحتفظ بكل شيء في رأسه مدركاً أنه أصبح قاب قوس أو أدنى من الحل.

بدأ طعام المنتجميل إلى التحسن كما تحسن قوامه أيضاً. أحضر "جيمس" في منتصف الصيف "كسانتم جوم". مادة لم يكن "إيان" يعرفها حين كان في تشيكوسلوفاكيا، وحتى في أمريكا لم يكن استعمالها مسموحاً به. أشار "جيمس" إلى أنه حصل عليها بطرق غير شرعية من أحد مختبرات الحكومة.

أثار اختراع "إيان" للبيض المقلي المجفف اهتمام "أنطون" عم "جبرائيل" الذي أراد عرضه على الجيش الإسرائيلي. حين تهاتفا، تحدثا عن الأوضاع المناسبة لطرح



الفكرة لا سيما وأن البلد في حالة حرب دائمة، وما إن تنتهي أزمة حتى تلوح في الأجواء بوادر أزمة جديدة. إن ميزانية الجيش مرتفعة جداً ولحسن الحظ لا يوجد أي مؤشر على تخفيضها في السنوات القريبة القادمة. الشيء الأصعب من وجهة نظر "إيان" هو تأمين الأموال اللازمة لتفعيل العملية التجارية. طلب "أنطون روزنبرغ" في البداية خمساً وستين بالمئة من الأرباح في حال تأمينه صفقة عبر معارفه في الجيش الإسرائيلي، وحين اتفقا بعد ذلك على المناصفة، أرسل "أنطون" العقد إلى "إيان" للتوقيع. حين طالبه "أنطون" بدفعة مسبقة لتغطية المصاريف العادية والرشاوى، أدرك "إيان" أن شريكه في التجارة لن يكون نافعاً.

التقى "جبرائيل" بعد عدة أيام من عودته من بودابست بـ "ماريا" وخرجوا سوية للرقص من جديد. رافقها في تلك الأمسية إلى "بار كريستال"، وهو المكان الذي دعاه إليه "يان" قبل عدة سنوات. حين تمشياً بعد ذلك في مساء "براتيسلافا" قال لها "جبرائيل" ببساطة:

- أشعر نحوك بشيء أكبر من الصداقة. تعرفين ذلك، أليس محققاً؟

- أعرف يا "جبرائيل"، - ردت عليه "ماريا" بهدوء، - ولكن ذلك ليس صواباً. إنني أم عازبة في الرابعة والثلاثين، وسوف تُخرب حياتك معي. دعنا نبقي أصدقاء إلى أن نتعرف على امرأة أصغر مني.

- بالطبع فتاة غير متزوجة وبدون أولاد، - أضافت وهي تضحك بصوت مرتفع حين وجدت "جبرائيل" صامتاً ومنزعجاً.

لم يستسلم "جبرائيل". ذهب للرقص مرة أخرى قبل أعياد الميلاد. حين كانا في طريق العودة إلى البيت، ضمها فجأة من خصرها وراح يقبلها تحت بوابة البيت. فعل ذلك بأسلوب ناعم غير متوقع، ما جعل "ماريا" تشعر بدوار في رأسها. استسلمت مندهشة تحت تأثير شجاعة "جبرائيل" وتهيجها الذاتي. مر ما يقارب الربع ساعة حتى تمكنت "ماريا" من تجميع قواها وعزمها كي تتخلص من بين يديه وتختفي خلف باب البيت.

توقفت "ماريا" منذ ذلك اليوم عن مرافقة "جبرائيل" إلى الرقص، ولكنهما استمرا في زيارة الكنيسة. لقد تشوشت أفكاره، وبالرغم من عدم معرفته السبب إلا أنه أحس بشيء من تأنيب الضمير، وليس اتجاه "بتر" فحسب، بل اتجاه "يان" أيضاً.

## حادثة عام 1960

كان "بتر" يجهز نفسه لزيارة عمل إلى كوريا وفيتنام حين زاره "جبرائيل" بشكل غير متوقع في الليلة التي سبقت الرحلة، وما إن التقط أنفاسه حتى أسرع يقول قال له بعد شهيق واحد إنه يجهز نفسه في أقرب وقت ليقترح الزواج على "ماريا". أحس "بتر" أن كل كلمة من اعترافه هذا قد حضرها مسبقاً، وهو الآن يلقيها كما يلقي الشاعر قصيدته. كما أنه وَقَّتَ زيارته بشكل يجعل من المستحيل على "بتر" أن يتحدث إلى "ماريا".

- ربما، رد عليه "بتر" بحذر، - عليك أن تفكر ملياً في الأمر. إن رعاية طفلة غريبة لن يكون أمراً سهلاً، وهو أمر يختلف كلياً عن مجرد اللعب عدة دقائق مرة في الأسبوع مع الطفلة "كاتكا".

- ولكن أرجوك، - لوح "جبرائيل" بيده وأضاف: إنك تعرف أن هذا أكثر ما أهتمنا.

- ربما لهذا السبب، لأنك لا تعرف ما ينتظر. نحن عازبان كبيران في السن وليس من حقنا التدخل في حياة عائلات من هذا النوع.

- ولم لا؟ - بدأ "جبرائيل" بالتراجع.

- هكذا، فرح "بتر" من تشوش تفكير "جبرائيل" وأضاف: خذ نصيحتي. يمكنك أن تنتظر بضعة أيام. ستسافر الآن إلى جبال التانرا أليس كذلك؟ يمكنك هناك أن تفكر ملياً في الأمر. ادرس الموضوع من كل جوانبه، وإذا وجدت بعد طول تفكير أن زواجك من "ماريا" أمر ضروري، يمكنك أن تقترح عليها ذلك. ضحك "جبرائيل".

- هل تعرف متى سأعود؟

- متى؟

- تاريخ رمزي، أكد "جبرائيل". - سأعود إلى "براتيسلافا" في يوم الخميس الأول

من سبتمبر!

- هل رأيت؟ اترك القرار إلى ذلك الوقت، - ضحك "بتر".

كان "بتر" سعيداً بسفرته إلى آسيا، وآمن بشكل لا يشوبه الشك بأنه سوف يرى هناك عملية بناء الاشتراكية الحقيقية. كان من المفروض أن تكون عودته إلى الوطن في الثامن من سبتمبر، ولكنه بسبب الظروف حاول أن يسوّي أموره لتصبح عودته قبل أسبوع من الموعد المقرر. كان أبعد تاريخ حدده للعودة الأول من سبتمبر. تمكن مِعجزة من تدبير أمور عودته إلى "براتيسلافا" أثناء فترة توقف الطائرة مدة ساعتين في موسكو بانتظار الطائرة التي ستقله إلى "بيونغ يانغ". كانت هناك أماكن فارغة على شركة "إيرفلوت" الروسية في الاتجاهين اللذين كان عليه السفر فيهما إلى "براتيسلافا" - من هانوي إلى موسكو ومن موسكو إلى "براتيسلافا". لم يكن "بتر" يتوقع ما سيقولونه في هيئة التحرير حين سيعرفون أنه قد قَصُر مدة إقامته في فيتنام أربعة أيام، ولكن الأساسي في الأمر أن يحضر معه المقالات اللازمة. لحسن الحظ قاموا في الطائرة بتوزيع نشرة مصورة مفصلة عن الدول الاشتراكية الموجودة في آسيا، وبمساعدهتها يمكن من كتابة العديد من المقالات والريورتاجات عن جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية، وعن جمهورية فيتنام الشعبية الديمقراطية. كانت مهمة "بتر" الأساسية التقاط صور جميلة.

أحبيك يا "يان"

مضى وقت طويل لم أسمع فيه أخبارك، أتمنى أن تكون على ما يرام. كثيراً ما أطلع في الصحف عن الجرائم التي تحدث في نيويورك. أتذكرك دائماً وأخاف من حدوث شيء لك.

إننا في وضع جيد حتى إن السيدة العجوز تشعر أنها أفضل من ذي قبل. تصور أنها تتمشى في "براتيسلافا" دون صعوبات تذكر، تصعد إلى الحافلة وتحمل المشتريات، بل إنها منذ وقت قصير صعدت فوق الطاولة كي تنزل الستائر التي تريد غسلها. م. تشعر بفرح كبير.

أكتب إليك هذه الرسالة من "لومنتسي". لقد عرفت مقدار حبي لهذا البلد بعد رؤيتي تلك القمم الشاهقة في جبال التاترا. إنني باق هنا عشرة أيام بوصفي مرافقاً لمجموعة سياح من ألمانيا الديمقراطية. كنت تقول على الدوام إن الألمانيت جميلات، وأنت في هذا محق. إحدى الشقراوات ترمقني بنظرات تجعلني أخجل،

وأغلق عيني. أشعر أنها تحاول إغوائي. لحسن الحظ اسمها غير مريح - هيلديغارد - وهذا يجعلني أتهرب منها. لا بد من أنك تقول الآن في قرارة نفسك إنني غبي لأنني أتهرب. ولكن هذه هي الحقيقة، إنني لا زلت أمتع جسدي عن رغباته.

أحوال صديق طفولتنا المشترك لا بأس بها. إنه دائم السفر. تصور أنه الآن في رحلة عمل إلى جنوب شرق آسيا.

كفى، واكتب.

أتمنى لك التوفيق.

### جبرائيل

ملاحظة: سأكون معك صادقاً، لهذا السبب أعلمك مسبقاً أنني فور عودتي إلى "براتيسلاف"، وهذا سيكون بعد يومين، سأطلب يد "ماريا".

- يوي، شيء جميل، رائع يا عمي "جابكو".

شرفت "كاترينكا" حين رأت الهدية التذكارية التي أحضرها لها "جبرائيل" من جبال التاترا. صمدية عليها ميزان حرارة وصخرة لماعة وكوزة صنوبر كبيرة على لوحة كتب عليها "فيسوكي تاتري - صيف 1960" وهذا حرض خيال طفلة ذات ثلاث سنين ونصف وجعلها تتصور العالم السري لحياة أقزام الجبال.

- يمكنك أن تلعب بها يا "كاترينكا" ولكن انتبهي كي لا تكسري ميزان الحرارة لأنه يحتوي على زئبق سام، - نبهها "جبرائيل".

- أشكرك! صرخت الطفلة وهرعت لتري جدتها الهدية.

أخيراً بقي "جبرائيل" مع "ماريا" وحيدين.

- كيف أنت؟ سألها

- لقد انتهت العطلة الصيفية... أشعر بالسعادة لأني من جديد سأكون مع تلاميذي، ولكنني من جهة أخرى منزعجة لأني سأضع "كاترينكا" في الحضانة. أنت تعرف أي لا أريد تركها مع أمي... بالرغم من أن أمي تشعر الآن أنها أفضل بكثير، ولكن من يدري إلى متى.

- ربما هي بحاجة... - بدأ، ولكنه سكت بعد ذلك.

- ماذا؟

- ولكن...

- وأنت، كيف أمضيت أوقاتك في التاترا.

- بشكل جيد. سوف يبقى الألمان يومين في "برائيسلافا" وبعدها رحلة سعيدة! ابتسم "جبرائيل".
- هل تتذكرين أني أخبرتك حين كنت أعمل في التاترا عن صبية زميلة لي في المحاسبة تدعى "ميلكا" كانت تتودد لي كثيراً؟
- بالطبع أتذكر.
- لقد زرتها الآن في المكتب.
- ماذا أسمع؟! اندهشت "ماريا".
- هل تعرفين ماذا قالت لي؟ - تابع "جبرائيل". - قالت إنها متزوجة منذ نصف سنة، ولا تريد أن تسمع كلام الناس، ورجتني أن أغادر.
- محاولة فاشلة أخرى، - ضحكت "ماريا" ولكنها حين ألقت نظرة سريعة على وجه "جبرائيل" عادت بسرعة إلى جديتها.
- لهذا جئت إليك. بسبب المحاولات الفاشلة...
- هل تكنين لي الحب؟ - سألها فجأة.
- كيف لا، - ابتسمت بارتباك.
- هل أنت مغرمة بي؟ هل تقبلين الزواج مني؟
- تعرف، أنا لا أريد تخريب حياتك.
- إنك تخربينها بدائلك الموقته...
- ماذا تريد أن تقول؟
- إننا نُضَيِّعُ الوقت بعلاقتنا الغير واضحة.
- نُضَيِّعُ وقتك معي؟
- تعرفين ما أعني... أسألك إذا كنت مغرمة بي.
- لو قلت لا، فهل تظن أن تلك اللحظات تضيع للوقت؟
- لا تتهربي أرجوك.
- لا تضغط علي، أرجوك.
- أسألك يا "ماريا" للمرة الثالثة، إذا كنت مغرمة بي.
- دخلت "كاترينكا" في تلك اللحظة إلى الغرفة.
- عمي "جبرائيل"، جدي تسأل إذا كنت ستأخذ معنا فطيرة صنوبرية (نوع من الحلوى يشبه ثمرة الصنوبر).
- لا، قالت لها "ماريا" بحدة وأضافت: العم "جبرائيل" سوف يغادر. لا يمكنه تضييع الوقت.

نهض "جبرائيل" واتجه نحو الباب.

- أمر مؤسف، سوف تكون مع مربي الفريز. ندهت عليه "كاترينكا".

- هل تحبين الفطيرة؟ سألها "جبرائيل" وكان يقف بالقرب من حافة الباب.

- كثيراً، كثيراً، - أومات "كاترينكا" برأسها.

- وهل تحبينني؟

- كثيراً، كثيراً.

غادر "جبرائيل" منزعجاً. لقد جاء ليعترف بحبه لـ "ماريا" ويطلب منها يدها، ولكنها حورت كلامه. هكذا تفعل دائماً حين تشعر أنها محاصرة، وبالرغم من أنها لم تنطق بلا، بشكل واضح إلا أن "جبرائيل" اعتبر جوابها كافياً.

- هذه هي النهاية، النهاية عن حق. النهاية المؤكدة. همهم ذلك في موقف

الباص.

- عفواً؟ سأله رجل عجوز كان ينظر في وجهه عن غير قصد.

كان على "جبرائيل" العودة كي يراقب السواح الألمان. حين وصلوا بعد الظهر إلى محطة القطار كان بانتظارهم الباص الذي سينقلهم إلى فندق "الاتحاد". توجب على "جبرائيل" مرافقتهم كي يقوم بإجراءات الإقامة. لم تحدث لحسن الحظ أي مشكلات. لهذا ترك حقيبته في مكتب الاستعلامات وهرع عائداً إلى "ماريا".

عاد الآن ليأخذ أغراضه.

حين تسلم حقيبته من موظف الاستعلامات، انتهب إلى وجود "هيلديغارد". كانت تجلس على كرسي مسمند وتدخن. مشى عدة خطوات باتجاهها.

- كروسن زي تسو هاوس gruben Sie zu Hause، كشرت.

رد عليها: إنه لا يوجد من يحببه في البيت. أضاف أنه في واقع الأمر بدون بيت حقيقي. سأل عما إذا كانت ترغب في مرافقته إلى هناك. لقد ولدت تلك الفكرة في ذهنه خلال جزء من الثانية، من شدة القهر الذي أحسه.

سحقت "هيلديغارد" ما تبقى من لفافة تبغها في صحن السجائر:

- إنني موافقة على هذا الاقتراح.

أحضر "جبرائيل" معه من رحلته قبل عام إلى بودابست زجاجة براندي، وقطعة سجق مجري إضافة إلى كيس قهوة برازيلية شبيه بالذي يباع في مخازن تشيكوسلوفاكيا، ولكن بمخلف قبيح، هدية لمدير تشغيل بناء السكن الذي نقله بعد فترة وجيزة إلى غرفة جديدة لها مدخل خاص وتواليت وركن للدوش، وكان

"جبرائيل" من وقت إلى آخر يدعم تقربه منه بنصف لتر من "السليفوفتسي". لم يكن في الأصل قد خطط لزيارات نسوية، ولكنه أراد تخليص المجتمع من سكير ينتمي إلى "روجنيافتشان" إلى الأبد.

استقل "بتر" تاكسي من المطار واتجه مباشرة إلى منزل "ماريا". حين وصل إلى هناك كانت الساعة تقارب السادسة مساءً. توقع أن يكون "جبرائيل" لا يزال هناك وربما لم يتحدث بعد عن سبب حضوره. تمنى "بتر" أن ينتظر "جبرائيل" إلى حين إيواء الطفلة إلى النوم.

حين دق جرس البيت أحس بقذارة جسمه. فتحت له "كاترينكا" الباب.  
- فوي، إنك تنشر رائحة كريهة يا عمي "بتر" مثل الخنزير الصغير، - صرخت حين ضمته.

- إذاً لا تقربي مني، - قال لها بانزعاج.

سمعت "ماريا" التي ظهرت بين درفتي باب الغرفة نبرة صوته. مد رأسه تحت إبطه ليستم رائحته وراح يضحك بقوة. الطفلة معها حق.

لقد تعرقت في البداية في مطار "هانوي" لأنهم تركونا واقفين نصف ساعة على مهبط الطائرة في حرارة تقارب الأربعين درجة، وتعرقت بعد ذلك في موسكو. الطائرة لم تقلع في الوقت المحدد. كنا في البداية عند المخرج رقم ثلاثة حين أخبرونا أن علينا الانتقال إلى المخرج رقم خمسة... ركضنا مثل المذعورين، نصف الركاب لم يفهموا البلاغ، وكان عليّ أن أترجم، لقد تخبط في الكلام كي يغطي على تأنيبه الطفلة.

فتح "بتر" مباشرة حقيبته في المعبر وبدأ بإخراج الهدايا. لقد أحضر لـ "ماريا" وللسيدة والدتها شالات حرير ملونة صنعت في كوريا، كما اشترى لـ "ماريا" أيضاً قميصاً بفتحة أمامية مميزة يلبس خارج البيت. سلم بعد ذلك السيدة "بلايوفا" كيس شاي أخضر صيني أصلي.

- هذا النوع لا يوجد في مخازننا، وضح. - يقولون إنه صحي جداً.

- وماذا في تلك الزجاجة؟ سألته "كاترينكا".

- شراب الرز، - رد عليها، وهو من أجلي.

- وهل تعطيني منه؟

- إنه ليس للأطفال، - شرحت لها "ماريا". - حتى العم "بتر" يمكنه العيش بدونه.

أخرج بعد ذلك من حقيبته فيلاً يزن خمس كيلو غرامات بطول ربع متر.  
- إنه من فيتنام. لا أعرف ما إذا كان من البورسليين أو من السيراميك أو من شيء آخر....

- رائع، - علقَت السيدة "بلايُوفاً".

- رائع شهقت "ماريا".

أمسكت "كاترينكا" الفيل وضمته في الحال إلى صدرها.

- هل جننت؟ - سحبه "بتر" من بين يديها، - ستكسرينه! هل تدرين كم هو باهظ الثمن؟

بدأت الطفلة البكاء.

- لقد أحضر لي النعم "جبرائيل" صخرة من جبال التاترا، وغابة من ثمار الصنوبر، كانت تئن باكية وهي بين ذراعي "ماريا".

حين هدأت الطفلة ولحقت جدتها إلى المطبخ، بقي "بتر" مع "ماريا".

- إذآ كان هنا اليوم "جايبور"؟ سألها "جبرائيل" بحذر.

- نعم، وقد غادر قبل ساعة.

- وماذا قال؟ هل من جديد؟

- لقد طلب يدي.

لم يجد "بتر" سوى أن يومئ برأسه.

- وماذا أجبته؟ سألها بعد برهة بصوت مخنوق.

- لا أعرف.

صمت من جديد. أحس "بتر" أن "ماريا" تشعر بالتعب منه ومن "جبرائيل" وربما من الأفضل لها لو تخلصت من كليهما، وفتحت صفحة جديدة مع إنسان آخر غيرهما.

ولكنه مع ذلك قال بصوت متقطع:

- وأنا أيضاً أردت اليوم طلب يدك.

- أرجوك، لا تفعل، ناشدته وهي تشبك أصابع يديها.

- كل ذلك بسبب أمسية سخيقة في الماضي؟

- الماضي أصبح خلفنا...

- أفهم من ذلك أنك اتخذت قراراً لصالح "جبرائيل"؟

- لا أعرف... إنني أحبه، وحتى "كاترينكا" تحبه.



- وأنا أيضاً أحب "كاتكا"، - أردف "بتر". بدا له أن "ماريا" تفكر بتأنيبه الطفلة قبل قليل.

- أتزوجك مع "كاترينكا"، - استدرك.

- مع "كاترينكا"؟! رتمه "ماريا" بنظرة قاسية.

- إنني أحبها، وهذه حقيقة، - دافع عن نفسه.

- ولكن "جبرائيل" يحبها كابنته، وهذا أمر يهمني. إنني أم بالدرجة الأولى، ومن واجبي أن أفعل الأفضل لابنتي. إنني لا ألومك في شيء يا "بتر".... أن يحب الانسان ولداً غريباً مثل ولده الحقيقي ليس بالأمر السهل. قليلون هم الذين يرهنون على ذلك، ولهذا السبب تزدهم دور الأيتام بهؤلاء الأطفال الذين لا يريد أحداً رعايتهم. أنا أيضاً ربما لا يمكنني فعل ذلك.

- عليك أن تفكري بالشخص الذي تحببته أنت، قال لها "بتر".

- إنني أفكر في هذا الأمر أيضاً، ردت عليه "ماريا".

شعر "بتر" بالغضب من "ماريا"، ومن "جبرائيل" ومن نفسه أكثر.

لم تذهب "ماريا" في يوم من الأيام لزيارة "جبرائيل" بالرغم من أنه شرح لها عدة مرات أين يقع بناء سكنه ولكنها لم تول في حينها كلامه أهمية تذكر. لم يخطر ببالها أن وضعاً ما سيحدث، يجعلها تذهب إليه وحدها.

حين أمنت على "كاترينكا" في السرير وجدت نفسها تسير باتجاه بيت "جبرائيل" كالعمياء. تاهت في الشوارع الضيقة بين شارع فبراير ومحطة النقل نصف ساعة. كان المكان يعج بحوانيت المهنيين، وصلات البيع، والمستودعات. انتبهت بعد ذلك إلى وجود رجلين، جريت الاقتراب منهما. تمت أن يكوناً أيضاً من ساكني البناء، ولم يخب ظنها.

شرح لها البواب: إذا كان الأمر يتعلق بزيارة السيد "جبرائيل روجوفتش" فإن عليها أن تدور حول البناء لأن غرفته لها باب خاص. الباب رقم أربعة. كُشِّرَ بعد ذلك وأضاف: إن زيارات السيدات مسموح بها حتى التاسعة والنصف فحسب.

لم يسمع "جبرائيل" طرق الباب لأنه كان في الحمام.

فتحت الباب امرأة مثيرة متحجبة في رداء حمام رجالي.

- اعذريني، لقد أخطأت، إنني أبحث عن "جبرائيل روجوفتش"، اعتذرت

"ماريا".

ضحكت المرأة، وأشارت بيدها إلى الخلف:

- "جبرائيل" تحت الدوش.

- "جبرائيل"؟ بدأت "ماريا" تفهم ما يحدث.

- يا، جبرائيل. نعم، جبرائيل، الحبيب، الجميل، الساحر، المثير.

استدارت "ماريا" وغادرت بسرعة.

أغلقت "هيلديغارد" الباب وقهقهت ضاحكة:

- اعرض أفضل ما عندك.

وصل "بتر" إلى البيت مرهقاً، متعباً، ومهزوماً.

أول ما فعله كان فتح زجاجة براندي كوريه.

- هذه هي النهاية، - قال بعد الكأس الأول.

- النهاية الحقيقية، - أكد بعد الكأس الثاني.

- نهاية لا رجوع عنها، - تنهد بعد الثالثة.

- النهاية! النهاية! النهاية! صرخ بعد الرابعة.

حين قاربت الزجاجة على نهايتها، ولدت في ذهنه الثمل فكرة تهينة المنتصر.

لم يسمح ساتق الباص للثمل "بتر" بالصعود إلى المركبة، لذا كان عليه أن يذهب

سرياً على الأقدام. توقف مرتين كي يتقيأ.

وقف في النهاية أمام باب "جبرائيل"، وراح يضرب عليه بقبضة يده بقوة.

- افتح يا "جبرائيل"!

فتح "جبرائيل" الباب وكان يرتدي سرواله الداخلي. دفعه "بتر" ودخل. ولكنه

توقف عند عتبة الغرفة. كانت قدم نحيلة لأنثى بشعر أشقر تبرز من تحت الرشقة

على سرير تبعثرت أعطيته، إضافة إلى قهقهة خارجة من هناك. استدار "بتر" من

جديد وغادر البيت.

- عفواً، لم أرغب في إزعاجك. لقد حصلت على معلومات خاطئة.

- ها أنت بحاجة لشيء؟ سأل "جبرائيل".

- عنوان "يان"، قال "بتر".

سلمه "جبرائيل" ورقة، أخرجها من الفترينة.

أغلق "بتر" الباب من خلفه بقوة ولكنه بقي واقفاً خلف الباب وراح يدمدم:

- اعذرني يا "جبرائيل"، اعذريني، "ماريا". لم أرغب في إزعاجكما في لحظة الألفة.

ترنح وهو يغادر ويغمغم:

- اعذراني، لقد حصلت على معلومات خاطئة حول الحالة الراهنة لعلاقتكما...

لم أعلم أنكما تمارسان الجنس. ومثلي لا يعرف أيضاً عنوان أعز صديق لي "يان". إنه

يفتقر إلى المعلومات.... يجب إصلاح الأمر ووضع الأمور في نصابها. توجد لهذا الغرض وسائل إعلام عامة، ودعايات. إننا خلقنا لهذه الأمور، الصحفيون الاشتراكيون... هدفنا قول الحقيقة، وإيصال المعلومات الصحيحة.

جاء "بتر" إلى "جبرائيل" بعد عدة أيام وقال إنه شرب في الأول من سبتمبر طوال الليل.

- كتبت مع طلوع الفجر رسالة إلى "يان"، - اعترف "بتر". - أخبرته بأني رأيت "ماريا" في سريرك.

دور "جبرائيل" رأسه.

- لماذا فعلت ذلك؟ سأله.

- يؤسفني ما فعلته، ولهذا جئت لأعتذر منك، - شرح له "بتر" وقد بدا عليه الحزن. غضبت في اللحظة الأولى لأن "ماريا" اختارتك... ولكنني حين أمسكت بكما في السرير، فقدت عقلي.

ابتسم "بتر" بنعومة وقال:

- ولكنني الآن تفهمت الوضع.

تأمل "جبرائيل" صديقه طويلاً وقاسه من رأسه حتى أخمص قدميه.

- إذاً لمعلوماتك، - قال له أخيراً، - لقد رفضتني "ماريا".... وتلك الشقراء التي كانت تحت الرشقة في السرير اسمها "هيلديغارد".

- لا أفهم، - رفع "بتر" حاجبيه. - لقد طلبت من "ماريا" أن تتزوجك وبعد ساعة كنت تتمدد في السرير مع إحداهن... "هيلديغارد"؟

- الأمر يبدو غريباً، - اعترف "جبرائيل".

- لقد أخطأت إذاً في الكتابة إلى "يان".

- هل كتبت له عن "كاترينكا"؟

- هل رأيت، هذا ما نسيتته من شدة سكري... إنه لا يعرف عنها أي شيء حتى الآن؟

- لقد منعتني "ماريا" من إخباره. أرجوك لا تكتب له شيئاً عن ابنته.

- لا أعرف إذا كان سيرد على رسالتي، لم أكتب هناك عنوان المرسل لأن مراسلة أمريكا ستسبب لي الضرر.

أوماً "جبرائيل" برأسه.

- إذا كانت رفضتك فهذا يعني أن صراعنا على "ماريا" لا يزال قائماً؟

- أظن أنني خارج اللعبة، والكرة في ملعبك الآن، - أكد "جبرائيل".

اكتشف "بتر" بعد مدة أن "ماريا" بدأت تحسب ألف حساب حين تبادلته الحديث.

لم يتصادق "إيان" مع أي امرأة منذ وصوله إلى أمريكا. لم يشعر بالحاجة لذلك بدا له الأمر غريباً. لقد مر الوقت وهذا ما جعله يشعر بالقلق ظناً منه أن رغبته الجنسية قد تبخرت إلى غير رجعة.

بحث مرة عن مومس، ولكنه فشل. لقد ابتسمت له الصبية متفهمة وقبلته على وجنته بوصفه صديقاً وهي تدرس النقود في جيبتها. ظن "إيان" أن العيب في الفتاة. كانت زنجية، الأولى في حياته. تذرع بأنه كان مندهشاً من لون بشرتها الذي يشبه الشكولا، والخالي من أي أثر للشعر. حاول بعد عدة أسابيع مع بيضاء، وبذل ما بوسعه كي تكون فتاة جميلة ولكن النتيجة كانت مماثلة. اقترحت عليه المومس أنها بتلك النقود سوف تداعب ذاتها وبإمكانه أن يراقب، ولكن "إيان" طردها. لم يعد يبحث عن فتاة "إكسترا". كل ما أراده هو مجرد مضاجعة عادية فحسب. أكثر ما كان غريباً في حالته كانت أحلامه الرطبة، وغالبيتها كانت مع "ماريا". لقد كانت إذأً غدده سليمة.

اشترى "إيان" عدة كتب تبحث في علاج العقم. جَرَّب الشاي والمراهم، والحبوب. اشترى بودرة من الحي الصيني يقال إنها مأخوذة من قرون وحيد القرن، ولكن النتيجة كانت دائماً أن المومس تأخذ تعويضها دون حق.

كتب أحد ممارسي رياضة اليوغا الهندية في أحد الكتب التي اشتراها "إيان": إن كل رجل يولد مع العدد المحدد من الاتصال الجنسي، وكل شيء يعتمد على كيفية استخدامه لهذا العدد. الإنسان الذي يبذر في شبابه سوف يصل إلى حالة العجز في سن النضوج. لهذا السبب على الإنسان أن يكون مستقيماً وكتوماً، وبذلك يكفل لنفسه حياة منسجمة ومتوازنة في النشاط الجنسي، وسعادة تلازمه حتى سن متأخرة. لقد بدا ذلك لـ "إيان" تفسيراً مقبولاً للحالة التي يعيشها، ولكنه لم يتكيف مع هذا الوضع. ونظراً لتدفق الحيوانات المنوية منه أثناء أحلامه الجنسية، أراد أن يجرب مقدرة مع أنثى، وبالتحديد مع مومس تشبه "ماريا" في الشكل.

## حادثة عام 1961

أرسل "جبرائيل" إلى "هيلديغارد" بطاقة معايدة بمناسبة السنة الجديدة، وبطاقة أخرى في منتصف فصل الصيف. أخبرها فيها أنه سوف يحضر في الثاني عشر من آب إلى برلين، ليس بوصفه مرافقاً سياحياً، بل سائحاً عادياً، وسوف يمكث في فندق اتحاد العمال الموجود في حي كارل ماركس عشرة أيام، وترك لها حرية الخيار بين لقائه أو عدمه.

كان راديو أوروبا الحرة يذيع بشكل دوري عدد المواطنين الذين لجؤوا إلى الشطر الغربي من برلين. لقد كان المكان الأخير الذي يمكن منه مع جرعة محددة من الحظ الهروب من الستار الحديدي. كان "جبرائيل" يدرك أن ذلك ليس بالأمر السهل لأن مراكز المراقبة الألمانية الشرقية الموجودة بين طرفي القطاعين لن تسمح له بذلك، ولكن بالتأكيد توجد طرق غير مراقبة يمكن العبور منها.

لم يكن قد اتخذ بعد قراراً مؤكداً بالانتقال إلى الشطر الغربي، ولكن الفكرة دغدغت أحاسيسه كما يدغدغ القتل أحاسيس مجرم المستقبل. لقد خطرت بباله تلك الفكرة أثناء مكالمة هاتفية مع أخته "دورिका" التي أخبرته أن والدهما في المشفى من جديد. كلاهما كان يتمنى زيارته.

لم يكن في تشيكوسلوفاكيا ما يجعل "جبرائيل" يتمسك بالبقاء فيها. "ماريا" لم ترغب في ملاقاته وكادت لا تسمح له بإحضار هدية لـ "كاترينكا" من فيتنام، ومع "بتر" لم يكن الأمر أفضل. كان يجلس معه أحياناً على فنجان قهوة كي يشتما السياسة. كانت نظرتهمما إلى الأمور مختلفة، وفي حقيقته الأمر لم يكن "جبرائيل" مولعاً في السياسة، وحديثه في الغالب يتمحور حول ذاته وحياته. صعوبة زيارة والده المريض، مثلاً. كان يكفيه الانتقال في "برلين" إلى الشطر الثاني، وفي الحال يتغير كل شيء.

حين دخل القطار إلى محطة "هاوبت بانهوف" في "برلين"، حدث "جبرائيل" نفسه قائلاً: إن أفضل وقت لعبور الحدود هو في تلك الليلة. الشوارع مملأ بأعداد

أكبر من الناس الذين يتسلون في حانات النبيذ ليلة السبت، ومن العائدين من المسارح، ولهذا فإن دوريات الشرطة لن تكون كثيفة كما هو الحال في أيام العمل العادية.

كانت "هيلديغارد" بانتظاره في المحطة، وحين لمحته وهو ينزل من القطار هرعت نحوه ورمت نفسها عليه وعانقته بقوة جعلته يشعر بثدييها العامين الطليقين، لم يكن "جبرائيل" يتوقع منها ذلك الترحاب الجنسي. شعر بقليل من الحرج أمام السواح التشيكوسلوفاك الذين أدهشتهم هذه الحفاوة. لم تؤثر نظراتهم الفضولية من قريب أو بعيد على "هيلديغارد" التي أخبرته أثناء تقبيله أن الفتاة الألمانية التي ستتولى مرافقة السياح هي صديقتها الحميمة "جيني"، وهي التي أخبرتها بموعد وصول قطار السواح، كما صعدت أيضاً بموافقتها إلى الباص الذي سيقل السواح التشيكوسلوفاك إلى الفندق. انتظرت "هيلديغارد" حتى تسلم "جبرائيل" الغرفة.

تمشيا يداً بيد حتى حلول المساء في "برلين"، وكانت أثناء سيرها تلتصق بـ "جبرائيل" في كل معبر تحت الأرض مما جعله عاجزاً عن متابعة السير عدة مرات بسبب حالة الانصباب. اقترحت عليه أخيراً في السابعة الذهاب إلى غرفتها. كانت تسكن في مركز المدينة في "فريدريش البيت اين"، وبما أن البيت يقع في الطابق الأرضي اعتقد "جبرائيل" أن أحدهم سوف يعتلي النافذة ويدخل عليها.

بعد يوم حار وتعرق شديد، رحب "جبرائيل" بسحبها له مباشرة إلى الحمام، وحين أشارت إلى النعلة الرجالية الحمراء الداكنة، تذكر فجأة معطف الحمام الأحمر الذي أعطته إياه قبل سنوات "تشانتي إيرين".

- لمن تكون؟ سألها.

- لزوجي، - ردت عليه بهدوء.

- هل أنت مطلقة؟

- لا، متزوجة، وتابعت حديثها وهي تتسلى بخوف "جبرائيل"، - ولكن لا تخف،

إن زوجي شرطي، وهو مناوب الليلة، وسيحضر في الصباح. في السابعة والنصف.

- أقفلت الباب، أليس كذلك؟

أحس "جبرائيل" أنه وقع ضحية خدعة، وهذا ما جعله يشعر بالقرق. المرأة

التي أمضت يومها تداعبه أمام أعين المارة ثم قادتته إلى بيتها متزوجة. تذكر الحرب من جديد. لقد قالت له خادمة "إيرين" في ذلك الوقت إنه بالنسبة إلى سيدتها

مجرد قضيب، وكأن حياته تدور في دولا ب. إنه من جديد في بيت امرأة يرتدي زوجها بزة رسمية. الأولى كانت أرملة على الأقل، ولكن هذه تعرف أن زوجها سيعود بعد عدة ساعات، وسوف تُحضر له الفطور وستضحك في سرها وهي تتذكر اللذة التي عاشتها في الليلة السابقة.

ربما كانت في نفس السن. لقد كانت "إيرين" في حينها على أبواب الثلاثين، ويبدو أن "هيلديغارد" في سنها أيضاً. ولكن "جبرائيل" تعلم كل شيء في نهاية الحرب من امرأة خبيرة تكبره بسنوات، وهو الآن يُركب قروناً لشرطي ربما يكون منهمكاً في تنظيف سلاحه. إذا قرر الآن لسبب ما العودة إلى البيت فإنه سيطلق علي النار بالتأكيد... فكر "جبرائيل". إن التهديد بالموت الآن ليس أقل بكثير مما حدث في "ديور" عام تسعة وأربعين. في كلتا الحالتين كان يمكن أن يقتله ألماني. حقيقة، إن حياة "جبرائيل" كانت تدور في حلقة دون هدف ودون معنى، ربما يكون كل هذا بسبب السياسة، ربما عليه أن يغادر إلى الغرب.

ربما أحست "هيلديغارد" بارتباكها لأنها ركعت أمامه وأعدت إليه نشاطه. لقد نجحت بشكل منقطع النظير.

حل المساء. استلقيا في السرير وراحا يتطلعان عبر النافذة المشرعة. لمحا ضوء نيون أحمر كبير في فتحة بين البيوت على سطح عمارة شاهقة في مكان بعيد. كان الإعلان يضيء بشكل منتظم: ك... و... ك... ك... و... ل... كوكا... كوكا... كوكا... كولا.

- لا توجد عندنا تلك الدعاية، - قال "جبرائيل".

- وعندنا أيضاً لا توجد. - ردت عليه "هيلديغارد" وهي تنفث سحابة كبيرة من دخان لفافة تبغها. - ما تراه هو المنطقة الأمريكية. "مبلهوف".

توقد ذهن "جبرائيل"...

- إنك ترين الرأس مالية مباشرة أمام أنفك، قال لها.

- إنني سعيدة في ن. د. ر (جمهورية ألمانيا الديمقراطية). ردت عليه "هيلديغارد".

- معك حق، ولكنني أتمنى أن أعرف كيف تجري الأمور في الشطر الغربي من "برلين".

رغمته "هيلديغارد" بنظرة ازدراء. إذا كانت في مخططة الإنسان الذي سوف يرافقه ليلقي نظرة على الحدود، فعليه إرضاء غريزتها الجنسية بسرعة.

- لا أريد الذهاب إلى هناك، كل ما في الأمر هو إلقاء نظرة فحسب... كيف تبدو الشوارع، ومأنوع السيارات، وكيف تبدو الثياب التي يرتديها الناس هناك..... تابعت نظراتها الحائرة.

- أستغرب وجود حركة في الشوارع ليلاً، - حاول "جبرائيل" تغيير الحديث، - أظن أي أسمع مرور سيارات نقل أيضاً.

- مدينة كبيرة، - نفتت "هيلديغارد" الدخان في وجهه.

تسللت أصابعها لتداعب مناطق ضعفه...

فجأة سُمع صوت نقر على الباب، في الوقت الذي ارتدت فيه "هيلديغارد" قميص نومها، هرع "جبرائيل" نحو الباب وراح يتطلع من خلال العين السحرية. رأى بزة رسمية.

- همس.

سُمع صوت طرق أقوى على الباب. جمعت "هيلديغارد" ثياب "جبرائيل" ودفعته باتجاه النافذة المفتوحة. حين أصبح في الخارج أدرك أنه ينتعل نعل البيت الحمراء. لقد بقي حذاه في المعبر. انتبه "جبرائيل" وهو يزحف خلف السياج الوردي كيف كان الرجل صاحب البزة الرسمية يغلق النافذة التي كان قد قفز منها إلى الخارج، وكيف كانت النجوم تلمع على كتفيه.

وقف "جبرائيل" في الحديقة الداخلية للبيت. لبس ثيابه بهدوء وسار بعد ذلك مختبئاً بجانب حاوية الزباله إلى أن وصل إلى الشارع. مشى في الاتجاه المعاكس، ومن شدة فضوله لم يتورع عن النظر إلى البيت حيث وقفت هناك سيارة كتب عليها "فولكسبوليزيا". لقد عاد زوج "هيلديغارد" لحظة إلى البيت.

تسكع "جبرائيل" عدة ساعات في شوارع "برلين" المملأ برجال الشرطة والمركبات العسكرية، ولكن أحداً منهم لم يوله أهمية تذكر.

وصل إلى الفندق حوالي الخامسة صباحاً.

- يدeshني مجيئك إلى "برلين" بهدف ممارسة الجنس في حين وجود أعلى نسبة مومسات في العالم في المتر المربع من "براغ". قال له في الصباح زميله كبير السن في الغرفة.

أخبر أحد عاملي الفندق السواح التشيكوسلوفاك في الصباح أثناء تناولهم طعام الفطور أنه تم في الليل بناء حواجز من الأسلاك الشائكة بين القسم السوفيتي والقسم الغربي من "برلين"، وبذلك يكون قد انهار مخطط خروج "جبرائيل" إلى القسم الغربي. ما كان ممكناً البارحة أصبح اليوم مستحيلًا.



كان لدى المرافقة "جيني" في الأيام اللاحقة العديد من المهمات المفاجئة، كان عليها في البداية أن توضح للرفاق التشيكوسلوفاك أن قيادة الدولة قررت تغيير نظام الحدود في "برلين" كي تحمي أول دولة للعمال والفلاحين في ألمانيا من العدوان. لقد اتخذت قراراً بوضع القوات المسلحة لدولة ن. د. ر (جمهورية ألمانيا الديمقراطية) على الحدود داخل المدن، والهدف من هذه الإجراءات هو تقليص النشاط التخريبي للقوى المعادية الألمانية الغربية ومخربي "برلين" الغربية. كان على "جيني" تغيير برنامج زيارة الأماكن الأثرية والمتاحف بسرعة لتجنب المرور بالقرب من مركز المدينة الذي تحول إلى معسكر للجنود ولرجال أمن الحدود والشرطة. الجميع من حول "جبرائيل" كانوا خائفين من اندلاع الحرب في برلين خلال الأيام القريبة القادمة.

"هيلديغارد" لم تحضر لرؤيته من جديد. ظن "جبرائيل" أن زوجها كشف خيانتها الزوجية واتخذ بحقها إجراءات صارمة. في نهاية الأمر هو عنصر في الشرطة التي تطبق تدابير أمنية في كامل "برلين"، وتضيق المراقبة على امرأة تخون زوجها يعتبر عنده أمراً في غاية البساطة.

استغل "جبرائيل" قبل يومين من مغادرة المجموعة اللحظة التي وجد فيها "جيني" تدخن أمام بوابة الفندق. سألتها عما إذا كان لديها أي معلومات عن "هيلديغارد".

نظرت "جيني" من حولها بحذر ثم قالت، لا.

- كنت عندها في الليلة التي بدؤوا فيها بإشادة الجدار، - قال لها "جبرائيل".

اقتربت منه "جيني" والتصقت به وقالت:

- كان على زوج "هيلديغارد" في تلك الليلة مراقبة العمال الذين كانوا يبنون الحدود، ولكنه استغل انشغال زملائه واتجه إلى القسم الأمريكي. اقتادوا "هيلديغارد" في تلك الليلة مباشرة إلى التحقيق ثم أحلوا سبيلها بعد يومين. إنها الآن عند أختها... بالتأكيد سيكون أمراً خطيراً لو التقت في هذه الأيام أي أجنبي.

بالرغم من الأوضاع الخطيرة التي سادت "برلين" إلا أن إقامة السياح التشيكوسلوفاك لم تختصر. عاد "جبرائيل" إلى "براتيسلافا" في الثالث والعشرين من آب. جاء "بتر" لزيارته في المساء ونقل إليه توصية مستعجلة من "ماريا".

- إن "دورिका" تحاول أكثر من أسبوع الاتصال بك إلى المكتب، قال له "بتر" وأضاف: وحين تعذر عليها ذلك هاتفت "ماريا" وطلبت منها اخبارك بأن حالة والدك الصحية قد تدهورت في الآونة الأخيرة. إنه ينازع في مشفى "تل أبيب".  
- يا إلهي، - ارمى "جبرائيل" على السرير وغطى وجهه بكفيه.  
- ولكن "دورिका" توصيك، - تابع "بتر"، - أن تتصل بوالدك على الأقل. يوجد في غرفته هاتف، ويمكن لممرضات القسم توصيل المكالمة إلى الغرفة. هاك الرقم.  
سلم "بتر" قصاصة الورق الصغيرة إلى "جبرائيل".  
- أرجوك، تعال معي إلى مبنى البريد، لا يمكنكني وحدي القيام بذلك، ترجاه "جبرائيل".

بالرغم من أن "بتر" أوصله بالسيارة إلا أنهما وصلا بعد انتهاء أوقات الدوام. تمكنت عاملة الهاتف في اليوم التالي من الاتصال مع مشفى تل أبيب بعد محاولات دامت ثلاث أرباع الساعة. بدأ "جبرائيل" مكالمته بالألمانية وانتظر عدة دقائق لحين وصول من يفهمه، وهذا نادى على طبيبة السيد "روزنبرغ" التي أخبرته أن السيد "روزنبرغ" في حالة غياب عن الوعي منذ ثلاثة أيام.  
أيها السادة،

اسمي هو "إيان بيزك". أي كم تو أو. إس. آ. في عام 1956 بعد الثورة  
المجرية...

كتب "يان" رسالته الأولى في الأول من سبتمبر - أيلول إلى البنثاغون. تبين مع بداية السنة أن الحظ قد ابتسم له حين أبدى أحد أصحاب سلسلة موتيلات اهتمامه بالبيض المقلبي المجفف. وإلى أن تمكن "إيان" من التعرف على المعمل الذي سوف ينتج وصفته من المنتج المركز، حدث إفلاس مفاجيء في شبكة الموتيلات أدى إلى انهيارها. قرر "إيان" في حينها مخاطبة وزارة الدفاع، لا سيما أن هذا المنتج من البيض المجفف قد أعد في الأصل للجنود، وهؤلاء موجودون في أمريكا بكثرة أيضاً.

بدأ "إيان" يفهم أن سبب إخفاقه حتى الآن مع المنتجين المدنيين نابع من أن منتجه هو تعويض عن شيء لا حاجة لتعويضه في الحالات العادية لسهولة تحضيره. إذا لم يعرض نوعاً من اقتصاد المال الواضح أثناء الإنتاج فلن يكون هناك سبب يدعوهم إلى أن يهتموا بمأكولات مجففة يمكن لأي إنسان تحضيرها وحده

بسرعة من المواد الطازجة الموجودة في الطبيعة، ولكن الأمر مختلف عند الجنود في المعركة.

كان "يان" في بعض الأحيان بعد الانتهاء من العمل يعرّج في طريقه على الأحياء التي كانت المومسات يعرضن فيه بضاعتهن على الرصيف. بحث عن شقراء بعينين زوقاوين، وملامح وجه ناعمة، نحيلة ممشوقة القوام ولكنها ليست طويلة، أرادها كثيرة الشبه بصورة "ماريا" التي يحتفظ بها في ذاكرته.

أثناء إحدى تسكعاته في ليالي نيويورك، اكتشف "إيان" مخزناً علقت على واجهته لوحة "نيون" مضاءة باللون الأحمر كتب عليه بياضات "روز أند بلاك". أثناء تذكره العم "أنطون" وجد نفسه مستسلماً إلى الضحك. نظر في الفترينة التي شكلت مملكة للقبعات وللحريير من مختلف الألوان إضافة إلى النماذج والقصات.

- آي لايك تو ساك أند فاك، - سُمع صوت خشن من خلف ظهره. - اشتر لي شيئاً من هذه الأشياء وسوف أعلمك أموراً لم تعشها في حياتك.

استدار "إيان" ليجد خلفه صبية شقراء بعينين زوقاوين لامعتين وشفتين ورديتين ولكن ذلك الصوت الخشن لم يتلاءم مع ذلك الوجه الناعم.

استدار "إيان" بسرعة وغادر المكان. أدرك في النهاية أن الأمر لا علاقة له بلون الشعر أو العينين أو بطول القوام، وأنه من المستحيل في تلك الأحياء سينة السمعة العثور على فتاة لها مواصفات "ماريا". المومسات اللواتي التقاهن "إيان" هنا كن مثيرات يفتقدن الذوق، وبهذا الشيء كن مختلفات عن "ماريا". أي نوع من التشابه كان مرفوضاً.

اتصلت "دورिका" بـ "جبرائيل" بعد ظهيرة الأول من سبتمبر، وأخبرته بوفاة السيد "روزنبرغ". توفي في الصباح.

مشى "جبرائيل" في ذلك اليوم عبر النفق وقد غرقت عيناه بالدموع، وهذا ما جعله يرى قوس قزح غير مكتمل في مصابيح السيارات المارة من أمامه. لعن تلك الليلة التي أعطى فيها الأولوية في "برلين" لأحضان "هيلديغارد" ولم يستغلها في الانتقال إلى الشطر الذي يسيطر عليه الأمريكان، لو كان فعل لكان بإمكانه الوقوف إلى جانب أبيه الذي كان بحاجة إليه أكثر من أي شيء آخر.

- ميا تسولبا، ميا تسولبا، ميا ماكسيما تسولبا<sup>(١)</sup>؛ - تبادرت إلى ذهن "جبرائيل" الكلمات التي سمعها أثناء القداس الكاثوليكي في كنيسة القديس "مارتين" حين كان برفقة "ماريا".

لم ينتبه "جبرائيل" في نهاية النفق إلى أن إطار نظارته قد تخرب. تعثر وأوشك على السقوط في الطريق. سمعت في الحال أصوات مكابح، وانتشرت أصوات مزامير السيارات. أدرك "جبرائيل" في أقل من ثانية أنه بالرغم من كل شيء لا يزال يعشق الحياة.

---

<sup>(١)</sup> . ميا ماكيا تسولبا؛ إنها غلطتي، إنها غلطتي الكبرى، وهو دعاء باللاتينية. م.

## حادثة عام 1962

كانت أخبار الأحداث الجارية في تشيكوسلوفاكيا تصل إلى "يان" متأخرة وبصورة مغلوطة. سمع عن العفو الذي أصدره الرئيس "نوفوتني" عن السجناء السياسيين في أيار 1960 بعد عام كامل. لم يرغب "جنرايل" في الكتابة عن تلك الأمور، كما عرف متأخراً عدة شهور أنه تم في شباط من عام 1962 إعفاء وزير الداخلية السابق ونائب رئيس الوزراء "رودولف باراك" من منصبه. قرأ هذا الخبر في سياق مقالة موسعة قديمة نشرتها صحيفة "رودي برافو" التي أحضرها أحدهم إلى مطعم "فاشاتا". لقد وُصف "باراك" في هذا المقال بالسارق، وبالسياسي المغامر، والمحترف الذي أراد اقتناص الحكم. لم يشعر "يان" بالراحة بالرغم من أن "باراك" في نظره كان يمثل إرهاب السنوات السابقة. لقد أعدموا "سلانسكي" قبل ذلك، بل إنهم سجنوا "هوساك" ومع ذلك لم يهتز النظام الشيوعي في البلاد. تابعت القافلة طريقها ولم تنبج الكلاب.

تسلم منذ بداية الستينات بعض العاملين في مطعم "فاشاتا" الذين هاجروا من تشيكوسلوفاكيا مباشرة بعد الانقلاب الشيوعي في شباط من عام ثمانية وأربعين، سمات دخول إلى وطنهم القديم، وبذلك تمكنوا من زيارة أقاربهم. أكد أحد النادلين من الذين عادوا أول الصيف أن الشيوعيين فشلوا في تطبيق الخطة الخمسية. يقال إنهم ألغوها واستعاضوا عنها بخطة اقتصادية مؤقتة لسنة واحدة، وحسب ما جاء على لسان النادل إن هذا يعني انتهاء السيطرة التامة للدولة على الاقتصاد.

- يا سادة، بعد مضي أقل من نصف سنة سوف يعود "فاشاتا" إلى "براغ"، و من جديد إلى "الفاتسلافك"<sup>١٠٠</sup> - توقع النادل.

<sup>١٠٠</sup> الفاتسلافك: ساحة القديم فاتسلاف في وسط براغ، م.

كان "يان" شكوكاً. لم يكن بالتأكيد أول فشل للخطة الخمسية في تشيكوسلوفاكيا، ومع ذلك بدا له الانفتاح السياسي واعداءً، واعتبر العفو عن السجناء السياسيين واعتقال "باراك" من المؤثرات الهامة، حتى إنه أراد أيضاً الحصول على سمة دخول إلى تشيكوسلوفاكيا. كان يتشوق لرؤية "ماريا" والأصدقاء بالرغم من أنه لم يكن متأكدًا - إذا استثنينا "جبرائيل" - من أنهم يرغبون بملاقاته، ولكن قبل أن يطلب الفيزا لإبد من إلغاء الحكم الصادر بحقه. لقد حوكم بتهمة التجسس ومغادرة البلاد بطريقة غير مشروعة، وبما أن حرية السفر من تشيكوسلوفاكيا كانت لا تزال ممنوعة فإن إلغاء الحكم الصادر بحقه بدا له أمراً مستحيلاً، ومع كل هذا فإن الأمر يستأهل السؤال والمحاولة. كتب "يان" رسالة إلى "جبرائيل" طلب منه فيها أن يحاول السؤال عن إمكان فتح ملف محاكمته من جديد.

سجلت يوم الجمعة الواقع في 31 آب الرفيقة "فرانتيسكا جارمانوفا" إبلاغاً يشير إلى مرضها المفاجيء. إنها تشكو من ارتفاع حروري، وإسهال حاد، ولهذا السبب سيتعذر عليها مرافقة العمال التشيك من "براتيسلافا" لزيارة المعالم السياحية في سلوفاكيا. توجب على إدارة مصح اتحاد العمال إيجاد البديل بالسرعة القصوى. كانوا يفضلون إنساناً عازباً بدون أولاد، لا يجد مشكلة في توضيب حقيبته والسفر لمدة أسبوع في أرجاء سلوفاكيا. وجدوا البديل في "جبرائيل روجوفتش" الذي عمل مرافقاً للمرة الأولى لهذا النوع من الرحلات السياحية.

- سوف أقضي معظم الوقت في الباص، - حدث نفسه بعد اطلاعه على برنامج الرحلة.

بدأت الرحلة يوم السبت الواقع في الأول من سبتمبر - أيلول بحفلة غداء في "براتيسلافا". تصرف "جبرائيل" كما تصرف السواح التشيك وشرب كأس جعة، ولكن "جبرائيل" على عكس السواح التشيك ناسبته بيرة "جيمر". العشاء كان مقرراً في "بانسكا بستريتسي".

انطلقوا. كانت مهمة الدليل السياحي تعريف السياح بين الحين والآخر على الأماكن التي يمرون فيها. نجح "جبرائيل" في أداء مهمته. كان السائق يخبره إلى أين وصلوا فيقوم بالبحث في الملفات عن السنوات، وعن الحوادث أو عن الأنهار والجبال.

الأسوأ كان يحدث حين يشعر "جبرائيل" بحاجة ماسة إلى التبول، لأنه على عكس التشيك لم يكن متعوداً على شرب كأس جعة دفعة واحدة.

- أين سنقف؟ - سأل جبرائيل.

- في "جارتونستي" قال السائق.

- متى سنكون هناك؟

- بعد نصف ساعة تقريباً، - توقع السائق.

كان ذلك وقتاً طويلاً عند "جبرائيل" الذي قرر أن يطلب منه التوقف بالقرب من شجرة الصفصاف، وبوصفه قائد الرحلة يحق له ذلك، لم يرغب أن يبدو الأمر وقفة من أجل أن يتبول هو، لذا مشى في الممر بين المسافرين وسألهم عن شعورهم. حين عاد كان يحضر نفسه لإخبار السائق بأن السواح يطلبون استراحة للتبول.

كان "جبرائيل" تقريباً في منتصف الباص حين انتبه إلى خروج تراكور من الطريق الزراعي متجهاً عكس الطريق. تمسك "جبرائيل" بالرफ المعد لحاجيات المسافرين، وشد عضلاته بصورة غريزية. خرج الباص عن الطريق واصطدم بكامل سرعته في الشجرة ثم توقف نصف مقلوب على جانبه الأيسر.

بمعجزة كبيرة كانت إصابة "جبرائيل" أسهل من إصابة جميع السواح بالرغم من أنه كان واقفاً أثناء وقوع الحادث. ربما أنقذه تمسكه القوي برف الحقائق. حين توقف الباص سقط في الممر.

كان أمراً مريعاً. الدم في كل مكان، والركاب يصرخون ويثنون من شدة الألم. الأطراف كانت تطبق إحداها على الأخرى.

نهض "جبرائيل" من مكانه وتجاوز الجرحى، ووصل إلى القسم الأمامي من الباص الذي شطرت مقدمته. اختفى الكرسي الذي كان "جبرائيل" يجلس عليه حتى إن المقود وكرسي السائق لم يكونا هناك، وبدلاً منهما كانت هناك فجوة كبيرة اخترقها غصن شجرة كبير.

كان "جبرائيل" لا يزال يشعر بضغط في مثانته لذا خرج من الباص عبر الفجوة الأمامية. أنزل سحاب بنطاله وتبول مباشرة بجانب الشجرة التي اصطدم بها الباص.

انتبه بعد أن شعر بالراحة أن السائق يستلقي على بعد متر واحد منه. لقد ارتقى في الخارج عبر الزجاج الأمامي. كان وجهه مشوهاً بشكل كبير، وأطرافه ملوية بصورة غير طبيعية. ركع "جبرائيل" بجانبه ومرر راحة كفه على عينيه المفتوحتين. لم تتحرك حدقاته. كان السائق قد فارق الحياة.

ترجل سائقو السيارات المارة واتجهوا نحو الباص. اشترك "جبرائيل" في سحب الجرحى بالرغم من شعوره أنه يعيش حلماً سيئاً. لم يكن هناك أموات آخرون ولكن كانت هناك إصابات خطيرة في الرأس والصدر والظهر... خراب بكل معنى الكلمة.

بدأ "جبرائيل" باسترداد وعيه من الصدمة الأولى، وأدرك أنه بوصفه رئيس الرحلة يتحمل المسؤولية حتى في تلك اللحظات الحرجة. حين توقفت بالقرب منهم سيارة أخرى للمساعدة، قال للسائق إنه يفضل لو أنه تابع طريقه إلى أقرب قرية وساعد في إزsal سيارة الإسعاف وعناصر الأمن العام.

حين حضرت عناصر من شرطة المرور لتسجيل ضبط الحادث، أخبرهم أكثر من شخص بما فيهم سائقو سيارات أخرى عن حقيقة يصعب فهمها حدثت بعد التصادم ولا علاقة لها بالحادث، وهي أن "جبرائيل" تبول بالقرب من جثة السائق الميت. نظر عناصر الأمن إلى "جبرائيل" وكأنه أسوأ من مجرم. حاول أن يشرح لهم أنه شعر قبل الحادث برغبة شديدة في التبول.

- أغلق فمك، الإنسان الطبيعي في مثل هذه الظروف لا يتبول، نهره الشرطي.  
كان لمطعم التشيكوسلوفاكي "فاشاتا" رواده الدائمون، وحين يظهر ضيف جديد يبدأ النادلون بسؤال أحدهم الآخر عما إذا كان أحد يعرفه. جلس في الأول من أيلول رجل مجهول الهوية في أواسط العمر إلى أول طاولة بالقرب من مدخل المطعم. كان هذا المكان مملكة "يان". لقد وصل هذا الرجل قبل ثلاثة أرباع الساعة من موعد الإغلاق وطلب بالسلوفاكية زجاجة جعة من نوع "بودفار"<sup>٢١</sup>

- كانت مُبرّدة ورائحة، - قال الزبون حين أمسك "يان" بالزجاجة الفارغة.

- عندنا دائماً منها، رد عليه "يان" بحرفية.

- ما رأيك لو ذهبت معي بعد العمل إلى "بودفار" أمريكي؟

استغرب "يان" طلبه، ودور رأسه في أرجاء المطعم الفارغ.

- الجعة الأمريكية لا تعجبني، التشيكية أفضل.

- الموضوع لا علاقة له بالجعة يا سيد "بيزك".

- هل سبق وتقابلنا؟

<sup>٢١</sup> بودفار: ماركة بيرة تشيكية تصنع في مدينة تشسكي بوديوفتسي الواقعة في جنوب تشيكيا. م.



- ربما خمسون بالمتة. انا اعرفك، وانت لا تعرفني.

- لن أرافقك بالتأكيد لأنني متعب.

دفع الرجل الحساب وغادر. توقع "يان" أنه سينتظره بالقرب من المطعم وكان محقاً في توقعه. رآه يدخل في شارع مُتَوَر. تمنى "يان" لو أن الرجل يفقد صبره إذا تأخر في العمل، لهذا قام بمسح جميع الطاوات الكبيرة، والصغيرة أيضاً، ثم عرض بعد ذلك على مساعد الطباخ "رودو" مساعدته في ترتيب الصحون ولوازم المائدة وخرج برفقته في النهاية.

- إنني هنا يا سيد "بيزك"، صرخ الرجل وعبر الشارع باتجاهه.

- عندك هنا صديق يا "هونزا"؟ إني ذاهب، - ودعه "رودا".

قبل أن يقرر "يان" ما عليه فعله كان "رودا" قد غادر.

- أتمنى لو أنك لا تخافني، ابتسم الرجل.

- إنني لا أخافك، ولكن لدي شكوك حول ما تريد قوله لي، رد عليه "يان" بشكل مباشر.

- عظيم، يسعدني أننا سنتصارح، - قال الرجل بفرح.

- من أنت؟

- مندوب منظمة تعرض عليك عملاً مشتركاً.

- ما نوع العمل؟

- لقد سبق وتعاونت معنا في الماضي.... قبل سنوات في تشيكوسلوفاكيا.

- إنك منهم؟

- بالضبط، إنهم لم ينسوك، ويهدونك تحياتهم.

قهقه الرجل من نكته. ولكنه صمت فجأة بعد ذلك واقترح:

- ما رأيك لو ذهبنا إلى مقهى أكثر هدوءاً؟

- لا.

- هل تريدنا أن نتحدث في الطريق؟ أو ربما في بيتك؟

- لن نذهب معاً إلى أي مكان، سأغادر. وحدي.

استدار "يان" وتركه. لحق به الرجل.

- الموضوع له علاقة بإعاد تقييم محاكمتك.

نظر إليه "يان" نظرة شك.

- يا سيد "بيزك"، تعرف جيداً مقدار سلطتنا. يمكننا مثلاً أن نؤمن لك عفواً.

اليوم تصدر إعفاءات كثيرة عن المحكومين.

- لا رغبة عندي في ذلك! قال له "يان" بشكل قاطع.  
- يمكنك أن ترى أصدقاءك، وخطيبتك "ماريا" وطفلتك.  
نظر "يان" في وجه الرجل وقال بشجاعة.  
- الخطأ في النظام! ليس لدي ابنة، ولا يمكنك ابتزازي لأنك لا تملك الوسائل.  
بقي الرجل واقفاً في مكانه. تابع "يان" سيره، وقبل وصوله إلى بوابة المترو حين  
هرع الرجل نحوه.

- انتظر أرجوك - تأنأ... حقيقة، ليس عندك ابنة؟  
- لا أيها الواشي، لا توجد عندي ابنة، ضحك "يان".  
- ولكنهم أخبروني... كانت "ماريا بلايوفاف" حبيبته، أم إنها لم تكن؟  
وقف "يان" برهة على الدرجة الأولى للمترو، وفجأة شحب لون وجهه.  
بالطبع تم الغاء الرحلة. تم نقل السواح التشيك قبل كل شيء إلى المستشفيات  
لإجراء الفحوصات اللازمة، ثم نقلهم إلى بيوتهم، بينما كان على "جبرائيل" تنفيذ  
عدة مهمات لها علاقة هملاء البيانات وكتابة التقارير، وإضافة إلى ذلك لم تتركه  
أجهزة الأمن يرتاح، إذ تم استدعاؤه في اليوم الثالث للاستجواب من قبل نائب  
المدير:

- أيها الرفيق "روجوفتش"، - اضطرت إلى كتابة تقرير عنك. بدأ حديثه.  
- يا للصدفة! ضحك "جبرائيل" بسخرية، هل حصل سوء تفاهم...  
- لا تخف، هدا نائب المدير من روعه. لم أكتب سوى المديح: موظف يضرب  
فيه المثل، محبوب من قبل زملائه، غير حزبي ولكنه يعمل بنشاط من أجل الوطن  
الاشتراكي...  
- أشكرك، تنهد "جبرائيل".

تم طلبه بعد مدة للاستجواب ولكنه انتهى في عيادة للأمراض النفسية. أمضى  
هناك ثلاث ساعات وفي النهاية أومأت طبيبة الأمراض النفسية برأسها برضى:  
- إذأ سنلخص الموضوع يا سيد... سيد "روجوفتش". لقد أخبرتني أنك تنتمي  
إلى عائلة متفرقة.

- لقد قتلوا أمي في معسكر الاعتقال.  
- نعم هذا ما قصدته. أمر محزن... يصدم... أول ممارسة للجنس أثناء الحرب  
جرت حين كان أصدقاؤك يموتون.  
- لم يموتوا أثناء ممارستي للجنس، - دافع "جبرائيل" عن نفسه. لقد ماتوا في  
تلك الحقبة.

- هذه تفصيلات، - ابتسمت طبيبة الأمراض النفسية. تدعي أيضاً أنك لم تمارس العادة السرية فوق جثة السائق وكل ما فعلته أنك تبولت فحسب. أليس كذلك؟
- لم أتبول فوق بل بالقرب، وحين تبولت لم أكن أعرف أن الجثة قريبة مني.
- هكذا إذًا...
- بدأت طبيبة الأمراض النفسية تبحث عن شيء في أوراقتها.
- هل تؤمنون بالقدر؟ سأله فجأة.
- لا أعرف.
- فكروا ما كان سيحدث لو أن الكرسي الذي عليكم الجلوس عليه بصفتكم مديراً قد تحطم بالكامل؟ لو كنت جالساً في مكانك لكنت اليوم في عداد الأموات.
- وهل تلوميني على هذا؟
- إنني طبيبة، ولا ألومك، كل ما في الأمر أنني أريد مساعدتك.
- لا أشعر بذلك.
- إنك بصريح العبارة ولدت مرتين، ألا تريد تجريب حياة أخرى تختلف عن السابقة؟
- أريد بالتأكيد.
- سنعمل معاً على ذلك. فرحت الطبيبة النفسية.
- بعد خروج "جبرائيل" من بناء مديرية الأمن قاده قدماه بشكل أوتوماتيكي إلى شارع "باريتشكوف". فتحت له "كاترينكا" الباب.
- عمي "جابكو"، صرخت فرحة، - لقد حضر العم "جابكو".
- كانت "ماريا" خارج البيت، ولكن السيدة "بلايوف" رحبت به وطلبت منه الدخول. أخبرها "جبرائيل" عن الحادث الرهيب الذي عاشه قبل عدة أيام وكان من المحتمل أن يودي بحياته. غطت "كاترينكا" التي كانت تجلس على ركبتيه عينيها من شدة خوفها، حين سمعت بأن السائق قد لقي حتفه كما تعرض بعض الركاب إلى إصابات خطيرة.
- ولكنك سليم معافى، يا عمي "جابكو"، - قالت ذلك وضمته.
- قال "جبرائيل" للسيدة "بلايوف" إنه بحاجة إلى الحديث مع ماريا حول هذا الموضوع، وسوف يحتاج إلى مساعدتها.
- عليك أن تزورنا أكثر، - تنهدت السيدة "بلايوف"، وليس فقط حين تحتاج إلى مساعدة. إن "ماريا" تشعر بالوحدة.
- وأنا أيضاً وحيد.

روي "جبرائيل" في المساء لـ "ماريا" تفاصيل حديثه مع الطبيبة النفسية. بدأ بشرح الحادثة ونحو القسم المتعلق بالجماع الأول بين الأصدقاء الأموات، لكنه أخبر الطبيبة بكل ما أرادت معرفته عن إخراج الموتى أثناء الحرب من تحت الأنقاض، وكيف كانوا ينقلونهم، ويضعونهم في مستودع الجثث.

قالت، بأن الموت في تلك الأثناء أصبح جزءاً من حياتي، ولمعت عينها من الفرح حين عرفت بأني كنت مريضاً بالسل، وكنت شاهداً على عذاب وألم وموت زملائي في الغرفة. - اشتكى "جبرائيل" لـ "ماريا".

كانت "ماريا" تسمعه وتدير رأسها فحسب.

- لا يمكنك تصور ذلك الاهتمام الذي أبدته حين سألتني عن السعال المدمى. -  
أضاف.

- إنهم يريدون تحويلك إلى شاذ، - استخلصت "ماريا".

- بالضبط، - أكد جبرائيل، - سادي يضاجع الجثث nekrofil... وبذلك يمكنهم

إرسالني إلى مشفى المجانين.

- أوه، لا أظن ذلك! صرخت "ماريا".

- هذا بالضبط ما يخططون له. ألسنت في وضع إنسان شاذ يجد متعة في

مضاجعة الجثث خلف القضبان؟

أسندت "ماريا" ذقنها على كفيها:

- أنت بحاجة إلى محام بارع... أو الأفضل طبيب أمراض نفسية... نظر إليها

"جبرائيل" خائفاً.

- طبيب نفسي يمكنه أن يدحض ذلك التشخيص: وضحت "ماريا".

جلسا أحدهما مقابل الآخر وغرقا في التفكير. كان أمامهما على الطاولة فنجانا

قهوة. راحت "ماريا" تحرك تفل القهوة مملعقتها.

- هناك أمر آخر، بدأ "جبرائيل" الحديث بعد لحظات، - لقد اهتمت تلك

الطبيبة النفسية أيضاً بأسلوب حياتي، وسجلت عليّ نقطة لكوني عازباً. سألتني

عما إذا كنت أعيش وحدي... أو عندي حبيبة.

- انتظر، رفعت "ماريا" إصبعها، - سأحاول أن أخمن. لقد أجبت على سؤالها،

إذا كانت لديك حبيبة، بنعم، أليس كذلك؟

- نعم.

- سألتك عن اسمها لكي يتمكن الأمن من التحقق، أليس كذلك؟

- نعم.

- ذكرت اسمي، ألسنت محقة؟

- بالضبط.

ضحكت "ماريا".

لوح "جبرائيل" بيده وقد أحس بالتعب.

- أرجوك، افهميني، لقد بحثت في تلك الأثناء عن إنسان يمكنه أن يجعل مني في نظرها رجلاً بكل معنى الكلمة... الغريق يتعلق بالنقشة... عذراً منك.

- لا تشغل بالك، الأمر لا يقلقني لا سيما أنني في الأصل أم عازبة في أواسط عمرها. لا يمكنك أن تجد حبيبة أفضل مني في "براتييسلافا" بأكملها. لقد ساعد أحدنا الآخر طوال الوقت وسوف نستمر...

- شكراً.

- ولكن بالرغم من ذلك - كشرت "ماريا"، - لا أفهم لماذا لم تذكر تلك الألمانية.

- أي ألمانية؟

- ألم تستقبل في شقتك أية ألمانية على الاطلاق؟

- لا... ربما مرة واحدة. من أين خبرت؟

رفعت "ماريا" كتفها.

- الأمر لا يهمني الآن. كل ما أردته هو إثارتك، اعذرنني، إن كلامي في تلك الحالة

لا يناسب.

صمتا من جديد وغرقا في التفكير.

- ألن تطلب المساعدة من "بتر"؟ سألته.

- فكرت في الأمر، ولكن "عالم الاشتراكية" يختلف عن عالم "البرافدا". لا أعرف أي نوع من العلاقات القديمة يمكنه أن يستخدمها اليوم، ومع ذلك سأتصل به.

نهضت "ماريا" وحملت معها فناجني القهوة.

- لقد تأخر الوقت، سأذهب، - قال "جبرائيل".

حين تهيأ "جبرائيل" لوضع حدائه في قدمه، تذكر أنه أراد طلب شيء من

"ماريا":

- ألا يزعجك كون زيارتي في الأسابيع القادمة ستتكرر، كي يعرفوا، إذا كانوا

يراقبونني، أن عندي حبيبة؟

- ضربت "ماريا" جبهتها بأصابعها.

- هل ترى؟ لقد نسينا هذا الأمر، بالتأكيد يمكنك "زيارتنا"، ولكن هذا ليس

كافياً. إنني أعيش في هذا البيت مع أمي وابنتي، لهذا السبب ليس من المعقول أن

يجري بيننا أي شيء في حضورهما. من الضروري أن أزورك في الأيام القريبة القادمة في بيتك. إذا كانوا يتبعون خطاك كما تقول فسيكون الأفضل أن أزورك في الغد. هل بإمكانني؟

عجز "جبرائيل" في البداية عن الكلام، ولكنه أوماً برأسه:

- بالطبع... - تأتأ. - سأكون بانتظارك.

- في أي ساعة؟

- في السادسة؟

- أفضل الساعة الثامنة. أريد تقديم العشاء لـ "كاترينكا"، وتحميمها قبل النوم.

- بالتأكيد، في الثامنة! ألا تريدني أن أجيء لمرافقتك؟

- لا حاجة إلى ذلك، ستوصلني في طريق العودة.

- سأشرح لك أين أسكن. عليك الذهاب...

- إذا كنت لم تنتقل منذ عام الستين، فإني أعرف أين تسكن.

نظر إليها "جبرائيل" باستغراب:

- كنت هناك في ذاك اليوم؟ هذا يعني... لقد توضح الأمر... حسناً، من الأفضل

أن أغادر.

وصلت "ماريا" إلى بيت "جبرائيل" في الثامنة مساءً بالضبط كما وعدت، وبيدها

مغلف.

- يا كاتم الأسرار! - بادرت به بدلاً من السلام.

- أريني، - تناول "جبرائيل" منها المغلف الذي احتوى على إخبار بالزواج.

### بيتر روناي وإيفا سميدكوبا

يتشرفان بإعلامكم، أنهما قررا عقد قرانهما في 29 من سبتمبر الساعة 15.00 في

صالة احتفالات بلدية المدينة...

- أراك فوجئت. ألم يكن عندك علم؟ - سألته "ماريا".

- لا!

- لم تكن تعرف أن "بتر" له علاقة؟

- لم أكن أعرف أنها علاقة حميمة... لقد رأيتها مرة، ولكنه لم يخبرني بأنهما

سيتزوجان. أتمنى ألا ينساني بالبطاقة....

- كيف تبدو؟ سألته "ماريا".

- عادية... من العالم الكبير.

رفعت "ماريا" حاجبونها بفضول.

- تعمل في الإذاعة. لقد رافقتها إلى المقهى. أخبرتني خلال نصف ساعة أنها أجرت حواراً مع "ميلان أوربان" حول روايته الجديدة، وكان الحوار ناجحاً، وقبل ذلك أجرت حواراً مع "فويتخ ميهايك" الذي قال لها إن قصائده لم يفهمها أحد سواه... وأظن أنها تتصادق مع "ياروسلافا بلاجكوفاً"... منذ مدة كانت مدعوة إلى عيد ميلاد إحدى الأديبات، ولكني لا أتذكر من تكون... إنها إنسانة بوهيمية بكل معنى الكلمة.

- ربما سيتحول "بتر" معها إلى قديس.

- لا أظن ذلك. كل ما فعله هو أنه كان يتطلع إليها بعينيه الجائعتين مثلما تفعل الأفعى مع الأرنب.

- إنها إذاً حسناء.

- هذا صحيح.

- صبية؟

- أخبرني "بتر" أنها في الثامنة والعشرين... واعترف لي بأنها كانت متزوجة.

- يتزوج من مطلقة؟ - لم تتمكن "ماريا" من إخفاء خبيثتها.

- بعد كل تلك السنوات من عزوبيته ووحدته وجدها هدية من القدر.

- سنذهب معاً إلى حفلة الزواج. ستأتي لترافقني، وإذا كانوا يراقبونك سندعهم يروننا معاً. - قررت "ماريا".

حضر في الأسبوع التالي إلى مدرسة الصفوف الثمانية "يوري ديمتروف" رجل في ثياب مدنية. أطلع مدير المدرسة على بطاقته التي تشير إلى وظيفته بوصفه محققاً من الأمن العام، وطلب منه أن ينادي الرفيقة "بلايوفاً". أرسل المدير سكرتيرته إلى الصف لإحضار "ماريا".

أغلق المحقق الشاب باب مكتب المدير مع "ماريا" بعد أن طلب الإذن من المدير.

- إنني أحقق في حادثة، وأنا بحاجة إلى شهادتك، - بدأ حديثه.

- تفضل وأخبرني، قالت له "ماريا" بهدوء.

- لن أتعبك بالتفاصيل التي بعضها سري للغاية... هل تعرفين "جبرائيل روجوفتش"؟

- أعرفه بالطبع.

- منذ متى؟
- حوالي خمسين وعشرين سنة. لقد نشأنا معاً.
- هل لا زلت على اتصال دائم معه في الوقت الحاضر؟
- نعم، وأنا... صديقته.
- هل يحاول السيد "روجوفتش" معكم ممارسة أوضاع جنسية شاذة.
- لا... فقط أشياء مقبولة.
- ابتسم المحقق.
- ما رأيك بابتعاده عن زملائه في العمل؟
- إنه يقضي معي معظم أوقاته، وربما هذا يظهره وكأنه لا يهتم بهم.
- يقال إنه يتكلم مثل إنسان غريب.
- لا أعتقد ذلك... إن رأيي مهم لأنني معه أكثر من أي شخص آخر.
- حسناً، هذا ما توقعته. شكراً لك.
- هل هذا كل شيء؟ سألته "ماريا" بصوت مليء بالخيبة.
- نعم، هذا كل شيء... وكل شيء على ما يرام.
- ذهبت "ماريا" في ذات اليوم طلاقاً "جبرائيل" في غرفته. حين أخبرته عن التحقيق لم تنس إخباره أن يديها بقيتا ترتجفان حتى نهاية الدوام.
- ربما لا تدرين مقدار ما فعلته من أجلي، - شكرها "جبرائيل".
- حتى إن الأمر بدا لي مسلياً، - قالت له "ماريا".
- بطريقة تحقيقه.
- بالطريقة التي أحبته بها... وكيف أتي تغيرت، ولم أعد تلك الصبية الخجولة ابنة "لفتسي" التي تخاف كل شيء. حين يتطلب الأمر أعرف كيف أكذب.
- لقد نضجت.
- في الحقيقة... شخبت.
- ضحك "جبرائيل".
- لا تقولي أرجوك، أنت لا زلت جميلة كما كنت بعد الحرب.
- ولكن "ماريا" لم تسمعه لأن فكرة تبديلها الجسدي كانت تسيطر على تفكيرها في تلك اللحظة.
- هل تعرف، ماذا أرى؟ بدأت الكلام بعد لحظات، - إنني في النهاية لست غاضبة من "يان". حين أخبرت أن "بتر" سيتزوج، قلت في نفسي ربما يكون "يان" قد تزوج أيضاً. إنني أتمنى له ذلك... هل عندك أخبار عنه؟
- لم يرأسني منذ مدة طويلة، هل نكتب له؟ - قال "جبرائيل" بحذر، - عن

كاترينكا؟



- لا، بكل تأكيد.

كان على "يان" أن يهاتف ستة أماكن كي يكتشف مكان وجود مركز بريد في نيويورك يوجد فيه دليل هاتف بودابست. ذهب إلى هناك ودَوَّن رقم هاتف أخت "جبرائيل". اتصل بها في اليوم التالي من بيته.

- ألو، - كان الصوت غير واضحاً.

- "دوريكا"، تحياتي. أنا "يان بيزك"، أهاتفك من أمريكا. هل تسمعي؟

- يان؟ مرحباً! كيف أحوالك؟

- أتعذب يا "دوريكا".. ولهذا السبب اتصلت بك.

- كيف يمكنني مساعدتك؟

- عندي سؤال هام.

- ما هو السؤال؟

- هل رزقت "ماريا بلايوا" بطفل؟

- بالطبع، طفلة، رأيتها في الصورة، طفلة جميلة كأنها عطستها من أنفها.

- ما عمرها؟

- لا أعرف، ربما خمس سنوات، ولكنها لم تزر المدرسة بعد.

كان جاسوس الأمن محقاً في كلامه إذاً!

## حادثة عام 1963

كانت السماء تمطر بغزارة حين خرج الزوجان "روناي" من بناء المسرح.  
- تقول أمي، إن مطر أيار يزيد من طول جسم الإنسان، - قال "بتر" وهو يفتح باب السيارة.

- إنها حكمة أخرى من حكم الشعب المجري. ردت "إيفا" وهي تدير عينيها.  
أدار "بتر" المحرك. كانت تزعجه الملاحظات الساخرة التي تطلقها زوجته الصبية بشغف في حق عائلة "روناي" وبحقه أيضاً ولكنه حافظ هذه المرة على هدوئه.  
كانت "إيفا" ترتدي فستاناً ضيقاً يظهر مفاتن ثدييها وخصرها وساقها، وكان "بتر" يراقب بسرور طوال الوقت الرجال الذين كانوا يديرون رؤوسهم في المسرح ليتطلعوا عليها. - يحق لها اليوم أن تسخر، حدث نفسه.

- لدُّبري! تنهدت "إيفا".

- ما الذي يزعجك من جديد؟

- لقد هيجتني تلك المسرحية.

- لا تفكري فيها إذًا.

- لا تفكري، لا تفكري... أنت خبير في عدم التفكير... حتى إنك لا تعرف أين

كنا. استفزته "إيفا".

- وكيف لا أعرف؟ "بتر كرفاش": أنتيجونيا والآخرون، - رد عليها "بتر" بحدية.

لقد أزعجته مساحة زجاج السيارة اليسرى أكثر بكثير من خريشات زوجته لأنها كانت تترك أثناء حركتها على الزجاج خطوطاً تعيق الرؤية. كان مطاطها مهترئاً، وكان "بتر" يدرك صعوبة الحصول على مساحة جيدة في تلك الأوقات. كان عليه في حزيران أن يسافر في مهمة عمل إلى بولونيا، ربما سيكون الوضع هناك أفضل. حتى إن قطعة تبديل صغيرة لسيارة من صنع تشيكوسلوفاكيا عليه أن يبحث عنها في دولة أجنبية.

- وما تعليقك؟ سألته "إيفا" محاولة اختباره.

- كانت مسرحية، يمكن القول... متعبة.  
 - إنك تُقيم بهذه الكلمة كل ما هو خارج عن نطاق فهمك، - وبخته "إيفا". -  
 متعبة! وتقولها بلكنة مجرية!  
 - لقد شدتني المسرحية التي شاهدناها في الأسبوع الماضي أكثر، - اعترف "بتر"  
 بالرغم من معرفته أنه بذلك يفتعل عاصفة تثير حفيظة زوجته.  
 - أرجوك، أظن أنك لا تريد مقارنة "كباريه" في مسرح هواة مع دراما وجودية.  
 - لا أريد، لأنك أقدر على ذلك مني، - بقي "بتر" محافظاً على الهدوء.  
 - وأنت ماذا تقدر أن تفعل؟  
 وضع "بتر" يده على فخذ زوجته.  
 - يمكنك أن تخمني.  
 - لا أفكر في هذا على الإطلاق! لا، لا، لا تحسب هذا الحساب. تزعجني في  
 البداية وبعد ذلك تطلب مني ممارسة الجنس؟ أبعد تلك اليد وإلا سنصطم  
 بشيء.  
 أمسك "بتر" الملقود بكلتا يديه بهدوء. لقد عادت "إيفا" قبل أسبوع من  
 رحلة عمل في "براغ" حيث شاركت بوصفها مذيعة في المؤتمر الثالث للأدباء  
 التشيكوسلوفاك، ومنذ عودتها أصبحت إنسانة أخرى، والحياة معها لا تطاق.  
 لقد قيم "بتر" مؤتمر أبريل - نيسان للأدباء السلوفاك وما تلاه في المؤتمر العام  
 المنعقد في أيار على أنه تطور إيجابي آخر في حياة البلاد السياسية، كما أن العفو  
 عن "لاتسو نوفومسكي"<sup>١٠٠</sup> الذي ألقى في براغ خطاباً شهيراً ندد فيه بحكم  
 الإعدام الجائر بحق "فلاديمير كلمنتيسا"<sup>١٠١</sup> البريء، يشير بوضوح إلى أنه سيتم  
 تجاوز أخطاء الخمسينيات وستعود المياه إلى مجاريها الصحيحة.  
 لقد خطر ببال "بتر" الآن أن مؤتمر الأدباء ربما كان له - إضافة إلى تأثيره على  
 المجتمع برتمه نتائج خاصة لها علاقة به وب- "إيفا" فحسب.  
 - ما الذي حصل في الأسبوع الماضي في "براغ"؟ سألها حين صَفَّ سيارته أمام  
 بيتهما.  
 - لم أكن مخلصاً لك هناك.  
 - هل ستتركيني؟

<sup>١٠٠</sup> لاتسو نوفومسكي: 1904 - 1976 شاعر وكاتب وصحفي وماركسي وسياسي سلوفاكي شارك في الانتفاضة السلوفاكية ضد النازية وتسلم مناصب هامة في الحزب والدولة وسجن سنوات طويلة 1951 - 56 ثم أعيد إليه الاعتبار في عام 1963.  
<sup>١٠١</sup> فلاديمير كلمنتيسا: 1902 - 1952 شيوعي سلوفاكي، وصحفي.

- نعم.

- متى؟

- لا أعرف. يجب أن أقدم استقالتي وأجد وظيفة في "براغ".

- هل أفهم أن عشيقك تشيكي؟

- نعم.

افترقا بهدوء وصدافة تامة. سافرت "إيفا" في صباح أحد أيام آب الأولى. ساعدها "بتر" في حمل الحقائب إلى المحطة. وقع نظره حين كانت تصعد درجات سلم القطار على مؤخرتها المكورة. أحس بألم في أسفل حوضه. لقد مارسا الجنس بشرامة في الليلة السابقة، وكان شيئاً لم يحدث بينهما.

- اتصلي بي بالتأكيد حين ستأين إلى "براتيسلافا"، - قال لها وهو يودعها.

- أكيد.

جلس "بتر" أمام المحطة في سيارته الدافئة. أشعل لفافة تبغ. كان المكان مزدحماً بالناس الذين كانوا يدخلون ويخرجون بسرعة من المحطة محمليين بالحقائب. بعضهم يودع، وآخرون يستقبلون. مرت عجوز قروية تحمل سلة ملأى بالبيض بجانب سيارته وحين وجدت بلور نافذته مفتوحاً عادت وسألته.

- أين يقع السوق المركزي أيها الشاب؟ هل هو بعيد؟ سألته بلكنة مجرية.

- يوي، لا، سأقلك إلى هناك، - عرض عليها "بتر".

قيمت العجوز الجالسة في مقعد مرافق السائق شوارع "براتيسلافا" التي كانا يعبرانها بمزيج من الإعجاب والحنق. بدت لها المدينة مزدحمة، والطرق عريضة أكثر من اللازم والسيارات تسير بسرعة كبيرة. فرح "بتر" لأن أحدهم يتحدث معه بالمجرية.

لقد ظن طوال تلك السنوات أن سلوكاكيته قد تخلصت بشكل كامل من لكنة لغته الأم. لم يبنه أحد على ذلك. ولكن "إيفا" أخذت عليه منذ حفلة الزواج لكنته المجرية، وهذا كان أحد تناقضات شخصيتها. لقد تصرفت كبهيمية عالمية تتابع الحركة الثقافية في العالم أو على الأقل في أوروبا بأكملها، ولكنها مع ذلك كانت تأخذ على زوجها مجريته، وكان ذلك عادة سيئة عليه التخلص منها. لم ينزعج "بتر" من ملاحظاتها معتبراً "إيفا" بركة على كل ما يمت إليها بصلة. أجابها أنه خلق على هذا الشكل. تأكد في حديثه مع العجوز المتحدرة من قرية ما من "جزيرة جيتنا" من معاني كلماته. لقد ولد على هذا الشكل وسيبقى ذلك الإنسان إلى الأبد، المجري

"رونابي بيتز". لقد دغدغت لغة العجوز العامية قلبه. سوف يذهب في أقرب فرصة لزيارة عائلته.

كان الأول من سبتمبر - أيلول يوم أحد. شعر "بتر" بالوحدة في بيته. ذهب لتناول طعام الغداء في مطعم مجري وبعد ذلك تنزه في شوارع "براتسلافا". كانت ساحة "هغيزدوسلاف" مלאى بالبراتيسلافيين الذين كانوا يتمتعون بشمس ما بعد الظهيرة. ملح "بتر" عائلة سعيدة. شدة فجأة منظر طفلة تتطاير حول رأسها شرائط زهرية معلقة على جدائل شعرها. كانت تقفز ممسكة والدتها بإحدى يديها وباليد الأخرى والدها. الطفلة كانت "كاترينكا" ومعها "ماريا" و"جبرائيل".  
بعد أن رحب أحدهما بالآخر، ذكّر "بتر" صديقه "جبرائيل" بأنه لم يتصل به منذ الخريف.

- أنا؟ أنت لم تتصل، - دافع "جبرائيل" عن نفسه.  
- لقد خططت لمهاذفتك بعد الغد. رد عليه "بتر".  
- بعد الغد؟ ضحك "جبرائيل" ولم يفهم ما قصده صديقه.  
- عندي في الغد محكمة طلاق.  
- ماذا تقول؟ صرخ "جبرائيل" وشاركته "ماريا" صراخه.  
رفع "بتر" كتفيه، وربما كان بذلك يريد التعبير عن عدم اهتمامه بالأمر، ولكن تعابير وجهه كانت تؤكد أن لا حول ولا قوة له في القرار.  
- وأنا عندي يوم هام في الغد، - شوشت "كاترينكا" الصمت. - سيكون يومي الأول في المدرسة.  
- لهذا السبب أتينا إلى هنا، - أشارت "ماريا" بيدها إلى مخزن حلوى الأطفال، - سنشتري للطالبة قطعة حلوى صغيرة.  
- قطعيتين، - أكدت "كاترينكا"، - قطعة منك والأخرى من العم "جابكو".  
- سأنتظركم إذاً في الخارج، - قال لهم "بتر"، - سأدخن ريشما تنتهون.  
- سأبقى معك، قال له "جبرائيل"، - سأعطي "كاترينكا" قطعة من فئة الخمسة كورونات كي تشتري الحلوى.  
حين تركتهما "ماريا" مع ابنتها، جلسا على أحد المقاعد التي فرغت آنفاً.  
- طلاق إذاً؟ سأله "جبرائيل".  
- دعنا لا نتحدث في هذا الأمر، أرجوك، ربما في وقت آخر، بعد مدة.  
- واضح، أرجو المعذرة.  
نظر "بتر" ملياً في وجه "جبرائيل" وسأله:

- نجحت في النهاية مع "ماريا" ...  
- ليس بالتمام، أوماً "جبرائيل" برأسه. - إنها لا تريد سماع شيء عن الزواج.  
- لماذا؟

قهقهه "جبرائيل".

- وكيف لي أن أعرف؟ ربما لأنها أصبحت كبيرة في السن، وربما بسببكما أنتما الاثنان. لقد بدا لها الأمر معك، ومع "يان" أيضاً، وكأن الزواج أمر مفروغ منه، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. إنها الآن لا تثق بأحد منا ثلاثتنا.

- ولكنكما تمارسان الجنس، وهذا شيء هام، - كشر "بتر".

- أمر هام، ولكنه ليس الأهم.

- من اللحظة التي انتقلت من عندي "إيفا" يبدو لي أن هذا الأمر هو الأهم. ولكننا سوف نتحدث الآن عن... نفسينا. الأفضل أن تخبرني كيف اجتمعتما.

- هم... فكر "جبرائيل" فيما سيقوله، - إنني في الحقيقة لا أعرف. بالتدريج على ما أظن.

لمح "بتر" الطفلة، و"ماريا" وهما خارجتان من باب مخزن بيع الحلويات.

- لماذا لا تريد الزواج منك؟ كشر "بتر" من جديد، وهل تريد الزواج من غيرك؟  
وصلت "ماريا" في هذا الوقت.

- أريد سؤالك عن شيء يا "ماريا"، - بدأ "بتر" حديثه ولم تغب عن وجهه تلك الابتسامة الساخرة. - إذا لم أكن قد سجلت زواجي مع "إيفا" في الكنيسة فإني من الناحية الدينية لا أزال عازباً، أليس كذلك؟

- نعم...، أنت محق، - أكدت "ماريا".

- إذاً يمكنني أن أتزوج في الكنيسة؟

- ماذا تخطط؟ انزعج "جبرائيل".

- أمزح، - قهقهه "بتر". - لم يبق "جبرائيل" ذلك الشاب الخائف من "لفتسي".

أدار "جبرائيل" رأسه وقد أحس بالقرص من حديث صديقه. وضع "بتر" ذراعه حول كتفه وقال له:

- لا يمكنك تصور الفرحة التي أشعر بها حين أراكما سعيدين معاً.

جرت المحاكمة في الحادية عشرة. كان "بتر" قد اتفق مع "إيفا" على اللقاء قبل نصف ساعة أمام مبنى المحكمة. تصنعت كأنها لم تعد تتحمل الانتظار لتراه. قبلته من وجنتيه.

- لا شك في أي خيرة أكثر منك في تلك القضايا، نصحتة، - لذا أرجوك أن تسمع نصيحتي دون اعتراض. إن أفضل سبب للحصول على الطلاق هو فشل التوافق الجنسي بين الزوجين. عليك أن تقول بأني باردة جنسياً، وكان عليك أن تبحث عن امرأة أخرى لإرضاء غريزتك. أنا من جهتي سأقول إنك نصف عاجز ولم تتمكن من إرضائي جنسياً.

- ولكن ذلك لا يليق بإنسان مثلي، اعترض "بتر".

- ولكن ذلك سينفعنا. إن تلك القرائن سبب كاف للحكم بالطلاق.

لقد وضحت الأمور وكانت "إيفا" محقة في نصيحتها له. اعترف "بتر" أثناء المحاكمة بأنها كانت لا ترضيه في حين شرحت من جانبها بالتفصيل للمحكمة صعوبة وصول عضوه الذكري إلى حالة الانتصاب. فراقهما من الجلسة الأولى. جاء في نص قرار المحكمة أن الحياة الزوجية بينهما انهارت لأسباب تتعلق بالزوج الذي بحث عن امرأة أخرى بهدف المتعة الجنسية. من يدري ما إذا كان قد وجد تلك المتعة، إذا كان عضوه يرفض الانتصاب وهو بجانب تلك "السكس يومبا"، فكر القاضي بينه وبين نفسه.

ترافقا بعد انتهاء المحاكمة لتناول طعام الغداء. أخبرته "إيفا" بفرح بالشخص الذي تعرفت عليه خلال تلك المدة في "براغ"، ثم رجته بعد ذلك أن يسمح لها بقضاء ليلتها عنده لأنها لا تحب سفر الليل. كان قطارها إلى "براغ" يغادر مع طلوع الفجر وكانت تشعر بتعب شديد. وافق "بتر" واتفقا على أن ينتظرها في السادسة مساءً في بيته لأنه سيذهب الآن إلى قسم التحرير.

- لقد أمضينا ليلة من ليالي kamasutry<sup>301</sup>، علماً أنك عاجز جنسياً وأنا باردة جنسياً، قِيمت "إيفا" تلك الأمسية وهي ترتدي ثيابها في الصباح.

- ولأنك عملت بنصيحتي في المحكمة، سأخبرك بشيء في غاية السرية. خبر مباشر من "هرادشاني"<sup>302</sup>. إذا لم يتقدم "شيروكي" خلال أسبوعين باستقالته فإن رئيس الجمهورية سوف يقيله من منصبه. أنت صحفي وعليك استغلال هذا الخبر بالطريقة التي تراها مناسبة. أنهت كلامها وطبعت قبلة على وجنة "بتر".

سأل "بتر" نفسه، متى كتب آخر مرة باللغة المجرية. ربما قبل شباط 1948. أحس بإمكان وأهمية كتابة مقال جديد بالمجرية في الوقت الحاضر. المقال بعنوان

<sup>301</sup> Kamasutry: فن الطقوس الجنسية عند الهنود. م.

<sup>302</sup> هرادشاني: قصر رئيس الجمهورية في براغ. م.

"الأمور تتحرك". أشار فيه "بتر" إلى تطور الحياة السياسية الداخلية منذ الخمسينيات، واقتبس الكثير من كتابات الرئيس "نوفوتني" عن تجاوز اللوائح الحزبية والقوانين الاشتراكية، ولا سيما عن نتائج لجنة تحقيق "كولدر" التي درست خلفيات المحاكمات السياسية. أشار "بتر" إلى المسؤولية المباشرة التي تقع على عاتق رئيس الوزراء "شيروكي" الذي ساهم مع بداية الخمسينيات في الترويج للحملة الاعلامية ضد من سماهم بالبرجوازيين القوميين السلوفاك، في حين كانت تلك الحملة ملفقة جملة وتفصيلاً. لقد خيبت الدعايات التحريضية والمحاكمات الملفقة وقرارات الحكومة وقيادة الحزب ظنَّ مواطني تشيكوسلوفاكيا الذين يبنون الاشتراكية بعزيمة صادقة. تذكر "بتر" الشعار القديم الذي ألفه "ثقوا بالحزب أيها الرفاق"، ولكنه لم يذكره في مقاله. سأل في نهاية المقال عن مصير الروح الوطنية في ظل الاشتراكية؟ إذا تخلى البرجوازيون القوميون السلوفاك عن تعصبهم القومي وأصبحوا وطنيين فحسب، فإن هذا التحول يمكن أن يساعد مع الوقت في نمو الروح الوطنية وحب الوطن الاشتراكي لدى المجرين المقيمين في تشيكوسلوفاكيا بالتوازي مع حبهم لوطنهم الأم أيضاً.

أنهى "بتر" كتابة مقاله في الخامس من سبتمبر، وانتظر بعد ذلك، في حوالي العاشر من سبتمبر، راودته شكوك حول صحة ما أسرت له به "إيفا"، وبعد الخامس عشر أصبح شبه متأكد من أن الأوضاع لن تتغير. في التاسع عشر من سبتمبر قدم رئيس الوزراء استقالته، سمع "بتر" هذا الخبر من الإذاعة في مكتب التحرير. سحب المقالة من درج مكتبه وذهب لمقابلة رئيس تحرير يومية "أوي سو" (الكلمة الجديدة بالمجرية).

- حسناً! قال رئيس التحرير الرفيق "دينيس بيتز" بعد أن انتهى من قراءة المقال.

وقف "بتر" في وسط مكتبه مثل طالب مشاغب أمام مدير المدرسة، بينما تابع رئيس التحرير:

- يجب على الصحفي أن يتفاعل بسرعة مع الحدث، وأنت من هذا النوع. لقد أذاع الراديو قبل ساعة خبر استقالة الرفيق... "وليم شيروكي" وها أنت تقدم لي مقالاً يبحث بشكل واسع تلك الأحداث التاريخية. نعم، حوادث تاريخية، وهذا صحيح لأن حقبة تاريخية ستنتهي وتبدأ بعدها حقبة تاريخية جديدة. ولكن ما نوعها؟ حقبة اشتراكية. أرى في هذا السياق بعض الضعف في مقالاتك أيها الرفيق....



- روناى، - أضاف "بتر".

- روناى. هذا ما أراه أياها الرفيق روناى، - أوماً رئيس التحرير برأسه بعنف حتى أوشكت نظارته على السقوط. وحين صحح من وضع نظارته تابع قائلاً:  
- الاشتراكية! تلك الكلمة الساحرة. تنتهي حقبة اشتراكية ثم تليها حقبة اشتراكية ثانية، والمسيرة تستمر كما يقولون. "شرويكي" أو "هوساك" - إذا كان علينا أن نكون دقيقين، الأمر سيان. الأساس هو الاشتراكية، وهذا ما غاب عن مقالاتك.  
- لم يرغب! - حاول "بتر" أن يدافع عن نفسه.

- غاب! رفع رئيس التحرير "دنيس" من وتيرة صوته. - العنوان بحد ذاته: الأمور تتحرك. أي أمور؟ وإلى أين تتحرك من فضلك؟ إضافة إلى هذا وذاك، إن مقالاتك ملأى بالأخطاء المزعجة بدءاً من القواعد وانتهاء بالأسلوب. إنك أياها الرفيق سلوفاكي تعلم في صغره لغة المطابخ المجرية، وهذا لا يكفي في الصحافة، ويقودنا هذا إلى شيء آخر أياها الرفيق روناى. لماذا وقعت المقالة باسم روناى؟ إذا كنت تجرب الكتابة في صحيفة: "أوي سو" فهذا لا يوجب عليك تغيير اسمك. إبق كما أنت "روناى".... واترك لنا حب الشعب المجرى.

أعاد رئيس التحرير إلى "بتر" مقالته.

- لن تنشره إذًا؟! سأله "بتر" وهو يعرف أن سؤاله لن يفيد في شيء.

- لا يمكنني، - أنهى الرفيق "دنيس" الحديث.

## حادثة عام 1964

انتظر "إيان بيرك" ثلاث سنوات حتى جاءه رد وزارة الدفاع الأمريكية على اقتراحه المتعلق بإنتاج بودرة البيض المقلي. تم تحديد المقابلة في البنتاغون في 12. آب 1964 الساعة الثالثة. رن جرس الهاتف في منزله قبل أربعة أيام من الموعد. كان "إيان" نائماً وتطلبه بعض الوقت ليصحو بشكل جيد. كان على الجانب الآخر من الخط مساعد جديد لمساعد أقدم من أحد أقسام وزارة الدفاع الأمريكية الذي أخبره أن اللقاء مع الجنرال ماك لرفين قد تأجل إلى الأول من سبتمبر - أيلول. - لماذا التأجيل؟ سأله "إيان".

رد عليه مساعد المساعد أن كل شيء قد تغير بسبب الأوضاع المضطربة في فيتنام.

علم "إيان" عن طريق التلفزيون قبل عدة أيام أن الكونغرس قد وافق على اقتراح gulf of Tonkin resolution وبدأت طائرات سلاح الجو بالقاء القذائف على أراضي جمهورية فيتنام الديمقراطية.

أخذ "إيان" إجازة ثلاثة أيام بسبب سفره إلى واشنطن. صعد في الواحد والثلاثين من آب في نيويورك إلى حافلة المسافات الطويلة. وصل بعد الظهر إلى واشنطن حيث أمضى ليلته في فندق رخيص في ضاحية دين وود. حين خبر من موظف استعلامات الفندق بعدم وجود مترو أنفاق في واشنطن، ضبط المنبه على الساعة السادسة والربع ظناً منه أن الطريق إلى البنتاغون الموجود على الطرف الثاني من نهر "بوتوماك" سيتطلب منه على الأقل ساعة ونصف في زحام الصباح.

استيقظ "إيان" على تشنج عصبي في معدته علماً أنه أجرى في السنوات الماضية العديد من المقابلات الفاشلة في شركات مدنية. لقد قال منذ عدة أيام إن هذا المنتج سوف يلقي نجاحاً هذه المرة لا سيما وأنه مخصص للجنود وسوف يعرضه أمام عسكريين، ولكن التوتر لازمه ولم يتوقف إلا حين دخل إلى بناء البنتاغون. فجأة توقف خوفه. لقد بدا له كل شيء هناك شبيهاً بقليل مشوه: معابر طويلة

ملأى بالناس المرعفين، ومكاتب مشرعة الأبواب تسمع منها أصوات نقر آلات الكتابة، وتفثيش متكرر من عناصر الأمن، وعدد كبير من البزات الرسمية التي لا تتوقف عن أداء التحية العسكرية....

كان "إيان" يكره ثياب الجيش من أيام الحرب حين كان في "برنو"، ولم يساعده عمله خمسة أعوام مع الجنود في مركز أبحاث "ترنشانسكي" على التخلص من هذا الشعور. كان الجنود البريطانيون يرتدون البزات العسكرية حين تخفى في عام 46، وكان الأمر مشابهاً مع الجنود السوفييت الذين أطلقوا عليه النار في بودابست بعد ذلك.

إنه يقف الآن أمام طاولة مستديرة يجلس حولها مدنيان وخمسة عسكريين. أربعة منهم برتبة كولونيل وواحد برتبة جنرال كما عرف "إيان" من المساعد المستجد الذي رافقه في المعبر الطويل (رافقه قبل ذلك في المصعد مساعد قديم). سأل "إيان" عما إذا كان "ماكنمارا" بذاته حاضراً أيضاً وهذا السؤال جعل المساعد يدير عينيه مستغرباً.

حين بدأ "إيان" الكلام عاد إليه شعور التوتر والخوف. بدأ حديثه كما في كل مرة بشرح فوائد الطعام المجفف، ولكنه ركز الآن بشكل رئيسي على أهمية خواصه بالنسبة إلى الجيش. إن الأغذية المجففة سهلة التعليب، ولا تحتاج إلى مساحات كبيرة، وحجمها صغير ومن ثم يسهل نقلها في وسائل نقل الجنود، كما يمكن تخزينها بسهولة، ما يقودنا إلى مناعتها العالية ضد الحرارة والباكتيريا، والشيء الأهم هو إمكان إضافة الفيتامينات ومواد أخرى يحتاج إليها الجندي كي ينفذ مهماته القتالية الصعبة بهدف حماية المصالح الأمريكية في أي مكان من العالم. أحد الكولونيلات أو ما برأسه دليل موافقته على كلام "إيان".

- تصوروا جندينا بعد مسير طويل أو بعد حراسة عدة ساعات في الشمس الحارقة في الغابات أو في المستنقعات. العدو من حوله في كل مكان، متطرف، مقاتل شيوعي. أقرب مطبخ ميداني على بعد عشرة أميال، وأقرب مطعم محترم على بعد مئة ميل والوطن على بعد ألوف الأميال. يوجد لدى جندينا بعض الوقت ويرغب على الأقل في تناول وجبة بيض مقلي، تلك الوجبة التي كانت تحضرها له والدته الأمريكية الطيبة. هل عليه الانتظار حتى يعود إلى المعسكر؟ البيض المخصص للمطبخ الميداني تكسر أثناء النقل، وتخرب ما تبقى منه من شدة الحرارة. إنها ملأى بالجراثيم الخطيرة التي تنتظر مثل قنبلة بيولوجية موقوتة.

هناك تهديد "بالسامونيل" التي بلا شك قد سمعتم عنها. الحل موجود في الجيش الأمريكي على خلاف جميع الجيوش الأخرى: بودرة البيض المجفف المقلبي المركز! أخرج "يان" من جيب معطفه الداخلي كيساً صغيراً من النايلون مليئاً بالبودرة. - من هذه الكمية يمكن تحضير وجبتين إلى أربع وجبات من البيض المقلبي. تطلع في وجوه مستمعيه. بدأ له الجنرال وكأنه يغفو في كرسيه. الآخرون كانوا يستمعون أو هكذا خُيل له. - أعطوني ماءً مغلياً وسوف أحضر لكم وجبة مغذية وشهية، - ابتسم "إيان" ولوّح بالكيس.

- هل يمكنك أن تُسلمنا ذلك الكيس؟ سأله أحد المدنيين. - هذا يتعلق بما تريدون فعله فيه، - رد عليه "إيان". - أرغب في أن يتذوقه بعض المساعدين. إنهم معنا لهذا الغرض. - حسناً، إنه لك، - سَلَّمَهُ "إيان" الكيس. خرج المدني بسرعة من الغرفة حاملاً معه الكيس. - اسمحوا لي أن أتابع حديثي. يمكن للجندي أن يحضر وجبة البيض وحده وبسرعة كبيرة. ينهي أكله ولا يترك من خلفه نفايات. حين يصل العدو بعد عدة أيام إلى هذا المكان لن يجد شيئاً. هل يذكركم هذا بشيء؟ بالطبع، تكتيك "الغوريل". عدم ترك أي أثر. لنستعمل طرق أعدائنا أيها السادة. حرب التحرير الوطنية؟ لنجعل هذه الكلمات تستعيد معانيها الحقيقية. لاحظ "إيان" حين تمكن في النهاية من أخذ نفس عميق، كيف كان كولونيلان يومئذ برأسيهما. - لنبحث الشؤون المالية، - قال الجنرال "ماك إيرفين" الذي صحا آنفاً. - ما السعر الذي يمكنك به تسليمنا منتجك؟

- هذا يتوقف بالطبع على الكمية التي ترغبون فيها. إن ما أخبرتكم به اليوم هو شيء جديد بالملق. لقد أنهى الباحث الذي يعمل لحسابي الوصفة قبل عدة أسابيع وقمت بتقديمها للحصول على براءة اختراع، - قال لهم "إيان" بارتجال. - إذاً ما السعر؟ كرر الجنرال سؤاله.

- إذا تسلمت عربوناً لتنشيط الإنتاج فإن السعر سيكون رخيصاً. فُتح الباب في تلك اللحظة وعاد المدني الذي غادر الغرفة قبل دقائق مع الكيس. سَلَّم الجنرال ورقة مطوية. حين فتحها الجنرال لمح "إيان" الكلمة التي كتبت عليها: "YES". (نعم).

- هل يكفيك ثلاثة أرباع المليون دولار عربوناً؟

توردت وجنتا "إيان".

- ثلاثة أرباع المليون؟ ربما يكفي.

- حسناً. يمكنك بحث التفاصيل مع مساعدي، قال له الجنرال وهو يهم

بالخروج. غادر معه العقداء الأربعة. فك "إيان" ربطة عنقه.

- قبل بحث التفاصيل أريد أن أعبر لك يا سيد "بيزك" عن إعجابي بالصبر الذي

تحليت به، - قال له المدني الثاني وهو يفتح الملف الذي كان أمامه على الطاولة.

لقد وصل منك إلى وزارة الدفاع خلال ثلاثة أعوام تسع وعشرون رسالة. كل رسالة

كانت تختلف عن الأخرى وكل رسالة كانت موجهة إلى قسم مختلف. استعنت

بدليل الهاتف أثناء كتابة الرسائل، أليس كذلك؟

- معك حق، - أجابه "إيان".

- أنت محظوظ لأننا بدأنا عمليات واسعة في فيتنام، - قال المدني الذي حمل

عينات من بودرة البيض كي يتم تذوقها، وأضاف: ولولا ذلك لكنت ستكتب لنا حتى

الموت ولن تجد من يجيب على رسائلك.

تذكر "إيان" في تلك اللحظة "أنطون" عم جبرائيل الذي قال له "التجارة الكبيرة

تحتاج إلى حرب كبيرة".

حين ودع أحدهما الآخر، التفت المدني الذي عرّف عن نفسه باسم "توماس

كلينك" نحو "إيان" وأخبره أنه سوف يصبح ضابط الاتصال بينه وبين البنتاغون،

وأنها سوف يبحثان منذ اللحظة كافة المواضيع معاً.

انتهى المطاف بـ "إيان" في ذلك المساء في بار "جو" القريب من الفندق الذي

ينزل فيه. أكدت له المومس التي تعرف عليها هناك في تلك الليلة أنها سوف تمنحه

تخفيض أسعار بشكل استثنائي. قالت إنها تحب الشبان البيض الذين لا يهابون

الدخول إلى مناطق الزنوج. لم يحدث ما كانت تتوقعه من المضاجعة، لذا غادرت

منزعجة وهي تشتم البيض الذين يظنون أن بإمكانهم فعل ما يريدونه مع الفتاة

الزنجية.

حين عاد "إيان" إلى نيويورك، رجع من جديد إلى شخصية "هونزا". عمل في

مطعم "فاشاتا" ولكنه بحواسه كان يقبع في مكان آخر. كان يتصل هاتفياً كل يوم

بـ واشنطن. توضح لـ "يان" أن السيد "كلينك" قرر الإثراء مع "إيان". الفرق بينه

وبين "جيمس" هو أن وصفة منتج بودرة البيض لم تكن تعنيه من قريب أو بعيد.

لقد اهتم السيد "كلينك" بالربح وحسب. الاتفاقية التي ذهب "إيان" بعد مدة لتوقيعها في واشنطن حملت في طياتها إحسان "كلينك".

نصحه "كلينك" بالانتقال إلى كاليفورنيا وفتح منشأته هناك. كان واضحاً أن جميع ارساليات بودرة البيض سوف تتوجه إلى مزبلة فيتنام لأن الجيش الأمريكي يُحضر لضربة كبيرة. إن الطريق من كاليفورنيا إلى المزبلة الفيتنامية أقصر بكثير من الساحل الشرقي.

بدأت وزارة الدفاع بتسديد عربون الصفقة إلى "إيان" مع بداية نوفمبر - تشرين الثاني على دفعات وصلت إلى مئات آلاف الدولارات كل أسبوعين. هذا ما نظمه السيد "كلينك" الذي كان يتقاضى من "إيان" عشرة بالمئة من كل دفعة خلال أربعة أيام، وإلا سيوقف ما تبقى من دفعات العربون.

تسلم والدا "بتر" مع بداية تشرين الثاني مغلفاً كبيراً من أمريكا، يحتوي على رسالة ومغلف صغير. طلب "يان" في الرسالة من السيد والسيدة "روناي" أن يرسلوا المغلف الصغير إلى ابنته التي لا يعرف في الوقت الحاضر عنوانها. شرح لهما في ذات الوقت أنه حَبَّر بولادتها بتأخير عدة سنوات، وهذا ما يتحمل مسؤوليته صديقه اللذان أخفيا عنه تلك الحقيقة. قرر والدا "بتر" عدم مناقشة الأمر مع ابنتهما وبعثا الرسالة مباشرة إلى "ماريا".

ابنتي العزيزة، كاتكا.

اسمي يان بيزك، وأنا والدك. مضى وقت طويل وأنا لا أعرف أنك وُلدت، وبالصدفة خبرت بولادتك. إني أفكر فيك دائماً، وأتخيل كيف تبدين. هل شعرك يشبه شعر والدتك - أشقر مثل سنبله القمح؟ لم يبق على رأسي الكثير من الشعر. كيف تبدو عينك؟ إذا كانتا زرقاوين مثل سماء صافية فإنهما مثل عيني والدتك أو مثل عيني الزرقاوين. إذا كنت طويلة القامة فهذا يعني أنك ورثت الطول مني لأني في حصة الرياضة كنت أقف في الصف الأول بين أطول التلاميذ.

هل تزورين المدرسة؟ كيف تسير معك الدراسة؟ أتمنى أن تكوني جيدة. إذا لم تكوني أفضل تلميذة فلا تحزني لأنك في النهاية ستكونين الأفضل.

بلا شك، تسألين كيف يمكنني أن أكون بعيداً عنك في حين يكون الآباء الصالحون مع أولادهم. سأحاول أن أشرح لك. سافرت مرة قبل عدة سنوات. ظننت أنني سأبقى مسافراً عدة أيام فحسب، ولكن سفرتي تمددت. كانت والدتك

تحملك في بطنها ولكنك كنت صغيرة جداً ولم يكن باستطاعتي رؤيتك، ولو كنت على علم بوجودك لبقيت معكما، وفجأة حصل أني لم أتمكن من العودة. إذا خطر ببالك أن باستطاعتي العودة الآن فإن الأمور لن تتم كما تظنون، لأنني إذا عدت فإنهم سوف يفرقوننا عن بعضنا، ولن أتمكن من البقاء معك. لقد حدث في السابق سوء تفاهم وهذا تسبب في صعوبة عودتي إليك، ومع كل هذا فأني أحبك، ومن اللحظة التي خبرت فيها بوجودك وأنا أفكر فيك.

ربما هذا هو قدر عائلة "بيزك" لأنني أنا أيضاً فقدت عائلتي في وقت مبكر. لقد قضيا أثناء غارة في الحرب.

ستعرفين من الطوايح الموجودة على المغلف بأني موجود في الولايات المتحدة الأمريكية. إنها بلاد واسعة وبعيدة جداً عن شيكوسلوفاكيا. إنني أسكن في قسم من الولايات المتحدة يدعى "كاليفورنيا". أعيش وحدي وعندي طفلة واحدة اسمها "كاتكا" وهي بعيدة جداً.

أرسلني لي أرجوك صورتك، وأخبرني والدتك بأني متأسف على كل شيء، ومتأسف جداً.

أقبلك

والدك

يان بيزك

ملاحظة: اكتب لي بالتأكيد أنت وأمك، وإبعثنا بصوركما.

فور انتهاء "ماريا" من قراءة الرسالة، انسكبت دموعها، وبدأت نحيباً لا إرادياً سمعته الصغيرة "كاترينكا" التي كانت تحضر وظائفها في الغرفة. حين وجدت والدتها تبكي ويدها الرسالة التي أخرجتها قبل قليل من صندوق الرسائل قالت:  
- من هي تلك الروح الشريرة التي كتبت لنا وجعلتك تبكين؟ هاتيها ودعيني أرميها.

ضمت "ماريا" ابنتها إلى صدرها وقالت لها:

- إنها ليست من روح شريرة يا "كاترينكا" وعلينا الاحتفاظ بها.

سُمع صراخ من الطريق. كان الوقت يشير إلى منتصف الليل. من يدري لماذا يحتفل الناس بنهاية عام 1964 وبداية عام 1965. كان "جبرائيل" مستقياً

بجانِب "ماريا" ويُقبل ظهرها. لقد نسيا شراء النبيذ الفوار، وبشكل أدق لم يكن هناك ما يدعوها ليشربا نخب السنة الجديدة. قررا البقاء في السرير وعدم النهوض في منتصف الليل.

كانا في بيت "جبرائيل" الجديد الذي تسلمه في نهاية تشرين الثاني من الجمعية السكنية المؤلف من غرفتين فحسب، بالرغم من أنه عبّر في الطلب عن رغبته في الزواج وإنجاب الأطفال، ومع ذلك لم يمنحوه سوى ذلك البيت من بيوت منطقة "شتركوفتس" الجديدة. نصحته الموظفة المتخصصة بتبديل البيت بعد ولادة الأطفال. لوح "جبرائيل" بيده ورصي بالبيت الذي كان من نصيبه، ولو أنه جازف ورفض تسلم البيت لكانوا وضعوا اسمه في نهاية الدور، ومن ثم عليه الانتظار أربعة أعوام أخرى، ومع ذلك لن يمنحوه سوى بيت صغير من غرفة واحدة مع المنافع.

كانت عائلة "بيلاي" لا تزال تتمسك بالأصول، وحين أرادت "ماريا" قضاء الليل عند "جبرائيل"، كان عليها أن تجد ذريعة شكلية مناسبة. بالطبع كانت والدتها تعرف أن ابنتها تقضي ليلتها برفقة عشيقها، ولكن استخدام تلك الطريقة كان يُسهل الأمور أكثر. شعرت "ماريا" أيضاً أن "كاترينكا" بدأت تخمن شيئاً ولكنها لم تعرف ماذا تقول لابنتها حين سيطرح عليها لسانها البريء ذلك السؤال. لقد أصبحت تلتقي "جبرائيل" في الفترة الأخيرة أقل بكثير مما يريدان.

كانت عينا "جبرائيل" تائهتين في ظهر "ماريا" حين نهض فجأة وأدار مصباح الطاولة كي يحصل على إضاءة أفضل لجسمها ثم عاد من جديد وانحنى عليها.

- عندك هنا شعرة بيضاء، - قال وهو يضحك.

لم تجبه "ماريا" التي كان وجهها غارقاً في الوسادة. اكتشف "جبرائيل" غلطته.

- أعذريني، - همس في أذنها، - يؤسفني ما قلته... إن شعرة واحدة لا تعني شيئاً. وأنا أيضاً قلعنت شعراً أبيضاً في طفولتي، ونصف رأسي أبيض.

أدار جسم "ماريا" نحوه. حين قبلها، أحس برطوبة وملوحة وجنتها.

- لا تبكي. أرجوك، بسبب الشعر.

- إنني لا أبكي بسبب الشعر، شهقت، - ولكن بسبب... كل شيء.

- وما الأشياء التي تجعلك تبكين؟ لم يفهم "جبرائيل".

طمرت "ماريا" رأسها من جديد في الوسادة.

- هناك شيء لم أخبرك به، همست بعد لحظات.



بحث "جبرائيل" عن وسيلة لترطيب الأجواء:

- وما الذي لم تخبريني به؟ هل أنت حامل؟ سنحتفل بالزواج... في الكنيسة بالطبع!

- لقد اتصل بنا "يان"....

جلس "جبرائيل" على طرف السرير.

- لقد كتب إلى "كاترين" رسالة جميلة مثلما يكتب أب لابنته. كتب لها أنه لم يكن يعرف بوجودها، وهو لا يفكر بشيء سواها. لا أعرف إذا كان من واجبي إخبارها. كنت دائماً أوجهها إلى أننا سنتمكن من العيش وحدنا....وفجأة تتوضح الأمور، ووالدها موجود....

نهض "جبرائيل" من مكانه وسار باتجاه النافذة. نظر إلى الشارع الذي غطته الثلوج وتجمع فيه الناس احتفالاً بالسنة الجديدة. صرخت فتاة بفرح على شاب كان يقف بالقرب منها فما كان منه إلا أن نفخ في البوق لحنناً يذكر بالموسيقى العسكرية "فانفاري".

لقد كان "جبرائيل" يرأسل "يان" منذ سنوات، وكان يخفي ذلك عن "ماريا" ومع ذلك لم يكتب له عن حقيقة وجود ابنته. إن الوضع معكوس الآن. ربما ستكون تلك اللحظة عقاباً لكذبتين.

- تفكرين فيه على الدوام، - تنهد "جبرائيل" ولكن ليس بسبب تأنيب الضمير بل لفقدانه الأمل.

- أفكر فيه ولكن ليس بالشكل الذي تظنه. إنني أفكر في حالتنا جميعاً.

لحقت ماريا بـ "جبرائيل" وضمته من الخلف حتى لامست حلمتها ظهره.

- انظر، كيف نعيش. إنني لم أتزوج وعندى طفلة. سجن والدي دون ذنب ارتكبه ومرض في السجن ثم أطلقوا سراحه كي يموت في البيت. إنها جريمة عادلة، وأنت تسلمت أخيراً في الأربعين تلك الغرفة الصغيرة وتقضي عيد رأس السنة مع امرأة أربيعينية، ولم تتمكن من حضور جنازة والدك. وأنا أخذ إجازة أسبوع قبل عيد الميلاد كي أمكن مرتين أو ثلاث مرات من الاعتراف، ولا أذهب لزيارتك لأن الأمر واضح: إننا سنقع في الخطيئة. عاد "بتر" من جديد لشرب الكحول لأنه محبط، ولم يتمكن من التكيف مع الانهيار الحاصل في ثورته، وعليه كل يوم كتابة المقالات التي لا يؤمن بها في الأصل. "يان" في أمريكا ولم يعرف أن له ابنة هنا. لا يمكنه حتى زيارتها.... إلى هذا الحد وصلت بنا الأمور، وكل ذلك ليس بسبب

الأخطاء التي ارتكبتها، إنما بسبب السياسة. لن نتمكن من العيش كما نريد بل كما يريدوننا أن نعيش.

- أخيراً - قال "جراثيل" بالرغم من ذلك.

- ماذا؟

- أخيراً أسمعك تشتمين الحياة.

- إنني لا أقصد الحياة، إنني أشتم الشيوعيين. الحياة جميلة بالتأكيد.

- هكذا إذأ؟ حياة من؟

## حادثة عام 1965

أمضى "إيان" ليلة عيد رأس السنة في شوارع سان فرانسيسكو. تسكع في المدينة التي كانت تفاجئه باستمرار. كان يتوقف بين الحين والآخر في إحدى البارات لتناول الشراب أو كان يتطلع إلى أحد النوادي التي كانت تُعزف فيها الموسيقى. دخلت معه أثناء سيره إحدى المجموعات المؤلفة من رجال ونساء في ثيابهم الغربية في الحديث. اشتكوا له قائلين إن الشرطة طاردتهم بسبب بزاتهم الغربية وإنهم الآن في طريقهم إلى بيت أحدهم ليتابعوا الاحتفال برأس السنة ثم دعوه لمرافقتهم. انتبه "إيان" حين أصبحوا في البيت وبدؤوا الرقص إلى أن بعض أفراد تلك المجموعة الغربية من الذين ظن أنهم نساء، هم في الحقيقة رجال. لم يشاهد في حياته مجموعة كبيرة كتلك من الشاذين لذا أثر الهرب.

ثمشى بعد ذلك إلى أن وصل إلى مكانه المحبوب في "فان نس أفنو" حيث توجد إطلالة رائعة على البحر. كان "إيان" يعشق رائحة البحر التي وجدها هنا في سان فرانسيسكو أوضح منها بكثير في نيويورك، كما بدا له الماء مختلفاً بين لحظة وأخرى أيضاً.

- إنك اليوم أزرق فولاذي، مليء بالأسرار ولا مبالي، - قال "إيان" مخاطباً البحر. تذكر أنه في الماضي كان على الدوام يخترع الألفاظ والجمل ويقارن الأشياء، ولكنه في حينها كان يصف جمال المرأة.

أشرق صباح يوم جديد في سنة جديدة.

انتقل "إيان" إلى سان فرانسيسكو في تشرين الثاني - نوفمبر 1964. سكن في "مارينا ديستريكت". حين لمح في مكتب نيويورك العقاري المتخصص في بيع وتأجير البيوت في كاليفورنيا اسم هذا الحي، قرأه في البداية تحت اسم "ماريا ديستريكت". أحس أن يد القدر دفعته إلى هذا المكان. توضح له في النهاية أن المكتب العقاري يملك في هذا الحي بيتين فقط للإيجار. انتقى "إيان" أرخصهما الذي يقع في شارع ضيق بالقرب من تقاطع شارع "فرانكلين" مع شارع "باي". رتب

مكتبه في الغرفة الأمامية ونومه في الخلفية. لم يكن بحاجة إلى بيت أكبر. لم تكن عنده زيارات عمل وبالطبع ولا زيارات خاصة أيضاً. نادراً ما كان يصله بريد تجاري أما الرسائل الخاصة فكانت معدومة.

ولكن هذا الوضع تغير مع بداية العام الجديد. تسلم "إيان" في نهاية كانون الثاني مغلفاً من تشيكوسلوفاكيا. كانت في داخله صورة كبيرة. شجرة كبيرة كثيفة الأوراق وسط مرج أخضر، يقف تحتها ثلاثة أشخاص. طفلة ورجل وامرأة، وكُتِب بجانبهم بشكل أفقي بخط طفل: ماما، العم جابكو وأنا = كاترينكا. كتبت "كاترينكا" على الجهة الثانية من الورقة أنها تزور الصف الثاني وأنها تتوقع علامات جيدة في الفصل الثاني من السنة وعلاماتها في غالبيتها واحد، وعندها في دفتر العلامات مرتين فقط "اثنان"، واحدة في الحساب والثانية في الغناء. الصورة التي كان "إيان" بانتظارها لم تكن موجودة في المغلف.

أمنى ألا تغضب لأني لم أبعث بالصورة لأنني لم أجد أي واحدة. أمي لا تملك آلة تصوير. لقد قام العم "بتر" بتصويرنا في عيد الميلاد ولكنه لم يعطنا الصور. قالت لي أمي، تعرفين العم "بتر".

أجاب "إيان" على الرسالة في نفس اليوم وطلب من ابنته أن تكتب له من جديد وطلب منها أيضاً ألا تكتب له بصورة الجمع لأنه في حقيقة الأمر والدها. طلب منها أيضاً أن تفكر في الأشياء التي تريده أن يرسلها إليها. أرفق الرسالة بالعديد من ملصقات شخصيات أفلام كرتون "ديسني" التي وجدها ضمن علب الشاي.

شركة "إيان" تدعى "ريال". المفروض أن يشير الاسم إلى منتجها الوحيد - ريال إنستانت سكرامبلد إجز. كان رصيد "إيان" في البنك من وزارة الدفاع كبيراً ولكن وقته كان قليلاً. تعلم "إيان" في أمريكا أن الوقت يعني المال ومن هنا عرف أن أوضاعه ليست على ما يرام. كان بحاجة إلى تسريع الإنتاج لأنه إذا لم يلتزم بالعدد المبرم مع وزارة الدفاع فسوف ينتهي في المحكمة. تمكن من العثور بعد عدة أسابيع من انتقاله على معمل لإنتاج السكاكر والمواد الغذائية المجففة يقع في أطراف "أوكلاند"، كان صاحب المعمل البالغ من العمر سبعين عاماً "ريخارد لويس براون" قد انتهز الفرصة، وطلب عربوناً أدم من الذي وعده به "إيان" قبل إقلاع الإنتاج. الدفعة الأولى من البيض المجفف كان من المفروض أن تغادر المعمل مع بداية شهر شباط. تمكنا بصعوبة كبيرة من التقيد بالموعد المحدد.

تمكن الجيش الأمريكي في نهاية شباط من تأمين حماية للطائرات في "دانانك" كي يتمكن من نقل الجنود إلى فيتنام. وقعت وزارة الحرية بوساطة السيد "كلينك" عقداً جديداً مع "إيان"، جاء فيه أن مؤسسة "ريال" سوف تورد حتى نهاية أبريل - نيسان إلى مرفأ "سان ديغو" ثلاثمئة ألف ظرف من منتج البيض المجفف.

أخبره "كلينك" أن الإرسالية الأولى سوف تذهب إلى فيتنام التعمية مع الجيش، ولكن يتوجب على مؤسسة "ريال" أن تأخذ على عاتقها تأمين نقل الإرساليات اللاحقة بشكل مباشر إلى "سايجون" التعمية، نبهه "إيان" على أن "سايجون" تقع في عمق أراضي فيتنام ولكن السيد "كلينك" أوضح بأن مؤسسة "ريال" سوف تتقاضى أجور النقل البحري إلى فيتنام وأجور النقل البري أيضاً إلى "سايجون" أيضاً، وكل دولار تتسلمه المؤسسة سيكون له منه العشر التعميس.

أنهى "إيان" فحص قيادة السيارة بنجاح واشترى سيارة. كان المعمل في "أوكلاند" يتطلب منه الحضور كل يوم. المناقشات تحولت إلى مراقبة والمراقبة إلى إدارة. لم يعد بمقدور المالك القديم توسيع الإنتاج في المعمل. نادى في أحد الأيام على العمال وقال لهم:

- هذا هو معلمكم الجديد، وأشار إلى "إيان"

استيقظ "بتر" في الأول من سبتمبر في الثالثة صباحاً. التسجيل في مدرسة اللغات المسائية يبدأ في الثامنة، وكان من المتوقع أن تتكرر الحالة التي كانت في السنوات الماضية، وسيكون عدد المقاعد أقل من عدد الراغبين.

وصل "بتر" إلى "باليسادي" في الرابعة إلا ربعاً ومع ذلك توجب عليه الوقوف في طابور يتألف من ثلاثين شخصاً.

إذا سجل كل واحد منهم شخصين، حَسَبَ "بتر" بينه وبين نفسه، فإن العدد سيصل إلى تسعين طالباً. النصف سيرغبون في تعلم الانكليزية والنصف الآخر لغات أخرى. إذا فتحوا ثلاث دورات في اللغة الانكليزية وكل دورة لعشرين طالباً فلربما سيتمكن من الحصول على مقعد.

وسعت مجلة "عالم الاشتراكية" من برنامج نشاطاتها بإضافة معلومات عن الدول الرأسمالية. بالطبع كان المفروض في الريبورتاجات أن تحتوي على معلومات تتعلق بنشاط الشيوعيين والعمال ولجان السلم، والحركات التقدمية في الغرب. ألمح رئيس التحرير منذ مدة إلى إمكان سفر "بتر" إلى الغرب في السنة الجديدة لتحقيق بعض الريبورتاجات.

- أنت تتحدث لغات أجنبية، أليس كذلك؟

- بالطبع، - أكد "بتر".

- أي لغة؟

- حتى الآن الروسية والمجرية، قال "بتر" بخجل، ولكني أخطط لتعلم الانكليزية.

- هذا هو المطلوب! ستحصل على مهمة حزبية لهذا الغرض. تعلم لغة العدو: - ضحك رئيس التحرير.

- تبدأ دراسة الانكليزية بهذا السن؟ سأدعو لك بالتوفيق (سأمسك إبهامك)، - قال له "جبرائيل" وهو يتذكر الصعوبات التي عانى منها مع اللغة. وقفا في الماء الذي وصل إلى ركبهما وانتظرا وصول "كاترينكا" مع بالون النفخ الكبير كي يرمياه لها إلى أبعد نقطة عن الشاطئ. كان "جبرائيل" قد درب الصبية على السباحة قبل عدة أسابيع.

حسب توقعات الطقس كان الأول من سبتمبر آخر يوم حار في السنة، ولهذا السبب اتفقوا على المجيء إلى هنا.

- وعمّ ستكتب في أمريكا؟ سأله "جبرائيل" بعد أن استلقيا على البطانية.

- وكيف لي أن أعرف؟ رفع "بتر" كتفيه. - سأكتب شيئاً ضد أمريكا. إنني الآن أكتب عن احتجاجات الرأي العام الأمريكي على الحرب في فيتنام.

- وإلى أي شي تستند في كتابتك؟

- عندي بعض المقالات من الصحف السوفيتية، ولو كنت أنقن الانكليزية لكنت اقتبست من الصحافة الأمريكية. عندي على الطاولة العديد من مقصوعات مجلاتهم. إنني على الأقل أستخدم الصور.

حاولت "كاترينكا" تفرغ البالون من الهواء ولكنها لم تعرف كيف تمسك به، وحين جلست عليه خرج صوت تنفيس الهواء.

- اضبط، قالت وضحكت.

- كما ترى، هذا هو الفرق، - ضحك "جبرائيل". - توجد في أمريكا مظاهرات ضد الحرب ولكنهم يكتبون عنها في الصحف، وعندنا دائماً لا شيء على الإطلاق...

- اخفض صوتك! عناصر أمن الدولة ينتصتون، "نوفوتني" يتنصت، - قاطعه "بتر".

هذه الجملة، اخترعها أحدهم في "لفتسي" حين تمت زيارة الرئيس "نوفوتني" إلى المدينة بعد تأجيل متكرر وتحضيرات طويلة. اصطف العمال والطلاب في الساحة أمام منصة الخطابة التي وقف عليها جميع مسؤولي المدينة. كانت الفرقة

الموسيقية التابعة لفوج الإطفاء تتهياً لعزف نشيد العمال ترحيباً بالحاضرين. لقد تَمَّتْ أيدي الطلابيين بسبب إمسакهم الطويل بباقات الزهور الكبيرة.

في تلك اللحظة بالذات جاءهم خبر اعتذار الرفيق الرئيس عن الحضور بسبب الإرهاق، إنه سوف يستريح في الفندق. نظر المسؤولون المحليون أحدهم في وجه الآخر. لم يعرف أحد منهم ما عليه فعله وكيف يتصرف في تلك اللحظة العصيبة. قام مدير المصانع بالرغم من ذلك بإعطاء التعليمات إلى مساعديهم، وهؤلاء أعطوا التعليمات إلى العمال. تفرق المشاركون بنظام وصمت وهدوء من الساحة. الأطفال فحسب غادروا الساحة وهم يصرخون فرحين. تلك كانت اللحظة التي ولدت فيها الجملة الشهيرة "أمن الدولة يتنصت ونوفوتني يستريح".

- انتبهي يا "كاترينكا"، السماء تتلبد بالغيوم. سنغادر إلى البيت بعد قليل، ولكن قبل ذلك ستجري بطولة العالم في السباحة. تعودنا أنا والعم "بتر" إجراء سباق كل عام في الأول من سبتمبر - أيلول في السباحة، وأنت ستكوئين الحكم.

- وما جائزة الفائز؟

- قبله، - رد عليها "جبرائيل"، وأضاف: منك.

- ومن والدتك، أضاف "بتر".

قطب "جبرائيل" حاجبيه.

حين وصل "إيان" في الأول من سبتمبر - أيلول إلى المصنع في حوالي التاسعة والنصف، قال له العجوز "براون"، إنه كان طوال عطلة نهاية الأسبوع يفكر في مستقبله، وإنه قرر بيع المصنع.

أحس "إيان" بدوار في رأسه. إن شيئاً من هذا يمكن أن يقضي عليه.  
- ما المبلغ؟ سأله.

أوماً "ريخارد لويس براون" بيده وقال بعد ذلك رقماً خطراً على باله في تلك اللحظة. استدار "إيان" على كاحله. صعد إلى سيارته ودار على جميع البنوك التي كان له فيها رصيد. عرضوا عليه في إحدى البنوك قرصاً يمكنه تسديده بعد سنتين. وقف بعد الغداء مقابل السيد العجوز وقال له: إذا تمكنا من الاتفاق على تخفيض السعر بنسبة أحد عشر بالمئة فيمكننا شراء المصنع في الحال. كان "إيان" يملك في تلك اللحظة كامل المبلغ المطلوب بالطبع، ولكنه كان يعرف أيضاً أن السيد "براون" لا يدرك القيمة الحقيقية لمصنعه. اتفقا بعد ذلك على تنزيل القيمة بنسبة عشرة بالمئة.

حين هاتف السيد "كلينك" إلى واشنطن وأخبره بتلك الصفقة، وأنه على استعداد الآن لتزويد الجيش بكميات أخرى من المنتج أو من السكاكر.

- أوه، فاك، - غضب "كلينك"، كيف لم تفكر بذلك من قبل؟

## حادثة عام 1966

- إلى أين أنتم ذاهبون أيها الرفيق السائق؟ سأل مأمور الجمارك التشيكوسلوفاكي.

- إلى "ديور"، - رد عليه "بتر" وأضاف: للتبضع.

- لا تنس أن تدون لنا في التصريح الجمركي كافة المستوردات الخاضعة للجمركة، - ذكره مأمور الجمارك.

- بالتأكيد.

رُكِبَ "بتر" السرعة وأقبح. كان الطريق خالياً من السيارات، وكانت سيارته السكودا 1000 م. ب. إكس تشجعه على زيادة السرعة. صف "بتر" سيارته مباشرة في ساحة "ديور" أمام مركز البريد. دخل إلى البناء وقال للسيدة ذات الوجه الشاحب إنه يريد الاتصال مع أو إس إي (أمريكا).

- عليك أن تعطيني مئتي فورينت سلفة، - ردت عليه عاملة الهاتف.

وبينما كان "بتر" يُعَدُّ النقود المجرية، زادت السيدة من قيمة السلفة:

- مئتين وخمسين فورنت.

- لماذا؟ سألها "بتر".

- هكذا! رفعت العاملة من وثيرة صوتها، - المبلغ الذي لن تهاتف به سأرده إليك. هل أنت خائف؟

دخل "بتر" إلى كابين صغير كُتِبَ عليه رقم اثنين، وهو المكان الذي أرسلته إليه عاملة الهاتف.

- مرحباً؟ رد صوت "إيان" من مكان بعيد.

- مرحباً؟ هل هذا أنت يا "هونزيك"؟ صرخ "بتر" في السماعة.

- "بتر"؟

- نعم، ألا أشغلك عن العمل بهاتفي؟

- الآن؟ الساعة هنا تقارب الخامسة صباحاً. إذا أردت يمكنني أن أطلبك كي

توفر المال. أملي علي الرقم.



- لست مضطراً لذلك. أريد إخبارك بأني سأجيء إلى أمريكا فحسب.

- هذا رائع! متى؟

- في الثاني من أبريل - نيسان، لأسبوع فقط.

- في أي مدينة ستكون؟ سأطير لألثاك.

- لست مضطراً لأني سأكون مباشرة في سان فرانسيسكو.

- حقيقة؟ رائع! سأنتظرك في المطار. متى ستصل؟

انقطع الخط قبل أن يتمكن "بتر" من الرد، وقبل أن تدبر عاملة الهاتف رقم "يان" من جديد طلبت من "بتر" مبلغ خمسين فورينت إضافياً.

انتبه "بتر" حين فتح باب سيارته في الساحة إلى أنه لم يكن حذراً بما فيه الكفاية. كان الأجدر به أن يوقف سيارته في طريق خلفي لأنه يكفي أن تتطلع عاملة الهاتف السمجة من النافذة لتعرف أن الرجل الذي هاتف أمريكا هو من تشيكوسلوفاكيا. كان بإمكانها تسجيل رقم لوحة السيارة بسهولة، وكان عندها رقم هاتف "يان" أيضاً. جلس "بتر" في المقعد وأدار محرك السيارة بسرعة. عند مغادرته الساحة ألقي نظرة على نافذة الهاتف. لم ير فيها أحداً.

كان من المفروض أن تكون رحلة "بتر" إلى الولايات المتحدة الأمريكية ثمانية أيام. دفعوا له في مكتب الحسابات مستحقاته من الدولارات بدل الأكل والسكن حسب اللوائح. أخبروه أن المبلغ يكفيه للسكن في نزل رخيص مخصص للطلاب كما أن بدل الطعام يكاد ألا يكفي، لذا عليه أن يأخذ معه قطعة كبيرة من السلامي المجري لأن هذا النوع من اللحم لا يفسد، ولكن يتوجب عليه حسب رأيهم أن يخفيها كي لا يكتشفها موظفو الجمارك الأمريكي لأن القانون الأمريكي يمنع استيراد المواد الغذائية.

زاره رجلان قبل سفره بيوم واحد. دقا جرس بيته فور وصوله بعد الظهر من العمل، لأنهما على الأغلب راقباه من لحظة خروجه من مكتب المجلة حتى وصوله إلى البيت. أبرزتا بطاقات تعريفهما بوصفهما عناصر من أمن الدولة.

كان لقاء روتينياً، طلبا فيه من "بتر" كتابة تقرير عن رحلته وتسليمه بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى المكتب الواقع في شارع "انتصار فبراير". يجب عليه تدوين برنامجهِ بالكامل إضافة إلى لقاءاته مع المهاجرين والشخصيات السياسية وأوالعسكرية التي تمثل الولايات المتحدة الأمريكية. شد "بتر" انتباه عنصرَي الأمن حين أخبرهما أنه يُحضر نفسه لحضور أمسية الشاعر السوفيتي "أندري فوزنسنسكي" في سان فرانسيسكو.

- أين تنصحاني بإخفاء قطعة السلامي كي لا ينتبه إليها موظفو الجمارك الأمريكيان؟ سألهما "بتر" حين أوشك اللقاء على نهايته. نظرا إليه باستغراب.  
- سيكون من الأفضل لو سألت أحد الجواسيس، - رد عليه أحدهما.  
مشى "بتر" مع "يان" وكل منهما يحمل حقيبة في يده بين أروقة الطابق الثاني لأحد مواقف السيارات الموجودة مقابل مطار سان فرانسيسكو الدولي. لقد انتهت لحظة الفرع الأولى من اللقاء بسرعة، حتى إنهما وجدا الوقت لتبادل الملاحظات الساخرة حول الصلع وشيب الشعر وظهور التجاعيد في الوجه.  
- هذه سيارتك؟ سأله "بتر" مندهشاً حين رأى لون السيارة النييدي الأحمر التي كانا يتجهان نحوها.

- إنها "كاديلاك كوبي دي فيل"، - رد عليه "يان".  
- وأنا أيضاً عندي سيارة جديدة، - قال له "بتر".  
- حقيقة؟ - بدا "يان" سعيداً من الخبر، - هذا شيء رائع.  
- ها، ها، أعرب "بتر" عن شكوكه، - إنها أيضاً بياض، سكودا 1000 إم. بي. إكس.  
يمكنك أن تضعها في صندوق سيارتك الخلفي.  
صعدا إلى السيارة.

- ما هذا، جلد، - تفحص "بتر" المقاعد.  
- شيء طبيعي عند الأمريكيان، - لوح "يان" بيده، - إنهم يحبون السيارات الفخمة، وأنت ستشتري واحدة إذا قررت البقاء هنا.  
سمع "بتر" ملاحظة صديقه وسأله:  
- ما عدد أحصنتها؟

- ما عدد الأحصنة؟ كرر "يان" السؤال بالانكليزية. أظن إنهم ذكروا في الأوراق ثلاثمئة وسبعين، أو شيئاً من هذا.  
- كل هذا؟ سيارتي بقوة تسعة وأربعين حصاناً.  
- وهذا يكفي، كشر "يان".

علفاً في زحمة السيارات. كانت السيارة تتحرك خطوة خطوة. - يمكن للأحصنة أن تنام بهدوء تحت غطاء المحرك.

صعد "أندري فونزنسكي" على مسرح دار الموسيقى في السابع من نيسان. قام "لورانس فرلنجيت" بترجمة أشعاره إلى الانكليزية. معظم الحاضرين كانوا من الشبيبة الذين أعجب "بتر" بمظهرهم. لقد أجرى في الأيام السابقة عدة صور

فوتوغرافية لشباب من ذوي الشعر الطويل. أخره "يان" بأنهم من "الهيبيز". لقد شاهدتهم هنا في كومة واحدة حافين، منكوشى الشعر، يرتدون قمصاناً خفيفة وسراويل مهترئة، سماها "يان" "جينز". الصبايا كن يرتدين أشياء تشبه الثياب التي تذكرها "بتر" من صور "غاندي"، وشعورهنّ طويلة موضبة برياطات جلدية، وسواعدهن ملأى بالأساور ورقابهن بالقلادات. كانت تقف إحداهن أحياناً وتوزع منشورات تحتوي في غالبيتها على شعارات ثورية أو أقوال مناهضة لحرب فيتنام، وكان بعضها يحتوي على مقالات قصيرة لم يفهمها "بتر". كانت لديه مشكلات مع الكتابة ولا سيما تلك التي لم تكن متجانسة في الطول أو اللون. حين أعطوه ورقة كتب عليها "الكحول يقتل، تناول ل. س. د، سأل "يان":

- ماذا يكون ل. س. د؟

- إنه مخدرهم الجديد الرائع. يقال إنهم بعد تناوله يرون الأشياء بشكل مختلف جداً.

انتهى "فوزنسكي" في تلك الأثناء من إلقاء قصائده.

- أندري خراشو... صرخ "بتر"، - الكحول يقتل، تناول ل. س. د!

رمقه بعض الهيبيين بنظراتهم وابتسموا.

بدأت بعد ذلك الفرقة الموسيقية المسماة حسب البرنامج "طائرة جيفرسون" بالعزف. تخيل "بتر" أنهم يغنون للطيور التي تحلق في أعالي السماء.

- خراشو! صرخ من جديد ولكن لم يسمعه أحد.

خطر بباله فجأة أن أول أيار سيحل في تشيكوسلوفاكيا بعد عدة أسابيع وأن أمثال هؤلاء الشباب الأمريكيان سيمرون من أمام منصات المسؤولين، وقد ربطوا حول أعناقهم رباطات الشبيبة وسوف يرددون شعارات تمجد العمل والاشتراكية. بدأ يضحك.

التفت إليه "يان" وسأله مندهشاً:

- هل أعطوك ل. س. د؟

- لا تسخر مني، وإلا فإني سأصرخ أمام الجميع بأنك أصبحت ثرياً من وراء تمويل الجيش الأمريكي، انفجر "بتر" بالضحك.

رافق "جبرائيل" في يوم أحد عاصف "ماريا" إلى القداس في كنيسة "بلومنتال" بدون "كاترينكا" التي كانت مصابة بالحصبة ولهذا بقيت مع جدتها في البيت. التقى هناك زميلته التي عرفته في الحال على خطيبتها وقالت إنهما يخططان للزواج

مع بداية الصيف. حين كان "جبرائيل" ينتظر مع "ماريا" بعد ذلك الحافلة رقم سبعة وثلاثين في محطة "ميتروبول"، فاجأها بطلبه الزواج منها من جديد. كان "جبرائيل" يقترح الزواج على "ماريا" بشكل دوري كل نصف سنة مع اقتراب عيد الميلاد لأنه يشعر بهدوء الأجواء في عائلة "بيلاي"، أو في منتصف الصيف حين تتلون بشرة "ماريا" بالبرونز ويصبح شعرها شبيهاً بالبلاتين. بداية أبريل لم يكن فصل طلب اليد.

- لا، إنني لن أتزوج، - ردت عليه "ماريا" بشكل قاطع وأضافت: - لا تبدأ من جديد، وأنت تعرف أن كلامك سيؤدي إلى أزمة.

- ترفضين الزواج مني لأنني يهودي، - أكد لها "جبرائيل". لم يعرف السبب الذي دعاه إلى قول هذا الكلام. أخذ الأمر على أنه مزحة ولكنه كان في ذات الوقت شديد الفضول ويريد معرفة رد فعل "ماريا".

- ما الذي تريد الوصول إليه؟ لم تفهمه "ماريا".

- ربما لا تريدان الوصول إلى اتفاق، - رفع "جبرائيل" كتفيه.

تسبب نقاشهما في لفت انتباه الواقفين من حولهما. حاول "جبرائيل" كبت ردود فعله، وأشار بإبهامه إلى "ماريا" كي تخفض صوتها ولكن تلك الإشارة زادت من غضبها.

انسكب وجهها باللون الأحمر.

- اتفاق؟ زميلاني في المدرسة، جيراني، وأهلي، وزميلات "كاترينكا"... باختصار كل واحد منهم يعرف بأني "عشيقتك". إذا عن أي اتفاق نتحدث؟

أدرك "جبرائيل" أنه إذا لم يتوقف الآن فإن عواقب هذا الصراع سوف تكون وخيمة، ولكنه مع ذلك لم يتوقف:

- أنتم... أيها السلوفاك... الكاثوليك... لن تتخلصوا في حياتكم من الإجحاف بحقنا.

- وأنت من تكون؟ - صرخت به "ماريا" بعصبية. - أنت يهودي؟ وأي نوع من اليهود أنت؟ كل يوم أحد ترافقني إلى الكنيسة. رجوتك مئات المرات أن تريني

الكنيس، كنت ترفض... لأنك تعرف بأنك لا تنتمي إلى هناك...

- ربما تكونين محقة في كلامك... تراجع "جبرائيل" في النهاية.

- لقد أردت استغلال عواطفني فحسب.

أوماً "جبرائيل" برأسه دليل موافقته وحاول في ذات الوقت تصنع الابتسامة، ولكن "ماريا" لم توافق على قبول الهدنة. وقفت في مواجهة "جبرائيل" مسندة

يدها على خصرها كما يحدث في حالة الاستعداد.

- لماذا تريد الزواج مني؟

- لماذا، لماذا؟ تأتأ "جبرائيل". - لقد تحسنت الأوضاع السياسية، وربما سيعود "يان" في الأشهر القريبة القادمة... وسوف يطالب بحقه في الطفلة...

- وماذا تظنني فاعلة؟ صرخت به "ماريا". - أنا من يقرر مستقبل طفلتي ولا أحد غيري، لا أنت ولا حتى "يان"... لا أمريكي ولا يهودي.

وصل الأوتوييس. صعدت "ماريا". عرف "جبرائيل" أنه لن يتمكن من الصعود. إن الدعوة إلى غداء يوم الأحد التي كانت تتم بشكل روتيني كل سنة أصبحت اليوم في خبر كان.

في اليوم السابع من إقامته في أمريكا أخرج "بتر" من حقيبته بعض أعداد مجلة الحياة الثقافية وأعطها لـ "يان" وقال:

- اقرأ كي تعرف كيف تحركت الأمور في تشيكوسلوفاكيا. إننا في الحقيقة ننعيم بحرية أكبر مقارنة مع السنوات الماضية.

- لهذا السبب اضطررت إلى مهافتي من المجر؟ سأله "يان" بسخرية. - كما لو أنك كنت هناك بشكل غير مشروع...

- الأمور تتحسن خطوة خطوة.

تصفح "يان" عدة صفحات:

- شيء رائع! وماذا عن أمن الدولة؟

- إن جهاز أمن الدولة لم يعد كما كان عليه، - رد عليه "بتر".

حاول "يان" التأثير على "بتر" واستخدم لذلك عدة أساليب. عرض عليه في البداية عملاً في مصنعه براتب مغير. بإمكانه توظيفه في الدعاية لأنه كان يُحضر للبدء في بيع البيض الملقي المحجف في الأسواق. كانت دعاية مشابهة لتلك التي كتبها "بتر" منذ زمن لأجل الشيوعيين. يتغير هنا فقط اسم المنتج. بدلاً من بيع الاشتراكية سوف يبيع خلاصة البيض المحجف. شعر "بتر" بالإهانة من هذا الاقتراح لأنه كان يعتقد بأن الدعاية هي أقدّر وسيلة يتبعها النظام الرأسمالي لتضليل الجماهير.

كان "يان" يتحدث في أوقات أخرى عن حياة "بتر" أثناء شبابه، مؤكداً أن "بتر" يحتاج إلى الابتعاد عن "ماريا"، لأنه مادام موجوداً بالقرب منها فلن يجد امرأة أخرى. عارض "بتر" فكرته وقال إنه كان متزوجاً من امرأة أخرى جميلة وصبية. استمررنا وقتاً قصيراً ولكننا لم نفترق بسبب "ماريا".

- بالمقابل لماذا لم تتزوج أنت لا سيما وأنك بعيد عن "ماريا" في أمريكا؟ انتقل

"بتر" إلى الهجوم المعاكس.

- لم أتزوج لأجل "ماريا"، - رد عليه "يان"، وعاد من جديد يتطلع في صور تشيكوسلوفاكيا التي أعطاها إياها "بتر" مباشرة فور وصوله. كانت مرمية منذ ذلك الوقت على الطاولة.

- لا يمكنني أن أحب امرأة أخرى، - اعترف "يان" بعد لحظات. - لا زلت حتى الآن أراها في الحلم... على الأقل أريد حمايتك من تأثيرها.  
- لست مضطراً إلى ذلك لأن علاقتي بها حيادية بالتمام: صداقة وحسب. أنهى "بتر" كلامه.

بالرغم من رفض "بتر" جميع الاقتراحات التي تدعوه إلى البقاء عند "يان"، وتحضيره بأمانة جميع الخطوط العريضة والصور لمقالاته التي سيكتبها عن أمريكا، إلا أن فكرة البقاء كانت تداعب أعماقه. سحرته الحرية التي كان يشعر بها في كل خطوة من خطواته. لقد أخذه "يان" في إحدى المرات إلى مصنعه. لاحظ "بتر" أن "يان" أثناء حديثه مع موظفيه بالانكليزية يستخدم كلمة "فانتاستيك" - رائع - السلوفاكية، وغير ذلك كان المدير "إيان" يتمتع بشخصية قوية.

فكر "بتر" منذ ذلك الحين بما سيحدث لو أنه عمل عند "يان"، حتى إنه في آخر الأمر راح يتابع الدعايات التلفزيونية، ولوحات الدعاية الموجودة في الطرقات، وتصور كيف سيبدو عليها الصحن الأبيض الكبير وفي داخله صفار البيض. كان الأمر يتطلب عنواناً فحسب، وهو ما أشار إليه "بتر" بكلمة السر. كانت الدعايات لا تزال تبدو له شيئاً مفرقاً، ولكن من جهة أخرى شدته فكرة إمكان التأثير على الناس بشكل مباشر. يكفيه أن يخترع بقعة دعائية للتلفزيون وبعد أسبوع سوف يعلنون عن نسبة الزيادة في حجم مبيعات المنتج.

أسوأ ما في الأمر عند "بتر" هو أن الأحوال في تشيكوسلوفاكيا بدأت تتحسن، ولو أن "ستاليني" بداية الخمسينيات استمروا في الحكم لما وجد صعوبة في البقاء. ولكنه شعر الآن بأنه سيكون نافعاً للوطن، وبوصفه صحفياً يمكنه أن يساعد في تحسين الأوضاع. لكن فكرة البقاء قبل يوم واحد من موعد العودة غلبت على تفكيره أكثر بكثير من فكرة العودة، ومع ذلك أخفى عن "يان" فكرة تغير موقفه، ولم يجد ما يبرر إخباره. أراد أن يقرر وحده، وبدا له من الأفضل لو أخبر "جبرائيل" في أقرب وقت عن تلك الخطوة. أراد التحدث أيضاً مع والديه اللذين كبرا في العمر وسيصبحان في أقرب وقت بحاجة إلى مساعدته، ولكن عائلة "روناي" لم تكن تملك جهاز هاتف في "لفتسي".

هاتف "بتر" صديقه "جبرائيل" من منزل "يان". كانت الساعة في سان فرانسيسكو تقارب الثالثة صباحاً، وكان "يان" نائماً في الغرفة الخلفية، ومن المفروض أن يكون "جبرائيل" الموجود في الجهة المقابلة من الكرة الأرضية في عمله.

- تفضل، - جاء الصوت من "جبرائيل".

- هذا أنا، قال له "بتر".

فجأة أحس بأنه لا يعرف نوع الكلمات التي عليه استعمالها في شرح ما ينوي فعله. قام "جبرائيل" في هذا الوقت المستقطع بطرح جملة من الأسئلة، كيف حاله؟ وماذا يفعل؟.

- كيف حالك أنت؟ فاطعه "بتر".

- سيء. لقد حدث بيني وبين "ماريا" صراع خطير، والأمر لا يسر على الإطلاق.

- ما الذي حدث؟

- هذا ما لا يمكن شرحه بالهاتف.

- ستشرح لي كل شيء حين سأعود، قال له "بتر" وأغلق الخط.

جلس في كرسي كبير وسرح في تفكيره. "جبرائيل" الآن بحاجة إلى مساعدة. لقد تخاصم مع "ماريا"، وإذا لم يرجع ويتدخل فلربما سيكون من الصعب إعادة المياه بينهما إلى مجاريها. إذا حدث وانتهت العلاقة بينهما فإن "جبرائيل" سيصبح إنساناً تعيساً، لكن "ماريا" ستصبح حرة من جديد بعد كل تلك السنين....

خرج "يان" من الغرفة الخلفية وكان لا يزال يشعر بحاجة إلى النوم.

- هل تعرف لماذا حلمت؟ تتأب وأضاف: حلمت بأننا نحن الاثنين تسابقنا في الأول من سبتمبر في مياه المحيط.

- وما فائدة تلك المسابقات إذا لم تكن "ماريا" موجودة؟ رد عليه "بتر".

استخدم "بتر" جميع الصور والملاحظات التي جمعها في أمريكا خلال ثمانية أيام من زيارته في كتابة مقالاته. نشروا له بعد مدة في "إيرودالمي زميلي" ريبورتاجاً حول "فوزنستسكي" والمعجبين به من الأمريكيان، وبعد ذلك مقالاً عن الشبيبة الأمريكية ومناهضتها لسياسة أمريكا بوصفه دليلاً على تنامي الفكر اليساري. نشروا له أيضاً في "عالم الاشتراكية" مقالاً حول حركة أنصار السلم بوصفها قوة ثورية في زمن العدوان على فيتنام، وبعد ذلك مقالاً حول الدعاية بوصفها رمزاً للتبذير وللحياة المادية في النظام الرأسمالي على المدى البعيد.

حدثت مشكلات بسبب مقالته "صرعة الموسم" التي وصف فيها وجهة نظر وحياة "الهيبيز". لقد بدا عمله لرئيس التحرير غير مقنع من جهة نقده لهذا النوع

من الحياة إضافة إلى كونه لا يشير إلى أي بديل. يمكن للقارئ أن يفهم من خلال قراءته المقال أن الشاب الأمريكي إما أن ينضم إلى جماعة "الهيبيز" أو يقع فريسة المجتمع الاستهلاكي. كان تأكيد "بتر" على أن الشبيبة الأمريكية تناضل من أجل السلم وترفض الديمقراطية البرجوازية الموجودة، أمراً جيداً، ولكن المقال لم يشر في ذات الوقت إلى غياب الهدف عند الفوضويين والرافضين - nihilizmus. ولكن حين قرأ رئيس التحرير في "البرافدا الموسكوفية" في الأول من سبتمبر دراسة عن الزخم الثوري في الغرب عند الشباب الذين ينتظرون ويفتشون عن وسيلة للخروج من تلك الحالة المزرية، قرر نشر مقال "بتر" الذي أصبح "صرعة الموسم" عن حق. تم بيع مئتي ألف نسخة من أسبوعية "عالم الاشتراكية" في يوم واحد. لقد حظي الصحفي "بتر روناني" بجماهيرية واسعة بين الشبيبة السلوفاكية بسبب الصور الجميلة التي التقطها في "سان فرانسيسكو"، وبشكل أكبر بسبب دليل الفرق الموسيقية والمغنين الذين من الضروري الحصول على تسجيلاتهم التي سحرت الهيبيين الأمريكيين. تسلمت هيئة التحرير العديد من الرسائل التي كان فيها الطلابيون والشبيبة يدعون "بتر" إلى مدارسهم كي يناقشوا معه محتوى مقالاته. لاحظ "بتر" حين وصل إلى هناك أن معظم الشباب والفتيات لصقوا على أذيتهم الرياضية الشعار التالي: الأخ الكبير والشركة القابضة، ملاعق "لوفين" أو النصابين. لقد خاب ظن غالبية الشبيبة لأن الرجل الذي كتب تلك المقالة الهامة كان إنساناً في أواسط العمر، بشعر قصير وربطة عنق.

تسلم "بتر" من "ماريا" أيضاً في نهاية أكتوبر دعوة للحوار حول الشبيبة الأمريكية. لم تدعه إلى المدرسة بين تلاميذها ولكن إلى البيت. كتبت "كاترينكا" التي بلغت التاسعة من عمرها على يدها بالجر الأزرق كلمة "هيبيز".



## حادثة عام 1967

انتهى يوم الأحد السابع والعشرين من آب أسبوع إقامة "ماريا" و"كاترينكا" في الفندق الكبير التابع إلى نقابات العمال في "مالين برود". حضر "بتر" بسيارته إلى "روجمبرغ" لمرافقتهما إلى "براتيسلافا". كانوا قد خططوا للتوقف في "مارتين" حيث تجري احتفالات بمناسبة مرور مئة عام على افتتاح أول "جمنازيوم" سلوفاكي. أراد "بتر" كتابة مقال عن هذه الاحتفالات، وكان بإمكان "كاترين" حضور البرنامج النقابي إضافة إلى ذلك يمكنها رؤية الرئيس "نوفوتني" الذي كان من المفروض أن يشارك في الاحتفال.

تعوّد الرئيس "نوفوتني" طوال تلك السنين النوم الهادئ العميق. كان يغرق في النوم مباشرة بعد أن يستلقي على السرير، وفي كل مرة كان يحلم بشيء جميل. هكذا كانت أحواله في بداية الخمسينيات حين حكموا على رفاقه، وكذلك في المرحلة الثانية من الخمسينيات في زمن انتقاد عبادة الفرد، وكذلك في أيام إعادة الاعتبار للمسجناء السياسيين مع بداية الستينيات.. ولكن أحواله تغيرت في صيف سبعة وستين، فإما أنه لم يعد يتمكن من النوم أو أنه كان يستيقظ في منتصف الليل ويتقلب في السرير حتى طلوع الفجر، وإن حدث وغفا في الصباح كان يرى أحلاماً مزعجة.

أول حلم مزعج دوّنه في دفتر يومياته في العشرين من حزيران. حلم أنه يقف وسط غرفة كبيرة وقد صُب البيتون على قدميه، ومن حوله تجمع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي. كانوا يقذفون عليه نجومًا صغيرة حمراء ذات حواف رقيقة مثل شفرات الخلاقة، وكل نجمة تصيبه كانت تخترق جسده. حين أفاق الرئيس فكر إذا كان أعضاء المكتب السياسي يتمتعون بذات الدقة.

بعد عدة أيام، حلم الرئيس أنه يقود دبابة روسية قديمة ت 34. كانت مهمته الدخول إلى الأراضي الألمانية مجتازاً مرتفعات "شومافا". حين تمكنت الدبابة من

الزحف على ظهر الجبل وبدأت بالنزول من الجهة الثانية لم يعد بمقدوره التحكم في قيادتها. فجأة وجد "أنطونين" نفسه مقيداً في مقدمة الدبابة التي كانت تسارعها يزداد شيئاً فشيئاً إلى أن تحطمت بين الأشجار والصخور، وبالرغم من أن الرئيس حاول تدوير وجهه إلا أن أحد أغصان الشجرة أصابه في وجهه ووخز عينيه. اقتربت النهاية المحتومة.

حتى إن الرئيس حلم مرة أخرى حلماً مزعجاً في ليلة الثامن والعشرين من آب. وبالرغم من أنه لم يتذكر الحلم بكامله في الصباح إلا أن ما تذكره كان فظيماً. حلم أنه كان مبسماً على صليب مزدوج وكانت الأماكن التي ثبتت فيها المسامير على يديه وقدميه تؤلمه بشكل كبير، وكان الناس يرقصون وينشدون حول صليبه بفيابهم المزخرفة ذات الألوان البهية التي تعود فلاحو القرن الماضي لبسها. حين تطلع "أنطونين" إلى يمينه لمح في البعيد تلة صلب عليها هو بذاته. لذا فضل تدوير رأسه نحو اليسار ولكنه لمح هناك مرتفعاً مشابهاً صلب عليه للمرة الثالثة. استيقظ من نومه وهو يصرخ بشكل مرعب. لقم اثنان من حرسه الشخصي اللذان كانا يستلقيان بجانب سريره "ساموبالاتهما"، ولكنهما لم يجدا من يطلقان عليه النار.

صعد الرئيس وهو في حالة شديدة من التعاسة وبعد فطور متواضع سيارة تاترا 603". لقد اختار هذه السيارة لرحلته الطويلة إلى منطقة ما من سلوفاكيا تدعى "مارتين" في اللحظة الأخيرة، لأنها تثير الانتباه أقل بكثير من السيارة السوفيتية "تشايبكا" أو "زبل". مرت الرحلة بيسر، ولكن أسوأ ما في الأمر كانت هواجس الرئيس الذي اعتبر أن الوضع الآمن في الطريق من "براغ" إلى "مارتين" ما هو إلا هدوء قبل العاصفة، وفكر بأن إخلاء الطريق لموكب الرئيس هو من عمل الأعداء لكي يخففوا من خوفه.

لقد نجحوا إلى حد ما في تحقيق مآربهم لأن الرئيس "نوفوتني" غفا في "جيلينا"، ولم يحلم بأي بشيء، ولكنه استيقظ على صوت حارسه الذي نبهه بأنهم وصلوا إلى "مارتين". فتح الرئيس عينيه وألقى نظرة من النافذة. لمح منصة عالية تشبه إلى حد كبير التلة التي حلم بها في تلك الليلة الفظيعة، ووجد الرجال والنساء يرقصون عليها بزيمهم التقليدي. عرفهم. كانوا بالضبط أولئك الذين رأهم في حلمه. شحب لون وجه الرئيس.

اتجه الموكب إلى طريق فرعي. توقفت سيارة الرئيس أمام مبنى جمعية "سلوفاكيا الأم". فتح الحارس باب السيارة ونزل الرئيس. وقع نظره على علم رُسم عليه صليبان فوق ثلاثة مرتفعات. لقد سَمّروه في الحلم على صليب مشابه، ولا يزال حتى الساعة يشعر بالألم من تأثير المسامير، ولكن مسؤولي المدينة كانوا قد قفزوا في تلك الأثناء ووقفوا أمام الرئيس. أحد الشباب كان يمسك في يده سكيناً. احتفى الرئيس خلف ظهر أضخم حراسه.

- أيها الرفيق. إننا نرحب بك حسب العادات السلوفاكية القديمة في مكاتب جمعية "سلوفاكيا الأم" بالخبز والملح.

اقتربت إحدى الفتيات من الرئيس، حاملة بين يديها صينية مصنوعة من الخشب وضع عليها رغيف منفوخ. وضع الشاب السكين بجانب الرغيف. التقط الرئيس السكين بسرعة، وبما أنه أمسك بها فلن يتمكن أحد من أعدائه من الإمساك بها. بيدين مرتجتين قطع لقمة صغيرة، رش عليها قليلاً من الملح وقربها بطريقة شكلية من فمه، وراح يمضغ في الفراغ، وفي اللحظة الأخيرة هرس القطعة في راحة كفه. إذا كان الخبز مسموماً فإن أعداء الرئيس بدؤوا يظنون أن خطتهم الشيطانية قد نجحت.

دعا رئيس جمعية "سلوفاكيا الأم" الرئيس إلى دخول مقر الجمعية حيث شرح له هناك بعض الأمور المتعلقة بماضي المدينة ومؤسساتها، ولكن كلماته كانت تدخل في أذن الرئيس من جهة وتخرج من الجهة الثانية لأنه كان يركز انتباهه على المساحات الموجودة من حوله. كان المكان مكتظاً بالناس، وهذا جعله يدرك استحالة مراقبة الجميع.

- أعلى درجة من الجاهزية، همس في أذن رئيس الحرس.

لم يتمكن الرئيس من تذكر اسم رئيس الجمعية "بشك"، أو "باشك"، الذي دعا الرفيق الرئيس لتدوين كلمة في دفتر زوار جمعية "سلوفاكيا الأم" الموجود على الطاولة الخشبية. تطلع الرئيس من حوله وقد تشوش تفكيره ثم حدث نفسه قائلاً: هذا ما يريدون الوصول إليه، يريدون مني ألا أتطلع من حولي وأحني جذعي ليطلقوا النار على قحف رأسي، لَوْح "نوفتني" بيده أمام دفتر الزوار وتابع سيره.

- هل يمكنني أيها الرفيق الرئيس أن أتحدث معك على انفراد، - سأله مسؤول الجمعية.

أوما "نوفوتني" برأسه، ولكنه في الحال شعر بالندم على موافقته. أشار الرئيس بإصبعه إلى ثلاثة حراس ليرافقوهما. نظر مسؤول الجمعية مندهشاً إلى الرئيس الذي أوحى له بأن كل شيء على ما يرام.

حين دخلوا إلى غرفة مدير الجمعية، فكر الرئيس ملياً في المكان الذي سيجلس فيه. المهم ألا يكون ظهره باتجاه الباب، ولكن الهجوم يمكن أن يحدث من جهة الخزانة الكبيرة الموجودة في طرف الغرفة الأيمن.

- مكتبك جميل، قال الرئيس بشكل عرضي.

مشى باتجاه الخزانة، وتصنع الفضول ثم فتحها. كانت هناك الأداة. الفراعة ذات المسكة الطويلة المزينة برسومات شعبية.

صفق "بشك" أو "باشك" الذي لم يعرف الرئيس اسمه بالضبط وقال:

- وهذه أيضاً مفاجأة! لقد جهزنا هذه الفراعة "الفلاشسكية" (نسبة إلى منطقة فلاشسكا) لك أيها الرفيق الرئيس. هدية جميلة إلى الرئيس من السلوفاك.

توقف نَقَس الرئيس بسبب لا مبالاة ذلك الرجل. خطر بباله أن يعطي حراسه أمراً فورياً بإطلاق النار على ذلك الإنسان الذي يريد اغتياله.

فَسَّر مدير الجمعية منظر الرئيس المتسائل بطريقته الخاصة. فتح الجرار، وبإتسامته العريضة أخرج علبة خشبية كبيرة يمكنها أن تتسع بسهولة لمسدس وقنبلة يدوية.

- هذه هي هديتنا الثانية. نسخة نادرة وأصلية توثق أصل السلوفاك وسلوفاكيا. انظروا أيها الرئيس!

- كفى! صرخ الرئيس. - لا أريد هداياكم، سأغادر!

رفض "أنطونين نوفوتني" بأدب أيضاً ما تم تحضيره لإقامته في فندق "مارتين"، وغادر برفقة موكبه مباشرة باتجاه "براغ". لمح الرئيس من بعيد وهو في طريق عودته من "مارتين" بعض الحصادات العائدة من الحصاد في حقول الجمعية التعاونية الفلاحية الموجودة في منطقة "أورافا" إلى محطة الآليات والتركورات في "شتوروفا". شكلت عنده تلك الآليات الضخمة مصدراً للخطورة في شكلها، ولا نتحدث هنا عن إمكان تحويلها إلى عربات قتال تجر المدافع والرشاشات. أعطى الرئيس أمراً بالعودة، بعد قليل غابت الحصادات عن نظريه.

ولكي يعطل خطة ملاحقيه، أعطى الرئيس أمراً بالانعطاف إلى أحد الطرق الفرعية. توقف الموكب أمام كوخ للصيادين في وادي "كادرسكي". أمر "نوفوتني" إخفاء السيارات في الغابة، وبعد ذلك أشرف بذاته على تفتيش الكوخ مع رئيس

حرسه. بدت له الأمور مشكوكاً فيها لأنه وجد بندقيتي صيد في إحدى الغرف. حتى إن موظفي الكوخ ينتمون إلى المتأمرين. أمر الرئيس بإخراج السيارات من الغابة. غادروا في الحال.

لن يكون "أنطونين نوفوتني" إذا لم يخطط لشيء ضد الأعداء. كانت هذه المرة خدعة سيارات فارغة. نزل الجميع من السيارات التي لم يبق فيها سوى السائقين الذين تابعوا طريقهم إلى "براغ". مشى الرئيس برفقة ستة من أخلص حراسه في الغابة باتجاه الغرب. توجب عليهم السير عبر أراضي سلوفاكيا الواسعة. عبروا المراعى ومروا بالقرب من البيوت المهجورة. أخذوا من الفلاحين الأكل والثياب التي بوساطتها أصبحوا لا يثيرون الانتباه. اجتازوا مع حلول صباح الأول من سبتمبر الأراضي الواقعة بين مورافيا وسلوفاكيا.

ألقى الرئيس بعد عدة ساعات خطاباً أمام طلاب المدارس العسكرية. دعا فيه بشكل أساسي إلى النضال ضد الليبرالية، والتقى السفير السوفيتي في المساء. طلب منه أن يلقي الاتحاد السوفيتي قبلة نووية على المحافظة السلوفاكية "مارتين". يمكننا أن نلصق التهمة بالأمريكان. نقل السفير رغبة الرئيس إلى الكرملين. جاء الرد على شكل مراوغة. أدرك "نوفوتني" حينئذ وجود أعداء له في موسكو.

حضر يوم الجمعة، الأول من سبتمبر حوالي الساعة التاسعة رجل في الأربعينيات من عمره يرتدي بزة أنيقة لمقابلة "بتر" في مكتب التحرير. طلب منه الرجل إجراء حوار قصير وخاص. جلسا في المقاعد الوثيرة الموجودة في الممر، وأشعلا لفافتي تبغ.

- هل تتذكرني؟ سأله الرجل.

- ربما قليلاً... ولكنني لا أتذكر من أين، اعترف "بتر".

- براغ، اللجنة المركزية، سنة أربع وخمسين. كتبت في حينها الشعارات، - ذكره الرجل.

- أها.. تنهد "بتر". - كنا في عز الشباب.

- إننا بحاجة من جديد إلى خدماتك.

- توقفت عن كتابة الشعارات.

- يا للأسف. ظننت أنك ستكون فضولياً وستسأل عن طالب الخدمة.

- من يكون؟

- اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السلوفاكي.

ذهب "جبرائيل" في الأول من سبتمبر صباحاً لرؤية "ماريا" في المدرسة. اليوم التالي كان يوم سبت وكان قد خطط مسبقاً لزيارة أهل "بتر" في "لفتسي". فكر في إمكان طلب مرافقة "ماريا" و"كاترينكا" له.

كانت "ماريا" مدرسة الصف 8 - ب. عرف "جبرائيل" من الأطفال الذين كانوا يلعبون في أول يوم لهم في المدرسة أن صفوف 8 - ب موجودة في الطابق الثاني. حين دخل "جبرائيل" إلى الغرفة، شاهد في البداية رجلاً طويل القامة يقف على كرسي بالقرب من مكان جلوس المدرسة، وكان يفعل شيئاً على الجدار في حين كان الطلاب يتزاحمون ويضحكون من تحته. حين لمحوا رجلاً غريباً يقف بين درفتي الباب توقفوا في الحال عن الضحك.

- أين الرفيقة المدرسة "بلايوفافا"؟ سأل "جبرائيل".

لم يجب الأطفال بشيء، وراحوا ينظرون خائفين في وجه "جبرائيل".

- أليس من المفروض أن تكون الرفيقة المدرسة "بلايوفافا" هنا؟ جرب جبرائيل السؤال من جديد.

- لقد غادرت، - ردت إحدى الطالبات.

- إلى أين؟ سأل "جبرائيل".

- قالت إنها بحاجة إلى للعودة إلى المنزل، شرحت الطالبة الأولى.

- لأن والدتها مريضة، - أضافت الثانية.

- أها! تصرفوا إذأً بأدب، - قال لهم "جبرائيل" بصورة أمرية وأغلق الباب خلفه.

فكر حين كان يسير في المعبر في ضرورة لفت انتباه الرجل الذي كان يقف على الكرسي والطلب منه توخي الحذر كي لا يقع ويلحق الضرر بنفسه، ومن ثم سوف تتعرض "ماريا" إلى المساءلة.

عاد من جديد إلى الصف. كان الرجل لا يزال واقفاً على الكرسي وكان يصرخ بشيء أثار موجة من الضحك عند التلاميذ. لم يدرك في هذه الضجة أن الرجل الغريب قد عاد من جديد. مشى "جبرائيل" خطوتين، وعرف في الحال سبب ضحك التلاميذ. كانت صورة الرئيس التي علقها أحد التلاميذ قبل قليل على الجدار فوق مكان جلوس المدرسة مملأ بالخطوط المتصلبة مما أوحى بأن الرئيس "توفوتني" يقبع خلف قضبان السجن.

ترك "جبرائيل" غرفة الصف دون أن ينطق بكلمة واحدة.

كان من المفروض في ذات اليوم أن يحضر "إيان بيزك" إلى وزارة الدفاع كي يوقع عقداً جديداً لتوريد عدة أنواع من المنتج المُركّز إلى الجيش الأمريكي. تمكن السيد "كلينك" من تثبيت أقدام مؤسسة "ريال" في مواجهة شركات أقل مصداقية كانت تشوش على ميزانية الوزارة من خلال تعاملها مع أشخاص من ذوي النفوذ.

جلس "إيان" في التاكسي. حين صعد إلى السيارة في مطار "دالاس" الدولي أخبره السائق في الحال أن منطقة "أرلنجتون" مملأى بالمتظاهرين الذين يحاولون منذ الصباح الباكر إغلاق الطريق إلى البنتاغون بسبب مناهضتهم للحرب الجارية في فيتنام. أخبره السائق أيضاً بأنه سوف يتمكن من الوصول إلى DoD لأنه سوف يأخذ الطريق الشمالي. راح "إيان" يتابع بإعجاب من مقعده الخلفي في السيارة الإرادة التي لا تكل ولا تمل لسائق التاكسي الذي كان يستخدم الزمور في البحث عن ثغرة بين طوابير السيارات للوصول إلى بناء البنتاغون الذي كان يراه من بعيد. بدأ إيان يصبغ عصبياً، ولكي يخفف من عصبيته ويهدأ أخرج من جيبه رسالة، ربما سبق له أن قرأها مئة مرة، وراح يتصفخها من جديد.. كانت كاترينكا قد كتبت له بالانكليزية للمرة الأولى، وهذا جعله يندهش كثيراً.

مرحباً بابا

أنا في غاية السعادة لأني تسلمت الطرد الذي يحتوي على أطلس النحل.. أشكرك كثيراً هل تحب فرقة البيتلز؟ عندي العديد من الأصدقاء وهم يحبون جون، وباول، وجورج، ورينكو...

استسلم سائق التاكسي في النهاية، وكان على "إيان" الترحل في "إيست بوتوماك بارك". تبقى خمس وعشرون دقيقة على موعد الاجتماع المقرر. بدا واضحاً لـ "إيان" أنه بيزكه باهظة الثمن تلك وبحقيته الجلدية لن يصل سيراً على أقدامه بين جموع المتظاهرين الموجودين على الجسر إلى المكان المحدد. خلع معطفه وأرخی عقدة ربطة عنقه. أخرج قميصه من بنطاله وتركه يتهدل في الهواء. لبس معطفه بالمقلوب وعقد ربطة عنقه حول رأسه. كطف بعض الأزهار من رقعة خضراء قريبة، ودسها عبر ثقوب الأزرار ثم رمى حقيته الجلدية الثمينة بعد أن أخرج منها أوراقه الضرورية في سلة المهملات ثم تابع سيره.

جرى في ذات اليوم أيضاً لقاء "بيتر" مع "الكسندر دوبتشك"<sup>١١</sup> بالقرب من بحيرة "كوخيدا". كان من الضروري ألا يسمع أحد حديثهما.

أمطرت السماء في الليلة السابقة. كانت المياه باردة، وحتى الهواء لم يكن ساخناً بالرغم من أن رياح ما بعد الظهيرة أجلت الغيوم وسمحت للشمس بالظهور. جلس بعض الزوار حول البحيرة. بعض السباحين المتقاعدين، بضع أزواج من طلاب المدارس العاشقين الذين وجدوا المتعة في تعرية أجسادهم، صبية من الغجر تحملوا اللعب ساعات في المياه الباردة إلى حدود الصقيع.

حضر الأمين العام للحزب الشيوعي السلوفاكي برفقة الرجل الذي جاء لمقابلة "بتر" في هيئة التحرير، وفي الوقت الذي كان فيه "دوبتشك" يخلع ثيابه، أجال الرجل نظره في أرجاء شاطئ البحيرة. حين لمح "بتر"، لوح له بيده. أما "بتر" برأسه.

لم تمنع برودة مياه البحيرة "دوبتشك" من السباحة. حين وصل الماء إلى فخذه، قفز مثل السهم. غطس في الماء وبدأ السباحة مستخدماً طريقة "الكراول". بعد ما يقارب الخمسين متراً حول السباحة إلى طريقة الصدر. استلقى بعد ذلك على ظهره وتابع السباحة. راقبه "بتر". سيخسر بالتأكيد لو حاول مسابقة ذلك السياسي في السباحة.

خرج "دوبتشك" من الماء بعد ربع ساعة. رمى منديلاً حول كتفه. الرجل الذي رافقه لم يخلع ثيابه. سأله "دوبتشك" عن أمر ما فما كان منه إلا أن أشار برأسه إلى مكان جلوس "بتر".

- الرفيق "رونائي"؟ سأل "دوبتشك" وهم يهيم بالجلوس بجانب "بتر".

- نعم، أيها الرفيق "دوبتشك"، "بتر رونائي".  
تصافحا.

- إن ربع ساعة من السباحة توقف الإنسان على قدميه أفضل من ثمانية ساعات نوم. - قال له "دوبتشك".

انتقل في الحال إلى هدف اللقاء. شرح لـ "بتر" أن قيادة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي تجري في تلك الأسابيع دراسة لمعرفة رأي القواعد الحزبية بالأوضاع السياسية والاجتماعية. أثبتت الدراسة بأن أعضاء الحزب ينظرون بريية

---

<sup>١١</sup>. الكسندر دوبتشك: الأمين العام للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي وصاحب مشروع الإصلاح السياسي والاقتصادي الشهير (ربيع براغ) الذي أحبط بعد دخول جيوش حلف وارسو إلى تشيكوسلوفاكيا في عام 1968 - راجع مذكرات الكسندر دوبتشك - ترجمة د. غياث الموالي..



إلى التناقض الحاصل بين البرامج وبين النتائج. إنهم يرفضون البيروقراطية والتقصير في متابعة القرارات الصادرة لحل المشكلات الاقتصادية، ويمكن القول في هذا السياق إن الرأي العام أكثر انتقاداً في هذا المجال.

- التغييرات لا بد منها في كل شيء. علينا أن ننتهي من موضوع صراع الطبقات، ونوصل وجوهاً جديدة إلى المراكز العليا في الدولة، وجوهاً مستعدة للاقتراب من الناس، وليس من المخلصين فحسب بل من جميع فئات الشعب، ويجب أن يكونوا من الأخصائيين. الرجل المناسب في المكان المناسب، ومن لا يفهم عليه التنحي. صمت "دويتشك" بشكل مفاجيء، وتطلع إلى وجه "بتر" وكأنه يريد التأكد من أنهما يتقاسمان نفس الأفكار.

- هل تؤمن بالأفكار الاشتراكية، أيها الرفيق "روناي"؟ - سأله.

- نعم، أومن، - رد عليه "بتر".

لقد قال الحقيقة. إنه في واقع الأمر يؤمن بكل ما قاله ذلك الإنسان الهاديء ذو القلب الطيب. لقد كان مرضه معدياً.

- أومن، - كرر "بتر" قوله.

خطرت في بال "بتر" في تلك اللحظة حادثة من الطفولة. كان يقف بجانب والدته في الكنيسة حين سأل القس المصلين إن كانوا يؤمنون بشيء. رد "بتر" مع البقية بكل أدب بأنه يؤمن. إنه الآن يؤمن بـ "دويتشك" بوصفه الرب دون تحفظات.

- أي نوع من الاشتراكية يجب أن تكون؟ طرح "دويتشك" سؤالاً جديداً.

فكر "بتر" قليلاً ثم قال:

- صادقة، ومنتجة، وحررة... تخطر ببالي أشياء مجازية (metaphory) مثلاً ملونة... من الصعب التعبير عنها بوصل الكلمات.

- بالضبط، أيها الرفيق "روناي"، ابتسم "دويتشك". من الصعب التعبير عن ذلك، ولهذا السبب أردنا التحدث إليك. إننا بحاجة إلى كلمة أو جملة قصيرة نقول فيها للناس: إننا بنينا اشتراكية مختلفة.

أوماً "بتر" برأسه.

قرع "جبرائيل" الباب.

- من هناك؟ جاء صوت "كاترينكا" سائلاً من خلف الباب.

- العم "جابو"، رد "جبرائيل".

فتحت "كاترينكا" الباب. أشارت إليه بإصبعها بحرف V وقالت:

- عليك الأمان، يا أخي.

- هل تلعبين لعبة الهنود؟ سأله "جبرائيل".

- لوثة، فنجرت "كاترينكا" عينيها. - إنها تحبنا نحن الهيبين. لو قلت لك "make love not war" فهل كنت ستفهم. لقد أرسل لي والدي أحدث أغنيات البيتلز. all you need is love تعال معي سأسمعك إياها.

- هل أنت وحدك في البيت؟

- أجل. جدي في المشفى ووالدي ذهبت لزيارتها، ولكن لا تخف، الأمر ليس بهذه الخطورة.

توجب على "جبرائيل" سماع all you need is love سبع مرات. جاءت "ماريا" بعد ذلك وفي جعبتها أخبار سيئة. أكد لها الأطباء أن السيدة "بلايوفافا" مصابة بسرطان المبايض. تذكر "جبرائيل" كيف شكت له قبل عدة أسابيع من ألم في بطنها ومن الإمساك، وكيف أنه وصف لها الحليب الحامض.

"الاشتراكية الإنسانية"، كتب "بتر" حين جلس في البيت مساءً أمام الآلة الكاتبة. الاشتراكية الإنسانية؟ قالها بصوت مرتفع ثم ضحك من الفكرة لأنها تشير إلى وجود اشتراكية حيوانية. ونظراً إلى القوانين التعسفية غير المبررة في السنوات العشر الماضية فإن ذلك الشعار لم يكن من السوء مقارنة مع المرحلة التاريخية: بداية الخمسينيات - اشتراكية حيوانية، نهاية الستينيات - اشتراكية إنسانية.

"اشتراكية من أجل الشعب"، بدا له غير واضح. "اشتراكية مضمون إنساني"، رفضه "بتر" لأن الأفكار كانت في أصلها إنسانية. "اشتراكية بطريقة إنسانية"، اعتبره "بتر" غباء، ولكن "الاشتراكية بوجه إنساني"، فيه شيء، ولكن تخيله للوجوه الإنسانية ذكره بأحد التماثيل الاغريقية لرجل بوجهه الحقيقي. بوجه حقيقي.... "اشتراكية بوجه إنساني". كتب "بتر".

جرب بعد ذلك ترديد الشعار:

اشتراكية بوجه إنساني (بالتشكيكية)؟، اشتراكية بوجه إنساني (بالسلوفاكية)!  
سوف يكون وقعه جيداً.

- اشتراكية بوجه إنساني Emberarcu szocialismus، بدأ "بتر" محاضراته المسائية في لقاء أوكتوبر الأخير في نادي "جوزيف أتيلافا" للشباب.

راقب الشباب المتجمعين في إحدى قاعات كلية الفلسفة الموجودة في شارع "كوندوفافا". أحس أن شعاره قد نال الإعجاب في اللغة المجرية. كان موضوع محاضرة "بتر" اليوم هو "الهوية الوطنية"، ولكنه لم يتمكن من البدء دون استخدام تعبير الاشتراكية بوجه إنساني. لم يتحمل الانتظار حتى يسمع هذه الجملة الموصولة من فم "دوبتشك".

كان "بتر" قد جهز تصوراً آخر. أراد إنهاء محاضراته بسؤالهم عن انتماءاتهم: إلى القومية المجرية أم إلى الأمة المجرية؟ ولكنه لم يصل إلى تلك النقطة بسبب الدخول المفاجيء لإحدى الطالبات التي كانت ترتدي "ميني جوب". صرخت: لقد فرقت عناصر الأمن في "براغ" مظاهرة طلابية! ضربوا بقسوة جميع المشاركين! هناك مصابون...

توجهت العيون نحو "بتر". - emberarcu szocialismus اشتراكية بوجه إنساني، - قال مؤكداً.

## حادثة عام 1968

لعبة بشرية. هذا بالضبط ما كنت أراه في السياسة. لعبة بشرية وتزييف للحقيقة. لهذا السبب لم أهتم أبداً بالسياسة ولكن الأمور كانت مختلفة أثناء الحرب، لأن الحدود بين الخير والشر كانت واضحة في تلك الأثناء وغير قابلة للنقاش. كان للأعمال معنى في ذلك الوقت.

ولكن اللعبة السياسية بدأت مباشرة بعد الحرب، وتحديدًا في عائلتنا. كان والدي مع "بتر" - الذي كان في تلك الأوقات خطيبي - يقضيان الساعات وهما يفكران في التكتيك والاستراتيجية. إذا اقترح الحزب الديمقراطي هذا فإن الشيوعيين سيردون بشكل آخر، وإذا أرادوا شيئاً فإننا سنناضل من أجل الشيء الآخر.

بدأت أكره السياسة حين سجنوا والدي بعد سنوات، وكنت أنهرب من كل شيء له علاقة بها أو يذكرني بها، وبقيت على هذا الوضع حتى عام 1968.

لم يكن ممكناً في عام 1968 إدارة الظهر للسياسة. كنا نجلس حول التلفاز ونسمع المذيع وكلنا أمل. كنا نشترى الصحف بسعادة لا توصف كي نتمكن من الحديث في البيت وفي العمل. كنا نؤكد يوماً بعد يوم بأن الأوضاع ستتغير وستتحسن وأن السياسة ليست ضدنا. فجأة أصبحت الاشتراكية هذه المرة فكراً شعبياً ممتعاً يشد الناس.

جردوا "نوفوتني" مباشرة في أول شباط من منصب الأمين الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، وانتخبوا مكانه "الكسندر دويتشك" لهذا المنصب. تم في نيسان نشر برنامج عمل الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي. كان "بتر" في أوج سعادته وأصبح من المتعصبين لـ "دويتشك" وبرنامج الإصلاح، وراح يحلم من جديد بتحقيق الأفكار الإنسانية الحقيقية للاشتراكية والشيوعية، وتمكن في نهاية الأمر من الوصول إلى الاستقرار الداخلي بما يتعلق بأصله. كان يوقع المقالات - نشر العديد منها بالمجرية والسلوفاكية - باسم "رونابي بتر". لقد عاد إلى كنيته المجرية ولكنه ترك الاسم بالسلوفاكية.

في الوقت الذي شكلت فيه الاشتراكية ذات الوجه الإنساني عنواناً أساسياً في حياة "بتر"، كان "جبرائيل" ينحو في تفكيره باتجاه أكثر واقعية. ركز تفكيره في الطريقة التي يمكنه فيها مساعدة "يان" ليعود إلى تشيكوسلوفاكيا. في البداية الزيارة وحين يكتشف التبدل الحاصل في الأوضاع سوف يستقر هنا بشكل نهائي. على الأقل هذا ما خمنه "جبرائيل". لقد أكد "جبرائيل" سذاجته في شرح هذه التفصيلات كما هو معروف عنه. كان يظن أن "يان" سيترك في أمريكا ثروته التي تقدر بالملايين ومصنعه وكل ذلك للعيش مع أصدقائه القدامى، ومع ذلك شكلت سذاجته حافزاً لدفع "بتر" كي يقوم بكل ما هو ضروري لرفع العراقيل التي تمنع "يان" من العودة. صدر حكم البراءة بحق "يان" في نهاية أيار وكانت المحاكم في حينها تقوم بإلغاء جميع الأحكام القديمة الجائرة بسرعة وبشكل روتيني. كتب "يان" في البداية بأنه لا يمكن أن يصدق، مؤكداً أن ما يحدث هو مجرد فخ كي يجعلوه يعود إلى تشيكوسلوفاكيا ويسجنوه. لم أستغرب فكرته لأن من لا يعيش هنا لا يمكنه أن يصدق أن الأوضاع تغيرت بهذه السرعة. ومع ذلك لم يستسلم "بتر" وبقي يرأسل "يان" ويبعث له بقصاصات الجرائد، واستمر في إقناعه بأن لا شيء يدعو إلى الخوف من العودة.

أذكر هاتف "يان" في نهاية العام الدراسي. أراد سماع رأيي. أخبرته أن لا شيء يدعو إلى الخوف وأن بإمكانه المجيء. سأل عما إذا كنت أنصحه بالرغم من أن الشيوعيين لا يزالون في السلطة في تشيكوسلوفاكيا. قلت له نعم، ولكنه بذلك وضعني في موقف حرج. هل "دوبتشك"، و"تشرنيك"، و"سمركوفسكي"... لا يزالون شيوعيين؟

قال لي "يان" بالرغم من ذلك بالهاتف، إنه سوف يستقل الطائرة حالما تسمح له الظروف. خفت قليلاً من هذا اللقاء بسبب "كاترينكا" التي كانت تصادق أطفالاً أكبر منها سناً، وهم يلعبون معاً دور "الهيبيز" في "براتيسلافا". أخبرت الجميع أن والدها سيجيء من "سان فرانسيسكو" وسيحضر معه العديد من الاسطوانات. كانت زيارة "يان" حدثاً انتظره عشرات الأطفال بالورود من كافة أرجاء المدينة. فجأة أصبحت "كاترينكا" شخصية مهمة.

طلبت من الجميع عدم إبلاغ والدي بحضور "يان" لأنها لم تغفر له تركه لي بعد.

كانت والدي موجودة في مشفى "هايدوك". لقد أكد لنا طبيب الأورام قبل سنة أن العملية ناجحة، وسيكون كل شيء على ما يرام، ولكن العلاج الكيميائي والشعاعي لم يوقف المرض بالرغم من تأكيدهم في السابق أنه لا يوجد ما يعالجه بالأشعة، وإن السرومات لها دور وقائي فحسب.

شعرت والدتي يوماً بعد يوم بالوهن. لم تعد تتكلم بل كانت تهمس فحسب. أصبحت بشرتها بلون الشمع، تارة صفراء وحيناً خضراء. كانت تموت ببطء أمام عيني. لهذا السبب لم أتأثر بالتغييرات السياسية كما تأثر الآخرون من حولي. ولكن غيري عاش أيضاً حماماً بارداً. مثلاً "بتر" في حزيران. أراد الذهاب بوصفه صحفياً للمشاركة في النشاط السنوي للمليشيات الشعبية في "براغ" لأن الأخبار تحدثت عن تحضير للهجوم على "دوبتشك" وعلى جميع أعضاء تيار التحديث. لم يسمحوا له بالدخول في نهاية الأمر وذلك بسبب وجود "جيولا هارسانيي"، على الباب الذي أكد له أن الدخول مسموح لحاملي بطاقات الدعوة فحسب من الصحفيين. نذرع "بتر" بقانون إلغاء الرقابة، ولكن ذلك لم يقنع رأس "جيولا" المتحجر. قال له "بتر" في النهاية إن بزة المليشيات الزرقاء التي يلبسها هي ثالث بزة، وهي شديدة الشبه بالبزة التي كان يرتديها حين كان من عناصر "نيلاش"، وبعدها من عناصر السجن، وقال له أيضاً إنه فضولي ويريد معرفة البزة التي سيرتديها في المستقبل. نادى "جيولا" بعض زملائه للمساعدة، فما كان من "بتر" إلا أن تركهم وغادر.

- إنني في الحقيقة شعرت بالخوف منهم، - اعترف لنا "بتر" بعد مدة. وصل "يان" بالطائرة في السابع عشر من آب. ذهب "بتر" برفقة "جبرائيل" لانتظاره في مطار "فيينا". دعوتهم ثلاثتهم لتناول طعام العشاء عندنا في البيت، وكنت قد زرت والدتي قبل ظهيرة ذلك اليوم، ولكنني فضلت عدم اصطحاب "كاترينكا" معي. لأنها كانت تعيش حالة من الترقب الشديد، وبالتأكيد لم تكن تتمكن من حفظ لسانها وعدم البوح لجدها بأنها أخيراً سوف ترى "داداي" الكاليفورني. كانت والدتي تشعر على غير العادة بصحة جيدة حتى إنها رافقتني إلى الطابق الأرضي كي تتمكن من الجلوس هناك على المقعد، وبالمقارنة مع الغرفة كان بإمكاننا هناك أن نشعر بشيء من الخصوصية.

هرعت من المشفى إلى مخزن "تتي" للتبضع. هناك فقط أحسست أني نسيت أكلة "يان" المفضلة. ربما لم أكن أعرفها بالأساس ولكن الاحتمال الأكبر هو عدم وجود أكلة مفضلة عنده بالرغم من أنه أمضى حياته وهو يعمل في إنتاج المواد الغذائية. تذكرت فحسب أنه في حياته لم يضع في فمه عصيدة البازيلا مع اللحم المقدد. اشتريت في النهاية دجاجة لتحضير الحساء، وقطعة لحم خنزير لطبخها مع الملفوف الحامض والكندليك. حَضَرْتُ الخضرة من الملفوف الطازج.

كان لقاء غريباً. وقف "يان" في طرف الباب ومد إلي يده اليمنى.  
- نهارك سعيد يا "ماريا"، - قال لي وكأنه لم يعرف إذا كان عليه مخاطبتي بصفة المفرد أو الجمع.

رغبت في شدة إلى صدري ومعانقته، واقتربت لذلك منه خطوة، ولكن "كاترينكا" سبقتمني وهرعت من خلفي ورمت بنفسها عليه وعانقته حول رقبتها.  
مشهد مؤثر. امتلأت عينا "جبرائيل" بالدموع. شعرت لحظة بنوع غريب من الغيرة الشديدة. لقد ربيت طفلتي وحدي أحد عشر عاماً وها هي الآن تعانق رجلاً نصف أصلع لم تره في حياتها من قبل.. ولكن من ناحية أخرى كنت سعيدة لأنه كبر في السن ولم يعد جميلاً كما كان عليه من قبل.  
- ما أروعكما، ابتسم "يان".

لحسن الحظ جاء تعليق "بتر" الذي قال: إما أن ندخل إلى البيت أو ننده على الجيران كي يستمتعوا باللقاء معنا على الدرج. لم تمض لحظة على التعليق إلا وكنت قد دعوتهم إلى الدخول.

سلم "يان" مباشرة بعد دخوله إلى البيت كيساً من النايلون مليئاً بالأسطوانات لـ "كاترينكا" التي قفزت من فرحتها.

قال لي "بتر" بعد أن جلسنا حول الطاولة في غرفة الجلوس إن عناصر المرور في مطار "فيينا" خالفوه لأنه أوقف السيارة في مكان ممنوع.  
- سدس المعاش في خبر كان. وضح "جبرائيل".

علمت أثناء تناولنا طعام العشاء أنهم يحضرون أنفسهم في يوم الإثنين للقيام برحلة إلى مرتفعات "شتافنتسي". خيمة وأكياس نوم، ومعلبات وطبخة "كولاج" وماء من البئر كما يفعل الشباب لأنهم في شبابهم كانوا منشغلين ولم يكن لديهم الوقت لمثل تلك المشاريع.

- كم هو مؤسف لأننا لم نذهب إلى هذا المكان من قبل، رد "بتر" على نظرة استغرابي.

- رحلة عادية، فرح "جبرائيل".

- حتى إنني أحضرت معي بودرة الشوربة التي أنتجها للجيش الأمريكي، مدح "يان" نفسه.

- الجيش؟ قطبت "كاترينكا" حاجبيها، - خراء.

أثبتها ولكن الشباب ضحكوا من ردة فعلها، وراحوا يشجعونها كي تستمر.

- لا أعرف ما إذا كنتم تتحملون هذا النوع من الكلام، قالت لهم "ماريا" غير متأكدة.

تفهمت ما ينوون فعله. أرادوا قضاء عدة أيام وحيدين لا سيما وأنه مضى وقت طويل ولم ير أحدهم فيه الآخر، وهم بحاجة إلى التحدث بهدوء عما جرى خلال تلك السنين.

اعترفوا في النهاية أنهم يخططون لأخذ "كاترينكا" التي كانت على علم بمشروعهم. بدأت ترجو طالبة مني الموافقة. رفضت، وعللت رفضي بأنها لا تزال صغيرة ولن تتمكن من مجاراتهم في السير، عدا عن أنها لا تملك كيس نوم، ولكن يوجد كيس نوم لأجلها، لأن "جبرائيل" استعار أربعة أكياس جديدة من مركز عمله، وأحدها مبطن بالريش.

- لا يمكنني أن أثق بواحد منكم، ولكن بما أنكم ثلاثة فلربما ستمضي الرحلة على خير، - استسلمت في النهاية.

تحول الحديث بعد ذلك إلى السياسة.

- سيلتقي اليوم "كادار"<sup>٤٠١</sup> في مدينة "كومارنو" بـ "دوبتشك" يرحوه عدم تسريع عجلة الإصلاح لأن ذلك سيهز كرسيه في "بودابست"، قال "بتر" وهو يتناول الحساء.

- ولكن الترجي لن يفيد، المحافظون، - قال "جبرائيل" بسرور.

- المحافظون؟ استغرب "يان".

- المحافظون هم السياسيون المحافظون، الستالينيون، - شرح "يان".

- لقد تمكنا منهم في بلدنا، وهم يخافون وصول الشرارة إليهم.

قبل مغادرته سألني "يان" عن حالة والدتي الصحية. طلب مني أن أسأل الطبيب إذا ما كان هناك دواء أفضل في الخارج. ليست عنده مشكلة في إرسال أي كمية، وذكروني بأننا لو كنا أماناً بالطبابة الشيوعية لكان "جبرائيل" في عداد الأموات منذ عشرين سنة على الأقل.

- لا تُضخم الأمور، ثماني عشرة - حسب له "جبرائيل".

ومع ذلك لم يسافروا في يوم الاثنين بل في يوم الثلاثاء. كان على "بتر" أن يُسلم يوم الاثنين إحدى مقالاته، وتبين أن عليه فعل أشياء كثيرة أيضاً. انزعج "جبرائيل" لأنه خسر يوم إجازة، أما "يان" فلم يابه للأمر. اصطحب معه "كاترينكا" إلى المدينة كي تساعد في شراء بوط رياضي، لأن كعب الحذاء الخفيف الذي أحضره معه من

<sup>٤٠١</sup> كادار: يانوش كادار الأمين العام للحزب الشيوعي المجري.



أمريكا طري. حين عادوا إلى البيت صرح بأنه يتنفس بحرية في هذا البلد. أمضى ليلته عند "جبرائيل".

اكتشفوا حين انطلقوا في رحلتهم يوم الثلاثاء أن حقيبة سيارة "بتر" لا تتسع لأربعة أكياس مليئة. لذا توجب عليهم فتحها وإخراج بعض الأشياء ووضعها بين الأرجل في المقعد الخلفي وبين قدمي المرافق الأمامي.

خططوا للعودة في يوم الأحد، الأول من سبتمبر، وكانوا يحضرون أنفسهم لإجراء السباق في "لفتسي"، وبعد ذلك زيارة والدي "بتر" والعودة في المساء إلى "برائيسلافا". توقعت أن تشعر "كاترينكا" بدوني بالملل لطول الوقت، لا سيما أن عليها تحضير نفسها للمدرسة، ولكن بما أنني وافقت مرة على ذهابها معهم، لم يكن بوسعي الاعتراض على شيء.

كان مساء العشرين من آب دافئاً والسماء صافية. استيقظت في حوالي الثالثة صباحاً على أصوات هدير طائرات وصرير آليات من الشارع. نظرت من النافذة وعرفت في الحال أن مصيبة قد حلت بنا. رأيت الدبابات وهي تعبر الشارع وقد طلي منتصفها بزئار أبيض عريض يشع في الظلام.

يا إلهي! شعرت بالخوف. أدركت في الحال أن "كاترينكا" بعيدة عني. تناولت السبحة التي كنت أتعبد بها من أجل أمي من تحت وسادتي، ورحمت أتضرع للعدراء كي تحمي ابنتي وتصونها.

أكمل الأربعة في اليوم الأولى مباشرة مسيراً طويلاً. تركوا سيارة "بتر" في ساحة قرية "كوزاروفتسي" وانطلقوا باتجاه قمة "برسيل"، وحين وصلوا إلى هناك قرروا صعود الـ "تاترا" حيث شعروا بالتعب، اقترح عليهم "جبرائيل" أن يتابعوا السير إلى "بوكانتسي" ومن هناك يستقلون الباص عائدين إلى السيارة وبذلك تنتهي الرحلة. رفضت "كاترينكا" اقتراح "جبرائيل" وبكت وقالت إنهم طوال الرحلة كانوا يغشونها، لهذا السبب قرروا تمضية الليلة في الغابة. كان الجو في المساء دافئاً والسماء صافية حتى إنهم لم ينصبوا الخيمة.

ومع ذلك أفاقوا في الليل على أصوات هدير الطائرات التي كانت تحلق فوقهم. استلقوا وعيونهم تتطلع إلى السماء محاولين التعرف على جنسية الطائرات.

- طائرات نفاثة؟ سألتهم "كاترينكا".

- بـ 52. الأمريكيان يطرون من فيتنام. حاول "يان" المزاح.

- اصمت يا والدي، - قالت "كاترينكا" بغضب. - أخبرني أمي أن القنابل

الأمريكية تسببت في قتل والديك. هل نسيت؟

بقي "يان" صامتاً كما أن هدير الطائرات خَفَّ أيضاً.

حين استيقظوا في الصباح كانت الشمس عالية. نبههم "جبرائيل" على أن لديهم القليل من الماء، ولكن اقتراحه بالذهاب إلى "بوكانتسي" رفض من جديد. ألقى "بتر" نظرة على الخريطة وأقنعهم أن يتركوا الإشارات السياحية جانباً ويلتفوا إلى رصيف غير مرسوم يوصلهم إلى الماء. اختفى الرصيف بعد لحظات ولكنهم عثروا على البئر. هنا اقترحت "كاترينكا" عليهم ألا يسروا حسب الأرصفة السياحية. رد "يان" أن كلامها له قوة الزهور. بدؤوا التسكع في الغابة ونتج عن ذلك لعبة (تفادوا الناس). وجدوا أنفسهم في وقت الظهيرة أمام إحدى الإشارات السياحية ولكنهم تابعوا سيرهم بضع عشرات من الأمتار بعيداً عنها في الغابة إلى أن وصلوا إلى "دراستافنتسي" حيث جدوا هناك أيضاً نبع ماء، خيموا بالقرب منه. حَضَّر لهم "يان" على العشاء بودرته الشهيرة ولكن طعمها لم يعجب سوى "جبرائيل". أكلت "كاترينكا" معجنات مغطسة بالشكولا إضافة إلى أكلتها المفضلة "مايكا" بدون خبز. أكدوا قبل أن يناموا أن لعبتهم ناجحة كونهم لم يلتقوا طوال يومهم أي سائح.

لم يلتقوا أحداً حتى في اليوم الثاني. ذهبوا إلى "هودروش" ولكنهم لم يدخلوا إليها لأنهم عبروا جسر "ريخنافا" وبعد ذلك الطريق الموصل حسب "بتر" وخريطته إلى مناجم "شتافنتسي". ناموا من جديد في الغابة. أكلوا كل تموينهم، ولم يبق لديهم قطعة خبز واحدة أو فواكه، ولا حتى خضار ولم يبق عندهم سوى بودرة حساء بيض "يان" وبعض المعلبات. لذا قرروا في صباح اليوم التالي النزول من الجبل. عرفوا هناك أخيراً أن تشيكوسلوفاكيا محتلة منذ ثلاثة أيام من قبل حلفائها السابقين، وبأن المسؤولين في قيادة الدولة قد حُطِّفوا إلى موسكو.

كدت أموت من خوفي خلال تلك الأيام الثلاثة الماضية بالرغم من أن المذيع أكد أن الهدوء النسبي يعم جميع أنحاء البلاد ولم تحدث أي مواجهة، ولكنهم أعلنوا في ذات الوقت عن وقوع ضحايا بين المدنيين في "براغ" وفي "براتيسلافا" و"بوبراد" و"زفولن" باختصار في جميع أرجاء البلاد.

لو أن ثلاثتهم فعلوا أي شيء أو تورطوا وهم يعرفون أن معهم طفلة صغيرة فإنني بالتأكيد لا أعتبرهم أبطالاً لأنني أعرف تماماً قلة حذرهم. لقد كانوا أقل الناس حذراً حين حاولوا أن يكونوا حذرين. هذا ما عرفته عنهم خلال الحرب، وبعد الحرب، وفي الخمسينيات. لُمتُ نفسي ألوف المرات لأنني تركت "كاترينكا" تذهب مع ذلك الثلاثي اللامعقول.

وصلوا إلى "براتيسلافا" مساء الثالث والعشرين. أُجبرت سيارتهم على التوقف ثلاث مرات بسبب مرور طابور من الدبابات الروسية، ولكن المشكلة العويصة التي اعترضتهم كانت بسبب البنزين. كانت المحطات مغلقة، لذا توجه عليهم سحب البنزين بواسطة الأنبوب من سيارات الناس الذين كانوا على استعداد لمشاطرتهم مخزونهم.

قام "بتر" فور وصوله بفتح التلفاز والراديو، وبدأ قراءة الصحف التي وجدها على الطاولة. ذهبت إلى المطبخ لتحضير العشاء ولكن "يان" قال إنه لا داعي لإضاعة الوقت في تحضير الطعام.

- علينا أن نجمع حوائجنا ونركب سيارة "بتر" ونغادر إلى النمسا في أسرع وقت. كانت يده تستندان على كتفي "كاترينكا"، وما أعطى كلامه دلالة عميقة توضح رؤيته للأمر، وكأنه بذلك يدافع عن أمن طفلة. انتبهت في تلك اللحظة إلى الشبه بينهما. كان لـ "كاترينكا" نفس أنف والذها، وخدها، ولكني لم أهتم أكثر بهذا الموضوع.

- لا تخف، هدأت من روع "يان". لقد عُقد البارحة في "براغ" مؤتمر الحزب الذي ثبت "دويتشك" في منصبه ورحب بالبيان المناهض للاحتلال. لا يتغير شيء عندنا.

- لقد سافر اليوم الرئيس "سفوبودا" إلى موسكو، قال لهم "بتر" وهو يشير بإصبعه وكان قد جاء إليهم بعد سماعه الخبر من التلفاز. - ربما يكون قد توصل إلى اتفاق لسحب القوات.

دق "يان" بإصبعه على جبينه وقال:

- ربما؟! وربما "سفوبودا" لم يعد بين الأحياء، ولا حتى "دويتشك"، ولا الآخرون. هل نسيتم ماذا جرى بعد عام ستة وخمسين في المجر؟ إعدامات وإرهاب. السجن سيكون بانتظار كل من لا يغادر، الوقت يدهمنا.

- لا ترسم الشيطان على الجدار. - قال له "جبرائيل" الذي لم يحول نظره عن النافذة. لقد توقف في الطريق تحت نافذتنا "كازيك" (سيارة عسكرية من نوع كازيك) سوفيتي وتابع طريقه بعد لحظات.

- هل ترونهم؟ تابع "يان"، - إنهم جاهزون للقتل.

سكتنا جميعاً، إنه محق في كلامه.

- يا "ماريا" - تابع "يان" بعد لحظات كلامه بهدوء - لا يمكن لابنتنا أن تشب في بلد سوف يطوق من جديد بالأسلاك شأنه شأن معسكرات الاعتقال. ستذهبون معي إلى أمريكا، أليس كذلك يا "كاترينكا"؟

- لا، صرخت "كاترينكا" دون أن أتوقع منها ذلك، وهربت من تحت أيدي "بتر"، وضممتني حول خصري. - بعد كل ماحدث في "My Lai" لن أذهب إلى أمريكا. حتى إن "الهيبيز" انتقلوا إلى الهند.

- حسناً ستذهبن إلى الهند، ولكنني لن أدعك هنا! صرخ "يان" بعصبية.

بالرغم من كل ذلك أجبر "يان" صديقه "بتر" على نقله في ذلك المساء إلى فيينا. لقد تفهمت تصرفه جيداً لا سيما أنه قبل شهر كان لا يزال محكوماً بالسجن ثلاث عشرة سنة بتهمة التجسس ومغادرة الجمهورية بشكل غير مشروع. لقد خاف، وخفنا نحن أيضاً ولكننا في ذات الوقت كنا لا نزال نتشارك الحلم والأمل اللذين كانا يعلمان تشيكوسلوفاكيا في الأشهر الماضية. لقد عاش "يان" في أمريكا، ولم يقاسمنا أحلامنا وآمالنا.

عاد "بتر" إلى "براتيسلاف" مباشرة في المساء. وعده "يان" في المطار بأنه مستعد للبقاء في "فيينا" لمساعدتنا.

أصبح منزلنا في الأيام اللاحقة شبيهاً بخيمة العمليات الرئيسية التي كان "جبرائيل" و"بتر" ينقلان إليها الأخبار الجديدة. كانا ينتظران حتى الثامنة هاتف "يان" الذي كان يُصر في كل مرة على أن نلحق به، حتى إنه جاء باقتراح إمكان دفع أجور نقل والدتي إلى أحد المجمعات الطبية الأمريكية الممتازة.

لم تتدهور حالة والدتي الصحية، ولكنها بقيت مستقرة دون أمل في الشفاء. حين كنت في زيارتها مع "كاترينكا"، لم تتمكن الطفلة بالطبع من إخفاء مجيء والدها "يان"، ولدهشتي لم أجدها غاضبة لأنني أخفيت عنها هذا الخبر، حتى إنها أخبرتني أنه من الأفضل لنا في تلك الأوضاع أن نغادر إلى أمريكا. إن "يان" على الرغم من كل شيء يبقى والد "كاترينكا" ومن واجبه العناية بطفلته ومن ثم بوالدتها. أدرت رأسي غير موافقة على كلامها وهذا جعلها تقول إن بإمكاننا العودة في أي وقت، كما أنها لا تحتاجني إلى جانبها في الوقت الحاضر لأنهم في المشفى يعتنون بها بشكل جيد.

لم أتمكن في تلك الأيام من إزاحة عيني عن "كاترينكا" ولو لحظة واحدة. كانت صديقاتها الأكبر منها سنّاً يحاولن بشتى الطرق إزعاج الجنود السوفييت. كن يرمين الزهور على الدبابات، ويرسمن عليها الشعارات والصور ويتظاهرن ليلاً ونهاراً أمام السفارة السوفيتية.

حين أطلق الروس بعد عدة أيام سراح قياداتنا السياسية، عاد التفاؤل إلي وإلى "جبرائيل".

- لقد عادت الأمور إلى سكتها الطبيعية، - قال "جبرائيل" وضحك.  
- أرجو أن تكون السكة الطبيعية حسب تصوراتنا وليس حسب ما تمليه  
موسكو.... قال "بتر" ساخراً، ولكنه لم يجد الوقت كي يشرح أفكاره لأنه سمع رنين  
الهاتف.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة، المتصل كان "يان" الذي كرر دعوته من جديد،  
ومن جديد أخبرته أن الأوضاع ستتحسن، لهذا لا يوجد سبب مقنع يجعلنا نقرر  
الهروب. طلب مني "بتر" بعد ذلك أن أعطيه السماعه.  
- "هونزو"، سأجيب في أقرب وقت لملاقاتك في "فيينا"، بدأ حديثه. - كل شيء  
هنا رهيب...

نظرنا إليه، أنا و"جبرائيل" باستغراب، وسمعناه يتحدث وبقيت أفواهنا  
مفتوحة.

- لقد تم التوقيع على بروتوكول "موسكو". قام "هوساك" البارحة بالغاء قرارات  
المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السلوفاكي. هذه هي نهاية الاشتراكية ذات  
الوجه الإنساني. لقد انتهت تلك الثورة... سأجيب إليك.

ساد صمت طويل بعد أن وضع "بتر" السماعه في مكانها. رمى بعد ذلك بكلتا  
يديه.

- لماذا تنظران إليّ بهذه الطريقة الغبية؟ لقد تم هنا دفن الاشتراكية الحقيقية.  
هل تعرفون ماذا سيحصل؟ بعضهم سوف يقلب معطفه والبعض الآخر سوف  
يوقف عن العمل، وسوف يشتررون أحدهم كي يكتب لهم الشعارات التي تطيح  
بعقول الجماهير. بقيت صامته مع "جبرائيل" بانتظار ما سيقوله لنا "بتر" الذي راح  
يضحك:

- قرر زملائي في هيئة التحرير كرد فعل على الاحتلال، أن يبدلوا اسم المجلة  
بدءاً من العدد القادم. لن يكون الاسم من الآن فصاعداً "عالم الاشتراكية" بل  
"العالم" فحسب. لهذا السبب عليّ أن أترك البلد لأنني لا زلت أومن بتلك الأفكار  
التي كرهها الناس.... إن أقرب ثورة ستحدث في "باريس" أو في "روما". إن  
الاحتجاجات الطلابية السابقة هي البداية، وحين سينضم إليهم العمال سنتحو  
الأمر بالتجاه الجد. أريد أن أكون هناك أثناء ذلك... وأنتما أيضاً عليكما أن تغادرا  
وإن لم يكن بسبب الثورة في الغرب فليكن بسبب الإرهاب في الشرق.

انتظرت هاتف "يان" في المساء التالي مع "جبرائيل". مرت الثامنة ولم يرن جرس  
الهاتف وعضاً عنه رن جرس الباب. كان الطارق "يان". لقد تغلب على الخوف

وجاء معه "بتر" الذي كَوَّرَ ظهره. حين عانقت "كاترينكا" والدها أخرج قميصاً كان اشتراه لها من "فيينا"، رسمت عليه صورة لفرقة "رولنغ ستون". لبسته "كاترينكا" في الحال ولكنه كان أكبر من مقاسها.

- أرجو أن تبقى فرقة "رولنغ ستون" سنتين في الموضة كي تتمكني من ارتداء القميص، - قال لها "جبرائيل" مازحاً.

- لا تخف، أولئك سيبقون في الموضة عشرين سنة على الأقل... أو ربما مئتي سنة! ردت "كاترينكا" بفرح.

شرح "يان" أنه استعار سيارة من "فيينا"، وسيعود في الحال.

- لا يمكنني ترككم هنا بأي حال من الأحوال. إذا كان "بتر" قد اقتنع وسيغادر فأكثر الظن أنكما ستقتنعان أيضاً.

- ولكن ليس إلى أمريكا، - قالت "كاترينكا".

- لا، إلى الهند! ضحك "يان"، ولكنه أصبح جدياً في الحال. - يجب عليكم الذهاب.

- يجب أن أبقى، - قلت له.

- ولماذا يجب أن تبقىين؟

- أُمي تموت.

سرحت الدموع من عيني في تلك اللحظة.

- ألا تفهم؟ إنها تحتاج إلي في هذا الوقت بالذات.

ضممني "جبرائيل" إلى صدره. لقد تفهم الوضع.

تابع "يان" بعصبية:

- لقد سبق وأخبرتك بأني سأتدبر موضوع نقلها إلى المشفى في أمريكا. لا تفكري في المال، إنه وفير ويجب صرفه مادام موجوداً.

أدرت رأسي:

- ولكنني لا أريد الرحيل، لا الآن ولا بعد حين. سأعيش هنا.

- لماذا؟ صرخ "يان" و"بتر" مجتمعين.

لوحث لهما بذراعي وكنت قد فقدت الرغبة في النقاش.

- هنا وطني.

- هل هذا وطن؟ صرخ "يان" في وجهي. - إنه مؤخرة العالم! مرة هنا

تشيكوسلوفاكيا، بعدها المجر، ثم سلوفاكيا، وبعد ذلك تشيكوسلوفاكيا من جديد.

والآن الروس... هذا لا يمكن أن يكون وطناً!

لم يكن عندي ما أرد به عليه. انتهى الكلام وقيل كل شيء. وقفنا أهدنا في مواجهة الآخر ونظر واحدنا في وجه الآخر. من جهة كان هناك "يان" و"بتر" ومن جهة أخرى وقفت أنا مع "جبرائيل". كانت "كاترينكا" تستمع في الغرفة المجاورة إلى الموسيقى.

- ولكننا لن نفترق إلى الأبد. - أراد "جبرائيل" إنهاء الحديث بالضحك ولكن صوته أخذ يتقطع.

حضر "جبرائيل" يوم السبت كعادته إلى بيتنا في الثامنة مساءً، وهو الوقت الذي تعودنا فيه انتظار هاتف "يان"، ولكن "جبرائيل" لم يحضر بسبب الهاتف بل للحديث عن "بتر":

- لقد تنبأ دائماً بما سيحدث، وفي كل مرة كان يسدي إلينا النصيحة. لقد ساعدنا على حل مشكلاتنا، وأمن لنا كل معاملاتنا، الوظيفة، والانتقال، وإخراج والدك من السجن... كيف يمكنني البقاء هنا، سأكون عاجزاً بدونها.

- إذاً ستذهب أنت أيضاً؟ سألته، وفعلت ما بوسعي كي لا أظهر حزني وخيبيتي.  
- لن نفترق إلى الأبد، تقطع صوته كما حدث معه في وقت قريب. - سأبقى في "فيينا". المسافة من هناك إلى "براتيسلافا" قصيرة. حين تحتاجين إليّ سأعود. حين أمك... حين سينتهي كل شيء ستأتين مع "كاترينكا". الحدود مفتوحة بالاتجاهين. إذا لم ننجح في الغرب يمكننا أن نعود....

لقد قيل كل شيء. وقفنا هناك أهدنا يتطلع في وجه الآخر. كانت "كاترينكا" لا تزال تستمع إلى الموسيقى في الغرفة المجاورة.

ثلاثتهم كانوا في الأول من سبتمبر خلف الحدود. ربما يقضون معاً أمسية لطيفة لأنهم نسوا للمرة الأولى مهاتفتي في الثامنة.

يا شبابي الثلاثة.

الثلاثة الذين لم أتوفى في حياتي معهم.

براتيسلافا

1 - سبتمبر 2007 / 1 - سبتمبر 2008.

مدن قليلة في جمهورية تشيكوسلوفاكيا كان بوسعها التباهي في نهاية  
الثلاثينيات من القرن العشرين بامتلاكها مسبحاً عاماً خاصاً بها،  
ومدينة "لفيتسي" كانت إحداها.

حين جاء الأول من سبتمبر نهاراً مشمساً، غص المسبح بالزائرين،  
بالغين مع أولادهم وبدون أولادهم، شباباً وكهولاً من مدينة "لفيتسي"  
ومن القرى المجاورة. مجريون، وسلوفاك، وتشيك، ويهود، وعجبر. كانت  
هناك عائلة الألماني "بارتيل" والبulgاري "رانكوف". كان هناك  
الديمقراطيون، والليبراليون، والمحافظون، والملكيون، والاشتراكيون،  
والقوميون، والشيوصيون وحتى الفاشيون كانوا هناك الوحيد الذي  
غاب عن الحضور كان الفوضوي "فاغرا" بسبب وجوده في إسبانيا .

تعودت الصبية ربط شعرها إلى الخلف على شكل جديلة تشبه ذيل  
الفرس، ولكنها أرخته الآن وتركته يجف تحت أشعة الشمس .

- شعرها بلون العسل، علق "هونزا"!

تناولت "ماريا" من جيب حقيبتها حبة خوخ ورفعتها برقة متناهية بين  
رؤوس أناملها الطويلة، ووضعتها في فمها .

- شفتاها رائعتان، قال "جبرائيل" وأطلق تنهيدة طويلة .

- ورديتان داكنتان . . . . ورديتان غامقتان . حاول "هونزا" اختيار

الوصف المناسب .

